



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة -1- الحاج لخضر
كلية اللغة والأدب العربي والفنون
قسم اللغة والأدب العربي



نحو النص في كتاب "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للشنقيطي مقاربة لسانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة

تخصص: لسانيات اللغة العربية

إشراف الأستاذ الدكتور:

لخضر بلخير

إعداد الطالب:

محمود بوسته

لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة | الجامعة | الصفة |
|-----------------|----------------------|---------------------------------|--------------|
| أد/ السعيد هادف | أستاذ التعليم العالي | جامعة باتنة-01 | رئيسا |
| أد/ لخضر بلخير | أستاذ التعليم العالي | جامعة باتنة-01 | مشرفا ومقررا |
| أد/ زغدودة ذياب | أستاذ التعليم العالي | جامعة باتنة-01 | عضوا مناقشا |
| د/ سليمان بوراس | أستاذ محاضر - أ - | جامعة المسيلة | عضوا مناقشا |
| د/ عيسى مومني | أستاذ محاضر - أ - | جامعة قسنطينة 1 | عضوا مناقشا |
| أد/ أحمد كامش | أستاذ التعليم العالي | جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة | عضوا مناقشا |

السنة الجامعية: 1438 / 1439هـ

2017 / 2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

مصادقا لقوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد:

« لا يشكر الله من لا يشكر الناس » صححه الألباني.

أقدم أسمى آيات الشكر والامتنان لأستاذي الكريم الأستاذ الدكتور: "خضر بلخير" وفاءً وتقديراً واعترافاً مني بالجميل، إذ بذل من الجهد الكثير رغم انشغالاته العلمية والإدارية المختلفة، إلا أن صدره كان أرحب من كل هذا، وأسهم في توجيه مسيرة هذا البحث حتى استوى ليكون اليوم بين يدي السادة الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين شرف هذا البحث بهم موجّهين حتى يقوم على سوقه.

كما أشكر جميع أساتذتي بقسم اللغة والأدب العربي، بجامعة باتنة 1- الحاج لخضر، إذ أفدت منهم الكثير، دون أن أنسى كل أفراد العائلة و الزملاء والأصدقاء والإخوان ومن له في القلب مكانة... والذين كانوا جميعا سندا لي في إخراج هذا البحث على هذا الشكل.

والفضل فوق كل هذا يعود لخالقي، فأسأله أن يتقبله مني خالصا لوجهه الكريم.

محمود

الإهداء

إلى والديَّ الكريمين

وأخويَّ الفاضلين - كمال وفؤاد

وأخواتي الفاضلات

وجميع الأحبة

ومن له في القلب مكانة...

أهدي هذا العمل

حققت

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، أما بعد :

شهدت الدراسات اللسانية بداية من الثلث الأخير من القرن الماضي، نوعاً من الاهتمام يختلف عما درج عليه السابقون، وتطور هذا الاهتمام بعدها إلى اتجاه له معالمه، وعلم له ركائزه عند الباحثين اللسانيين المحدثين، تخطى حدود الجملة في دراسته اللغة، وجعل النص فضاءً الأوسع، إذ به يتحقق ويكتمل غرض اللغة الأساس، وهو التبليغ والبيان، فهو قفزة نوعية في هذا الجانب، جعلت منطلقها أصغر الوحدات الدلالية، ومبتغاها مجالاً واسعاً له حدوده، فهي تنظر إلى النص بشكل كلي، فلا تقف عند جزئياته إلا بقدر ما يفيد الجزء الكلي، يؤثر في تشكيله وفي ترتيب علاقاته .

من هذا التحول في الدراسات اللسانية، والانتقال من محوريات الاهتمام بنحو الجملة، نشأ "نحو النص" باعتباره علماً يشكل نظرية ومنهجاً في الوقت نفسه، يدخل علوماً شتى في آلياته مستعيناً بها في حل مشكلات اللغة، فتنوعت موضوعاته وتعددت مصطلحاته وكان أهمها على الإطلاق وأشملها مصطلحاً : "السبك" و "الحبك"، فهما من المعايير النصية الأكثر اتصالاً بالنص، وإذا ذكرنا عُلِمَ أن المقصود "نحو النص".

ونظراً لأهمية القرآن الكريم، إذ هو كتاب الله المعجز في ألفاظه ومعانيه، فقد اهتم به علماء الإسلام، بتدبر معانيه وكشف أسرارهِ وسبر أغواره، واجتهدوا في تفسيره وإيضاحه واستنبطوا منه عقائدهم الإيمانية وأحكامهم الفقهية، ومن هؤلاء علماء التفسير، الذين كان لهم النصيب الأوفر من الاهتمام.

وقد مر تفسير النص القرآني بمراحل منذ نزوله إلى وقتنا هذا، كونه خطاباً متجدداً، يحمل معاني يعمل هؤلاء المفسرون على إيضاحها وبيانها اعتماداً على آليات تُتيح لهم فهمه في إطار بنية النص الكلية التي ترتبط بعلاقات محكمة بين أجزاء هذا النص، من آيات وسور، وتعد العلاقات النصية جوهر "نحو النص"، إذ يدعو إلى تجاوز حدود الجملة في الدراسات اللسانية، فهو ينادي بتطبيق النظرة الكلية للنص التي تعتمد على بيان سبكه وحبكه بالنظر في مضامينه، بالإضافة إلى النظر في علاقة النص بأركان التواصل .

وعلى الرغم من شيوع هذه النظرة النصية متمثلة في "نحو النص"، في الدراسات اللسانية الغربية بداية من المحاولات الأولى لتأسيسه، إلا أننا لانعدم هذه النظرة في التراث اللغوي العربي في تصوراتهِ ومفاهيمهِ وتحليلاتهِ للنصوص من هذه النظرة الشاملة والكلية، وقد قامت الكثير من الدراسات الحديثة على نتاج القدماء ومن بينها تحليل النصوص.

ومن هذا المنطق جاءت دراستنا الموسومة " نحو النص في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي - مقارنة لسانية- " تحاول الكشف عن أهم وسائل السبب النصي والحَبك التي اعتمدها الشنقيطي -رحمه الله- لإيضاح المعاني القرآنية، وبيان التماسك النصي اعتمادا على معطيات التراث العربي، مقارنة للنظرة النصية الحديثة، وكان عليّ أن أسير بحذر في هذا النوع من الدراسة حتى لا أقع في قراءة اسقاطية لا جدوى منها، بين جهد مفسر من المفسرين ونظرة حديثة جاءت بعده مباشرة، لذلك فإنني حرصت على الالتزام بالكشف عن أهم أدوات السبب وآليات الحَبك التي اعتمدها، وأسهمت في إيضاح المعنى وبيان العلاقات بين أجزاء النص القرآني، في مقارنة بينهما وبين ما جاء في الدرس اللساني النصي، لا البحث عن المقولات النصية من خلال هذا التفسير .

وقد انطلقت في دراستي من إشكالية تتمركز حول محورين أساسين :

المحور الأول : يتعلق بالنظرة النصية العامة في الدرس اللساني القديم والحديث .

المحور الثاني : يتعلق بالدرس النصي في الدراسات التفسيرية للنص القرآني وبالضبط عند الشنقيطي - رحمه الله - في كتابه " أضواء البيان " .

ويمكن أن أجملها في تساؤلات أهمها :

- كيف حدث التطور في الدراسات اللسانية من الاهتمام بجزئيات النص منفصلة، إلى اعتبار النص الفضاء اللغوي الأوسع والأولى بالدراسة ؟ .

- هل يمكن اعتبار كتاب " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " للشنقيطي حقلا تطبيقيا لهذه النظرة النصية ؟

- وما مدى تطبيق النظرة النصية الكلية للنص القرآني عند الشنقيطي في كتابه هذا ، انطلاقا من عنصري السبب والحَبك ؟

أما أسباب اختياري للموضوع : فقد تمثلت في ثلاث نقاط :

أولا : الدراسة النصية : أسباب اختياري للدراسة تتعلق بـ "نحو النص " هي :

- محاولة الاستمرار في البحث في هذا المجال(الدرس اللساني النصي) بعد أن بدأت البحث فيه في مرحلة الماجستير .

ثانيا : التفسير : أسباب اختيار تفسير من تفاسير القرآن الكريم هو محاولة الاستفادة من المزوجة بين الدراسات اللغوية والدراسات القرآنية .

ثالثا : أضواء البيان : اختياري لأضواء البيان مجالا للدراسة التطبيقية لأنه :

- يعتبر تفسيراً خاصاً بطريقة خاصة اعتمدت النظرة النصية الكلية الشاملة للنص القرآني .
وللإجابة عن التساؤلات المطروحة في الاشكالية اقتضت الدراسة اتباع منهجية من: فصل
تمهيدي، وبابين؛ في كل باب فصلان، وهي كآآتي:

الفصل التمهيدي: يأتي في جزأين : **الجزء الأول** بعنوان: " مقاربات نظرية في نحو النص"،
جاء الحديث فيه عن تطور الدراسات اللسانية من الجملة إلى النص، وتحديد لأهم المفاهيم
والمصطلحات المتعلقة بنحو النص، والجذور التاريخية للدراسات النصية، و**الجزء الثاني** من هذا
الفصل التمهيدي، وسم: "تفسير أضواء البيان المؤلف والكتاب" وجاء في شقين، الأول منه جاء
الحديث فيه عن الشنقيطي - رحمه الله - من خلال حياته الشخصية والعلمية، أما الشق الثاني
فالحديث فيه عن الكتاب، وسأقوم بالتعريف بالكتاب وبيان دوافع تأليفه ومنهجه وأهم مصادره.
وأما **الباب الأول:** فقد جاء موسوماً " السبك النصي في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن
بالقرآن " والحديث فيه كان في فصلين؛ تناولت فيهما أهم عناصر السبك التي اعتمدها
الشنقيطي - رحمه الله - في كتابه ، وعن طريقها يبرز للنص نصيته، ففي **الفصل الأول :**
الإحالة، وتناولت دورها في السبك النصي من خلال أهم عناصرها: الضمائر وأسماء الإشارة
والأسماء الموصولة، أما **الفصل الثاني:** العطف والحذف، وتناولت دورهما في بيان السبك النصي
، والتزمت بوضع خلاصة لكل فصل.

أما **الباب الثاني :** فقد جاء موسوماً " الحُبك النصي في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن
بالقرآن "، واحتوى فصلان، **الفصل الأول:** السياق، من خلاله يبرز دور السياق اللغوي وغير
اللغوي في إيضاح الحُبك الدلالي للنص القرآني عند الشنقيطي - رحمه الله - و**الفصل الثاني:**
الخطاب والتمثيلات الدلالية، ففيه حديث عن العلاقة بين المتلقي (المفسر) والخطاب القرآني ،
ودوره المتلقي في بيان ترتيب الخطاب وعناصر الخطاب، وتوجيه الخطاب القرآني، ودلالة الخطاب
على مفهوم الموافقة والمخالفة، وأهم العلاقات بين التمثيلات الخطابية الدلالية التي استعان بها
الشنقيطي ومن خلالها تتضح النظرة النصية الشاملة للنص القرآني ، والتزمت في هذا الباب أيضا
بوضع خلاصة لكل فصل من فصوله .

وخاتمة هذه الدراسة هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا العمل.

أما **المنهج المتبع** في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي الذي يعتمد على التحليل في ضوء
المقاربة اللسانية النصية، وهذا المنهج هو المناسب لهذه الدراسات التي تعمل على وصف وإيضاح

أهم أدوات السبك وآليات الحبكة التي استعان بها المفسر لتفسير آيات الذكر الحكيم، وأفدت من المنهج الإحصائي بطريقة ثانوية مدعمة للمنهج الوصفي، إذ جاء الإحصاء بالقدر الذي يتطلبه البحث دون إسهاب يُخلّ بالمنهج الأساس.

أما **المراجع المعتمدة** فقد تنوعت بين العربية والغربية، وتوزعت المراجع العربية بيت التراثية والحديثة، اللغوية وغير اللغوية، فمن المراجع التراثية نذكر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، ومن المراجع العربية الحديثة نذكر كتاب: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية " تأسيس نحو النص " لمحمد الشاوش، ولسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب لمحمد خطابي، ومن المراجع الغربية نذكر كتاب: النص والخطاب والإجراء لروبرت دي بوجراند وكتاب: الاتساق في اللغة الإنجليزية "هاليداي" و"رقية حسن" (**M.A.K Halliday , Ruqaiya Hasan, Cohesion in English**)

أما **الصعوبات** التي اعترضتني فيمكن بيانها في الآتي :

أولا : الحذر المطلوب في التعامل مع النص القرآني، حتى لا يقول الباحث على الله بغير علم، وعلى الرغم من أن هذا الحذر يعتبر قيّدا، إلا أنه يفيد الباحث من حيث التزامه الدقة في دراسته. ثانيا : التقيد بدراسة نص المفسّر دون النص المفسّر يكبح جماح الإبداع ويقيد حرية الباحث . وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي المشرف: "الأستاذ الدكتور **خضر بلخير**"، الذي شرفني مرة ثانية بقبول إشرافه بعد أن كان المشرف على مذكرة الليسانس، وأيضا لما وجدت فيه من صدر رحب ، وكرم بذل، وتوجيه قيم، ورأي سديد، وعظيم خلق، فقد كان نعم الموجه بأن أنار لي طريق البحث العلمي، فله مني تحية تقدير وعرفان . كما لا أنسى فضل أساتذتي جميعهم دون استثناء، ممن علّمني حروف الهجاء إلى آخر فكرة تنير لي طريقي في هذه الحياة ، فلهم مني الشكر والعرفان . وأسأل الله تعالى قبل كل هذا أن يوفقنا للخير وفعله، ويجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم .

الفصل التمهيدي

– أولاً: مقاربات نظرية في نحو النص

– ثانياً: المؤلف والكتاب

أولاً: مقاربات نظرية في "نحو النص":

1- البحث اللغوي من نحو الجملة إلى نحو النص:

إن من متطلبات البناء المعرفي المنهجي لهذه الأطروحة، أن نوضح علة الانتقال من الاهتمام بنحو الجملة في الدراسة اللسانية إلى تطويرها بإنشاء نحو مختلف لهذه الدراسة هو "نحو النص" يتجاوز حدود الأولى دون أن يقصدها، يكون قادراً على وصف النصوص وتحليلها .

ولأن اللغة قد نالت نصيباً وافراً من الدراسات، كونها من أهم وسائل الاتصال، "إذ بها يعبر كل قوم عن أغراضهم"⁽¹⁾ كما ذهب إلى ذلك ابن جني، واعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيره⁽²⁾، فقد اعتبرت الجملة بذلك، في بداية البحث اللغوي، الوحدة اللغوية الكبرى للدراسة، حيث اجتهد الباحثون منذ "أفلاطون" (ت: 347 ق. م) حتى عصرنا الحاضر، على اختلاف منازعهم ومناهجهم، في تحديد مفهوم الجملة، فقدموا لنا عدداً ضخماً من التعريفات أربى على ثلاثمائة تعريف⁽³⁾، وتعدد تعريفات الجملة يبين لنا اختلاف الاتجاهات والآراء حولها مما أعاق التوصل إلى مفهوم موحد لها، ويظهر جلياً عند علماء النحو العربي، فهم لم يجمعوا على تعريف واحد ولا على مصطلح موحد للمفاهيم المتعلقة بها، بداية من سيبويه في كتابه الذي يعد المصدر في باب، "فإذا ما استعرضناه بحثاً عن مصطلح الجملة لا نجد له أثراً، غير أنه أشار إلى مفهومها تحت مصطلح آخر هو مصطلح الكلام **parole**؛ إذ تردد هذا المصطلح بدلالات متباينة، فورد ستاً وستين وستمائة مرة (666) بمعنى اللغة واللهجة **langage , langue** و إحدى وأربعين مائة مرة (141) بمعنى الكلمة والكلم **mots , mot** و ثلاثاً وأربعين مرة (43) بمعنى النثر **prose**، ومرتين (02) بمعنى فعل القول **fait de dire** وسبعاً وسبعين ومئتي مرة (277) بمعنى الجملة **phrase**"⁽⁴⁾. على أن الفراء هو أول من استخدم هذا مصطلح؛ حيث ورد في كتابه "معاني القرآن" ثلاث مرات منها قوله: "ولو قلت: سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم، تبين"

(1) ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تح: عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ-2002م، ج1، ص: 87.

(2) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418-1998، ص: 88.

(3) محمود أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دارا لنهضة العربية، بيروت، (د. ط)، 1408هـ-1988م، ص: 11.

(4) Gerard Troupeau: *Lexique-index du kitab de Sibawayhi*. klincksieck, Paris, 1976, p184.

الرفع الذي في الجملة"⁽¹⁾، ثم المبرد وذلك في قوله: "إنما كان الفاعل رفعا؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب"⁽²⁾، وبحلول القرن الرابع الهجري دخل مصطلح الجملة مرحلة النضج والابتكار، واستقر بذلك مفهومها، إذ تميز بين اتجاهين في تعريفهم للجملة، أحدهما يرى بأن الجملة هي الكلام والآخر يراها على خلاف ذلك.

الاتجاه الأول: جعل أصحاب هذا الاتجاه الكلام مرادفا للجملة ولا فرق بينهما: ويمثله "ابن جني" (ت 392 هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت 471)، و"الزنجشيري" (ت 538)، وابن يعيش (ت 643 هـ)؛ "فابن جني" ومن خلال الرجوع إلى كلام سيبويه في "الكتاب" استطاع أن يستنبط تعريفا يوحد بين الكلام والجملة، حيث يقول: "يقول سيبويه: «وأعلم أنّ (قلت) في كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً»، ففرق بين الكلام والقول كما ترى، وأخرج الكلام هنا مُخرج ما قد استقرّ في النفوس وزالت عنه عوارض الشكوك، ثم قال في التمثيل نحو (قلت زيد منطلق) ألا ترى أنه يحسن أن تقول زيد منطلق فتمثيله بهذا يعلم منه أنّ الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائماً برأسه مستقلاً بمعناه وأنّ القول عنده بخلاف ذلك، إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام لما قدّم الفصل بينهما ولما أراك فيه أن الكلام هو الجمل المستقلّة بأنفسها الغانية عن غيرها"⁽³⁾ ويؤكد ذلك في تعريفه للكلام إذ يعده "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد بمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل"⁽⁴⁾، ويرى بأن "الكلام جنس للجمل التوام مفردتها ومثناها ومجموعها، كما أن القيام جنس للقومات مفردتها ومثناها ومجموعها، فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام"⁽⁵⁾، وفي كتابه اللمع في العربية يجعل الكلام والجملة المفيدة سواء، حيث يقول: «وأما الجملة فهي كل كلام مفيد مستقل بنفسه»⁽⁶⁾، وإذا انتقلنا إلى الإمام "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471 هـ) وجدناه هو أيضا يساوي بين المصطلحين (الجملة والكلام)، إذ يقول: «اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف، يسمى

(1) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ط 3، بيروت، 1983، ج 2، ص: 195، 233، 387.

(2) المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، مطابع الأهرام، قلوب، مصر، 1415-1994، ج 1، ص: 146.

(3) ينظر: ابن جني: الخصائص، ج 1، ص: 73.

(4) المرجع نفسه: ج 1، ص: 73.

(5) المرجع نفسه: ج 1، ص: 81.

(6) ابن جني (أبو الفتح عثمان): اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمود شرف، عالم الكتب، بيروت، ط 2، 1979م، ص: 110.

كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا، نحو "خرج زيد"، سمي كلاما وسمي جملة»⁽¹⁾، ويذهب "الزمخشري" (ت: 538هـ)، الاتجاه نفسه، فالكلام عنده " هو المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا اسمين كقولك: "زيد أخوك"، أو فعل واسم نحو قولك: "ضرب زيد" وتسمى جملة"⁽²⁾، ويتبعه في ذلك ابن يعيش (ت 643 هـ)، شارح كتابه المفصل، حيث يقول: «الكلام عبارة عن الجمل المفيدة، وهو جنس لها فكل واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له يصدق إطلاقه عليها»⁽³⁾.

أما الاتجاه الثاني: فأصحابه يفرقون بين المصطلحين، فهذا "الرضي الأستراباذي" (ت 686هـ)، يجعل القصد هو عنصر الفصل في التفريق بينهما، يقول: "والفرق بين الكلام والجملة أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس"⁽⁴⁾، و"ابن هشام" (ت: 761هـ) نجده متفقا مع الرضي في ذلك ويعطي الأمر أكثر عمقا وبيانا، فيذهب إلى أن "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وما كان بمنزلة أحدهما، وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين، كما توهمه كثير من الناس"⁽⁵⁾.

وقد أوردت هذه الاتجاهات النحوية في هذا الجزء، على الرغم من اختصارها، لبيان أن مدار البحث اللغوي، وبالأخص النحوي، انصب حول الجملة ومتمماتها، وحدودها الفاصلة، والفروق بينها وبين الكلام ومنها كان منطلق الدراسات والبحوث اللغوية في ذلك الزمن.

وإذا كان منطلق الدراسات النحوية عند نحاتنا في القرون الأولى "الجملة"، فهذا يرجع لأسباب تقعيد النحو العربي وبداياته عندهم، إذ الخوف من انتشار اللحن إلى ألسنة المتحدثين بالعربية، نتيجة اختلاط الأجناس البشرية في ذلك الزمن، كان عاملا أساسيا لدراسة الجملة وعدها الأساس في الدراسات النحوية ف" النحو أحد هذه الأعمال، بدأ أول ما بدأ بضبط أواخر الكلم في الآيات بالنقط الذي توصل إليه أبو الأسود الدؤلي (ت 69هـ) عند منتصف القرن الأول

(1) الجرجاني (عبد القاهر): الجمل، تح: علي حيدر، دمشق، 1972م، ص 40.

(2) ينظر: ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي): شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د. ط) (د.ت)، ج1، ص: 18.

(3) ابن يعيش: المرجع نفسه، ج1، ص 21.

(4) ينظر: رضي الدين الأستراباذي، شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1992م، مج1، ص: 31، 32.

(5) ينظر: ابن هشام، (عبد الله جمال الدين بن يوسف): مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية

صيدا- بيروت، القاهرة، 1411-1991، ج2، ص: 431.

للهجرة، لكن الدرس النحوي أخذ يستقل تدريجياً ، واتسع موضوعه وهدفه ووجد له باحثون أرادوا إلى أن تكون اللغة كلها مجال هذا الدرس الجديد ، وطفقوا يدرسون النحو لذاته⁽¹⁾ والواقع أن موقف البلاغيين كان غير موقف النحاة؛ فقد انطلقت مباحث عديدة في علم البلاغة من منطلق المعالجة النصية مثل الإيجاز والفصل والوصل وغيرها، بل نظرية النظم نفسها أكدت التضام والاتساق بين الكلمة الأولى والثانية والثالثة إلى نهاية المعنى المراد⁽²⁾، بالإضافة إلى علوم القرآن والتفسير التي انصب فيها الاهتمام على دراسة النص القرآني، وقد تجاوزوا حدود الجملة إلى قراءة واعية لعلاقات الآيات بعضها ببعض وترابطها، وهذا ما سنلاحظه من خلال تأصيل ما جاء في تراثنا اللغوي والنقدي والديني، وما له علاقة بالدراسات النصية.

ومحورية الجملة في الدراسات اللغوية شغلت علماء اللسانيات المحدثين على اختلاف مدارسهم اللسانية ومناهجهم بداية مع المنهج الوصفي بمجموع مدارسه البنيوية مروراً بالمنهج التوزيعي إلى المنهج التفسيري التحليلي مع تشومسكي ممثلاً في المدرسة التوليدية التحويلية،⁽³⁾ وقد تباينت الآراء في تعريف الجملة: فهي: "عبارة عن فكرة تامة"⁽⁴⁾، كما يقول (إيفنش Ifnech) أو "تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة"⁽⁵⁾، كما يعبر عن ذلك (جاردنر Gardner) وهي: "الوحدة الكبرى للوصف اللغوي"⁽⁶⁾ كما يذهب إلى ذلك (جون ليونز J. Lyons). وفي تعريف آخر آخر هي: "نمط تركيبى ذو مكونات شكلية خاصة"⁽⁷⁾، وإذا أمعنا النظر في هذه التعريفات الحديثة الحديثة نجدها تتقارب حيناً وتبتعد حيناً آخر ، ويرجع ذلك إلى منطلق هذا التعريفات، فأحياناً يعتمد الجانب الشكلي في تعريف الجملة، وأحياناً يكون الجانب الدلالي هو المحدد لها، أو يتم المزج بينهما، ولعل العلاقة الإسنادية واختلافها من لغة إلى أخرى هي سبب ذلك ، فالإسناد في اللغة

(1) ينظر : مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ،(د.ت)،ص:13.

(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م، ج1، ص: 50.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 51.

(4) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 88.

(5) المرجع نفسه، ص: 88.

(6) J. Lyons : Einführung in die moderne linguistik (übersetzt von W. UND G. Abraham) München 1980 S. 176.

نقلاً عن: مُجد أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص: 14.

(7) روبرت دي بوجراند، المرجع نفسه، ص: 88.

العربية علاقة دلالية والرابط بين المسند والمسند إليه معنوي، بينما الرابط في بعض اللغات شكلي، مثل الإنجليزية والفرنسية.

غير أن معظم هذه التعريفات تؤكد من خلال مفهومها استقلالية الجملة، حيث يقتصر على دراستها مفصولة من سياقها⁽¹⁾، وفي هذا الإطار يميز "جون ليونز" بين ما أطلق عليه بجملة-نظام وجملة-نصية، "فجملة-نظام (System-sentence) عنده بعض شكل الجملة المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما"⁽²⁾. وهذا الأمر يجعل الجملة تتسم بالاستقلال، وجملة-نصية (Texte - sentence) وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام⁽³⁾، وهي تتسم بالتواصل مع جملة أخرى حيث يحتويها نص ما وهذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل⁽⁴⁾، وهذا التقسيم الثنائي هو الذي أدى بـ: "جون ليونز" إلى تعريف الجملة كما سبق، سبق، بأنها الوحدة الكبرى للوصف اللغوي، وربما هذا ما جعل علماء تحليل الخطاب، منهم "ج. ب. براون" (G. Brow) و ج. يول، في كتابهما "تحليل الخطاب"، يعتمدان النوع الثاني من تقسيم الجملة، وهو الجملة النصية، بقولهما: «سنستعمل مصطلح "الجملة" عامة بمعنى "الجملة النصية" لا بمعنى الجملة "النظامية"⁽⁵⁾، فالوصف اللغوي عندهما تجاوز حدود الجمل النظامية التي تعتمد المسند والمسند إليه، إلى جمل في الأساس هي نصوص يمكن أن يقع عليها التحليل اللغوي، ويمكن للدراس أن يجعلها مادته في الوصف والتحليل.

وإذا انتقلنا إلى اللسانيين العرب المحدثين، نجد "تمام حسان" قد تناول بالدراسة الإشكالية القديمة في علاقة الجملة بالكلام، إذ يقول: "الكلام هو التطبيق الصوتي والمجهود العضوي الحركي الذي تنتج عنه أصوات لغوية معينة، وهو وظيفة الفرد المتكلم... ويشمل ما ينطقه أو ما يكتبه الفرد"⁽⁶⁾ و"الجملة المفيدة، هي المركبة من أصوات وحروف ومورفيمات وصيغ"⁽⁷⁾ فكل جملة كلام كلام وليس كل كلام جملة في نظره، إذ يرى فرقا بينهما، ويذهب "إبراهيم أنيس" مذهب التفريق

(1) ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، ص: 18.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص: 14.

(3) الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص: 14.

(4) أحمد عفيفي، المرجع نفسه، ص: 19.

(5) براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د. ط)، 1417هـ-1997م، ص:

(6) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1990، ص: 35.

(7) ينظر: المرجع نفسه، ص: 202.

بين الجملة والكلام، إذ يقول "الجملة في أقصر صورها أقل قدرا من الكلام فيفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"⁽¹⁾.

ومن هذه التعريفات المتعددة تأسست الدراسات اللسانية الحديثة، وظهرت النظريات اللسانية، إذ اعتبرت في البدء عند أصحاب المناهج اللسانية الوحدة اللغوية الكبرى القابلة للوصف والتحليل والتفسير "وقد ظلت ردحا من الزمان باعتبارها موضوعا للدرس اللغوي فبينت مكوناتها ومختلف القواعد التي تحكمها، فالجملة بنية قارة في الكلام، وقرارها هذا جعل النظريات التي اشتغلت بوصفها وتقنينها، متينة متانة نسبية، ونسبيتها متأتية من طبيعة الكلام نفسه"⁽²⁾.

وقد برزت في الدرس اللساني مسوغات جعلته عرضة للتطور العلمي، فانتقل من محورية الجملة في الدراسات اللغوية إلى اعتبار النص/الخطاب محور الاهتمام، لأن وظيفة اللغة التواصل، وهذه الوظيفة لا يمكن تحقيقها عن طريق جمل معزولة عن سياقها النصي والمقامي الذي قيلت فيه، وإلا عدت مجموعة من التراكيب اللغوية المتقطعة التي لا تحقق الهدف من اللغة الإنسانية «الإصرار على استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، وإخضاع الجمل الطويلة المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب اللغوية البسيطة»⁽³⁾ عد قصورا اتسم به نحو الجملة، بالإضافة إلى رغبة اللسانيين في الارتقاء بدراسة اللغة إلى الدقة من أجل تحقيق الهدف، فتكوّن بذلك اتجاه جديد ينحو بالدراسات اللغوية إلى العمق، لإيفاء اللغة حقها، "وتطلب هذا الاتجاه الجديد من الدارسين أن يتجاوزوا حدود الجملة إلى التراكيب أو الوحدات الأكبر من الجملة"⁽⁴⁾، و"قد انطلقت الدوافع النحوية الداخلية الأولى نحو توسيع فهم القواعد من ملاحظة أن الجمل المفردة الصحيحة نحويًا لا يمكن أن تفسّر بأيّة حال من الأحوال على أنّها وحدات تامّة من الناحية الاتصالية دائما"⁽⁵⁾ ف"قادهم إلى ذلك الحواجز التي أقيمت بين علم النحو وعلم البلاغة، بل وعلم النقد وعلم وعلم الشعر أيضا، إغناء للنظر وإقرارا بأن كثيرا من مسائل التفكير في اللغة وقضايا التعييد

(1) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1966، ص: 261، 260.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 14.

(3) فولفانج هانيه منه ودي ترفيه فيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالخ بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د. ط)،

(ط)، 1997م، ص: 18.

(4) على عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط1، 1996م، ص: 47.

(5) فولفانج هانيه منه ودي ترفيه فيجر: المرجع السابق، ص20.

لاستعمالاتها لا يستقيم إلا بالاحتكام فيها إلى أحوال الكلام بمختلف مظاهره⁽¹⁾، فامتزجت بذلك علوم معرفية عديدة وتداخلت اختصاصاتها تحت إطار معرفي جديد اتخذ من الجملة المنطلق ومن النص الموضوع الأساس في الدراسة.

وإذا استثنينا الدراسات العربية القديمة التي تحدثت عن تنظيم النصوص وتماسكها والتي قد أوفت البحث في هذا المجال عمقا في الوصف والتحليل، منها: البحث عن الانسجام عند ابن قتيبة والنظرة الشمولية عند الباقلاني وفكرة النظم عند الجرجاني وتماسك النصوص والمقاطع عند حازم القرطاجني وتناسب الآيات والسور عند البقاعي كما سنرى لاحقا، فإن البحث في نحو النص عند الغرب إلى أن برز باعتباره علما، كان منطلق الفكرة عندهم هو "العمل المبكر" لفايل H.Weil (1887) حيث علق تتابع اللفظ على تتابع الأفكار، وفصل هذا التابع عن النحو، وقدم من خلال ذلك أفكار المعايير الوظيفية للجملة ومفهوما خاصا لأسلوب الأفكار أيضا⁽²⁾ أما الانطلاق الفعلي ف" يشير أكثر من باحث إلى أن بداية البحث في النص -بشكل عام- ترجع إلى رسالة "I. Nye"⁽³⁾، والتي بحثت فيها علامات عدم الاكتمال - وهي حجة نمطية في علم لغة النص - والتكرار بناء على أسس نصية، وبوصفها إشارات وأشكال محددة للعلاقات⁽⁴⁾، إذ من الباحثين من يعد الارهاصات الحقيقية لبداية البحث في "نحو النص" عند الغرب بدأت مع هذه الباحثة الأمريكية.

وفي الثلاثينيات من القرن الماضي ظهرت بعض النداءات من بعض اللسانيين العرب لتجاوز دراسة الجملة بالانتقال إلى الفقرة الأدبية، وبعدها إلى النص بصفة عامة، ومن هؤلاء "أمين الخولي" في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي، إذ حث على مجاوزة البحث البلاغي مستوى التركيب الجملي إلى دراسة الفقرة وبعدها النص عموما شعرا كان أم نثرا، حيث يقول: «وأما التحلية فبأشياء منها توسعة دائرة البحث، وبسط أفقه، فلا يقتصر على الجملة كما كان في القديم من عمل المدرسة الكلامية، التي لم تأت المدرسة الأدبية بعده بشيء ذي غناء، فإننا اليوم نمد البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى القطعة الكاملة من الشعر أو النثر، ننظر إليها نظرتنا

(1) الأزهر الزناد، نسيح النص، ص: 05.

(2) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 31.

(3) باحثة أمريكية قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة (1912م).

(4) ينظر: سعيد حسن بحيري: المرجع السابق، ص: 31.

إلى كل تماسك، وهيكل متواصل الأجزاء ، تقدر تناسقه وجمال أجزائه وحسن ائتلافه، وتحدث فيما لا بد منه في هذه النظرات إلى شؤون فنية»⁽¹⁾، ولو لاقت هذه الفكرة مزيد اهتمام ومتابعة لكان حرياً أن يتغير المحور الأساس في الدرس اللساني والبلاغي الحديث في اللغة العربية تنقله من نحو الجملة إلى تقديم نظرية تؤسس لنحو النص.

غير أن هذه الثورة اللسانية حدثت وبدأت اتجاهها في الغرب أثناء "التحول الأساس الذي أخرج اللسانيات نهائياً من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية: البنيوي، الدلالي، والتداولي"⁽²⁾، وحدث هذا بداية من خمسينيات القرن الماضي "حين نشر زليغ هاريس (Harris) بحثاً بعنوان (تحليل الخطاب) (*Discourse analysis*) عام 1952 إذ إنه بهذه الدراسة لم يكن أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعاً شرعياً للدرس اللساني فحسب، بل إنه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياها التي ضمنها برامجه بتقديم أول تحليل منهجي لنصوص بعينها، وقد خرج بذلك على تقليد أرساه "بلومفيلد" يقضي بأن التعبير اللغوي المستقل بالإفادة أو الجمل هو مادة اللساني"⁽³⁾، فيقول "هاريس": "إن «اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك»⁽⁴⁾، فحاول بذلك الوصول إلى وصف بنيوي للنصوص لا يقف عند حدود الجملة بل يتعداها إلى النص المترابط الأجزاء، ورأى "هاريس" أنه لا بد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية (الوصفية والسلوكية)، حتى يتحقق الهدف الذي ذكره وهما:

الأولى: قصر الدراسات على الجملة والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

الثانية: الفصل بين اللغة **Langage** والموقف الاجتماعي **Social situation**.

فقد اعتمد في منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:

- علاقات توزيعية بين الجمل.
- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ أمين الخولي، فن القول، دار الكتب المصرية، القاهرة ط1996، ص: 239.

⁽²⁾ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، حيدرة، الجزائر، (د. ط)، 2000م، ص: 167.

⁽³⁾ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 32.

⁽⁴⁾ فولفجانج هانيه منه وديتر فيهيفجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص: 21.

⁽⁵⁾ جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

ويرى **محمد الشاوش** أن "أعمال هاريس تعد بحق البدايات الفعلية في تحليل الخطاب، فقد حاول أن ينقل المناهج البنيوية التوزيعية في التحليل وإقامة الأقسام إلى مستوى النص، وأن ينظم متتالياته المتحققة في تحويلات شارحة مفسرة"⁽¹⁾، وتعد القضية التي قدمها هاريس من أهم القضايا التي فتحت أبواب البحث اللساني النصي، إذ انشغل اللسانيون بها، وتوسعوا في الحديث عنها لتأسيس نظرية تعنى بهذا الجانب من اللغة، يتعلق بعلاقات الربط بين اللغة وسياق الموقف، لما لهذا الأخير من دور في تحقيق الوظيفة الأساسية لها وهي التواصل، في إطار الوحدة الكلية للنص، وهذا هو اهتمام اللسانيات ما بعد التركيبية.

وقد عرف هذا الاتجاه بمصطلحات متعددة مشرقا ومغربا فأطلق عليه "علم اللغة النصي" أو "نحو النص" أو "لسانيات النص" على اختلاف بينها، وهو الاتجاه الذي ينتقل من المنوال السابقة، خصوصا في النحو العربي، إلى منوال جديد يتخذ النص كله وحدة للتحليل. وبهذا أحدثت أكبر ثورة في اللسانيات بعد الثورة اللسانية البنيوية من خلال المنهج الوصفي الذي جاء به **فرديناند دي سوسير** متجاوزا المنهج التاريخي والمقارن، والثورة اللسانية الثانية بقيادة **نعوم تشومسكي**، حيث ثار ضد المنهج الوصفي في النظرية التوليدية التحويلية، بعدها برز هذا المنهج الجديد الأكثر عمقا لدراسة اللغة وهو الاتجاه اللساني النصي، الذي أحدث نقلة نوعية كشفت عن ضيق شديد في الدراسات التي اعتمدت على الجملة، واعتبرتها الوحدة اللغوية الكبرى خاصة في الدراسات الأدبية. وهذا ليس نبذا للنموذج القديم وإحلال آخر جديد"⁽²⁾، بل الانتقال من الغوص في القديم بالانطلاق من التركيب البسيط للجملة في أبسط تجلياتها، للوصول إلى الفكرة اللسانية الحديثة -نحو النص- إذ اعتماد هذا الأخير على الجمل للوصول إلى فهم النص.

ورغبة بعض الدارسين في أن تكون الدراسات اللغوية أكثر مناسبة لواقع اللغة ووظائفها "كانت نتيجته البحث عن السبل التي بها يتم توسيع مجال الدراسة اللسانية والخروج عن قيود نحو الجملة التي أفضت إلى جعل اللغة مجرد هيكل شكلي منطقي مجرد، لا يكاد يختلف من حيث انقطاع الصلة بينه وبين الحياة، عن الهيكل العظمي، فكان اقحام الخطاب والنص وبعض المعطيات الدلالية، وربط الصلة بين ميادين وعلوم أخرى لها صلة بالمؤسسة اللغوية"⁽³⁾ فبرز للوجود نحو

(1) محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية- تأسيس نحو النص- المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، ط1، 1421-2001ص: 76.

(2) فولفجانج هانيه منه وديتر فيهيفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 19.

(3) محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، مج1، ص: 80.

النص، هذا العلم الذي تبلورت ملامحه منذ الستينيات تقريبا، وازداد وضوحا خلال السبعينيات من القرن الماضي، وأهم مسوغات الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص مايلي:

1- ضيق مجال الدراسة اللسانية.

2- أزمة الاتجاهات النقدية.

3- الحرص على توفير الملاءمة في الدراسات اللسانية.⁽¹⁾

وقد اهتم "دي بوجراند" (Robert de Beaugrande) بإيضاح المسار التاريخي لنحو النص قبل الفترة السابق ذكرها وبعدها، واستطاع تقسيمها إلى ثلاث مراحل مهمة، حيث يقول: «في المرحلة الأولى التي استمرت حتى آخر الستينيات، لا نجد غير إشارات تلمح إلى أنه ينبغي للنص أو الخطاب أن يكون أساسا للدراسات اللسانية، مثلا: "انجاردن" 1939، و"هيلمسليف" 1943 و"هاريس" 1952، و"هارتمان" 1964»⁽²⁾، و"فيانرش" 1966 الذي حرص على أن يقدم نهجا جديدا في معالجة النص⁽³⁾. و"عُدّ منهج تجزئة النص منهجا بديلا للمنهج المعروف والمستخدم باستمرار في كل مراحل الدراسة اللغوية في تحليل الجملة"⁽⁴⁾، لكن هذه الآراء لم تؤثر في مسيرة اللسانيات المألوفة، لأن أصحاب المناهج المتداولة اتجهوا اتجاهها معاكسا... ذلك أن الانهماك في النظر إلى الوحدات الصغرى والجملة المفردة⁽⁵⁾، لم يتح الفرصة للاهتمام مباشرة بدراسة النص الكامل، فهي مرحلة لم تكن حاسمة، ولم تتسم فيها هذه الدراسات بالتنوع ولا بالتأسيس الحقيقي، وإنما هي ارهاصات أولى لهذا العلم.

وفي المرحلة الثانية 1968 : وهي مرحلة مهمة في الدرس النصي، إذ تعد البداية الفعلية للانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، إذ تلاقت آراء طائفة من اللسانيين الذين استقل بعضهم عن بعض في الغالب حول فكرة "لسانيات ما وراء الجملة"⁽⁶⁾، منهم على سبيل المثال:

- "إيزنبرغ Isenperg" وهو أول من حاول توسيع البحث اللساني وتطويره إلى نحو كلي وشامل يكون موضوعه النص بدلا من الجملة، فقد "اعتنى بالبحث في العوامل المتحكمة في

(1) محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، مج1، ص: 80-81.

(2) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 65.

(3) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 191.

(4) المرجع نفسه، ص: 194.

(5) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 65.

(6) المرجع نفسه، ص: 65.

اختيارات صاحب النص، وفي أبرزها تلك العوامل - في نظره - المجاورة التي تضم مجموعة من الأدوات التي تنظم علاقات الجمل بعضها ببعض كالضمائر وحروف التعريف... والافتتان بعلائق سببية أو غائية أو أي علاقات أخرى" (1).

- "وهارفيج **Harveg**" الذي قدم نموذج استبدال، تتحرك فيه عناصر الاستبدال على المستوى الأفقي وغلب عليه إدراك النص إدراكا وظيفيا، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية - التداولية (2)، وهذه العلاقات الكبرى مهمتها إبراز نصية النص.

وفي العموم فقد تركز الاهتمام في هذه المرحلة على موضوعات كان الكلام عنها ممكنا بواسطة مفردات من نحو الجملة، لكن دون الوصول إلى حلول مقنعة، وكان الاتجاه السائد كما يقول "دي بوجراند": «هو النظر إلى النص من حيث هو جمل متوالية» (3)، وهذه المرحلة بينت لنا جزءا يسيرا من مميزات النص الأساسية.

وكانت سنة 1972 مرحلة التأسيس والتفصيل لنحو النص أكثر مما هي مراجعة للتقديم ويعد "فان دايك" (van Dijk) المؤسس الحقيقي لنحو النص، إذ حاول تقديم "تصور متكامل حول نحو النص منذ 1972، حيث ظهر كتابه (بعض مظاهر أنحاء النص)، وظل مستمرا إلى 1977، مع كتابه "النص والسياق"، وحتى كتاباته الأخيرة، حيث بدأ ينطلق من تحليل سيكو لساني للخطاب والنص" (4)، فقدم عدة نماذج نصية، ونظرات مختلفة حول دراسة النص ووصفها وتفسيرها، وقد اعتمد في نماذجه على عناصر لغوية، فأدخل فيها مكونات نفسية ومنطقية - دلالية، واتصالية - تداولية إلى جانب المكونات التحويلية والدلالية - التداولية (5)، وعمل "فان دايك" على تعديل نماذجه حتى تستوعب أكبر عدد من النصوص المقدمة للتحليل.

وجاءت الدراسات الجديدة نقدا لأسس الدراسات النحوية المبنية على الجملة، فأدت إلى مقترحات بأفكار جديدة جاء بها "بيتوفي **Petovi**" (6)، الذي قدم محاولات جدية وثرية، ولها

(1) إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ-2007م، ص: 187.

(2) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 94.

(3) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب و الإجراء، ص: 65-66.

(4) جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النص دراسة لسانية نصية، النادي الأدبي بالرياض، السعودية، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2009، ص: 20.

(5) جمعان بن عبد الكريم: المرجع نفسه، ص: 94.

(6) المرجع نفسه، ص: 67.

سمات خاصة، وقد اتسمت نظريته بالتوسع والتي استقرأ عناصرها من المنطق والنحو التحويلي ومكونات أخرى دلالية وتداولية⁽¹⁾، ونقد الدراسات النحوية المبنية على الجملة لم يكن الهدف منه إقصاء نحو الجملة وإنما كان الهدف منه الانطلاق منها باعتبارها القاعدة الصلبة لدراسة النصوص ومحوريتها في التحليل اللساني.

وفي هذه المرحلة ظهر أيضا "دريسler" 1973 و"شميدت" 1973 و"هارتمان" 1975 دون أن ننسى الدراسة المهمة الذي قام به كل من "هاليداي Halliday" و"رقية حسن Roqaiya Hassan" وهو كتاب "الاتساق في الإنجليزية" *"Cohésion in english"* والذي يعد بحق إحدى الدراسات المهمة والعظيمة التي حددت المعالم الأساسية لنحو النص، صدر عام 1976 تناولاً فيه أنماط التماسك وصوره بصورة مفصلة، فتحدثا في المقدمة عن بعض المفاهيم مثل النص والنصية، والتماسك، وعلاقة التماسك بعلم اللغة، وعلاقته ببناء الخطاب، ثم تناولوا أسس التماسك، أو عوامل التماسك، فخصصا فصلا للإحالة، وفصلا للاستبدال (أو الإحلال) وفصلا للحذف، وفصلا للربط والعطف، وفصلا للتماسك المعجمي، ثم خصصا فصلا لمعاني التماسك. وأخيرا كان تحليل التماسك، وفي الفصل الأخير من الكتاب ذكر هاليداي ورقية حسن ملخصا لأسس التماسك في الإنجليزية مدعوما بالأدوات المناسبة لكل أساس من هذه الأسس². وقد لاحظ محمد الشاوش بالرجوع إلى مجلة: (Bulltin de linguistique) أن الأعمال التي صنفت تحت عنوان: نحو النص وتحليل الخطاب والتي نشرت بين 1978 و 1990 يتراوح بين (94) عملا و (298) عملا ويرى أن سنة 1984 توافق ذروة الاهتمام بنحو النص وتحليل الخطاب⁽³⁾.

تعد هذه المراحل المسار التاريخي لولادة نحو النص والبدايات الأولى لتشكله، على الرغم من أن هذا العلم لم يكتمل بعد اكتمالا نهائيا بحيث تبرز فيه كل معالمه الأساسية وتتوحد فيه مصطلحاته الرئيسية إذ لا تزال إلى حد الآن تتقاطع مصطلحاته مع مصطلحات علوم أخرى خصوصا منها اللغوية، وهذا ربما لكونه أحدث فروع اللسانيات الحديثة والذي يتميز عنها من جهة النشأة والتطور، حيث إنه لم يرتبط كما يذهب إلى ذلك مؤرخو هذا العلم ببلد معين أو

⁽¹⁾ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 95-96.

⁽²⁾ Cohesion in English, pp: 333- 338, look also: table of Contents.

⁽³⁾ محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، مج1، ص: 76-77.

بمدرسة بعينها أو باتجاه محدد⁽¹⁾، وهذا خلافا لبعض العلوم الأخرى التي في العادة ارتبط ظهورها بمدرسة أو بلد أو باتجاه علمي معين.

ولأن هذا العلم يدرس اللغة للوصول إلى وظيفتها الأساسية، وهي فهم التعبيرات اللغوية لتحقيق التواصل الذي جاءت من أجله اللغة، فإن دراسته للتراكيب تسير جنبا إلى جنب مع دراسة النصوص، وهو يتقدم الآن يوما بعد يوم، ويعمل اللسانيون على إيضاح معالمه بدقة وتيسير فهمه وتحديد مصطلحاته في جميع أنحاء العالم، وهذا ما هو واضح في كليات الجامعات العالمية، وفي كل يوم تظهر لنا إسهامات جديدة تضاف إلى الدراسات السابقة، وظهر في العالم العربي كغيره من مناطق العالم باحثون ومهتمون بهذا المجال المعرفي الجديد أمثال "صلاح فضل" و"سعيد حسن البحيري" و"أحمد عفيفي" و"إبراهيم خليل" وغيرهم، كلهم يرون ضرورة تجاوز دراسة الجملة إلى النص دون إهمال الأولى التي تعد النواة الحقيقية للنص⁽²⁾.

2 - : مصطلحات "نحو النص":

2-أ- مفهوم النص:

لم يكن حظ مصطلح "نص" أسعد حالا من مصطلح "جملة" فثمة اختلاف شديد... في تعريف النص إلى درجة التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى⁽³⁾، حيث - كما سنرى - لا يوجد تعريف واضح ومتفق عليه من قبل الباحثين في مجال نحو النص بشكل مطلق، وسأعمل من خلال التعريف بالنص لغة واصطلاحا على إيضاح المعاني المشتركة بين اللغويين والباحثين المتخصصين في لسانيات النص:

1- التعريف اللغوي:

تعددت المعاني اللغوية لمادة (ن. ص. ص)، حيث إننا إلى المعاجم اللغوية فإننا نجد لمادة (ن. ص. ص) عدة معانٍ عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين: «نصت الحديث إلى فلان نصا، أي رفعته، والمنصة التي تقعد عليها العروس»⁽⁴⁾.

(1) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 01.

(2) ينظر: محمود بوسته: الانساق والانسجام في سورة الكهف، رسالة ماجستير، تخصص اللسانيات واللغة العربية، إشراف الأستاذ الدكتور:

السعيد هادف، جامعة باتنة، 2010، ص: 11.

(3) سعيد حسن بحيري، المرجع السابق، ص: 101.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال (د. ط) (د.س)، ج7، ص: 86-87.

وعند ابن منظور في معجمه لسان العرب : النص: «رفعك الشيء، نص الحديث ينصّه نصّاً: رفعه، وكل ما أظهر فقد نُصّ، يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، ونصت الظبية جيدها أي رفعته، ووضع على المنصة أي غاية الفضيحة والشهرة والظهور، ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض⁽¹⁾، وقد جاء في معلقة امرئ القيس قوله: (الطويل)

وَجِدِّ كَجِدِّ الرَّثْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذْ هِيَ نَصَّتَهُ، وَلَا بِمِعْطَلٍ⁽²⁾

وقد جاء في مختار الصحاح في مادة (ن.ص.ص) ما يلي: نصّ الشيء: رفعه وبابه ردّ ومنه منصة العروس، ونصّ الحديث إلى فلان رفعه إليه ونصّ كل شيء منتهاه⁽³⁾.

لقد تعددت المعاني اللغوية لمادة (ن.ص.ص) في هذه المعاجم متمثلة في الآتي:

- الرفع بنوعيه الحسي والمعنوي.
- أقصى الشيء وغايته.
- ضم الشيء إلى الشيء.
- الإظهار.

والشيء الملاحظ بين هذه المعاجم أنها اشتركت في هذه المعاني على الرغم من تعددها. و في المعاجم الحديثة يعرف صاحب معجم "المنجد" النص: «النص: ج. نصوص الكلام المنصوص، والنص من الكلام هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد أو لا يحتمل التأويل»⁽⁴⁾.

أما النص في المعجم الفرنسي (**Texte**) فهو مأخوذ من مادة (**Textus**) اللاتينية التي تعني النسيج، كما تطلق كلمة (**Texte**) على الكتاب المقدس أو كتاب القديس، كما تعني منذ العصر الإمبراطوري ترابط حكاية أو نص، والنص منظومة عناصر من اللغة أو العلاقات، وهي تشكل مادة مكتوبة أو إنتاجا شفهيًا أو كتابيًا⁽⁵⁾، فالملاحظ من مادة (**Texte**) أن المعنى الأول لها أطلق على النسيج المرتبط بصناعة القماش وغيرها من المنسوجات اليدوية أو الصناعية، وبعدها انتقل إلى نسيج من الكلمات التي تكون النص، وبينها تشابه عجيب، فالربط والحبك

(1) ابن منظور: لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1426-2005، ج4، ص: 3930.

(2) مفيد قميحة، المعلقات العشر، شرح و دراسة وتحليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط5، 2002، ص: 68.

(3) الرازي (نجد بن أبي بكر)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د. ط) 1993، ص: 276.

(4) كرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط39، 2002، مادة "ن. ص. ص"، ص: 810.

ينظر أيضا: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1426-2005، ص: 926.

(5) Robert Micro, Alain Roy et autres, dictionnaire le Robert, Paris-Montréal Canada, 2^{ème} édition, 1998, P 1321.

الحاصل بين خيوط النسيج يعد نظيراً لتلاحم ألفاظ النص الواحد وانسجامها، فالكلام يكون نصاً، إذا كان نسيجاً، ففي "اللسان" «نص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض»⁽¹⁾، والنسيج «ضم الشيء إلى الشيء، فالأول تركيب والثاني ضم، والتركيب والضم واحد»⁽²⁾.

ويحاول بعض اللسانيين التقريب بين أصول كلمة "نص" في اللغة العربية وأصولها في اللغات اللاتينية، حيث يرى الأزهر الزناد أنه «يتوفر في مصطلح "نص" في العربية وكذلك في مقابله في اللغات الأعجمية "Texte" معنى "النسيج". فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح "نص"⁽³⁾، فمعنى النص في المعاجم العربية والأعجمية يكاد يكون واحداً.

2- النص اصطلاحاً:

مفهوم النص من المفاهيم التي لا يمكن الوصول إلى اتفاق تام حولها، لتعدد الزوايا التي ينظر من خلالها إليه، إذ تعددت تعريفاته بتعدد التخصصات العلمية والاتجاهات النقدية والمدارس اللسانية، ومع هذا فإنه لا بد أن نذكر بعض هذه التعريفات، دون إطناب، وبما يخدم مجال لسانيات النص ووفق رؤى أصحاب هذا الاختصاص في العصر الحديث:

أ- مفهوم النص في الدراسات اللغوية العربية الحديثة:

يمكن ذكر ثلاثة تعريفات أرى بأنها تحقق المطلوب في هذه الدراسة:

التعريف الأول: قال به عبد الرحمن طه الذي يعد -النص- "كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات"⁽⁴⁾، وهو من التعريفات المختصرة والجامعة وفق اتجاه نحو النص ونظرته إلى النص على اعتبار أنه (بناء) أي وحدة كلية شاملة، (يتركب من عدد من الجمل) متجاوزاً بذلك حدود الجملة، (مرتبطة فيما بينها) وجود تماسك نصي بينها، (بعدد من العلاقات) تتنوع هذه العلاقات المشكلة لهذا البناء فقد تكون علاقات نحوية أو معجمية أو دلالية، وهو بهذا يعد من أهم تعريفات للنص الحديثة.

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص: 3930.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 6.

(3) المرجع نفسه، ص: 12.

(4) طه عبدالرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص: 35.

التعريف الثاني: جاء به نور الدين السد في كتابه الأسلوبية وتحليل الخطاب حيث يذهب إلى أن النص ليس "مجموعة جمل فقط، لأن النص يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا نثرا أو شعرا، حوارا أو مونولوجا، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها من نداء استغاثة حتى مجموعة مناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة"⁽¹⁾. فتعريفه هذا أشمل من التعريف السابق إذ يدقق الأمر باعتبار النص اكتمال تواصل لغوي وتحقيق وظيفة اللغة في التواصل الفعلي الحقيقي وإن كان نداء استغاثة، إلى غاية حوار طال زمنه، ولا يشترط بكونه مكتوبا فقط أو أن يكون منطوقا.

ويفرق بين النص واللانص بتحقق الوحدة الكلية الجامعة بين عناصره، فيقول: «النصية تحقق للنص وحدته الشاملة، ولكي تكون لأي نص نصيته ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة»⁽²⁾.

التعريف الثالث: جاء به عبد الملك مرتاض في كتابه "نظرية النص الأدبي" إذ يقول: النص في رأينا هو نسجٌ من الألفاظ الصامته التي تحتل المعاني في ذاتها، فهو كتابة سحرية أو كتابة كأنها السحر، النص هو نسج الألفاظ بجمالية الانزياح، وأناقة النسج وعبقورية التصوير"⁽³⁾. فالنص عنده غير مرتبط بعدد معين من الجمل بقدر ارتباطه بتحقيق التواصل بين المعاني في ذاتها لتتحقق بذلك الجمالية والأناقة وحسن التصوير.

من خلال هذه التعريفات الثلاثة يتبين أن السمتين الأساسيتين اللتين ركز عليهما هؤلاء الأعلام هما: (اعتبار النص لحمة واحدة، وتحقيق التواصل الفعلي).

ب- النص في الدراسات الغربية:

تعددت تعريفات النص الاصطلاحية عند الغرب بتعدد الاتجاهات الفكرية واللسانية، ومنها التعريفات ذات الاتجاه البنيوي النصي الذي يقطع الصلة بين النص ومنتجه، وكان اهتمامهم بالبناء النصي في شكله وانسجام معانيه وتماسكها، وهي كثيرة، ومنها التعريف الذي جاء به

(1) نورالدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1997-1417، ج2، ص: 69.

(2) نور الدين السد، المرجع نفسه، ص: 69.

(3) عبدالمملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط 2، 2010، ص: 47.

"بيرمان آرت"، حيث يذهب على أن النص عبارة عن "بناء لمعنى مأخوذ من معجم ليس لمفرداته معان خارج البناء الذي يضمنها"⁽¹⁾، مما هو ملاحظ من هذا التعريف أنه يركز على البنية اللسانية للنص.

وإذا انتقلنا إلى اللساني كلاوس برينكر، والذي يتجه في تعريفه للنص اتجاها نحو النص فيذهب إلى أن النص: "تتابع متماسك من علامات لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل"⁽²⁾، فتتابع العلامات اللغوية هو السمة البارزة في تعريفه، وهذا التتابع هو الذي يحقق تماسك القطعة اللغوية ويجعلها عبارة عن نص.

وأشار كل من "هاليداي" و"رقية حسن" في تعريفهما للنص إلى أن: "كلمة نص تستخدم في اللسانيات لتحليل إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طرحها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة"⁽³⁾، فلا يشترط أن يكون النص منطوقاً أو مكتوباً، وإنما الأساس في كونه لحمية واحدة تتعالق عناصرها وتترابط معانيها.

ويذهب "هارفج" R.Harwg إلى أن النص عبارة عن «ترابط مستمر للاستدلالات السننجمية التي تظهر الترابط النحوي في النص»⁽⁴⁾. فالملاحظ من خلال هذه التعريفات أن الرابط بينها هو اعتبار النص علامات لغوية تترابط وتتماسك فيما بينها مشكلة لحمية واحدة.

(1) عبدالعزيز حمودة، المرايا المحدبة - من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، 1418-1998، ص: 160.

(2) أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص: 28.

(2) M,A,K, Halliday. Ruqaiya hasan, Cohesion In English, Longman, London, New York, 1976, P 1 .

(4) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 108

2-أ- نحو النص :

بيان المصطلح: على الرغم من أن تعريفات نحو النص لا يوجد خلاف حولها بالدرجة التي يحدث فيها التباين إلا أن الاختلاف الموجود هو حول المصطلح في حد ذاته إذ لم يلق التوحيد من جانبين؛ سواء عند منظره أو عند المترجمين.

- حيث نجد درسلسر (*W. Diressler*) يستخدم علم دلالة النص، وعلم نحو النص، والتداولية النصية، في حين نجد هارفيج يستخدم "*Textologie*" للدلالة على هذا الاتجاه اللغوي، وهو مصطلح أكثر قبولاً عند سعيد حسن بحيري، بينما يرى سوينسكي (*Swiniskie*) أن المصطلح الأنسب والذي يعتبره جامعاً لكل البحوث التي لها علاقة بالنص داخل علم اللغة، هو مصطلح لسانيات النص "*Textlinguistic*".

ومصطلح نحو النص من المصطلحات المستعملة في اللسانيات العربية الحديثة والتي تقابل المصطلح الإنجليزي: "*Text grammar*" أو "*linguistics of Text*" وعدم استقرار هذا المصطلح في الغرب قابله في اللغة تعدد في وضعه وترجمته ولم يستقر على مصطلح واحد إذ نجد: **نحو النص** عند الأزهر الزناد، ومُجّد الشاوش، وعثمان أبوزيد، وأحمد عفيفي، وأقره سمير شريف ستيتية، وعادل مناع وغيرهم، ونجد مصطلح **الدرس النحوي النصي** عند أشرف عبد البديع عبد السميع ومصطلح **نسيج النص** قال به الأزهر الزناد، ومصطلح **لسانيات النص** عند مُجّد خطابي وبشير إبرير ونعمان بوقرة، و**اللسانيات النصية** عند التونسيين؛ عبد القادر المهيري وحمادي صمود، و**علم لغة النص** عند سعيد حسن بحيري ومحمود فهمي حجازي ورشدي طعيمة، و**علم اللغة النصي** عند صبحي إبراهيم الفقي وفالح العجمي وغيرهم من اللسانيين، والملاحظ تعدد المصطلح في اللسانيات العربية، ولعل أهم أسباب مشكلة توحيد هذا المصطلح عندهم هو:

- 1- تعدد آليات توليد وترجمة ونقل المصطلح من اللغات الأوربية إلى اللغة العربية.
 - 2- غياب التنسيق بين المتخصصين في مجال لسانيات النص تحت غطاء جهة علمية واحدة.
- وقد انصب اختياري لمصطلح "نحو النص" باعتباره مصطلحاً يقابل مصطلح "نحو الجملة" ولأن كلمة لسانيات في اللغة العربية زمن الشنقيطي لم تتبلور كمصطلح يخص علماً له أركانه، إذ من

المعلوم أن مصطلح لسانيات اقترحه عالم اللسانيات الجزائري عبد الرحمن حاج صالح واعتمد باتفاق اللسانين في مؤتمر تونس حول: اللغة العربية والألسنية عام 1987.

تعريف نحو النص:

"نحو النصّ" أو لسانيات النص هو حقل من حقول المعارف اللسانية تجاوز "نحو الجملة"، لعدم قدرة هذا الأخير على مسايرة عمق التحليل اللغوي بسبب انحصاره في الدراسات البنيوية التركيبية، ويهتم بالنص منطلقاً منه ليعود إليه، إذ هو هدفه من التحليل اللساني، وفي أبسط صور تعريفاته - نحو النص - إنه منهجٌ من المناهج الجديدة للتحليل اللساني تجاوز الجملة في الدراسة دون أن يهملها، "إذ يدرس النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، ويبين جوانب عديدة فيه منها: التماسك والترابط ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي ودور المشاركين في النص عند إنتاجه وتلقيه سواء كان منطوقاً أو مكتوباً"⁽¹⁾، وهذا العلم "يستشرف المعنى الكلّي للنصّ، ويحلّل الأجزاء والمكوّنات على ضوء النظرة الكلّية الشموليّة للنصّ، فالمعنى يتحدّد من خلال النصّ لا من خلال الجملة، ويمكن لمحلّل النصّ تفسير جملةٍ ما بجملة لاحقة لها أو سابقة عليها، من منطلق القول بكلّية النصّ، وقد ارتبط نحو النصّ منذ نشأته ارتباطاً وثيقاً بتحليل الخطاب، والنظر إلى النصّ على أنه بنية كلّية لا على أنه جمل فرعية، وقد تطوّر النحو بظهوره من نحو يحلّل الجملة إلى نحو يحلّل النصّ، فيتعامل معه بوصفه جملاً وسياقات، وظروفاً وفضاءات تتعالق فيها المعاني وتترابط بما قبلها وما بعدها، فهو الأكثر اتصالاً بمجال تحليل النصّ"⁽²⁾ وهو فرع علمي بكر وحقل جديد بين الحقول المعرفية الأخرى، تشكل تدريجياً مع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، حتى غدا من أهم الروافد على ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد جاء ليكون بديلاً لمناهج لسانية سبقته فيكمل ما عجزت عنه، وينتقل بالدراسة اللسانية من محورية الجملة في الدراسة إلى النصّ، أي من نحو الجملة إلى نحو النص لتجعل بذلك من النص الوحدة اللغوية الكبرى الأكثر استقلالية، وهذا الانتقال في الدراسة سببه قصور الدراسات السابقة عن إعطاء تفسير حقيقي للظاهرة اللغوية، ومحاولة المواءمة بين الدراسات اللسانية ووظيفة اللغة.

(1) ينظر: عثمان أبو زيد، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 1431-2010، ص: 31.

² - ينظر: أحمد عفيفي، نحو النصّ والتحليل اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999م، ص: 10.

وفي الحقيقة لا يوجد خلاف حول المفهوم بالصورة نفسها التي وجدت في تعريفات مصطلح "النص"، حيث إن مصطلح "نحو النص" واحد من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفا واحدا وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة الأشكال للتواصل النصي⁽¹⁾، إذ نجد من تعريفه أنه: «فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد»⁽²⁾، فاهتمام نحو النص بجميع النصوص، المنطوقة والمكتوبة، القصيرة والطويلة، الشعرية و النثرية، وكذلك النص القرآني المقدس .

وقد استطاع هذا العلم أن يجمع بين عناصر لغوية وغير لغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيراً إبداعياً⁽³⁾، فالعمل الذي يقوم به هذا العلم هو دراسات العلاقات الداخلية الشكلية والدلالية والعلاقات الأفقية والعمودية المساهمة في تشكيل النص، بالإضافة إلى العناصر الخارجية الزمانية والمكانية والمقام الذي قيل فيه النص، ودور كل هذه العوامل في تشكيل وإيضاح الوحدة الكلية للنص واستخراج الدلالات الكامنة فيه دون إهمال لجزء من المعنى الذي يحتويه، إلا ما غاب عن الدارس للنص ولم يستطع اكتشافه لسبب من الأسباب قد تكون الإفراط في استعمال الرمز من الكاتب أو الغموض الذي لا يمكن معالجته والتنبؤ بمعانيه.

ونحو النص عند سعيد حسن بحيري "يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها وبعبارة موجزة قد حددت للنص مهام بعينها لا يكمن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة"⁽⁴⁾، ثم يبين لنا سعيد حسن بحيري الظواهر التركيبية التي يدرسها نحو النص بقوله: «لقد عني علم اللغة النصي في دراسته نحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، منها: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى ضمير، والتنويعات

(1) ينظر: أحمد عفيفي، المرجع نفسه، ص: 31.

(2) Jack Richards, et al, Longman dictionary of applied linguistic, P 229.

نقلا عن صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 35.

(3) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص 104.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 138-140.

التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر، التي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكلية»⁽¹⁾.

فظاهرة التقابل والتطابق اللغوي والحذف والجمل المفسرة والإحالة على عناصر، وكل ما لا يمكن تفسيره من خلال التراكيب الجمالية، هو مجال من مجالات نحو النص، إذ هدفه بيان أن النص وحدة مترابطة العناصر والأجزاء ولا يمكن أن تؤدي الغرض الأساس من اللغة - وهو التواصل الفعلي والتام - إلا بفهم هذه الوحدة.

3 - الجذور التاريخية للدراسات النصية في التراث :

إن المتفحص للمدونات التراثية يستطيع أن يرصد ، وبشكل لافت للنظر، الانشغال بدراسة النص بكل مكوناته وبعمق، إذ كانت ضرورة ملحة لتجاوز الصعوبات والوصول إلى فهم دلالة النص سواء لدى علماء الأصول أو التفسير أو علوم القرآن بالإضافة إلى علماء البلاغة ونقد الشعر، على الرغم من التطابق بين المصطلحات التراثية والغربية الحديثة حيناً، وعدم التطابق أحياناً أخرى، إلا أن الممارسات النصية لم تكن غائبة، وحضرت الكثير من المفاهيم النصية والظواهر في كتب التراث تكاد تشابه الدراسات الغربية الحديثة في مواضع وتتجاوزها في مواضع أخرى، يمكن الاعتماد عليها لتأسيس نظرية لسانية نصية يرتكز عليها اللساني في تحليله للنصوص. ويعد الربط بين القديم والحديث منهجاً يعتمد على كل من ينظر إلى الصرح الحضاري العالمي نظرة كلية يتشكل بناؤه من لبنات متراكمة بعضها فوق بعض، وهو مقوم لدراسة الفكر الإنساني بصفة عامة، والفكر اللغوي لا يمكن أن يكون خارج هذا الإطار ، ولذا قامت دراسات كثيرة في العصر الحديث على إنتاج القدماء لأنه منظومة واحدة، تتكامل فيها المعارف وتشابك عندها الاختصاصات، ويحتاج إليها الدارسون في وقتنا الحاضر، ومن بينها تحليل النصوص، والذي أكدته القراءة لتراثنا العربي، خاصة البلاغة والتفسير والنقد بل النحو كذلك، أن هناك تحليلات تقترب من التحليلات المعاصرة للنص، فإغفال أربعة عشر قرناً من العمل الجاد في مجال البلاغة والتفسير، يعد أمراً غاية في الخطورة، ومن ثم "فإننا نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام -مقام الدراسة النصية- يعني إهدار أربعة عشر قرناً من النتاج اللساني المتميز، الذي هو إنتاج قوم من

(1) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 135.

أعلم الناس بفقهِ العربية وأسرار تركيبها وذخائر تراثها " (1)، فلن يتحقق طموح في وضع نظرية علمية دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث، والإفادة من الدراسات الحديثة، والإخلاص للبحوث التطبيقية (2)، فالمنهج الصحيح يتطلب استقراء الموروث التراثي واستخراج ما يمكن استخراجه من مضامها المتعددة، وإعادة ترتيبه وتنظيمه ليواكب متطلبات إنشاء نظرية لسانية نصية نستطيع من خلالها تحليل نصوص المدونة اللغوية، دون إهمال ما جاء في اللسانيات الغربية الحديثة، لذلك وجب الرجوع إلى المباحث التراثية التي تربطها بدراسة النص علاقة محكمة، منها البلاغة والنقد الأدبي وعلوم القرآن والتفسير والأصول، وهي أهم جوانب النظرة التراثية، وهي كالتالي:

أولاً: المصنفات اللغوية: (النحوية والبلاغية).

ثانياً: المصنفات النقدية.

ثالثاً: المصنفات الدينية: (علوم القرآن والتفسير القرآني والإعجاز).

أولاً: المصنفات اللغوية: (النحوية والبلاغية).

تعد البلاغة والنحو السابقة التاريخية لعلم النص، ولهما اهتمامات شديدة الارتباط بنحو النص في الدرس اللساني الحديث، و"إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجه البلاغة العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة، وكذا التوجه إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقات ذات خصوصية في البحث اللغوي النصي، فعملية الاتصال تجمع العلاقة بين أطراف الاتصال الأساسية (نص - منتج - متلق) وكيفيات التفاعل بينها" (3)، فدراسة الأبنية النصية الخاصة، والوظائف الجمالية للنصوص، وكذلك الاهتمام بفصيح الكلام الذي تتناسق معانيه مع ألفاظه كانت من اختصاص البلاغيين، ودراسة التراكيب النحوية والحركات الإعرابية وعلاقة الحركات بالوظائف النحوية لعناصر التركيب هي من صميم الدراسة النحوية، كما سنرى مع الجرجاني في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" وفيهما اجتمعت النظرة البلاغية (4) مع النحوية،

(1) سعد مصلوح، نحو أجزومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ج1، ص10، عدد 1، 2، يوليو 1991، ص: 45.

(2) محمد العيد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1989، ص: 08.

(3) ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 152.

(4) ينظر: ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)، تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، ط3، 1971، ص: 23.22. (يحوي النظرة البلاغية في التراث العربي).

واكتفيت بذكر علم واحد من أعلام البلاغة والنحو، تجنباً للإطناب، ولأن نظرة عبد القاهر الجرجاني جمعت بين العَلَمين:

- **عبد القاهر الجرجاني: (ت 471هـ)** يمثل عبد القاهر الجرجاني النظرة البلاغية النحوية في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، فقد اطلع على أفكار سابقه حول فكرة الإعجاز القرآني وردّها إلى "النظم" حيث تتضافر الوحدات اللغوية وتتلاحم وتتظم في بناء أفقي عجيب، وتجسدت نظرتة هذه في **نظرية النظم** وهي نظرية لغوية ، وقد شغلت قضية النظم الباحثين في بلاغة القرآن الكريم من القدامى، ويعد الجاحظ(ت255هـ) أول من تحدث عن النظم باعتباره سبب إعجاز القرآن الكريم، فالجرجاني لا يعد المبتكر الأول لهذه الفكرة، ولم تأت فكرته من فراغ، فقد سبقه إليها غيره، لكن يعود إليه فضل بلورة فكرة النظم وصياغتها من جديد وتشكيلها في قالب واضح، بوضع نظرية واضحة، فالجرجاني نظر إلى القرآن الكريم نظرة كلية متماسك الآيات والسور في ترابط عجيب ونظم بديع ، وهذا ما أعجز العرب عن الإتيان به فقد "تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة بينونها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بھر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتاماً، وإتقاناً وإحكاماً"⁽¹⁾ وقد ربط الجرجاني "النحو بالدلالة، فنظر في العلاقة بين المكون التركيبي، والمكون الدلالي، العلاقة التي تأخرت النظرية التحويلية في إدراكها، ومعرفة أهميتها إلى ظهور كتاب تشومسكي الثاني، بعد كتابه الأول بعشر سنوات"⁽²⁾، ويعد النحو الأساس الذي قامت عليه نظريته، و"المقصود بالأساس النحوي انطلاقه من مجموعة من القواعد والقيود النحوية، التي بلورها النحاة من أجل ضبط العطف واستثماره قصد مقارنة الفصل والوصل بلاغياً"⁽³⁾، فالنظم -عنده- "لا معنى له غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم"⁽⁴⁾، ويكون ذلك بترتيب الألفاظ باعتبارها خدماً للمعاني وتابعة لها وخاضعة لمعاني النحو وفق المقاييس اللغوية المعمول بها على سمت كلام العرب، ويقصد بتوخي معاني النحو، توخي تلك

(1) الجرجاني(عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د. ط)، 1424-2003، ص: 89 .

(2) حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية،

القاهرة، (د. ط)، 1994، ص: 51.

(3) ينظر: مجّد خطاي، لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب-، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992م ، ص: 100.

(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 357.

المعاني الدالة على المعقولية ولا تخالف النهج اللغوي ولا الترتيب المنطقي العقلي، وترتيب الألفاظ في السياق الذي وردت فيه، وانسجام المعاني في النفس، يقول الجرجاني: «وليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، فما النظم إلا أن تقتفي في نظم الكلمات آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس»⁽¹⁾، والملاحظ مما سبق، أن الجرجاني يركز على ثلاث نقاط أساسية لبلاغة الكلام وتماسكه وحسن نظمه، وهي:

- 1- ترتيب المعاني في النفس.
- 2- أن نراعي مكانة اللفظة، بأن نضعها الموضع الذي تستحقه.
- 3- توخي معاني النحو.

فأعمال الجرجاني لها قيمة كبيرة في دراسة ما تعلق بالنص وبيان أدوات تماسكه الشكلية وآليات ترابطه الدلالية "ولا نشير هنا إلى دراسة موضوع الحذف، والذكر، والتقديم والتأخير والحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية، والتعريض، إذ هي موضوعات مرتبطة بجودة النص، وأثره في المتلقي، وتؤثر في تمايز النصوص بعضها من بعض، ولا ترتبط بموضوع كيفية بناء النص، من حيث هو نص، وقوانين إنشائه مباشرة، وإن كانت ذات أثر فاعل في تحديد مفهوم النص ذاته، ومع أن كثيرا من الدارسين رأوا في دراسة تلك القضايا في دلائل الإعجاز وعيا من الجرجاني بنحو النص"⁽²⁾. وأن نظرتة تجاوزت حدود الجملة في الدراسة ولم تتوقف على التراكيب الإسنادية وتعلقاتها، إلى دراسة أشمل لذلك وأعمق وأوسع، والأمر الذي ساعد الجرجاني على دراسة النصوص وفهما من خلال إيضاح التماسك بينها، هو علمه بالنحو وإدراك أهميته واتضح رؤيته عنده، بأن ربطه بالدلالة، ومن القضايا التي تبرز ذلك في كتابه دلائل الإعجاز، حديثه عن قضية "الفصل والوصل"، حيث "درس عطف الجمل على الجمل أو ورودها مستأنف بعضها على بعض"⁽³⁾.

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 102.

(2) عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 1425هـ-2004م، ص:

(3) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 171.

و يشير في كتابه أسرار البلاغة إلى قضية التآليف والترتيب، فيقول: «والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التآليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب»⁽¹⁾، فالأمر يتجاوز مسألة ضم الألفاظ إلى عملية التعليق، ويكون للعلاقات النحوية الدور المهم، يقول الجرجاني: «واعلم أن من الكلام ما أتت المزية في نظمه الحسن، كالأجزاء من الصيغ تتلاحق، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكبر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحدق والأستاذية، وسعة الذرع، وشدة المنة حتى تستوفي القطعة»⁽²⁾، ومما هو واضح من كلامه أن التركيب والترتيب هو الذي يميز نظرية النظم عنده وهو المعروف بفكرة تعليق الكلم بعضه ببعض وليس هو النظم لوحده ولا البناء ولا الترتيب في حد ذاته، يقول تمام حسان: «وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر الجرجاني على الإطلاق، فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب وإنما كان "التعليق"، وقد قصد به... إنشاء العلاقات بين المعاني اللغوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية»⁽³⁾، ويذهب تمام حسان، وهو ينتقد نظرية العامل لتحل محلها نظرية تضافر القرائن النحوية، إلى رأي عبد القاهر الجرجاني على أن التعليق "هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وأن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العامل النحوي والعوامل النحوية، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعاً في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية"⁽⁴⁾ وتعمل على تماسك البنية الكلية للنص، بحيث أصبحت هذه الفكرة من صميم البحث في الدراسات النصية المعاصرة، بالإضافة إلى القضايا التي سبق ذكرها والعناصر المذكورة في كتابه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" والتي منها: الحذف والتكرار والوصل والفصل وكذا الإيحاء، بالإضافة إلى رد العجز على الصدر أي ربط الآخر بالأول، وكذلك اعتباره النص وحدة كلية، وكلها أهله لأن يأتي على رأس البلاغيين البارزين الذين تجاوزوا الجملة في الدراسات اللغوية ليصل إلى النظرة الشمولية التي تربط أجزاء النص بعضها ببعض.

(1) الجرجاني، أسرار البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1420هـ-1999م، ص: 08.

(2) الجرجاني، المرجع نفسه، ص: 133.

(3) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1994، ص: 188.

(4) المرجع نفسه، ص: 189.

2 - المصنفات النقدية :

أحاول أن أشير إلى أن غايتي ليست إثبات أو نفي إدراك نقاد العرب القدامى ووعيهم بتماسك النص من عدم ذلك، وإنما الهدف هو محاولة إيجاد الوسائل التي يتماسك بها النص عند هؤلاء النقاد، وسأكتفي بذكر آليات التماسك النصي عند حازم القرطاجني وما قدمه من دراسات تتعلق بالدرس النصي، على الرغم من وجود أعلام في النقد سبقوه⁽¹⁾ في هذه النظرة النصية، لأن النقد في عصره شهد تقدماً وتطوراً أهله لأن يبرز النظرة النصية بعمق:

- حازم القرطاجني:

لقد بلغ النقد في عصر حازم القرطاجني في القرن السابع الهجري تطوراً ورؤى أكثر نضجاً ووعياً، فكان أكثر فهماً ناضجاً للتراكيب، تجاوز حدود الجملة في نقده إلى مستوى البناء النصي للقصيدة .

وعرف النقد العربي القديم مصطلح " البناء " و " القصيدة " و " الفصل " و " المقطع " وينفرد هذا العلم بنظرة أكثر شمولاً للنص بالرجوع إلى هذه المصطلحات وعلاقتها به، "فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى "فصول"(*) زعم أن لها أحكاماً في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماه بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة"⁽²⁾، ولا بد أن تكون مواد الفصل⁽³⁾:

1- متناسبة المسموعات والمفهومات.

2- حسنة الاطراد.

3- غير متخاذلة النسج.

4 - غير متميز بعضها عن بعض، التميز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه.

فإن كانت الشروط الأربعة دالة على التناسب والاطراد والتماسك والترابط كأوصاف ينبغي أن تتوافر في المواد التي تشكل منها الفصل، فإن الشرطين الأخيرين خاصة، شديداً الإلحاح على

(1) ينظر مثلاً: الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص: 89.

(*) الفصل عند حازم القرطاجني هو عبارة عن بيتين، في غالب الأحيان، إلى حدود أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين.

(2) إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997م، ص: 56.

(3) محمد خطابي، لسانيات النص -مدخل إلى انسجام الخطاب-، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992م، ص: 150-151.

الترايط، ويستفاد ذلك من سلبية "تخاذل النسيج" أي كونه مهلهل الخيوط، غير متصل بعضها ببعض على الوجه الأكمل، وكأني بالقرطاجني يرى الكلمات خيوطاً متداخلة ينشأ من قوة تشادها ثوب مكتمل النسيج متينه⁽¹⁾.

ولقد اهتم حازم القرطاجني باللفظ والنظم والأسلوب في الكلام، ويرى أنه "كلما وردت أنواع الشيء وضروبه مرتبة على نظام مشاكل وتأليف مناسب، كان ذلك أدعى لتعجب النفس، وإبلاعها بالاستماع من الشيء، ووقع منها الموقع الذي تتراح له"⁽²⁾، ونظرته الشمولية للنص ميزته عن غيره من النقاد والبلاغيين، فقد قام بتقسيم القصيدة إلى فصول، وبين الصلة الوثيقة الرابطة بين مطلع القصيدة وآخرها، وشبه الفصول في علاقتها بأبيات القصيدة مثل علاقة الحروف بالكلمات، وعلاقة القصيدة بالفصول مثل علاقة الألفاظ بالعبارات، فيقول: «الفصول المؤلفة من الأبيات نظائر الكلم المؤلفة من الحروف، والقصائد المؤلفة من الفصول نظائر العبارات المؤلفة من الألفاظ، فيحسن نظم القصيدة من الفصول الحسان كما يحسن ائتلاف الكلام من الألفاظ الحسان»⁽³⁾.

وقد قسم حازم كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" إلى أربعة أقسام، ومباحث هي: اللفظ، والمعنى، والنظم، والأسلوب، وبعض ما ينحو الشعراء نحوه فيها يرجع إلى أمور لفظية أو معنوية أو نظامية أو أسلوبية⁽⁴⁾، فالمباحث الثلاثة الأولى تتعلق بنحو الجملة، والمبحث الرابع يتعلق بمستوى النص، إذ لا يمكن الوصول إلى نظرة شاملة إلا بالانطلاق من الأجزاء المكونة للوحدة الكلية.

واهتمامه بهذه الأجزاء لا يلغي عنايته بنهاية القصيدة، ويتضح ذلك أثناء حديثه عن عدم قطع الكلام بما يسيء للأجزاء الأولى له، ويكون مرتبطاً معها بأحسن رباط، ف"يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة، وأن يتحرز فيها من قطع الكلام على لفظ كربه أو معنى منفر للنفس"⁽⁵⁾.

(1) مُجَدَّ خطايي، لسانيات النص، ص: 151.

(2) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1986، ص: 245.

(3) المرجع السابق، ص: 287.

(4) مُجَدَّ العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999م، ص: 498.

(5) المرجع نفسه، ص: 285.

وقد اهتم القرطاجني أيضا بالنمو الداخلي للقصيدة، ولا شك في أن آراء حازم القرطاجني في الترتيب الداخلي للنص، شيء قل أن نلاحظ نظيره في كتابات البلاغيين، من قدماء ومحدثين، وربما كان هذا المنحى في النظر في بنية النص، يسوغ لنا الدعوة لاستئناف النظر في التراث البلاغي العربي، على هدى مما نجده لدى المحدثين الغربيين في علم لغة النص خاصة⁽¹⁾، وفي حديثه عن العلاقات بين الفصول وإشارته إلى الاطراد في تسويم رؤوس الفصول يتطابق هذا النظر ويكاد يكون حرفيا مع ما ذهب إليه (فان دايك) في حديثه عن ترابط البنى المؤلفة لكل نص، ويستعمل حازم مصطلح الاقتران وهذا المفهوم يقترب من مفهوم الاتساق *Cohérence*⁽²⁾.

ومن هنا كان لحازم القرطاجني السبق في الاهتمام بانسجام النص الشعري وتلاحمه، كما كان له فضل السبق أيضا في تحديد بعض المفاهيم النقدية كمفهوم النظام والذي يقترب من مفهوم النسق، وكذا مفهوم الاقتران.

ثالثا: - المصنفات الدينية:

اهتم أصحاب هذه الزمرة العلمية بدراسة النص القرآني بجميع آياته وسوره بعده نصا واحدا متكامل الأجزاء يربط بعضه بعضا في انسجام عجيب، ويعد برهان الدين البقاعي أفضل من يمثل أصحاب هذا الاتجاه، وقد اكتفيت بالحديث عنه تجنباً للإطناب المخل بأهداف هذا البحث، على الرغم من وجود أعلام كثر في علوم القرآن والتفسير والاعجاز القرآني⁽³⁾ اهتموا بالنظرة النصية الكلية للنص القرآني:

برهان الدين البقاعي (ت 885هـ) وتجليات الدرس اللساني النصي:

يعد كتاب "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" من أبرز كتب التراث احتفاء بالنص في رؤيته الشمولية، فهو مشروع قرائي بامتياز، فقد تأثر البقاعي بأفكار من سبقه، ونسق بينها

(1) إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ص: 62.

(2) نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، ص: 113.

(3) ينظر: - الزركشي (مُجد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تح: مُجد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404-1984، ج1(ص: 22-102-187)، ج2(ص: 90-217)، ج3(ص: 102-457).

- السيوطي (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الوقفية، بيروت، (د.ط)، 1973، ج1، ص: 108، 111.

- الطبري (مُجد بن جرير): تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر

للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1422 - 2001، ج1، ص: 59.

ونظمها وأضاف إليها جهده ليستنبط من خلال كل ذلك رؤيته لإعجاز القرآن وتفسيره وأهم النقاط التي يمكن أن نشير إليها عنده ولها علاقة بالدرس اللساني النص ما يلي :

أولاً: مبدأ الكلية : ينظر البقاعي للنص القرآني نظرة كلية باعتباره نصاً واحداً متماسكاً الآيات والسور "فاستوعب عمله مدارس القرآن كلمة كلمة ، وجملة جملة ، وآية آيةً ، وسورة سورة، مما يرشح جهده لأن يكون أنموذجاً متكاملًا في التحليل النصي يتقاطع مع ما تدعو إليه لسانيات النص بأن " لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب"⁽¹⁾، وقد استفاد البقاعي في نظريته هذه من أستاذه **أبي الفضل المغربي المشدالي (ت 864هـ)**، وتتمثل نظرة المشدالي في : " قاعدة الكلية "وهي نظرة تأويلية جديدة في القرآن الكريم وكانت هي المفتاح الذي اعتقد المشدالي أنه من خلالها يمكن أن تفهم نظم القرآن، وسبب ترابطه (علم المناسبات) بالشكل الذي أنزل فيه من الله⁽²⁾، وتعمل القاعدة الكلية عند البقاعي على النحو التالي : "أن الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقته له السور وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له ، فهذا الأمر الكلي المهيم على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن إذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة"⁽³⁾، فمبدأ الكلية عنده تجاوز به حدود الجملة في دراسة اللغة إلى الغوص في النصوص وبيان سبب ترابطها والعلاقات بين وحداتها من خلال فهم الموضوع العام للنص.

ثانياً: توظيف آليات التماسك النصي: كتاب نظم الدرر "من أبرز الكتب التي ألفت في قضايا الدراسات النصية، على مستوى التطبيق في التراث العربي، حيث إنه من الكتب السبّاقة في مضمار الربط بين الجمل، في المتتالية النصية، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة، أو ربط السور المتتالية، والمتباعدة حتى أنه ربط سورة الناس بسورة الفاتحة، ولم يأل جهداً في ربط ما بينهما"⁽⁴⁾، وفي هذا الصدد يتحدث البقاعي عن سورة الناس فيقول: «ومقصود هذه السورة معلول

(1) جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة ، نسخة إلكترونية، ط1، 2015، ص: 84.

(2) وليد صالح :الاعتراف بالموروث الديني القديم: أنموذج برهان الدين البقاعي، مجلة تفاهم ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مسقط ، سلطنة عُمان، العدد49، 2015- 1436، ص : 256 .

(3) وليد صالح: المرجع السابق: 257 .

(4) ينظر : عمر أبو خرمة، نحو النص، ص: 48.

لمقصود الفاتحة، الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن، والتي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان، براءة الختام، وفذلكة النظام، كما كانت الفاتحة شاملة لذلك، لأنها براءة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول، اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالمثول⁽¹⁾.

ويهتم البقاعي في تفسيره بربط الجمل بعضها ببعض ، أكثر من عنايته بربط عناصر الجملة الواحدة، ولم يكن ذلك إنكاراً منه لوجود الرابط، بل لأنه رأى أن ذلك أسهل، كما يرى أن للإعجاز القرآني طريقين :

أحدهما : نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب. (قواعد النحو)

الثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب (التناسب). ويعلق على ذلك أن الأول أقرب تناولا وأسهل ذوقا ، ويعلل هذا المذهب بقوله : " فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره . وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز "،⁽²⁾ ويقول في توضيح الطريقة الثانية: « والذي ينبغي في كل آية، أن يبحث أول كل شيء، عن كونها تكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها»⁽³⁾.

ويرى البقاعي أن الأسلوب هو الترتيب المخصوص في نظم الآيات، فيقول في سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك»⁽⁴⁾، ويؤكد أن دقة هذا المجال جعل من المفسرين يتعدون عنه، حيث يقول: «إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير متبهيين لهذه الأسرار»⁽⁵⁾، ويرى أن هذا النوع من التفسير له فوائده، فيقول: «وثمرته - علم المناسبة- الاطلاع على الرتبة

(1) برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م، ج8، ص: 611.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص: 07.

(3) المرجع السابق، ج1، ص: 06.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص: 06.

(5) المرجع نفسه، ج1، ص: 06-07.

التي يستحقها الجزء، بسبب ما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن، علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة»⁽¹⁾.

والمفسرون اعتمدوا هذا المنهج عندما تكون الحاجة ماسة إلى مثل هذا الربط-من وجهة نظرهم- أو عندما يسألون عن علة مثل هذا الترتيب، في القرآن، ولكنهم-غالبا- كانوا ينصرفون عن مثل هذا المنهج من أجل أعمالهم، منشغلين في تفسير النص آية آية، أو جملة جملة، وفي أقصى اعتبار موضوعات منفصلة، دون اللجوء إلى عوالم النص الداخلية، لاحتكام أجزائه بعضها ببعض⁽²⁾.

وكل هذا يشير إلى وجود مجموعة من القواعد والمبادئ العامة لدى البقاعي اعتمدها في تفسيره حققت له نظرتة العميقة للنص القرآني على أنه وحدة كلية شاملة، تترابط فيها الآية الواحدة بما قبلها وما بعدها شكلا ودلالة كما تترابط فيها السور القرآنية وتتناسب فيها معانيها كذلك، كترابط فاتحة الكتاب، فهي إجمال، بجميع سور القرآن التي تعتبر عنده تفصيلا، وارتباط البسمة في كل سورة بموضوعات السورة ذاتها، بالإضافة إلى ترابط القصص القرآني سواء بين عناصر القصة الواحدة أو بين القصص القرآنية المتعددة.

(1) برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج1، ص 05.

(2) ينظر: عمر أبو خرمة، نحو النص، ص51

ثانياً: تفسير أضواء البيان، المؤلف والكتاب:

1 - التعريف بالمؤلف سأتناول في هذا العنصر الحياة الشخصية والعلمية للعلامة مُجَّد الأمين الشنقيطي:

أ - الحياة الشخصية للشنقيطي : وأتناول في هذا العنصر حياة الشنقيطي مختصرة بداية من مولده إلى وفاته مع ذكر اسمه ونسبه :

1- اسمه ونسبه :

هو مُجَّد الأمين بن مُجَّد المختار بن عبد القادر بن مُجَّد بن أحمد نوح بن مُجَّد بن سيدي أحمد بن المختار، من أولاد الطالب أوبك، الذي هو من أولاد كيرير بن المواوي بن يعقوب بن جاكنا الأبر، جد القبيلة المعروفة بالجنينين، ويرجع نسب القبيلة إلى حمير، لقبه آبا⁽¹⁾.

2- مولده ونشأته :

ولد مُجَّد الأمين الشنقيطي عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة (1325 هـ)^(*) عند ماء يسمى (تَنَبَه) من أعمال مديرية (كيفا) من القطر المسمى " شنقيط " وهو دولة موريتانيا.⁽²⁾

نشأ الشنقيطي يتيماً، إذ توفي والده وهو صبي صغير لا زال يقرأ جزء عم من القرآن الكريم، كعادة الصغار في تلك البيئة، فترعرع في بيت أخواله الذين هم من بني عمومته، يقول متحدثاً عن أحداث هذه الفترة : توفي والدي وأنا صغير أقرأ في جزء عم، ترك لي ثروة، أمي ابنة عم أبي، حفظت القرآن على خالي عبد الله بن مُجَّد المختار بن إبراهيم بن نوح.⁽³⁾

وقد كان وحيد والديه فكان في مكان التدلل والعناية، فمال إلى اللعب أكثر من الدراسة، وبعد فترة حببت له القراءة ولما حفظ القرآن الكريم، وأخذ الرسم العثماني وتفوق فيه على أقرانه،

(1) ينظر : - خالد بن عثمان السبت ، ترجمة مختصرة للشيخ العلامة مُجَّد الأمين الشنقيطي ، طبعت في مدخل أضواء البيان ، عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ج 1 ، ص 19 .

- عبد العزيز الطويان ، جهود الشيخ مُجَّد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية ، ط 1 ، 1419 - 1998 ، ج 1 ، ص 29 .

(*) يوافق هذا التاريخ الهجري : 1905 بالتاريخ الميلادي .

(2) ينظر : الشنقيطي، العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير ، اعتنى به : خالد بن عثمان السبت ، دار ابن القيم ، الدمام ، السعودية ، دار ابن عفان ، القاهرة ، ط 1 ، 1424 ، 2003 ، مج 1 ، ص 39 .

(3) ينظر : عطية مُجَّد سالم ، ترجمة الشيخ مُجَّد الأمين الشنقيطي ، وقد نقلها سماعا عن الشيخ ، وهي مدونة ، في أضواء البيان ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان / ط 1، 2003-1424، ص : 2171.

اعتنت به والدته وأخواله عناية شديدة، وعزموا على توجيهه للدراسة في بقية العلوم فجهزته والدته بجملين؛ أحدهما عليه كتبه، والآخر عليه زاده ونفقاته، وأرسلته في طلب العلم.⁽¹⁾

كان الشنقيطي علما بارزا في عصره قبل ذهابه في رحلة الحج واستقراره بالحجاز، حيث اشتغل في موريتانيا بالدرس والفتيا، كما اشتهر بالقضاء والفراسة فيه، وقد كان الناس يأتون إليه من أماكن عديدة من منطقته ثقة في علمه وورعه.⁽²⁾

اتجه بعد ذلك لأداء فريضة الحج، وأنتقل من موريتانيا باتجاه مكة برا متنقلا من مكان الى مكان حتى وصل الى مكة المكرمة⁽³⁾، قاصدا أداء فريضة الحج وعلى نية العودة، وبعد وصوله الى هذه البلاد حلت نية بقاءه، خصوصا بعد أن التقى بالأمير خالد السديري وهو ذواقة في الأدب فوجد الشنقيطي بحرا لا ساحل له وكان هذا في الخيم التي ينزل فيها الحجاج⁽⁴⁾ حيث كان يحفظ من أشعار العرب وشواهد العربية الآلاف المؤلفة من الأبيات، كما كان يحفظ أكثر أحاديث الصحيحين، وألفية ابن مالك، ومراقي السعود، وألفية العراقي، وغير ذلك من منظومات السيرة النبوية، والغزوات، والأنساب، والمتشابه من ألفاظ القرآن وشيئا من متون الفقه⁽⁵⁾، ومن قرأ كتبه أو سمع دروسه التي كان يلقيها على طلبته، يلاحظ هذا التمكن وتبرز له حافظته، وتجددت رغبته في البقاء خصوصا بعد زيارته المدينة المنورة، حيث قال: "ليس من عملي أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله ﷺ"،⁽⁶⁾ وبعد استقراره بالحجاز وبالضبط بمدينة رسول الله ﷺ مدة من الزمن "انتقل بعدها إلى نجد، ومكث في الرياض مدة عشر سنوات، معلما وموجها ويزور المدينة أيام العطل، إلى أن افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فكان بجانب التعليم بها عضوا في مجلس الجامعة التي كان يؤمها طلبة من العالم العربي والإسلامي وغيرهم، وكان ينتقل في أقطار العالم الإسلامي، معلما ومحاضرا.⁽⁷⁾

(1) ينظر: الشنقيطي، العذاب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ج1ص: 40-41.

(2) ينظر:، عطية محمد سالم، ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص: 2175.

(3) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، رحلة الحج الى بيت الله الحرام، دار عالم الفوائد مكة المكرمة، ط1، 1426، ص 71، 72.

(4) ينظر عطية محمد سالم، ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص: 2175.

(5) ينظر: الشنقيطي، العذاب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ج1، ص43.

(6) عطية محمد سالم، المرجع السابق، ص 2176.

(7) ينظر: عطية محمد سالم، المرجع نفسه، ص: 2176-2179.

3- وفاته:

توفي -رحمة الله- ضحى يوم الخميس في اليوم السابع عشر من ذي الحجة من عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة (17 ذي الحجة 1393هـ)، وكانت وفاته بمكة المكرمة ، مرجعه من الحج ودفن في مقبرة المعلاة،⁽¹⁾ وما مات إلا بعد أن ربى أجيالا على العلوم الشرعية، وخلف تراثا في التفسير والفقه والأصول والعقيدة وغيرها من العلوم الشرعية، واستفاد منه طلبة العلم من كل الأقطار، وقد حزن عليه من يعرفه ويقدر وزنه، ورثاه خلق كثير من الشعراء بأبيات من الشعر، نذكر منها :

رثاء تلميذه أحمد الجكني الشنقيطي في قصيدة جاء في مطلعها:⁽²⁾

مَوْتُ الإِمَامِ الحَبْرِ مِنْ جَاكَانِي رِزْءٌ أَلَمَّ بِأُمَّةِ العَدْنَانِي
يَا لِلْمُصِيبَةِ لِلْبَرِيَّةِ إِهْمَا فَقَدَتْ عَظِيمَ مَنَاهِلِ العِرْفَانِ

وغيرها من المراثيات التي بلغت أكثر من خمس قصائد في رثائه، لمكانته العلمية وجهوده في نشر العلم.

ب- الحياة العلمية للشنقيطي : في هذا الجزء حديث عن حياته مع العلوم والفنون التي رسمت شخصيته العلمية، وجعلته علما من الأعلام بعد الله عز وجل، والحديث عن حياته العلمية تتطلب من جعلها في ثلاثة عناصر أساسية وهي :

1- طلبه العلم:

-بداية الطلب بعد حفظه القرآن الكريم في العاشرة من عمره، كان تعلمه رسم المصحف العثماني على ابن خاله، وهو سيدي مُجَّد بن أحمد بن مُجَّد المختار، وقرأ عليه التجويد في مقراً نافع، برواية ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق، وقالون من رواية أبي نسيط، وأخذ عنه سنداً إلى النبي ﷺ، وكان قد بلغ من العمر ستة عشر عاماً⁽³⁾ والمعلوم أن الدراسات القرآنية لا تتعلق بحفظ كتاب الله ﷻ فقط، بل تتعدى الحفظ الى دراسة الرسم القرآني ومعرفة القراءات القرآنية والتفسير وغيرها،

(1) عبد العزيز الطويان : جهود الشيخ مُجَّد الأمين الشنقيطي ، ج1، ص489

(2) ينظر: عبد الرحمان بن عبد العزيز السديس ، منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية ، إشراف : عبد المجيد محمود عبد المجيد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية ،، 1410، ج1، ص64.

(3) خالد بن عثمان السبت ، ترجمة مختصرة للشيخ العلامة مُجَّد الأمين الشنقيطي من أضواء البيان ج1، ص20

وهذا ما اشتغل عليه الشنقيطي ، كما درس الأدب دراسة واسعة على يد زوجة خاله، وأخذ عنها مبادئ النحو من خلال متن الأجرومية، ودروس في أنساب العرب وأيامهم والسيره النبوية والغزوات، فالمدرسة الأولى كانت بيت أخواله تعلم فيها علوم القرآن والسيره والأدب والتاريخ⁽¹⁾، أما بقية العلوم والفنون فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام :

-**القسم الأول** : ما تعلمه عن طريق المطالعة في بلاد شنقيط، فقد تعلم المنطق وآداب البحث والمناظرة،⁽²⁾ وهذا قبل رحلته إلى الحجاز.

-**القسم الثاني** : ما اكتسبه من العلماء وأهل العلم في بلاده ومن هذه العلوم:

- 1-/الفقه المالكي: درس "مختصر خليل" على الشيخ محمد بن صالح الى قسم العبادات ودرس
- 2-/ النحو: درس "نصف الألفية" على شيخ محمد بن صالح.
- 3-/ بقية الفنون : من الصرف والأصول والبلاغة، وبعض التفسير والحديث⁽³⁾ ومن مشاهير العلماء الذين أخذ عنهم هذه الفنون، نجد منهم:
- 1-الشيخ محمد بن صالح المشهور بابن أحمد الأفرم.
- 2-الشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار.
- 3-العلامة أحمد بن عمر.
- 4-الفقيه: محمد النعمة بن زيدان.
- 5-الفقيه: أحمد بن مؤد.
- 6-العلامة المتبحر في الفنون: أحمد فال بن آده⁽⁴⁾ وغيرهم كثير.

القسم الثالث : ما اكتسبه بعد رحلته للحجاز :

بعد رحلته للحجاز وجد أن أهل تلك البلاد على غير المذهب الفقهي السائد في المغرب العربي، وبعد استقراره بمدينة رسول الله ﷺ بدأ التدريس في المسجد النبوي، " فوجد من يمثل المذاهب الأربعة ومن يناقش فيها ويبحث عن الدليل ويتطلبه، كما وجد الدراسة في المسجد النبوي لا تقتصر على مذهب معين، فكان من المتعين على من تصدّر للتدريس في مثل هذه البيئة

(1) عطية محمد سالم ، ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ،ص:2172

(2) عبد العزيز الطويان ، جهود محمد الأمين الشنقيطي ج1،ص:57

(3) عطية محمد سالم : المرجع سابق ص:2172

(4) عبد الرحمان بن عبد العزيز السديس، منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام ج1،ص: 03.04

الاطلاع على سائر المذاهب المتغيرة فدأب - رحمه الله - في تحصيل ذلك، وقد ساعده على هذا التوسع تمكنه من علوم الآلة⁽¹⁾ من نحو وصرف وعلم بمفردات العربية وأساليبها في الكلام وغيرها من العلوم .

والملاحظ من فترة طلبه للعلم قد مرّت مرحلتين أساسيتين :

المرحلة الأولى : مرحلة وجوده في بلاد شنقيط، وتنقسم إلى قسمين : الأول : يتعلق بالتعلم الذاتي، والثاني : يتعلق بالتعلم عن طريق العلماء وأهل العلم في بلاده .

وهذه المرحلة كانت جديرة بتكوينه، وأن تبني تلك الشخصية العلمية القوية وتجعل منه عَلمًا من العلماء بارزًا بقوة حجته وحفظه ، وهي دلالة واضحة على أن الحاضنة العلمية في بلاد شنقيط مؤهلة بكونها أحد أهم الحواضر العلمية في البلاد الإسلامية .

المرحلة الثانية : مرحلة استقراره بالحجاز والزيادة في الطلب، وهذا بسبب الاختلاف الفقهي بين الحواضر الإسلامية بين شنقيط والحجاز، فكان من فقهه بالدعوة أن يتفقه على المذاهب الفقهية السائدة في محل استقراره بالإضافة إلى زيادة الاعتناء بدراسة الحديث النبوي الشريف، لأن بلاد شنقيط والمغرب العربي عموماً غلب عليها التركيز على مدارس المسائل الفقهية في المذهب المالكي بتفريعاته وتفصيل جزئياته، فكان طلبه للعلم في هذه المرحلة يعتمد فيها على التعلم الذاتي بالنهل من أمّات كتب المذاهب الفقهية والحديثية .

2 - أعماله ووظائفه :

أ- أعماله ووظائفه في بلاد شنقيط : إن وظيفة العالم هي رسم الطريق الصحيح للناس ليسيروا عليها، وإيضاح طريق الشر لهم ليجتنبوها، ولم يخرج الشنقيطي في هذا العمل؛ ففي بلاده كان من " أعماله الدرس والفتيا، واشتهر بالقضاء وبالفراسة فيه ، فكان الناس يأتون إليه من بلاد عديدة في تلك المنطقة للقضاء بينهم ثقة فيه " (2) .

ب- أعماله ووظائفه في بلاد الحجاز ونجد : بعد استقراره في بلاد الحجاز ثم بعد ذلك بنجد ثم عودته للحجاز تنوعت أعماله وتعددت لكن ارتبطت جميعاً برباط وثيق وهي رحم العلم، فكانت من أعماله ووظائفه ما يلي :

(1) خالد بن عثمان السبت ، ترجمة مختصرة للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ، من أضواء البيان ، ج 1 ، ص 28 .

(2) ينظر : عطية محمد سالم ، ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ص 2175 .

- كان مدرسا في المسجد النبوي، وقد فسر القرآن فيه مرتين، وكان يدرس في الحرم النبوي طيلة فترة وجوده في المدينة.⁽¹⁾
- تدريس التفسير والأصول بالمعهد العلمي بالرياض، وبالمعهد العالي للقضاء، وكلية الشريعة واللغة العربية، وبقي يدرس حتى انتقل إلى المدينة المنورة.⁽²⁾
- التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حينما افتتحت، وكان عضواً في مجلسها والذهاب في بعثات علمية لدول إفريقية.⁽³⁾
- كان عضواً في هيئة كبار العلماء، وأحد أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.⁽⁴⁾

3- آثاره العلمية : توزعت آثاره في قسمين رئيسيين :

أ- القسم الأول : وهو تأليف الرجال؛ وقد تخرج على يديه خلق كثير، أصبحوا من بعده علماء وفقهاء استفاد العالم الإسلامي من فقههم وعلمهم، ولا يمكن إحصاء عددهم لكثرتهم وانتشارهم في كثير من الدول .

ب- القسم الثاني : تأليف الكتب والرسائل : ويمكن حدها في جزأين:

ب/1- الجزء الأول : ما ألفه في بلاد شنقيط : وهي كلها مخطوطة، جاءت نظماً من الشعر التعليمي نذكر منها :⁽⁵⁾

- 1- " خالص الجُمَانِ في ذكر أنساب بني عدنان " ، وهو نظم في أنساب العرب.
- 2- " رجز في فروع مذهب مالك " .
- 3- " ألفية في المنطق " .
- 4- " نظم في الفرائض " وهو نظم في علم المواريث .

ب/2 الجزء الثاني : ما ألف في بلاد الحرمين : العديد من الرسائل والمحاضرات المطبوعة والكتب ، ومن كتبه :⁽⁶⁾

(1) ينظر : عبدالعزيز الطويان ، جهود الشيخ مُجَدِّ الأمين الشنقيطي ، ج1 ، ص : 70-80 .

(2) ينظر الشنقيطي : العذب المنير ، ج1 ، ص 47 .

(3) ينظر : عطية مُجَدِّ سالم ، المرجع السابق ، ص 2178-2179 .

(4) ينظر : الشنقيطي ، العذب المنير ، ج1 ، ص48 .

(5) ينظر : عطية مُجَدِّ سالم ، المرجع السابق ، ص 2179-2180 .

(6) عبد العزيز الطويان ، جهود الشيخ مُجَدِّ الأمين الشنقيطي ، ج1 ، ص 77-78 .

- 1- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز .
- 2- دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب .
- 3- مذكرة الأصول على روضة الناظر .
- 4- آداب البحث والمناظرة، وقد أوضح فيه آداب البحث من إيراد المسائل وبيان الدليل .
- 5- رحلة الحج إلى البيت الحرام .
- 6- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، وهذا الأخير هو محلّ دراسة وتحليل في بحثنا هذا .

2- كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:

أ- التعريف بالكتاب ودوافع تأليفه:

1- التعريف بالكتاب:

- أضواء البيان، وأصل العنوان الدقيق "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، وهو آخر مصنف ألفه الشنقيطي ولم يكمله، وتكفل تلميذه: عطية مُجَّد سالم بإتمام ما تبقى منه، ولم يكن هناك إطلاق اختلاف في تسمية الكتاب إذ إن الشنقيطي ذكر هذا العنوان في مقدمته إذ يقول: "وسميته: " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن "، وهذا أوان الشنقيطي في المقصود"⁽¹⁾، وأما تسميته بهذا الاسم فقد ذكر تلميذه عطية مُجَّد سالم أنه عندما طُلب من الشيخ أن يؤلف كتابا في بيان القرآن يراعي فيه إيضاح الآيات بعضها بعضا من إجمال وتفصيل وبيان وغيرها من أنواع البيان القرآني. فشرع الشنقيطي في تأليفه، وسأل الشنقيطي تلميذه عطية مُجَّد سالم وقال له: هذا كتابك ماذا تريد أن تسميه، فقال له: أنت أحق بتسميته، وأخذ من كان عنده، كل منهم يأتي باسمه من عنده، فقال الشيخ بعدها اصبروا حتى نكتب فيه قليلا ثم نختار الاسم، فكان أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"⁽²⁾. والكتاب يقع في سبعة مجلدات*، يبلغ عدد صفحاتها في طبعة دار علم الفوائد بمكة المكرمة (1426هـ) ب واحد وستين وخمسمائة وثلاثة آلاف (5561 صفحة)، نضيف إليها ما قام تلميذه عطية سالم بإتمامه بعد وفاة الشنقيطي - رحمه الله- في جزأين في خمس مائة وألف (1500 صفحة)، ليصبح مجموع عدد صفحات الكتاب بمقدمته في تسع وثمان مائة وستة آلاف (6809 صفحة) مقسمة في تسع مجلدات، وهي كالاتي:

(1) الشنقيطي (مُجَّد الأمين): أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1426، ج1، ص46.

(2) عبد الرحمان بن عبد العزيز السديس: منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، ج1، ص126.

* صدر الجزء الأول من الكتاب عام (1373 هـ) ثم صدرت الأجزاء الأخرى متتابعة بعده.

- **المجلد الأول:** من أول سورة البقرة إلى آخر سورة النساء ويقع في خمس وأربعين وخمسمائة (545 صفحة).
- **المجلد الثاني:** من أول سورة المائدة إلى آخر سورة يونس، ويقع في سبع عشرة وستمائة (617 صفحة).
- **المجلد الثالث:** من أول سورة هود إلى آخر سورة الإسراء، ويقع في تسع وسبعين وسبعمائة (779 صفحة).
- **المجلد الرابع:** من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الأنبياء، ويقع سبع وتسعمائة (907 صفحة).
- **المجلد الخامس:** من أول سورة الحج إلى آخر سورة "المؤمنون"، ويقع في ستين وتسعمائة (960 صفحة).
- **المجلد السادس:** من أول سورة "النور" إلى آخر سورة "الصفات" ويقع في سبع وثمانمائة (807 صفحة).
- **المجلد السابع:** من أول سورة "ص" إلى آخر سورة "المجادلة"، ويقع في ست وأربعين وتسعمائة، (946 صفحة)، وهو آخر ما كتبه الشنقيطي رحمه الله قبل وفاته.
- **المجلد الثامن (الأول من التتمة):** كتبه عطية مُجَّد سالم وهو تلميذ الشنقيطي من أول سورة الحشر إلى آخر سورة المرسلات ويقع في أربعين وسبعمائة (740 صفحة) صدر سنة (1980م-1400).
- **المجلد التاسع: (الثاني من التتمة)** كتبه تلميذه أيضا عطية مُجَّد سالم، من أول سورة "النبأ" إلى آخر "الناس"، ويقع في ستين وسبعمائة صفحة (760 صفحة) صدر سنة (1980-1400).

- وهنالك طبعات كثيرة منها: طبعة دار الكتب العلمية التي جاءت في مجلد ضخم يحوي كل الأجزاء تقع في اثنتي وتسعين ومائة وألفي صفحة (2192 صفحة) وضمت بعض رسائل الشنقيطي منها: كتاب منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، واحتوت أيضا على ترجمة لمحمد الأمين الشنقيطي صاحب الكتاب.

- 2- دوافع تأليف الكتاب:

يعتبر كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن نتيجة ثمرة علمية تلاقت فيها الأفكار لتنتج لنا هذا السفر العظيم بما حواه من بيان لآي القرآن، وقد أثمر بطريقة السؤال والجواب، حيث يذكر تلميذه عطية محمد سالم: " أنه سأل الشنقيطي في يوم من الأيام عن قوله تعالى « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ » (الآية: 40 - البقرة). ما هو عهده وما هو عهدهم، قال: أما عهدهم فيفسره حديث معاذ بن جبل، « أتدري حق الله على العباد»⁽¹⁾ فهذه أول انطلاقة للشروع في البحث بطريقة بيان القرآن بالقرآن، لينتج عنه بعدها كتاب "أضواء البيان".

واستمر الشنقيطي يذكر لتلميذه نماذج من القرآن الكريم حصل فيها الإجمال في آية وبيان الإجمال في موضع آخر من القرآن الكريم، " بعدها سأله عطية سالم: هل يوجد من كتب في هذا الباب؟ فقال الشنقيطي فيه نماذج لابن قتيبة وآخرين وذكر كتبا، فقال له عطية سالم، إذن يتعين عليك، قال إن شاء الله، وبعدها بمدة بدأ الشنقيطي في كتابة أول تفسير سورة البقرة، ثم بدأ باقتراح العنوان"⁽²⁾، فكان "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" والذي أفرد له صاحبه بمقدمة وافية حقه وموضحة منهجه ومبينة الغرض من تأليفه، وقد حصره الشنقيطي في مقصدين:

- المقصد الأول: بيان القرآن بالقرآن، لإجماع العلماء على أنه أحسن أنواع التفسير وأجلها⁽³⁾ وهذا هو ركيزة بحثنا في نحو النص من خلال نظرة الشنقيطي لهذه القضية.
- المقصد الثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة بالفتح في هذا الكتاب العظيم (القرآن الكريم)⁽⁴⁾، وفي دراستنا هذه:

(1) عبد الرحمان السديس، منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام، ج1، ص126

(2) عبد الرحمان السديس، المرجع نفسه، ص08.

(3) الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص08.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص09.

لا أتناول بيان الأحكام الفقهية بالدراسة والتحليل إلا إذا تعلق بيانها عنده باعتماده على أدوات السبك والحبك النصي، فنكون هنا أمام التماسك النصي الذي هو قضيتنا في البحث. يتضح لنا أن الغرض الأساسي والدافع الرئيسي من التأليف هو افتقاد الساحة العلمية لتفسير متخصص يفسر القرآن بطريقة مخصوصة وجدت ك نماذج في كتب الأسبقين، لكن لم يؤسس لها تفسير خاص إلا مع الشنقيطي مما جعل قيمته بارزة على الرغم من حداثة.

2-ب-: المنهج المعتمد في "أضواء البيان" ومصادره:

1- المنهج المعتمد في أضواء البيان:

إذا كان تأليف أي كتاب لا بد أن يكون له سبب، فإن التزامه بمنهج يعتبر من أساسيات هذا التأليف، لذلك فإن الشنقيطي قد انتهج منهجا واضحا في تفسير القرآن الكريم، ينطلق من الدوافع التي من أجلها وجد هذا التفسير، وقد ذكر هذا المنهج في مقدمته الموسعة والشاملة والمبينة لمحتوياته وتفسيره، كما أن الغوص في هذا التفسير يبين بوضوح منهجه المحكم الذي يقوم على معالم وركائز واضحة، وهي كالآتي:

أ- بيان القرآن بالقرآن: يعتمد منهجه في تفسير القرآن بالقرآن على أساليب عديدة نذكر منها:
أ-1- بيان معنى اللفظة القرآنية: بيان معناها الذي اشتهرت به في القرآن الكريم دون معانيها المعجمية الأخرى، وللسياق القرآني العام هنا دور هام في إيضاح المعنى (ينظر: الباب الثاني- الفصل الأول).

أ-2- بيان الآية القرآنية: ويكون بطريقة متعددة منها:

- * بيان الآية اعتمادا على الإحالة: (أنظر: الباب الأول- الفصل الأول)
- * بيان الآية بآية أخرى: منها بيان قوله تعالى: « الحمد لله رب العالمين » (الآية: 2- الفاتحة) بقوله تعالى: « قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين » (الآية: 24- الشعراء) (أنظر أيضا: الباب الأول: الفصل الأول).
- * بيان الآية القرآنية بآيات: (أنظر: الباب الأول - الفصل الأول).
- * بيان علاقة الإجمال بالتفصيل، ومنها الإجمال بسبب الاشتراك وبسبب الإبهام وبسبب الاقمال (أنظر: الباب الثاني- الفصل الثاني).

- بيان علاقة المطلق بالمقيد، مع حمل المطلق على المقيد من عدمه (أنظر، الباب الثاني ، الفصل الثاني).

- ومنهجه في بيان القرآن بالقرآن متعدد وطرقه كثيرة ذكرنا أهمها، وكل هذه الطرق تتعلق بالتماسك النصي للقرآن الكريم ومدى ترابط آياته وعصوره باعتباره وحدة واحدة يفسر بعضه بعضا.

ب- بيان القرآن بالسنة النبوية: ويندرج هذا النوع من البيان ضمن السياق الخارجي للنص القرآني الذي يسهم في بيانه، وقد تعددت أساليبه في هذا العنصر ونذكر منها:

ب-1- بيان القرآن بالقرآن وبعدها يعتمد على السنة النبوية: وهذا إذا وجدت في القرآن ما يفسر الآية، فتكون السنة النبوية تأكيدا للمعنى أو زيادة تفصيل في جزئياته (أنظر: الباب الأول، - الفصل الأول- عنصر : " السنة النبوية").

ب-2- بيان القرآن بالسنة النبوية مباشرة: يعتمد هذا المنهج من البيان إذا لم تتوفر في القرآن الكريم آيات مفسرة للآية محل التفسير فبالاعتماد على السنة النبوية منطلقا لإيضاح المعنى وبيان الأحكام الشرعية. (أنظر: الباب الأول، - الفصل الأول- عنصر : " السنة النبوية").

ج- بيان القرآن بأقوال الصحابة والتابعين: وقد انتشر منهجه هذا في كل أجزاء الكتاب.

د- بيان القرآن باللغة العربية: يعتمد في بيان القرآن الكريم باللغة العربية بعنصرين أساسيين في اللغة:

● د-1- بيان القرآن اعتمادا على المعاجم اللغوية: وذلك بإيضاح اللفظة بأهمات المعاجم اللغوية ليتضح المعنى السياقي لها. (أنظر: الباب الثاني، الفصل الأول، عنصر "سياق الآية"، العنوان الدقيق: الدقة في معنى اللفظة).

● د-2- بيان القرآن اعتمادا على أساليب العربية: وذلك بإيضاح اللفظة بأهمات المعاجم اللغوية، ليتضح المعنى السياقي لها. (أنظر: الباب الثاني - الفصل الأول، العنصر الأول " سياق الآية بعنوان: إيضاح الدقة في اختيار الإعراب المناسب بحسب سياق الآية).

ه- بيان القرآن اعتمادا على القواعد الأصولية: وذلك بالرجوع إلى قواعد الترجيح عند الأصوليين من المفسرين: (أنظر: الباب الأول - الفصل الثاني: " العطف والحذف" العنصر الثاني، العنوان: قواعد الترجيح ودورها في تحديد الحذف وبيان السبك النصي).

و- بيان المعاني القرآنية اعتماداً على القراءات السبعية: لأنها كانت مصاحبة للنص القرآني، (أنظر: الباب الثاني- الفصل الأول - عنصر "السياق اللغوي"، العنوان الفرعي: السياق النصي للقراءات السبع وأثرها في التماسك النصي).

ز- بيان المسائل الفقهية اعتماداً على النصوص القرآنية: وهي منتشرة في كل أجزاء الكتاب، (أنظر أيضاً: الباب الأول - الفصل الأول: عنصر بعنوان: الضمائر ذات المرجعية المتعددة)، وقد قام بتحقيق العديد من المسائل الفقهية في كتابه.

ح- يمكن اعتبار هذا التفسير من التفاسير بالأثر وبالرأي: لأنه اعتمد بعد بيانه القرآن بالقرآن- على السنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ومن الأثر، كما اعتمد على التفسير بالرأي كثيراً في سفره هذا، لأنني اعتبر تفسير القرآن بالقرآن انطلاقة من آليات البيان المعتمدة، مثل اللغة عموماً والسياق اللغوي بالأخص، جانب من جوانب التفسير بالرأي.

ط- التزامه بعنوان التفسير: "إيضاح القرآن بالقرآن": ففي كل سورة لم يفسر جميع آياتها، بل يختار منها الآيات التي يمكن بيانها بآيات أخرى من نفس السورة أو السور الأخرى، وإضافة إلى ذلك الآيات التي حوت المسائل الفقهية التي أراد بيانها كما وضحنا، في عنصر "دوافع تأليفه للكتاب" في هذا الفصل.

- هذه أهم المعالم الأساسية والركائز الرئيسية التي اعتمدها الشنقيطي في تفسيره للقرآن الكريم، لذلك جاء هذا التفسير بطريقة خاصة اختلفت عن مناهج المفسرين الذين سبقوه في التفسير.

2- المصادر المعتمدة في الكتاب:

المطلع على السيرة العلمية للشنقيطي وثناء العلماء وطلبة العلماء عليه- يجد أنه اشتهر بحفظه الواسع وفكره المنتقد، وسعة علمه وهو بحر في اللغة والأدب والنحو والتعريف والبلاغة والمنطق وأصول الفقه، وله باع طويل في التفسير⁽¹⁾ لذلك تعددت المصادر المعتمدة في تفسيره "أضواء البيان" وتنوعت بين هذه العلوم جميعها وغيرها من العلوم، فكانت مصادرها كالاتي:

(1): - ينظر: - عبد العزيز الطويان: جهود مُجد الأمين الشنقيطي، ج1، ص84-85.

-فهد بن عبد الرحمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،السعود، إشراف: مُجد مسلم مُجد، 1404هـ- ج1-ص 129.

أ- مصادره في كتب التفسير:

يعالج هذا القسم من أكثر الكتب اعتماداً في "أضواء البيان" باعتبارها أقرب المصادر إلى فنه، وبالتالي فهي أكثرها ذكراً، وقد اكتفيت بذكر أهم المصادر المعتمدة عنده، حسب كثرة ورودها، وهي كالآتي:

- 1- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت744هـ)، وهو أكثر التفاسير اعتماداً، فقد ذكر اسم صاحبه أكثر من ثلاث وسبعين وأربع مائة مرة (473 مرة) في الأجزاء السبعة من "أضواء البيان".
- 2- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت671هـ)، وقد ورد ذكر القرطبي أكثر من : أربعين وأربعة مائة (440 مرة).
- 3- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (ت538) فقد ورد ذكر صاحبه أكثر من ثلاث عشرة ومائتي مرة (213 مرة).
- 4- أحكام القرآن لابن العربي المالكي (ت543هـ)، فقد ورد اسم "ابن العربي" أكثر من خمس وسبعين مرة (75 مرة).
- 5- تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لابن جرير الطبري (ت310هـ) فقد ورد اسم "الطبري" أكثر من سبعين مرة (70 مرة).

ب- مصادره في كتب اللغة:

تنوعت مصادره من كتب اللغة وتعددت بين النحو والتصريف والمعجم اللغوية، وهي تعد من علوم الآية التي يستعين بها الشنقيطي لبيان المعاني القرآنية سواء تعلق بالألفاظ أو التراكيب للوصول إلى البيان القرآني، ونكتفي بذكر أهمها:

1/ مؤلفات محمد بن مالك الطائي المعروف بـ"ابن مالك" (ت: 672 هـ) وهي مرتبة بداية من أكثرها اعتماداً:

أ/ الخلاصة في النحو المعروف "بالألفية": وهي الأكثر وروداً من بين كتب النحو الأخرى، فقد اعتمد عليها في أكثر من خمسة وسبعين ومائة موضع (175) في أضواء البيان.

ب/ لامية الأفعال: ورد ذكر الكتاب في ثمانية (08) مواضع.

ج/ الكافية الشافية: ذكرت في ستة (06) مواضع.

د/ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ويذكره في خمسة (05) مواضع.

- 2- تاج اللغة وصحاح العربية، المعروف بـ"الصحاح" لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393)، وقد ورد ذكره في مواضع كثيرة تزيد عن ثلاثة وثلاثين (33) موضعاً من أضواء البيان
- 3- الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـسيويه (ت 180هـ) وقد ورد اسمه في مواضع متعددة تزيد عن ثلاثين (30) موضعاً.
- 4- لسان العرب لجمال الدين محمد بن منظور (ت 711هـ)، وقد ورد ذكره في سبعة عشر (17) موضعاً.
- والحقيقة أن الشنقيطي قد اعتمد على معاجم اللغة العربية في مواضع كثيرة، في أغلبها يكتفي بإيراد المادة المعجمية دون ذكر لاسم المعجم أو صاحبه، وما أوردته هنا هو ما يذكر فيه اسم المعجم أو مؤلفه.

ج- مصادره في كتب الحديث والفقه وأصوله:

- سأكتفي في ذكر مصادر هذه العلوم والفنون التي اعتمدها الشنقيطي على أكثرها وروداً في أضواء البيان، وترتيبها هنا يكون من هذا المنطلق وهي كالتالي:
- 1- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، وقد انتشر وجوده في كل أجزاء الكتاب حيث أنه ذكر أكثر من تسعين و خمسمائة (590) مرة.
- 2- المغني لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت 620هـ) وقد ورد ذكره أكثر من خمس وعشرين وثلاث مائة (325) مرة.
- 3- مراقبي السعود المبتغي الرقي والصعود لعبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي (ت نحو 1230 أو 1232هـ)، وقد ورد ذكره والاعتماد عليه أكثر من خمس وتسعين و مائة مرة (195) مرة، وهو في أصول الفقه مذهب الإمام مالك وشرحه صاحب أضواء البيان في مجلدين.
- 4- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، ورد ذكره في أضواء البيان في مجلدين.
- 5- موطأ الإمام مالك لمالك بن أنس (ت 179هـ) ورد ذكره أكثر من اثني عشرة و مائة (112) مرة، وغيرها من الكتب .
- وهنالك كتب أخرى منها: شرح المهذب للنوري (ت 676هـ)، ومختصر خليل لخليل بن إسحاق (ت 776هـ)، وشرح مسلم للنوري، ومختصر منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل

(ت646هـ)، وروضة الناظر لابن قدامة المقدسي، وغيرها من الكتب التي اعتمدها في أضواء البيان وكان لها الأثر البارز في ظهور هذا الكتاب بهذه القوة العلمية.

الباب الأول :

السُّبُكُ النَّصِي فِي كِتَاب "أَضْوَاء"

الْبَيَان فِي إِيْضَاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ "

أولاً : تعريف السبك النصي:

1- السبك لغة : جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أثناء دراسته للجذر الثلاثي "سبك"؛ "السين والباء والكاف أُصِيل يدل على التناهي في إمهاء (*) الشيء، من ذلك سبكت الفضة وغيرها أُسبِكُها سَبَكًا، ويستعار في غير الإذابة أيضًا"⁽¹⁾، فالجذر يعود إلى أصل واحد وهو المعنى الذي يدل على الوصول إلى تمام الشيء وكماله، وإذا انتقلنا إلى ابن منظور في معجمه لسان العرب في مادة "س ب ك" نجد يورد الآتي: "سبك: سَبَكَ الذهب والفضة ونحوه من الذائب يَسْبُكُه وَيَسْبُكُه سَبَكًا وَسَبَكَه: ذَوَّبَه وأفرغه في قالب، والسَّبِيكة القطعة المذوبة منه، والسَّبِكُ السَّبِيكة من الذهب والفضة يُذَابُ وَيُفْرَغُ في مسبكة من حديد كأنه شِقُّ قَصَبَةٍ"⁽²⁾. نلاحظ من التعريف اللغوي الذي جاء به كل من: "ابن فارس" و"ابن منظور" أن أوّل استعمال لهذه المادة اللغوية كان مع الذهب والفضة ثم أستعمل ليذل بعدها على معاني مشتركة في خصائص منها: الانتهاء من الشيء وإفراغه في قالب والوصول به إلى شكل معين.

2 - السبك اصطلاحاً: يمكن اعتبار السبك **Cohesion**^(*) تلك الوسائل اللغوية التي تتحقق بها الاستمرارية والاتصال لظاهر النص، والمقصود بظاهر النص الأحداث اللغوية التي نطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها بما هي كمّ متصلّ على صفحة الورقة،⁽³⁾ فهي البداية للتشكل النصي في إطار العلاقات الظاهرة، فالسبك بذلك هو " التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص/الخطاب، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من نص أو نص برمته"⁽⁴⁾. فمعيار السبك - وفق هذا التعريف - يرتبط بالعلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر الشكلية للنص التي تؤدي إلى التواصل والتتابع الرصفي والترابط

(*) وعند المحقق، عبد السلام هارون: في هامشه: في الأصل "إنهاء الشيء".

(1) ابن فارس (أبي الحسين أحمد): مقاييس اللغة، تج: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج3، ص 129.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص: 1748.

(*) ترجم مصطلح: " Cohesion " إلى اللغة العربية بترجمات عدة منها: السبك (تمام حسان جميل عبد المجيد) أو الترابط النصي (أحمد عفيفي) أو التماسك الشكلي (صبحي الفقي)، أو التضام (إهام أبو غزالة) أو الاتساق (مُجَدَّ خطايي / مُجَدَّ خضر الصبيحي).

(3) أشرف عبد البديع عبد السميع: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2008، ص 78.

(4) مُجَدَّ خطايي: لسانيات النص، ص 05.

بين أجزاء النص⁽¹⁾، فالسبك بذلك هو مظهر من مظاهر عملية إنتاج النص الكبرى، ويمثل مرحلة التعبير التي يتم تحويل المحتوى المتراكم إليها⁽²⁾.

يتبين لنا أن التعريفين - اللغوي والاصطلاحي - يترابطان في نقطة أساسية وهي الهدف الأخير المتمثل في الانتهاء من السبك مع المعادن ليخرج الشيء المسبوك في سبيكة، هذا في المفهوم المعجمي، ومع المفهوم الاصطلاحي نصل بالتراكيب والعبارات المسبوكة إلى نص متكامل مترابط، فكما يتماسك معدن السبيكة في شكل واحد يشد بعضه بعضاً، تتماسك أجزاء النص في كل موحد مترابط الأجزاء محكم يشد بعضه بعضاً.

واعتمدت مصطلح " السُّبْك " بدل المصطلحات الأخرى مثل الاتساق، التماسك الشكلي وغيرها من المصطلحات، لأن هذا المصطلح وجد في المنظومة العربية القديمة، خصوصاً منها البلاغة والنقد العربي، يقول الجاحظ في حديثه عن أجود الشعر: "وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان"⁽³⁾. ويقول أبو هلال العسكري في حديثه عن أبيات شعر أوردها في كتابه: " فهذه الأبيات جيدة السُّبْك حسنة الرصف"⁽⁴⁾.

وإطلاق " السبك " بدل " الاتساق " رغم انتشار هذا الأخير كمصطلح في اللسانيات النصية، يرجع إلى أن تأليف " أضواء البيان " كان سابقاً " للسانيات النصية " باعتباره علمًا من العلوم، لذلك آثرت استعمال السبك بدل " الاتساق " .

ثانياً : عناصر السبك من خلال كتاب " أضواء البيان " :

لعناصر السبك دور في بيان الترابط النصي، لذلك فإن الشنقيطي استعان بأهم هذه العناصر لإيضاح المعاني القرآنية واستنباط الأحكام الشرعية والتي من خلالها يتبين مدى ترابط النص القرآني وتماسك آياته وسوره، ومن أهم العناصر التي كان لها الأثر البارز في بيان التماسك النصي من خلال تفسيره، هي : الإحالة والعطف والحذف.

(1) ينظر : عادل مناع ، نحو النص ، اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2011 ، ص 61 .

(2) أنظر : حسام أحمد فرج ، نظرية علم النص - رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط 2 ، 1430-2009 م، ص 78.

(3) الجاحظ (عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط 1، 1968، ج 1، ص: 49-50.

(4) الحسن بن عبد الله (أبو هلال العسكري): الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: محمد الجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1419، ج 1، ص: 169.

الفصل الأول:

الإحالة

1 : تعريف الإحالة:

تعتبر الإحالة أحد أهم عناصر الدمج اللغوية، إذ تعد مادة أولية يتكئ عليها محلل النص كي يثبت مدى ترابط نصه، وهي من أهم الأدوات التي تحقق هذا التماسك و"تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة"⁽¹⁾ يقول "جون لوينز" في سياق حديثه عن المفهوم التقليدي للإحالة "تعتبر الجملة الأولى في النص أساس العناصر اللغوية ترتبط هذه العناصر بعلاقة اسنادية ثم تمتد تلك الجملة في النص وقد يحتاج المتكلم للرجوع إلى تلك العناصر الأساسية بغية توضيحها أو التركيز عليها لعلاقتها بالمعاني النصية، وهنا يكون صاحب النص بين أمرين : إما أن يعيد ذكر العنصر السابق بلفظه، أو أن يستعين بعنصر يؤدي وظيفة: إنها العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها"⁽²⁾، إذ إن الأسماء تحيل إلى المسميات ، وتطلق تسمية العناصر الإحالية -حسب الأزهر الزناد "على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص"⁽³⁾ ، ويتصل "النص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محال ومحال إليه، وكلاهما يمتلك نفوذا داخل النص، وتحديدتهما موكول إلى ثقافة المتلقي، وسياق النص"⁽⁴⁾.

وقد تطرق ميرفي **Murphy** إلى الإحالة، و رأى أنها "تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمنا في النص الذي يتبعه، أو الذي يليه"⁽⁵⁾، وذلك أن العنصر المحال يعتمد على عنصر آخر محال إليه بحيث لا يمكن فهم الأول إلا بالعودة إلى ما يحال عليه، إذ أن العناصر المحالة لا تملك دلالة مستقلة عن غيرها بل هي تابعة في دلالتها إلى عناصر أخرى.

ولذلك عدت الإحالة علاقة بين العبارات والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص، أمكن أن يقال عن... العبارات إنها ذات إحالة مشتركة، ومع أن هناك أنواعا كثيرة من الإحالة المشتركة، فإنه قد اكتشف بأن الاشتراك في الإحالة من خلال الألفاظ الكنائية فقط، والألفاظ الكنائية من

(1) محمد خطابي، لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 17.

(2) براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د. ط)، 1417هـ-1997م، ص: 36.

(3) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 118.

(4) فتحي رزق الله الخوالدة، تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، أزمنا للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2006، ص: 45.

(5) ربما سعد سعادة الجرف، مهارات التعرف على الترابط في النص، مجلة رسالة الخليج العربي، ع 07، د.ت، ص: 82.

حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة، وبهذا تختلف الألفاظ الكنائية عن هذه العبارات بطرق نظامية⁽¹⁾.

وتعد الألفاظ الكنائية من حيث إمكانية التطبيق مما له مدى أوسع، حيث تخضع لقيود على ورودها حتى لا يتحول الفهم إلى إشكال لا ضرورة له، وتعد الضمائر أشهر أنواع من الكلمات الكنائية⁽²⁾، وقد استعمل الباحثان "هاليداي و"رقية حسن" مصطلح الإحالة استعمالاً خاصاً، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها، لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتمتلك كل لغة على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة⁽³⁾، وهي أهم وسائل التماسك الحالية، وإذا ظهر من خلال كلام هاليداي أن الإحالة ترتبط بالنص وكلماته من حيث ترابطها الشكلي، الملحوظ، فإنه لا بد أن يكون هذا الظاهر مطية لتماسك المفاهيم، لأن الترابط الدلالي هو الغاية والهدف الذي به نستخرج المعاني الأساسية للنص إذا اكتشفنا ترابطه بنوعيه، لهذا فأهمية الإحالة تبرز من جانبين، وقد ركز هاليداي ورقية حسن على التماسك الشكلي ولم يعيرا التماسك الدلالي عن طريق الإحالة كثير اهتمام في كتابهما "Cohesion In English"⁽⁴⁾.

2- أنواع الإحالة:

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين:

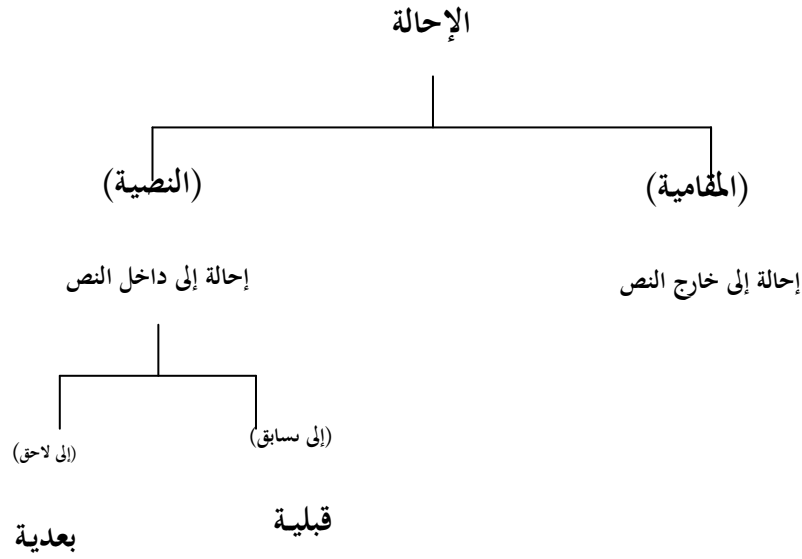
إحالة مقامية وإحالة نصية وهذه الأخيرة تنفرع إلى: إحالة قبلية وإحالة بعدية، والرسم التالي يوضح أنواع الإحالة:

(¹) أنظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418-1998، ص: 320.

(²) أنظر: المرجع نفسه، ص: 320-321.

(³)M,A,K, Halliday. Ruqaiyahasana, Cohesion In English,Longman, London, New York, 1976,PP 31.

(⁴)M,A,K, Halliday. Ruqaiyahasana, Cohesion In English,Longman, PP 31 -86.



يتضح من هذا الشكل أن الإحالة تنقسم إلى قسمين: إما إحالة خارج النص وإما إحالة داخل النص، ورغم الاختلاف بينهما إلا أنهما تشتركان في وجود عنصر محال إليه في مكان آخر، وهذا ما سيظهر من خلال تحديد مفهوم كل نوع.

2-1 الإحالة المقامية (خارج النص) :

وتسمى أيضا إحالة خارج النص، أو الإحالة إلى غير مذكور كما يسميها الدكتور "تمام حسان" ترجمة لمصطلح دي بوجراند "Expboric Référence"، وهي ترجع إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب⁽¹⁾، وبذلك فإن هذا النوع من الإحالة يمكن أن يحدث نوعا من التفاعل بين النص والخطاب والموقف السياقي.

ويعرفها "الأزهر الزناد" بقوله: «هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه، فهو يمكن أن يحل عليه المتكلم»⁽²⁾، بحيث تكون الإشارة إلى خارج النص، ولا يتم هذا النوع من الإحالة إلا بمعرفة الأحداث وسياق الحال، والمواقف التي تحيط بالنص أو الخطاب، حتى يمكن معرفة الشيء المحال

(1) دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 332.

(2) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 119.

إليه، ولهذا يجعلنا نُبرز الأهمية الكبرى لمعرفة مناسبات النزول في دراستنا للنص القرآني، إذ كثيرا ما يصعب علينا تحديد عودة الضمير بسبب عدم معرفة سبب النزول، أما النموذج الأكثر دقة لهذا النوع من الإحالة إلى غير مذكور ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الآية: -16 الجن).

أخرج عن مقاتل أن هذه نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين،⁽¹⁾ فقد كانت إلى المشركين من كفار قريش، وقد كانت الإحالة كالاتي :

إحالة خارج النص القرآني

المشركون من كفار قريش ← استقاموا (الواو) ، أسقيناهم (هم).

و مما لا شك فيه أنه عن طريق هذا النوع من أدوات الاتساق تصبح الآيات مترابطة ومتراصة من الناحية الشكلية وتنتقل بها إلى تلاحم وترابط دلالي على مستوى الآية الواحدة والسورة والنص القرآني بأكمله .

ومن أمثلة الإحالة خارج النص قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الآية: 1-3 الكوثر)، فلفظ رسوله الله ﷺ لم يصرح به في هذه السورة ، ومن هنا فمرجعية الضمير المذكور تحيلنا خارج السورة فكانت كالاتي :

الرسول ﷺ ← إحالة خارج النص

إنا أعطيناك / الكاف

فصل / الضمير

لربك / الكاف

انحر / الضمير

شأنك / الكاف

¹ السيوطي (جلال الدين) : أسباب النزول (لباب النقول في أسباب النزول)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1422-2002، ص: 277.

يتضح من خلال الإحالة المقامية أن معرفة أسباب النزول من الأمور التي يجب أن تتوفر في محلل النص حتى يدرك الشيء المحال إليه، وعدم إدراكه لهذه المناسبات يعني عدم قدرته على استخراج وسائل تماسك النصوص وتربطها ترابطاً داخلياً في علاقاتها بالإحالات الخارجية المكونة للمعنى العام للسورة والنص القرآني بأكمله.

2-2 الإحالة المقالية (داخل النص):

للإحالة النصية دور هام في خلق ترابط كثير من جزئيات النص، ذلك أنها تحيلنا إلى ملفوظ آخر داخل النص، ومن ثم فهي تعتبر مساهمة فعلية حقيقية في اتساق النص، فوجودها يبعد تشتت النص، فهي رابط يقوي أواصر العناصر المتباعدة إذ هي بمثابة صدى لوجهه، بحيث لا يفهم هذا الوجه إلا بالعودة إلى مصدر الصدى، وفي هذا النوع من الإحالة لا بد للمتلقي من العودة إلى العناصر المحال إليها، فهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، فهي إحالة نصية، وتنقسم بدورها إلى قسمين⁽¹⁾:

أ- الإحالة القبلية *Anaphora*:

وهي إحالة على سابق أو إحالة بالعودة، وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة⁽²⁾، وتعود على مُفسِّر سبق التلفظ به⁽³⁾، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد الضمير، وقد لاقى هذا النوع من الإحالة اهتماماً كبيراً عند النحاة العرب، وذلك عندما اشترطوا رجوع الضمير المطابق للاسم إذا كان بين الجملتين رابط⁽⁴⁾، واشترطوا أيضاً عودة الضمير على مرجع واحد سابق له لأن هذا هو الأقرب في الكلام، وذلك "لأن الضمائر كلها يشوبها عيب واضح؛ هو: عموم يخالطه إبهام تحتاج معها إلى تخصيص وتوضيح"⁽⁵⁾ فلا بد لهذه الضمائر من شيء يزيل الإبهام ويفسر الغموض، وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، وهو الإحالة التكرارية (*Epanaphora*)، وتمثل

(1) الأزهري الزناد، نسيج النص، ص: 118.

(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م، ص: 38.

(3) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، ص: 117.

(4) السيوطي (جلال الدين): الإتيان في علوم القرآن، المكتبة الوقفية، بيروت، (د.ط)، 1973، ج3، ص: 281.

(5) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط6، (د.ت)، ص: 119.

الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام⁽¹⁾، وأمثلتها في القرآن الكريم كثيرة جدا، منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الآية: 21- الروم)، حيث أحال اسم الإشارة "ذلك" على ما تقدم من خلق الأزواج وما جعل بينهم من مودة ورحمة. ومنها قوله تعالى من سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ (الآية: 1-4- الفيل)، فقد ذكر "أصحاب الفيل" في بداية السورة صراحة، وذلك في الآية الأولى، وذكرت بعدها الضمائر متأخرة عن المحال إليه، ولهذا كانت الإحالة، إحالة داخلية على لفظ سبق ذكره، والسورة تحدثت عن قضية إيمانية عقديّة من خلال ذكر الأقوام السابقة وما حدث بسبب عنادهم ووقوفهم في وجه الحق، فأرادوا هدم البيت العتيق فجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم رينا طيرا أبابيل، هذه الطير ترميهم بحجارة من سجيل، فكانت النتيجة أن كانوا كالعصف المأكول، فترابطت آيات هذه السورة شكليا عن طريق ضمير الإحالة، وبما أن ذكر أصحاب الفيل كان في بداية السورة؛ أي داخل النص، فقد جاءت الضمائر التي أحالتنا إليهم كلها ذات مرجعية سابقة مما جعل السورة وحدة مترابطة شكلا ومعنى من خلال حديثها عن قضية واحدة فكان الشكل الآتي:

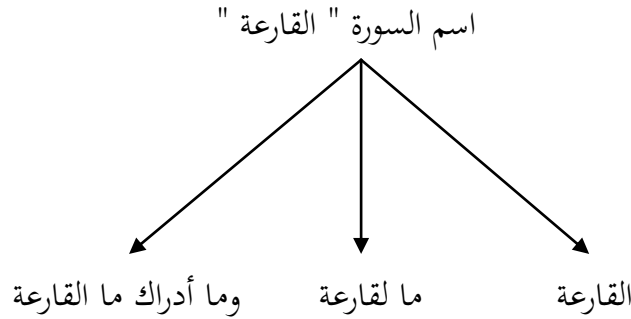
إحالة قبلية

أصحاب الفيل → الضمير هم في قوله تعالى: (كيدهم، عليهم، ترميهم، جعلهم).

(1) الأزهر الزناد، المرجع نفسه، ج4، ص: 119.

ب- الإحالة البعدية:

أو الإحالة على لاحق (Catafora): وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة⁽¹⁾، بحيث تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحقاً عليها⁽²⁾، والأصل في عود الضمير أن يرجع إلى متقدم في الذكر؛ لأن الضمائر بطبيعتها ملبسة، فلا تتقدم على مراجعها، بل ينبغي أن تتقدم تلك المراجع لفظاً، أو معنى، أو حكماً؛ "لأنك إذا قلت: قاموا، وما أشبهه، احتمال الزيد، والعمير، والمسلمين، والمشركين، فأرادوا ألا يعيدوها إلا على ما يتقدم ذكره دفعاً لهذا الإلباس"⁽³⁾، ويجوز أن يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة في حالات معينة، وأبرز أبواب النحو العربي توضيحاً لهذه الحالات "ضمير الشأن"⁽⁴⁾، ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (الآية: 01-الإخلاص)، فالضمير "هو" وهو ضمير الشأن يحيل إلى لفظ الجلالة (الله)، ومثال الجمل والعبارات؛ الجمل التفسيرية التي تفسر جملة أو عبارة، كما في أسماء السور والجمل الأولى منها، بل أحياناً الكلمة الأولى منها⁽⁵⁾، من أمثلة ذلك سورة القارعة، قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (الآية: 1-3-القارعة)



(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 40.

(2) أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 117.

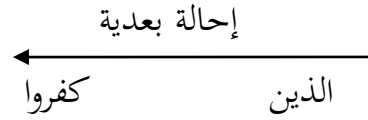
(3) أبو عمرو عثمان بن الحاجب، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قداره (عقمان: دار عمار، بيروت: دار الجيل، 1989، ج2، ص 772.

(4) صبحي إبراهيم الفقي، نفس المرجع، ص: 40.

(5) المرجع نفسه، ص: 40.

فهذه السورة المباركة تعالج قضية إيمانية وهي يوم القيامة، فجاءت اسم السورة "القارعة" وكانت مرجعيات بعدية لألفاظ من جنسها ذكرت داخل هذه السورة، وعملت على تماسك اسم السورة ومحتواها والآيات الأولى منها بهذا النوع من الإحالة.

ومن أمثلة الإحالة إلى شيء سيذكر لاحقاً قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الآية: 01 - الأنعام)، هذه الآية قد احتوت على اسم موصول جاء بصيغة (الذين) والمعلوم أن وجود اسم الموصول يجعل من الإحالة تعود على لاحق.



والآية نفسها تحمل إحالة سابقة بالضمير "هم" في قوله تعالى: (كَفَرُوا)، فتبين أن الموصولات تحمل الإحالة النصية بنوعيتها القبلية و البعدية .

ومن أمثلة ذلك أن يكون مبتدأً يفسره خبره الذي يأتي بعده، مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ (الآية: 29 - الأنعام) فالمبتدأ جاء ضميراً منفصلاً يحيلنا إلى كلمة "حياتنا" التي ذكرت بعدها، فهي نوع من المرجعية اللاحقة المساهمة في تماسك الآية داخلياً.

ومن أمثلة الإحالة البعدية التي استخدمت فيها أسماء الإشارة إلى شيء مهم، أو ذي قيمة، أو مقدس، أو محترم، ومن ذلك التي أشير فيها بـ "ذلك" للقرآن الكريم المعبر عنه بالكتاب، لعلو منزلته، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الآية: 02 - البقرة)

وسنحاول في هذا الجزء أن نثبت مدى أهمية الإحالة وكيف استعان بها الشنقيطي في فهم وتفسير النص القرآني، ونوضح بالشرح والتمثيل والبرهان كيف تسهم أنواع الإحالة المختلفة (من ضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة) في فهم النص القرآني، وبيان تماسكه واحتباك عناصره، سواء أكانت تلك الإحالة قبلية أم بعدية، من خلال السورة الواحدة أو أجزاء من السور، أو النص القرآني بمجموع آياته وسوره.

3- أدوات السبك الإحالية في تفسير أضواء البيان :

أ - الضمائر: تقوم الضمائر في نظر علماء لسانيات النص بدور فعال، مع عناصر الإحالة الأخرى، في سبك النص لذا كانت لها أهمية بالغة في أبحاثهم ، وتنقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا- أنت- نحن- هو- هم- هن... إلخ، وإلى ضمائر ملكية مثل : كتابي- كتابك- كتابنا... إلخ⁽¹⁾، وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية السبك، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، والمخاطب، وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النص أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به، ولا يخلو النص من إحالة خارج النص تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب (أنا، نحن)، أو إلى القارئ (القراء) بالضمائر (أنت، أنتم) "هذا بالنسبة لأدوار الكلام"⁽²⁾.

أما في ما يخص الضمائر التي لها دور هام في السبك النصي، فهي ضمائر الغيبة؛ أفرادا وثنائية وجمعا (هو، هي، هم، هن، هم)، وهي تحيل قبلها بشكل نمطي إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه.

لذلك نعتبر أن إحالة ضمائر التخاطب إحالة مقامية (خارج النص) ولا يمكن أن تكون مقالية (داخل النص) فإنها لا تقوم بتحقيق تناسق النص، أي أنها لا تربط اللاحق بالسابق أو بعبارة أخرى لا يكون مفسرها مقاليا، وأن إحالة ضمائر الغائب إحالة مقالية ولا يمكن أن تكون مقامية، وبالتالي فهي تسهم دوما في تحقيق تناسق النص أو بعبارة أخرى، يكون مفسرها مقاليا دائما، لأنها تربط دائما لاحقا بسابق⁽³⁾، فالدور الهام في اتساق النص بالنسبة للضمائر يكمن في ضمائر الغيبة.

-الضمائر الإحالية عند الشنقيطي:

أشار محمد الأمين الشنقيطي إلى هذا النوع من الضمائر لأهميته، باعتباره مرجعا يغني عن تكرار ما عاد إليه، والأمر الذي ييسر على المفسر ربط عناصر النص ببعضها ببعض.

(1) محمد خطايي، لسانيات النص، ص: 18.

(2) المرجع نفسه ص: 18.

(3) محمد الشاوش أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية " تأسيس نحو النص " المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 1421-2001، ج1، ص: 127.

ويعد تحديد مرجع الضمير من المسائل الملحة في اللغة العربية، حيث إن المفسرين وضعوا قاعدة مهمة من القواعد التي يحتاجها مفسر القرآن الكريم، وذكر أنه لا بد للضمير من مرجع⁽¹⁾ وقد تنبه الشنقيطي إلى الدور البارز لمرجع الضمير وبين في مقدمة أضواء البيان أن من أنواع البيان تحديد مرجع الضمير، حيث قال: "ومن أنواع البيان في القرآن الكريم؛ بيان الإجمال الواقع بسبب احتمال في مفسر الضمير "هو" ، ومن أمثلته قوله تعالى في سورة العاديات ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (الآية: 07- العاديات)، فإن الضمير يحتمل أن يكون عائداً إلى الإنسان وأن يكون عائداً إلى رب الإنسان المذكور في قوله: "إن الإنسان لربه لكنود" العاديات (الآية: 06)، ، وإنه لحب الخير لشديد" العاديات (الآية: 08)،⁽²⁾ إذ يعقب الشنقيطي بقول: فإنه للإنسان بلا نزاع، ثم ذكر بعده أنه لا يليق بالنظم الكريم تفريق الضمائر بجعل الأول والثاني للإنسان⁽³⁾، فمرجعية الضمير عملية تدفع المتلقي إلى أن ينهج مسار الاستدلال للوصول إلى النتيجة لأن معنى الضمير وظيفي فهو لا يدل دلالة معجمية إلا بالرجوع إلى المحال إليه، وبالرجوع إلى كتاب أضواء البيان نجد أن الشنقيطي توقف عند هذه الضمائر مبرزاً مرجعياتها، مبيناً وموضحاً العلاقة الرابطة بين هذه الضمائر وما تحيل إليه، وتنوع الضمائر في كتابه جاء كآتي:

أ- الضمائر ذات المرجعية الواحدة:

تتفرع الضمائر في العربية حسب وجودها في المقام إلى ضمائر الحضور، وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام ويشاركه فيه وهو المتقبل⁽⁴⁾ والنماذج الآتية تبين مدى اعتماد الشنقيطي على مرجعية الضمير لفهم وتفسير النص القرآني:

أ/ 1- التشكيل الإحالي بضمائر الحضور:

ضمائر الحضور شأنها شأن مظاهر التعريف في النصوص تشرط علم المخاطب بما أضمر ويعلم المتكلم أن المخاطب على علم بذلك، حتى يتحقق التماسك النصي، وهذا ما نجده في قول سيبيويه الذي يؤكد هذا: "وإنما صار الإضمار معرفة لأنك إنما تُضْمِرُ اسماً بعدما تعلم أن من

¹ - السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج 1، ص: 597.

² - الشنقيطي: (مُجَدُّ الأَمِينِ بن مُجَدِّ المُخْتَارِ الجُنَكِيِّ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط 1، 1426، ج 1، ص: 09.

³ - المرجع نفسه، ج 1، ص: 09.

⁴ - الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 110.

يُحَدِّثُ قد عرف من يعني وما تعني، وأنتك تريد شيئاً يعلمه⁽¹⁾، والمعروف أن ضمائر المتكلم تفتقر إلى متكلم وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب، فيكون المتكلم بمثابة المرجع لضميره، ويكون المخاطب كذلك⁽²⁾ ويندرج تحت ضمائر الحضور، ضمائر المتكلم (مفرد-وجمع) وضمائر المخاطب بكل أنواعها (مفرد ومثنى وجمع)، والأصل أن يكون لدى المفسر أدوات التفسير التي بها يرفع الإبهام عن معنى المضمّر، وغالبا ما تكون هذه الأدوات مقامية تتعلق بأسباب النزول والمكي والمدني.

ويرى ابن جني أن الضمائر في حاجة إلى المفسر لتعيين الشخص وتخصيصه فيقول: "لا يُضْمَرُ ما لا دليل عليه ولا تفسير له"⁽³⁾، والأصل في المفسر الذي يرفع الإبهام عن معنى المضمّر أن يكون مقاميا حضوريا قائما على شهادة الحال في ضمائر المتكلم والمخاطب، ومقاليا قائما على التقدم في الذكر في ضمائر الغائب.

1- التشكيل الإحالي بضمائر المتكلم:

أ- التشكيل الإحالي بضمائر المتكلم المفرد:

نبداً التحليل بالتمثيل لضمائر المتكلم المفرد، وهي الضمائر المؤدية إلى تماسك النص بحيث يستعين الشنقيطي بالمحال إليه لبيان معنى الآيات القرآنية، ويكشف لنا ترابطها الشكلي حيث يصل المتلقي إلى فهم النص والوصول إلى العلاقات الداخلية بين أطرافه.

النموذج الأول: من الضمائر المتكلم المفرد التي تتشكل بها الاحالة النصية الضمير المنفصل

(أنا) في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (الآية: 19 - مريم)

ذكر الشنقيطي أن الله ﷻ ذكر في هذه الآية الكريمة أن ذلك الروح الذي هو جبريل قال لها (مريم عليها السلام) إنه رسول ربها ليهب لها؛ أي ليعطيها غلاماً؛ أي ولدًا زكياً، طاهراً من الذنوب والمعاصي كثير البركات⁽⁴⁾.

¹ - سيبويه (عمر بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408-1988، ج 2، ص: 06.

² - تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب القاهرة، ط 1، 1993، ج 1، ص 138.

ملاحظة/ يرى الباحث "محمد الشاوش" أن الربط النصي بالضمائر يتحقق بضمائر الغائب دون ضمائر المتكلم والمخاطب، أي أن ضمائر الغائب هي وحدها من بين الضمائر الأخرى التي تلعب دور الاحالة (أنظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 2، ص 595).

³ - ابن جني، (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ج 1، ص 104.

⁴ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج 4، ص: 298.

فضمير المتكلم المفرد (أنا) أرجعه الشنقيطي على جبريل عليه السلام وبه تشكلت الإحالة، وجبريل عليه السلام لم يذكر باسمه في هذه الآية ولا الآية السابقة، والذي ذكر هو صفة من صفاته في الآية السابقة، وهذه الصفة هي (روحنا) في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ (الآية: 17 مريم)، وقد استعان الشنقيطي في إيضاح معنى كلمة "روحنا" إلى أظهر أقوال المفسرين لهذه الآية، واعتمد كذلك على السياق القرآني لترجيح المعنى، سواء في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الآية: 193- الشعراء) أو سورة النحل في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (الآية: 102- النحل)، فعاد بذلك ضمير المتكلم "أنا" على جبريل عليه السلام في الآية التي سبقت الضمير فكانت إحالة داخلية على سابق، وهو كما يظهر ضمير بارز يدل على المتكلم المفرد.

روح القدس → يعود على — أنا

جبريل عليه السلام إحالة داخلية على سابق

وتمثلت العوامل المساعدة على فهم المعنى واستخراج العائد في الآتي:

- أبرز أقوال المفسرين

- السياق اللغوي القرآني

ومن نتائج استخراج العائد لدى الشنقيطي؛ هو الربط الإحالي والتماسك الذي حصل بين الآيات.

النموذج الثاني: ومن ضمائر المتكلم المفرد التي تتشكل بها الإحالة ويستعين بها الشنقيطي،

لفهم معاني الآيات والربط بينها، الضمير المستتر العائد على المتكلم المفرد، نحو قوله تعالى:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (الآية: 29- غافر).

فالضمير المستتر في لفظ "أريكم" و"أهديكم" يعود على فرعون بعد أن ذكره في بداية الآية.

وبما أن الضمير يمثل أحد أهم أدوات الربط البيانية غير الملفوظة فإن الشنقيطي هنا استعان بها لفهم مدلول الآية، وتبيان العلاقة الرابطة بين جزئياتها المكونة لها، فهذه الضمائر المستترة تعود على صاحب الخطاب المفرد الذي أراد أن يوهم الناس بعلمه وإرشادهم ولما كان الإضمار باعتباره

عملية إخفاء تقابل الإظهار، إبهام يقابل البيان، وهو لا يحدث ولا يستقيم أمره إلا بعد أن يتوافر شرطه، وشرطه رفع الإبهام لكي لا ينتقض الغرض من الكلام الذي هو الإبانة⁽¹⁾ فقد ذهب الشنقيطي إلى أن "أرى" في هذه الآية الكريمة علمية عرفانية تتعدى لمفعول واحد، وعليه فإن المعنى عنده: قال فرعون ما أعلمكم وأعرفكم من حقيقة موسى.. خوف أن يبذل دينكم ويظهر في أرضكم، إلا ما أرى أي أعلم⁽²⁾، أنا الذي أحدثكم، وما أهديكم بهذا إلا إلى طريق الصواب، فهذه الضمائر المستترة تعود على المتكلم المفرد وهو فرعون وقد بينت هذه الضمائر الإحالية القبلية قريبة المدى تماسك الآية الكريمة، واستعان بها الشنقيطي في بيان دلالة الآية فكانت كالآتي:

فرعون → ما أرىكم (العنصر المحيل ضمير مستتر)
 وإحالية قبلية قريبة المدى وما أهديكم (العنصر المحيل ضمير مستتر)

ومن العوامل المساعدة على فهم وبيان المحال إليه نجد سياق الآية الكريمة التي ذكر فيها فرعون، ومن نتائج بيان العائد أن المفسر بعد أن بين المحال إليه، عمل على دحر هذه الافتراءات، وبالاعتماد على السياق القرآني العام وضح كذب فرعون من خلال نصوص قرآنية أخرى:⁽³⁾

الأول منها: وهو يقول "ما أرىكم إلا ما أرى" فقد بين تعالى كذبه وأوضح أنه يعلم ويتيقن أن الآيات التي جاءه بها موسى حق وأنها ما أنزلها إلا الله في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (الآية: 14 - النمل)، وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن فرعون وموسى عليه السلام.

والثانية منها: قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (الآية: 29، غافر)، وقد بين الله كذبه في سياق نص قرآني آخر من سورة طه وسورة هود في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (الآية: 97 - هود) وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (الآية: 79 - طه)، فالضمير المستتر في قوله تعالى: "ما أرىكم"، و"وما أهديكم" بين الشنقيطي أنه يعود

¹- محمد الشاوش أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج 2، ص: 1110.

²- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج 4، ص: 92، 93.

³- المرجع نفسه، ج 7، ص 93، 94.

على المحال إليه فرعون، ومعرفة العائد أدت بالمفسر إلى التعمق في التفسير وبيان الدلالة واستخراج نصوص قرآنية أخرى جاءت في السياق القرآني العام، لبيان مدى الترابط بين أجزاء النص القرآني، وأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وفائدة ضمائر المتكلم المفرد الإحالية أنها تربط أوصال النص فتجعله ملتحمًا متماسكًا بألفاظه ومنسجمًا بمعانيه.

ب- التشكيل الإحالي بضمائر المتكلمين:

من الضمائر الوجودية المؤدية إلى الاتساق الضمائر التي تحيل المفسر إلى المتكلم الجمع، حيث أن الكشف عن المحال إليه يسهل على المفسر بيان المعنى وإيضاح دلالة الآيات القرآنية، ومن هذه الضمائر الوجودية العائدة إلى مجموع المتكلمين الضمير "نحن"، التي لا يمكن أن تحمل إلا دلالة (أنا+هم) أو (أنا+أنتم).

- نحن معشر الأنبياء لا نورث (أنا+هم)

- نحن القاصدين بيت الله نقرر التوبة (أنا+أنتم)⁽¹⁾.

النموذج الأول: نستطيع أن نمثل للضمير العائد على المتكلمين في تفسير أضواء البيان بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الآية: 83- المؤمنون).

يعود الضمير "نحن" في هذه الآية على جزء من آية سابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (الآية: 74- المؤمنون) وهم الكفار، حيث يقول الشنقيطي: أن الكفار المنكرين للبعث قالوا: إنهم وعدوا بالبعث ووعد به آباؤهم من قبلهم، وإن البعث الذي وعدوا به هم وآباؤهم كذب لا حقيقة له، وأنه ما هو إلا أساطير الأولين⁽²⁾.

ففي الآية إحالة بعيدة المدى كان ضمير "نحن" فكانت كالاتي:

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (الآية: 74- المؤمنون) ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ﴾ (الآية 83 المؤمنون)

إحالة قبلية بعيدة المدى.

¹- ينظر: مجّد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص 1091، 1092.

²- الشنقيطي، أضواء البيان، ج 5، ص: 888.

والذي ساعد على بيان أن الضمير يعود على الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة هو تتابع الآيات بداية من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (الآية: 74- المؤمنون)، إلى أن ذكر الضمير "نحن" (الآية: 83)، فجاءت الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ﴾ (الآية: 75).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ﴾ (الآية: 77)

وقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (الآية: 81)

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الآية: 82).

ثم تأتي الآية التي تحوي ضمير الإحالة نحن في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الآية: 83).

وتحول الضمير في الآيات ساعد أيضا الشنقيطي معرفة العائد في ضمير الإحالة نحن لأن البداية

كانت بذكر: الذين لا يؤمنون بالآخرة ثم جاءت ضمائر الغيبة في قوله تعالى: - "رحمناهم"

- "كشفنا ما بهم"

- "أخذناهم"

- "فتحننا عليهم"

ثم جاءت ضمائر مستترة تعلقت بالغائب والمتكلمين هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة، في قوله تعالى:

- ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾.

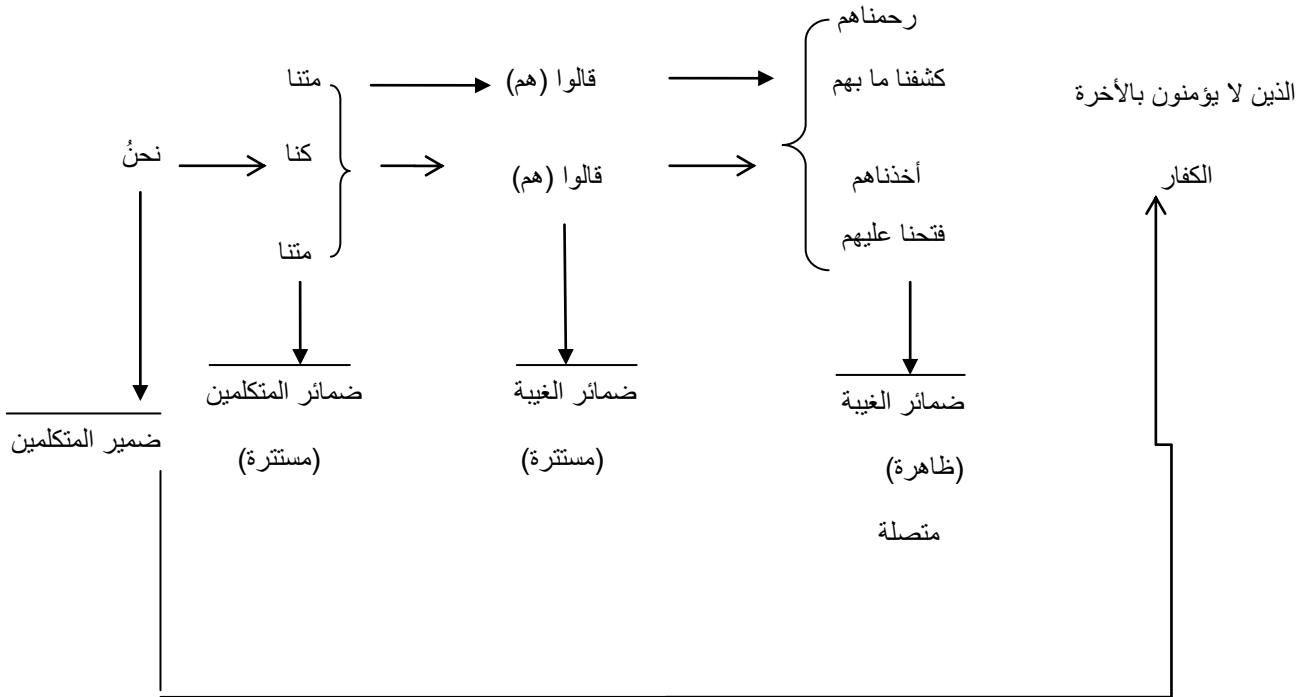
هم

- ﴿قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾.

هم نحن نحن

(ضمائر مستترة)

ثم جاء ذكر ضمير المتكلمين المنفصل نحن في قوله تعالى: "وعدنا نحن وآباؤنا"، فشكلت مجموع هذه الآية وحدة موضوعية متماسكة بالضمائر على الشكل الآتي:



ضمير المتكلمين نحن يعود على الذين لا يؤمنون بالآخرة

فرغم تحول الضمير من ضمائر الغيبة المتصلة التي ضمائر الغيبة المستترة إلى ضمائر المتكلمين المستترة إلى ضمير المتكلمين المنفصل الظاهر نحن، إلا أن هذه الضمائر في تحولها ساهمت في تمسك هذه الآيات المتتابعة وشكلت وحدة موضوعية محورها حديث عن "الذين لا يؤمنون بالآخرة" وتتابع هذه الآيات سهل على المفسر رد ضمير المتكلمين "نحن" إلى ما يحيل إليها، فاتضحت بذلك دلالة الآيات.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ (الآية: 203 - الشعراء)، نجد

الضمير الظاهر (نحن) "دون الضمير المتصل (نا) كما في الآية السابقة، ويعود الضمير "نحن" على لفظ "المجرمين" المذكورة في الآيات السابقة، كما ذهب إلى ذلك الشنقيطي في تفسيره لهذه الآيات⁽¹⁾، واستعان كذلك في بيان دلالة هذه الآيات برد الضمير إلى عبارة "الذين ظلموا" المذكورة في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آجِرْنَا إِلَى آجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَفْسَحْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص: 422، 423.

(الآية: 44- إبراهيم)، ونشير هنا إلى أهمية الضمير ودوره في تماسك الآيات، حيث إنه أحالنا على لفظ ذكر سابقا "المجرمين" فكان التشكيل الإحالي الآتي:

لفظ "المجرمين" (الآية: 20 - الشعراء) ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ (الآية: 203 - الشعراء).
 → إحالة على سابق ضمير المتكلمين

وأكد الشنقيطي أن المحال إليه لفظ "المجرمين" المذكور في آية من سورة إبراهيم كما ذكر سابقا، وبذلك يكون للسياق القرآني دور عند الشنقيطي في رد المحال إليه إلى صاحبه وتأكيده.

النموذج الثالث: قد يستعمل في القرآن الكريم الضمير المنفصل "نحن" والضمير المتصل (نا) الدال على الجمع لكي يكون للتعظيم إذا كان المتكلم مفردا، وقد يقصد به الذات الإلهية، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ (الآية: 40 - مريم). فالمراد بالضمير (نا- نحن) التعظيم لاستحالة التعدد أو إرادة معنى الجمع، لأنها تتعلق بالله ﷻ، حيث يذهب الشنقيطي في هذه الآية إلى أن الله عز وجل هو الذي يرث الأرض ومن عليها، وأنه يميئُ كل الخلائق الساكنين بالأرض، ويبقى هو جلَّ وعلا لأنه الحي الذي لا يموت ثم يرجعون إليه يوم القيامة⁽¹⁾ فكان التشكيل الإحالي كالآتي:

الله جل جلاله
 المحال إليه
 إحالة خارجية
 الضمير العائد
 إنا نحن

واستحالة معنى الجمع أو التعدد في هذه الآية على الرغم من استعمال ضمير المتكلمين (نحن) و(نا)، لا يؤثر في التشكيل الإحالي وترابط الآيات، بل يتشكل المعنى وترابط الآيات لأن معيار هذا التشكل، في معرفة المحال إليه، هل هو جمع أم غير ذلك، فكلاهما تتشكل بهما الإحالة الداخلية كما في الآيات السابقة أو الخارجية كما في هذه الآية عندما تحدث الله عز وجل عن ذاته، أو غيرها من الآيات والتي منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الآية 09- الحجر)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۗ﴾ (الآية: 12

¹ -الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص:354.

يس) فمتى وجد الضمير كان لزاما على المفسر رده إلى المحال إليه حتى يتضح المعنى ويزول الإبهام، ويسهم بذلك في إيضاح سبك النص القرآني.

النموذج الرابع: قد تجتمع في بعض الآيات القرآنية ضمائر تشكل إحالات خارجية داخل سياق واحد، تجتمع في الإحالة الخارجية بضمير المتكلم مع الإحالة الخارجية بضمير الغائب وكانت أحد الأدوات التي استعان بها الشنقيطي لتفسير النص القرآني، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (الآية: 01-القدر:). يقول الشنقيطي: أن الضمير في "أنزلناه" للقرآن قطعاً⁽¹⁾، يقصد به الهاء التي تحيلنا على القرآن الكريم وهو مفرد والهاء للغائب.

والضمير المتصل، كما يذكر الشنقيطي، في "إننا"، و"نا" في "إننا أنزلناه" مستعمل للجمع والتعظيم، والمراد بهما هنا التعظيم قطعاً لاستحالة التعدد أو إرادة معنى الجمع، فدل على أن المراد بتلك الضمائر تعظيم الله تعالى. وقد يشعر بذلك المعنى وبالاختصاص تقديم الضمير المتصل "إننا"، وهذا المقام تعظيم واختصاص الله تعالى سبحانه⁽²⁾.

فضمير الجمع يحيل على ذات المنزل للقرآن الكريم ﷺ، ويحيل ضمير الغائب المتصل بـ "أنزلناه" على القرآن الكريم، فأحالت هذه الضمائر على ما تدل عليه، واستعان بها لإيضاح دلالات آيات الذكر الحكيم.

2- التشكيل الإحالي بضمائر الخطاب:

ترد ضمائر المخاطب في سياق الآيات القرآنية بنوعين من الصيغ:

- الأولى: منفصلة.

- الثانية: متصلة.

أما ضمائر المخاطب المنفصلة فهي ترد في العادة محصورة في: أنت أنت، أنتما، أنتم، أنتن. أما صيغة الضمائر المتصلة فهي ترد متعددة إما في بداية الكلمة مع المخاطب المفرد (مثل تفعل) وقد تكون في نهاية الكلمة (مثل فعلت) وقد تكون ضمائر المخاطب منقطعة بحيث تتوزع بين بداية الكلمة ونهايتها (مثل تفعلين)، وكل هذه الضمائر سواء السابقة أو اللاحقة أو المنقطعة

¹-الشنقيطي، أضواء البيان، ج 9، ص:379.

²-المرجع نفسه، ج 9، ص:379، 380.

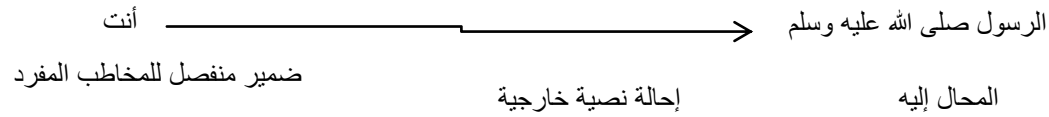
وجدت في القرآن الكريم بصيغة المفرد والمثنى والجمع وكانت أحد الأدوات الإحالة التي استعان بها الشنقيطي لتفسير الآيات القرآنية، وسيكون التمثيل باعتبار العدد:

أ- التشكيل الإحالي بضمائر المخاطب المفرد:

النموذج الأول: تتشكل الإحالة في النص القرآني بضمائر المخاطب المفرد منها قوله تعالى:

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (الآية: 01، 02- البلد)

ضمير المخاطب المفرد "أنت" يعود على الرسول ﷺ⁽¹⁾ فتشكلت إحالة خارج النص لأن المرجع يحدده السياق أو المقام ومنها أسباب النزول: فضمير المخاطب: "أنت" ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ وقد أحال على النبي ﷺ "وأنت" أي الرسول ﷺ "حِلٌّ" أي حالُّ بهذا البلد" أي مكة⁽²⁾.

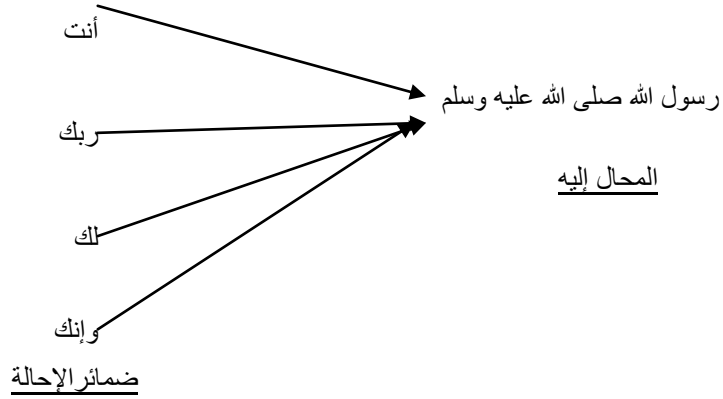


والعوامل المساعدة على استخراج المحال إليه هو السياق القرآني، لأن القرآن الكريم أنزل على محمد ﷺ وقد وجه له الخطاب في هذه السورة.

النموذج الثاني: قد يجتمع ضمير المخاطب المفرد المنفصل وضمير المخاطب المفرد المتصل في سياق واحد ويعود على مرجع واحد، منها قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (الآية: 02- 04- القلم). فالضمير المنفصل أنت والضمائر المتصلة الكاف "ربك" و"لك" و"وإنك" كل هذه الضمائر هي إحالة على شخص رسول الله ﷺ فمرجعها واحد:

¹- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج 9، ص: 223.

²- المرجع نفسه، ج 9، ص: 223.



وقد تبين من خلال تفسير "أضواء البيان" أن هذه الضمائر تعود على شخص رسوله الله ﷺ، والذي ساعد على ذلك هو معرفة أسباب النزول، فذكر في تفسير قوله تعالى: "وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ" أي على ما جئت به من الحق وقمت به من البلاغ عن الله والصبر عليه،⁽¹⁾ والذي جاء بالبلاغ رسولنا الكريم.

وفي تفسير قوله تعالى: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" وهذه بمثابة الرد على ادعاء المشركين على نبينا الكريم اتهموه بالجنون، وهنا أقصى مراتب العلو في الخلق، وقد أكد هذا السياق بعوامل المؤكدات باندراجه في جواب القسم الأول في أول السورة، وبأن اللام في "لعلی"، وجاء بعلی الدالة على الاستعلاء والتمكن، وأنه ﷺ فوق كل خلق عظيم⁽²⁾.

فكل هذه الضمائر أحالتها على غير مذكور في هذه السورة، فهي إحالة خارجية تعود على رسول الله ﷺ، والعلم بما تشير إليه الضمائر يسهل عمل المفسر، ويسهم في بيان المعنى وإظهاره، ولمعرفة من تحيل إليه هذه الضمائر لا بد من معرفة مسبقة بعلوم القرآن وبالأخص أسباب النزول التي تكون عوناً للمفسرين في إيضاح تماسك الآيات وترابطها وعلاقة بعضها ببعض وهنا تظهر قيمة الإحالة ومدى استعانة المفسر بها في تفسيره.

¹- الشنقيطي، أضواء البيان، ج 8، ص: 419.

²- المرجع نفسه، ج 8، ص: 421.

ب- التشكيل الإحالي بضمائر المخاطب المثني:

كما حدثت الإحالة بضمائر المخاطب المفرد ويستعين بها المفسر لبيان ترابط نصوص القرآن الكريم وتماسك آياته، كذلك تحدث الإحالة أيضا ويكشف عن تلاحم آيات القرآن ونصوصه عن طريق الضمائر التي تعود على مثنى مخاطب مذكر كان أم مؤنث، منها:

النموذج: قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (الآية: 117 - طه)

آدم وحواء → فلا يخرجكما

الضمير (كما)

فالضمير "كَمَا" الوارد في لفظ (فلا يخرجكما) يشكل إحالة مرجعها الشائي هو آدم وحواء، كما بين الشنقيطي بأن الخطاب هنا شامل لآدم وحواء، ثم خص آدم بالشقاء لأنه المكلف بالكد عليها وتحصيل لوازم الحياة الضرورية لها: من مطعم ومشرب وملبس ومسكن⁽¹⁾ وذلك في الآية التالية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (الآية: 118-119 - طه)، ومن ضمائر الإحالة العائد على المخاطب المثني في القرآن الكريم واستعان به الشنقيطي في بيان الذكر الحكيم وتفسيره، قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ (الآية: 49)، فضمير المثني يعود على من خاطبهما فرعون، كما دل على ذلك السياق القرآني، حيث ذكر الله ﷻ أمره لموسى وأخيه في قوله: ﴿ادْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (الآية: 43-طه)، وقبل ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (الآية: 29-32 - طه).

واعتمادا على هذه النصوص القرآنية ذكر الشنقيطي في تفسيره الآية الكريمة: ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾، أن الضمير يعود على موسى وهارون إذ لما بلغا فرعون ما أمرا بتبليغه إياه، قال لهما: من ربكما الذي تزعمان أنه أرسلكما إلي، زاعما أنه لا يعرفه، وأنه لا يعلم لهما إلها غير نفسه⁽²⁾، لذلك وجه لهما الخطاب لأنهما المعنيان بمخاطبة فرعون ونصحه في بداية الأمر.

¹- الشنقيطي، أضواء البيان، ج 4، ص: 654.

² - المرجع نفسه، ج 4، ص: 521.

ج- التشكيل الإحالي بضمائر المخاطب الجمع:

تشكل الإحالة بنوعيتها النصية والمقامية بضمير المخاطب الجمع، لأن المرجع يحدده تتابع الآيات أو ذكر المرجع في سورة من سور القرآن، وقد يحدد المرجع السياق غير اللغوي، إذا استعان المفسر بأسباب النزول أو المكي والمدني لتحديد دلالة هذه الضمائر، والنماذج الآتية تبين المراد:

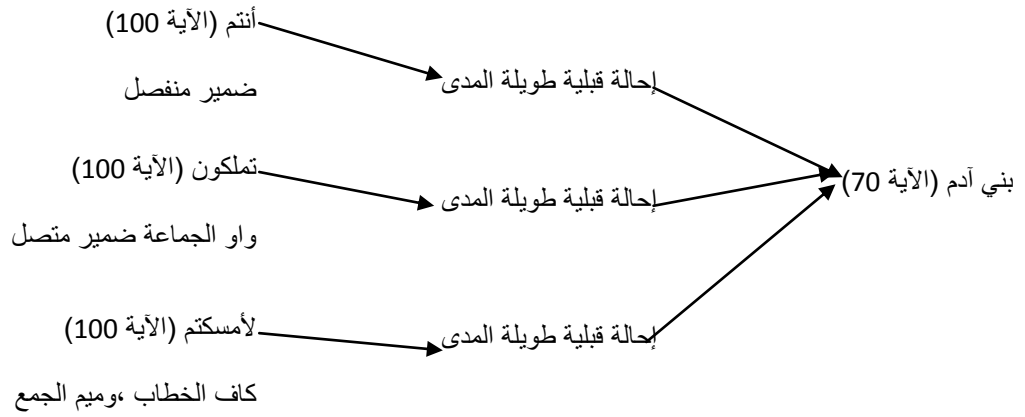
النموذج الأول: من الاحالة التي تشكلت بضمائر المخاطب الجمع وكانت وسيلة اعتمدها الشنقيطي في ايضاح معنى الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الآية: 100- الإسراء)

والمقرر في علم العربية كما ذكر الشنقيطي أن "لو" لا تدخل إلا على الأفعال، فيقدر لها في الآية فعل محذوف، والضمير المرفوع بعد "لو" أصله فاعل الفعل المحذوف، فلما حذف الفعل فصل الضمير، والأصل قل لو تملكون، فحذف الفعل فبقيت الواو فجعلت ضميرا منفصلا: هو أنتم⁽¹⁾، وهذا الضمير يعود على "بني آدم".

فضمائر الخطاب المنفصلة (أنتم)، والمتصلة (تملكون)، (لأمسكتم)، تعود جميعها على بني آدم، حيث ذكر الشنقيطي أن بني آدم لو كانوا يملكون خزائن رحمته لبخلوا بالرزق على غيرهم ولأمسكوا عن العطاء خوفا من الانفاق لشدة بخلهم⁽²⁾ وإذا تتبعنا مرجعية هذه الضمائر وجدنا أن لفظ "ابن آدم" قد ذكر قبل ذلك، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الآية: 70- الإسراء)، وهي هنا إحالة على سابق أو إحالة بالعودة طويلة المدى، وتعود على مفسر سبق التلفظ به، وفيها جرى تعويض لفظ المفسر، الذي كان في الأصل أن يظهر، والمخطط التالي يوضح هذا:

¹ - ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ج3، ص: 745.

² - الشنقيطي، ج3، ص: 744.



النموذج الثاني: من الإحالة بضمير المخاطب الجمع التي استعان بها الشنقيطي في تفسير الآيات القرآنية، نجده في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (الآية: 21-22-البقرة).

ذكر الشنقيطي أن في هذه الآية ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت⁽¹⁾، وهي:

البرهان الأول: خلق الناس أولاً المشار إليه بقوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني.

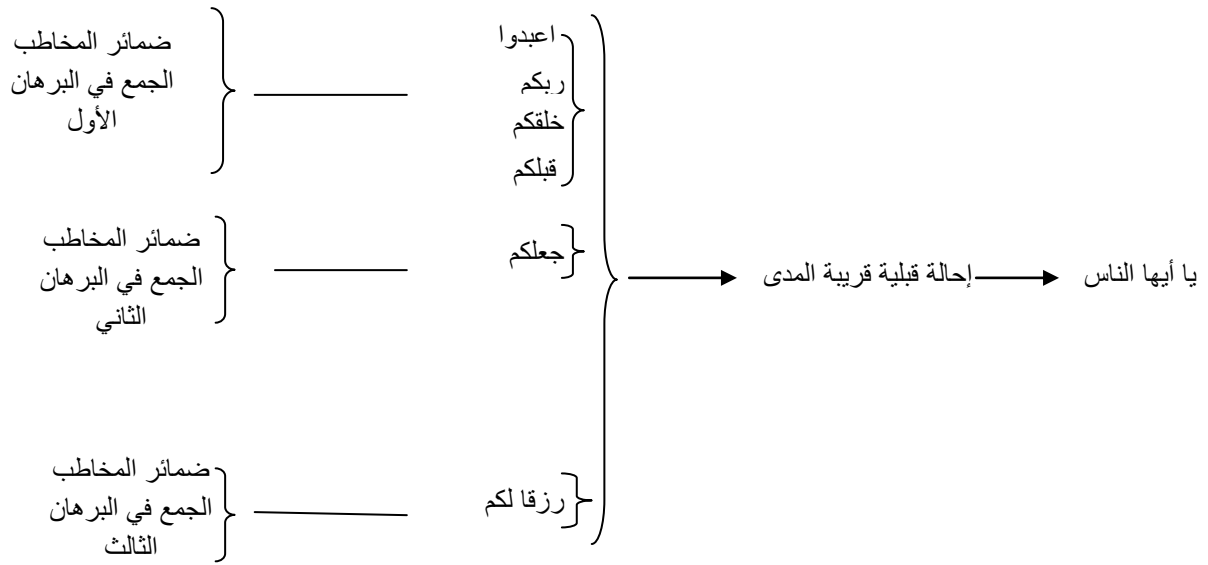
البرهان الثاني: خلق السماوات والأرض المشار إليه بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أولى.

البرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها، فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار له بقوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾.

كل هذه البراهين تماسكت فيما بينها بضمائر الإحالة التي تعود على الجمع الموجه له

الخطاب:

¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج 1، ص: 64-65.



وهنا تشكلت إحالة داخلية فائدتها ربط كل هذه الضمائر الموجودة في البراهين الثلاثة بالمرجع المقصود وهو "الناس" مما يحدث اتساق العناصر اللغوية في الملفوظات التي قبلها لتتربط معانيها، لأن الألفاظ خادمة للمعنى.

3: التشكيل الاحالي بضمائر الغائب:

أ/- التشكيل الإحالي بضمائر الغائب المفرد:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (الآية: 97- البقرة)

حين يتعلق الأمر بأمثلة الضمائر ذات مرجعية واحدة، ولا يكون العامل الشكلي المرتبط بالألفاظ المعجمية حاسماً في تحديد مرجعية الضمير، فإن عامل التركيب اللغوي أي مجموع الوحدات الدلالية التي تحيط بالضمير تلعب دوراً بارزاً في تحديد مرجعية الضمير، وإذا نظرنا لهذه الآية الكريمة وجدنا أن السياق التركيبي قد ساعدنا على تحديد المرجعية الوحيدة لضمير الغائب "فَأِنَّهُ نَزَّلَهُ":

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾

قل من كان عدوا لجبريل فإن (الهاء) (جبريل) نزل (الهاء) (القرآن) على قلبك بإذن الله

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن تكذيب الأمم السابقة لرسالتها وبالكتب المنزلة عليهم، ويحذر ﷺ في هذه الآية أن نتخذ هؤلاء المكذبين قدوة لنا وتكذيب ما جاء به محمد ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام، قال الشنقيطي: ظاهر هذه الآية أن جبريل ألقى القرآن في قلب النبي ﷺ من غير سماع قراءة، ونظير ذلك⁽¹⁾ قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (الآية: 193-194 - الشعراء)، فمرجعية ضمير الغائب الهاء في قوله (فإنه) تعود على جبريل عليه السلام، فلو نظرنا إلى ما يربط الضمير (الهاء) بما يحيل إليه لوجدنا هناك تطابقا تاما بين عنصري الجملة الاسمية المنسوخة بـ "إن"، فاسمها وهو ضمير (الهاء) مذكر مفرد والجملة الفعلية الواقعة خبرا (نزل) جاء فعلها ماضيا لم تلحقه ألف الاثنتين أو واو الجماعة وكل هذه وحدات تركيبية ساعدت على جعل الضمير ذا مرجعية واحدة وهو (جبريل عليه السلام) فكان الضمير النواة الأساسية للجملة المنسوخة ثم تأتي بعده العبارة الكريمة (نزله على قلبك بإذن الله)، فكلمة "بإذن الله" جاءت في سياق هذه الآية لتؤكد على أن مرجعية الضمير لجبريل عليه السلام، واستعان الشنقيطي لإبراز مرجعية الضمير بآيتين من سورة الشعراء وهي قوله تعالى: "نزل به الروح الأمين على قلبك"

فمجموع ما اعتمد عليه لمعرفة مرجعية الضمير هو:

1- الجملة الاسمية المنسوخة

2- السياق اللغوي للآية الواحدة: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

3 - سياق قرآني: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ (الآية: 193-194 - الشعراء)،.

إحالة قبلية قريبة المدى

كل هذه العوامل أثبتت المرجعية الوحيدة لضمير الغائب (الهاء) في هذه الآية، وأبرزت تماسكها عن طريق الإحالة إلى سابق قريب المدى، وأسهمت أيضا في تحديد معناها لدى الشنقيطي على عكس ما نجده في الجمل ذات المرجعيات المتعددة.

¹ - أضواء البيان الشنقيطي، ج1، ص:98.

ب- التشكيل الإحالي لضمير الغائب المثني:

النموذج القرآني:

قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ (الآية:

61- الكهف)

يتعلق الأمر في هذا المثال بضمائر الغائب المثني، ويذهب الشنقيطي إلى أن ضمير الغائب المثني الأول يعود على موسى عليه السلام وفتاه لما بلغا مجمع البحرين، فأحال على شيء سبق ذكره في الآية التي قبلها، وضمير الغائب المثني في قوله: (نسيا حوتهما) قد أوضح الشنقيطي أن النسيان هنا واقع من فتى موسى، لأنه هو الذي كان تحت يده الحوت وهو الذي نسيه، وإنما أُسْنَدَ النسيان إليهما، لأن إطلاق المجموع مراداً بعضه أسلوب عربي كثير في القرآن وفي كلام العرب¹

موسى وفتاة → تعود على ————— بلغا مجمع بينهما
الفتى → نسيا حوتَهُمَا

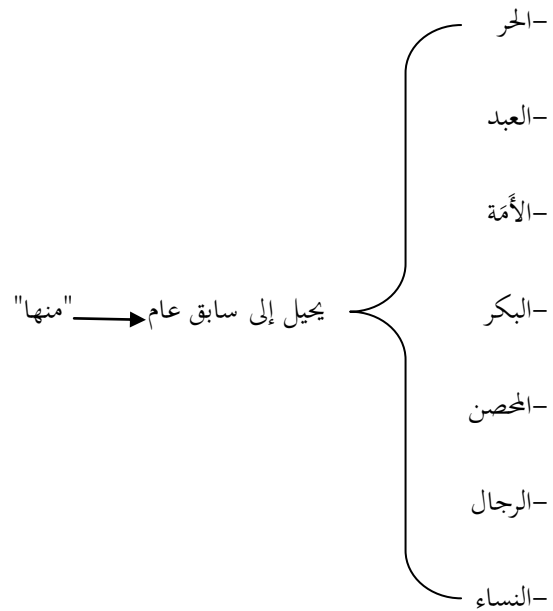
ومن أجل التماسك النصي باعتماد التشكيل الإحالي كان الضمير هو ضمير المثني الغائب فالضمير المتصل بلفظ "بينهما" ونسيا حوتهما" وبالعودة إلى الآية السابقة ذهب الشنقيطي إلى الفصل بين مرجعية الضميرين، فالأول: أحال إلى (موسى وفتاه) والضمير الثاني: المحال إليه هو (الفتى)، حيث أرجع ضمير المثني الغائب التي شخص مفرد وهو الفتى واعتمد على هذه المرجعية استناداً إلى أن الفتى هو من كان بيده الحوت بالإضافة إلى اعتبار هذا الأسلوب أحد الأساليب العربية التي كثر وجودها في القرآن الكريم وكلام العرب. فشكل هذان إحالة نصية قبلية أحدثت في النص سبكا واضحا وفي المعنى حُبكا بَيِّنًا، ومن خلالهما تبين المعنى لدى الشنقيطي.

النموذج الثالث: من التشكيل الإحالي بالضمير الغائب المثني أيضا قوله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (الآية: 02- سورة النور).

إن الإتيان بضمير الغيبة في لفظ (منهما) يعود بالنظر إلى ظاهر الآية كما يذهب الشنقيطي إلى كل زانية وزان، يجب جلد كل واحد منهما مائة جلدة، فالألف واللام في كلمة: "الزانية والزاني" كما يقول الشنقيطي سواء قلنا إنهما موصول وصلتهما الوصف الذي هو اسم الفاعل

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص: 200.

الذي هو الزانية والزاني، فالموصلات من صيغ العموم، وإن قلنا: إنهما للتعريف لتناسي الوصفية، وإن مرتكب تلك الفاحشة يطلق عليه اسم الزاني كإطلاق أسماء الأجناس فإن ذلك يفيد الاستغراق⁽¹⁾، فيذهب إلى أن العموم الذي يشمل كل زانية وزانٍ هو ظاهر الآية على جميع الاحتمالات النحوية، وإذا قلنا: العموم، فهو يشمل البكر، والمحسن، والحر والعبد من الإناث والذكور، فيتضح من هذه الاحتمالات أن التشكيل الإحالي لضمير الغائب يعود على معنى (الزانية-والزاني) يشمل كل الاحتمالات الواردة من جنس الرجل والأنثى، فيعود بذلك على محال إليه واسع وهو:

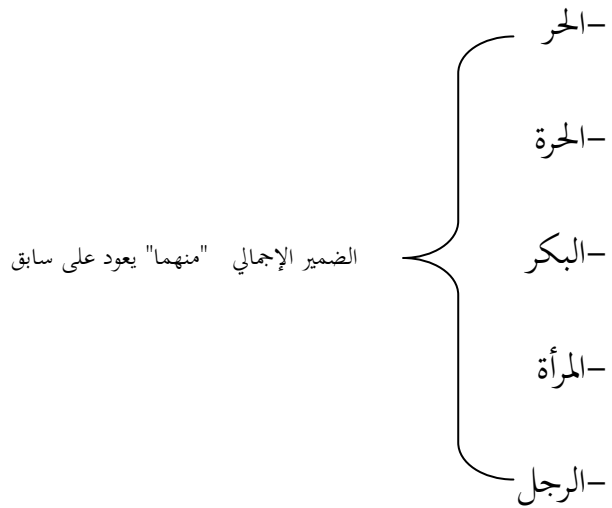


لكن الشنقيطي يرجوعه إلى النصوص القرآنية الأخرى سواء الآيات المذكورة في كتاب الله أو الآيات المنسوخة اللفظ وبقي حكمها، ذكر أن هذا العموم يخص مرتين:

التخصيص الأول: وهو الخاص بالأمة، فإنها تجلد نصف المائة وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (الآية: 25 - النساء)، والمراد بالمحصنات كما ذهب الشنقيطي: الحرائر، والعذاب الجلد، وهي مخصصة هنا لعموم لفظ (الزانية والزاني) بالنسبة للزانية الأنثى، وهناك من العلماء من ألحق بها العبد.

¹ - ينظر: أضواء البيان، ج6، ص: 05.

التخصيص الثاني: يذهب إلى أن التخصيص الثاني لعموم اللفظ جاء بآية منسوخة التلاوة باقية الحكم هي قوله تعالى: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم. وهذا التخصيص إنما هو على من يقول لا يجمع للزاني المحصن بين الجلد والرجم⁽¹⁾. فتشكلت بذلك الإحالة هنا بضمير الغائب المثني العائد "الزاني والزانية" لا على سبيل كل الاحتمالات الواردة للزاني والزانية، وإنما على سبيل تخصيص هذا التعميم على حسب رأي الشنقيطي في عناصر معينة، اعتمد على تحديد هذه العناصر بآيات محكمات من القرآن الكريم باقية التلاوة والحكم وآية أخرى منسوخة التلاوة باقية الحكم تقتضي التخصيص لعموم اللفظ، فكان التشكيل الإجمالي لضمير الغائب المثني كالآتي:



الضمير "هما" يعود على خمسة عناصر بعد التخصيص بدل ثمانية عناصر عندما نُظِرَ إلى ظاهر الآية.

3- التشكيل الإجمالي بضمير الغائب الجمع:

الغائب في النص القرآني لا بد أن يوضح ويفسر ويُعَيَّن المقصود منه ، لأن ضمائر الغائب لا بد أن نذكر مرجعه سواء تقدم أم تأخر وسواء كان داخل النص أم خارجه حتى يفهم النص

¹ - ينظر: أضواء البيان، ج6، ص: 05-06.

القرآني على مراد الله من تنزيهه وتنضح الأحكام الشرعية والمقاصد الفقهية المستنبطة من النص القرآني الذي يحوي مثل هذه الضمائر.

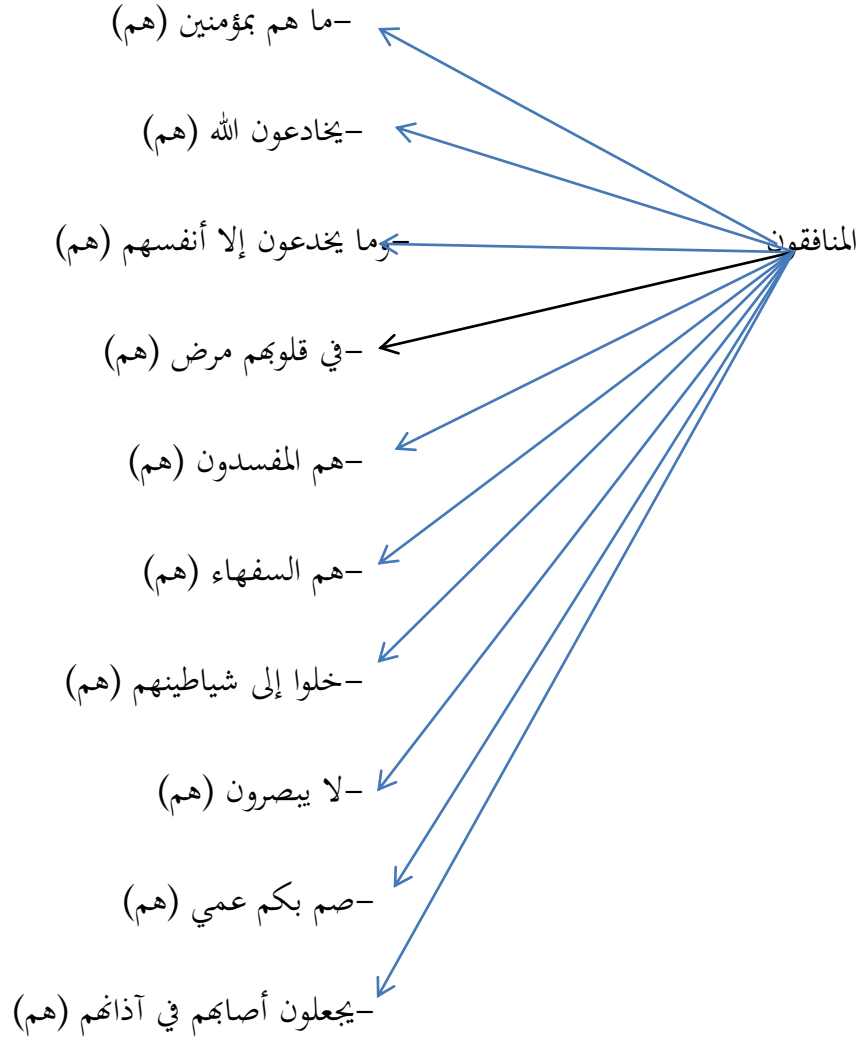
النموذج الأول: من صور الضمائر الإحالية التي أبرزت تمسك النص واستخراج العائد المحال إليه وبه اتضح المعنى عند الشنقيطي، قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (08) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (09) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَاوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (17) صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) ﴾ (الآية: 08 - 20 البقرة).

فهذه السلسلة من الآيات تمثل نصا متماسك الأجزاء يتحدث عن موضوع من موضوعات سورة البقرة، فهو نص متسق اتساقا داخليا ومتماسك مع النصوص الأخرى المشكلة لوحدة النص الكلي المتمثل في سورة البقرة بموضوعاتها المختلفة، أما حدود هذا النص فقد عملت على رسمها انطلاقا من تفسير الشنقيطي وبالنظر إلى أمرين أساسيين:

1- اتحاد الدلالة العامة في هذه السلسلة من الآيات حول محور رئيسي وهو الحديث عن صفات قوم من الأقوام عاشوا زمن النبي ﷺ وهم المنافقون، ولا تزال صفاتهم تسري في المجتمع إلى يومنا هذا.

2- الحدود بين هذا النص بما قبله حيث جاءت بداية هذه السورة حديثا عن كتاب الله ووصفه بأنه هدى للمتقين، ثم وصف حال المتقين، ثم كان الحديث عن الكفار، وبعد ذلك كان الحديث

عن المنافقين وصفاتهم في هذه السلسلة من الآيات بضمير الغائب العائد على جمع المنافقين، فإذا أخذنا المرجع (المنافقون) وصفاتهم يتبين الآتي:



إن النظر إلى هذه السلسلة من الآيات على أنها كلٌ موحدٌ يرجع إلى فئة لها دورها في زلزلة وحدة المجمع الإسلامي قديماً وحديثاً بحيث جاء الحديث عنها بعد الحديث عن فئة المؤمنين المتقين وبعدها فئة الكافرين ليأتي الحدث عن هذه الفئة بداية من قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الآية: 08) حيث صرَّح الشنقيطي⁽¹⁾ بعد هذه الآية لم يذكر الله ﷻ بيانا عن هؤلاء المنافقين، ولم يبين هنا شيئاً من الاستهزاء بهم من قول تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (الآية: 15)، وتحدث عن صفاتهم بأن هؤلاء المنافقين صم بكم عمي، وذكر في

¹- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص: 59.

ظاهر الآية أن المنافقين متصفون بالضم، والبكم، والعمي، إلا أن الله تعالى "بين في موضع آخر أن معنى صمهم وبكمهم وعماهم هو عدم انتفاعهم بأسماعهم وقلوبهم وأبصارهم"⁽¹⁾ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِن شَيْءٍ﴾ (الآية: 26- الأحقاف) وتستمر ضمائر الغائب في هذه الآيات عائدة على المحور الأساسي فيها وهم "المنافقون"، ففي قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ (الآية: 20)، يذكر الشنقيطي معناها: أي يكاد نور الله لشدة ضوئه يعمي أبصارهم، وحتى عندما ضرب الله مثلا ضربه للمنافقين بأصحاب المطر ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ (الآية: 20)، إذا أضاء لهم مشوا في ضوئه وإذا أظلم وقفوا، كذلك المنافقون إذا كان القرآن موافقا لهوهم ورجباتهم عملوا به، وإذا كان غير موافق لهوهم وقفوا وتأخروا⁽²⁾.

فالنص مبني على مجموعة من الصفات للمنافقين (العائد عليه) من بداية النص في قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ" (الآية: 08 المنافقون)، إلى غاية الآية الأخيرة من هذه السلسلة المتناسكة: ﴿بَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ (الآية: 20)، فشكلت هذه الضمائر إحالات داخلية، لأنها تعود إلى مرجع واحد "وهم المنافقون" الذين جاء وصفهم في هذه الآيات، وبضمائر الغائب الجمع فسر الشنقيطي وبين معانيها، فانصبت كل هذه الصفات على رأي الشنقيطي على المنافقين، فالأساس الذي تعامل به الشنقيطي مع هذا الضمير (هم) أسهم في تقييد علاقة الضمير بما يجيل إليه وفق شروط وضوابط دلالية وشكلية وسياقية تميل إلى إرجاع الضمير إلى لفظ: (المنافقون) فجاءت هذه الضوابط كالآتي:

* **ضوابط دلالية:** المعاني التي حملتها هذه الصفات تشير جميعها إلى هذه الفئة وتشرحها بدقة.
* **الضوابط الشكلية:** الضمائر النحوية "هم" تحيل إلى هذا العائد بناء على استعانتنا بالضوابط الدلالية.

* **الضوابط السياقية:** (المقالية والمقامية)، أما المقالية فتتمثل في الآيات القرآنية الأخرى التي تصف وتشرح هذه الفئة، وتأتي بهذه الصفات وتزيدها بيانا، أما المقامية فهي أسباب نزول هذه

¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج 1، ص: 60.

² - المرجع نفسه، ج 1، ص: 64.

السلسلة من الآيات والمكي والمدني من آيات الذكر الحكيم ، كلها دلالة على أن المشار إليهم في هذه الآيات (المنافقون).

أما الأمر الأكثر أهمية في هذا التحليل هو دور هذه الضمائر في التماسك الشكلي لهذه الآيات وتربطها بعد ذلك دلاليا، لتكون لنا لحمة ونسيجاً محبوباً في هذا الجزء من السورة، مع استحضارنا للأجزاء السابقة المتصلة بها والأجزاء التي بعدها.

ب- الضمائر ذات المرجعية المتعددة:

يقوم التعدد المرجعي للضمير من وجهة نظر "دي بوجراند" و"براون" و"يول" بتحفيز القارئ وتنشيطه على فهم المحتوى المفهومي للأحداث المتعاقبة عبر البنية النصية وإدراكه بطريقة جيدة⁽¹⁾، ولهذا كان التعدد المرجعي ظاهرة لافتة للنظر في البيان القرآني لدى المفسرين لأن الأصل أن يكون للضمير مرجع واحد يفسره، لكن إذا تعددت المرجعيات فيعود الضمير لأقرب مذكور إلا لدليل على خلاف ذلك، يقول أبو حيان الأندلسي: "لا يعود الضمير على غير الأقرب إلا بدليل"⁽²⁾.

وقد تنبه العلماء القدامى إلى الدور البارز الذي يؤديه الضمير متعدد الإحالات، بحيث يحتمل على معنيين سواء على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز، وتكون هناك إشكالية وعسر في تحديد المراد من الكلام، فتعدد المرجع يؤدي احتمالات مختلفة، ولتحديد مرجعية الضمير في النص القرآني يستعين المفسر بآليات منها: أسباب النزول، ومواضيع القرآن، والبني الكبرى في النص القرآني، والسياق القرآني الذي يؤخذ بعين الاعتبار ومنها السياق التركيبي للآية أو الآيات المتتالية، لأن من قواعد الترجيح عند علماء التفسير "عود الضمير لأقرب مذكور إلا لدليل على خلاف ذلك: هذه القاعدة تقرر أن الأصل في العربية أن يرجع الضمير إلى أقرب مذكور، فلذلك إذا اختلف العلماء في عائد أحد الضمائر في القرآن، فأرجح الأقوال في هذا الخلاف، القول الذي يعيد الضمير إلى أقرب مذكور"⁽³⁾، باستثناء إذا كان هناك دليل يحتم على المفسر إرجاع الضمير إلى غير ذلك، وفي

¹ ينظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص301.

² أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، تح: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413، 1993، ج1، ص185.

³ ينظر: حسين الحربي، مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة1، 1429هـ، ص232.

هذا يقول أبو حيان الأندلسي: «لا يعود الضمير على غير الأقرب إلا بدليل»⁽¹⁾، وذكر الإمام الشنقيطي: «أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور، إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه»⁽²⁾، وإلى هذا ذهب ابن حزم وابن تيمية والزركشي⁽³⁾، وغيرهم من علماء تفسير.

وقد رجَّح الإمام الشنقيطي بناءً على هذه القاعدة الكثير من مرجعيات الضمير، وكانت عاملاً أساساً في بيان سبك النصوص والآيات وتماسكها وفهم معناها، منها:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾
(الآية (24- سورة مريم)

ذهب علماء التفسير مذهبين في تحديد المنادي لمريم، وذلك بناءً على الخلاف في تحديد مرجع الضمير في لفظ: «فَنَادَاهَا»: «فَنَادَاهَا»:

القول الأول: المنادي هو الملك جبريل عليه السلام.

القول الثاني: المنادي هو عيسى لا جبريل عليهما السلام⁽⁴⁾.

والقول الذي ترجحه القاعدة السابقة على أنّ الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل يصرفنا عنه"، وذلك أن عيسى عليه السلام هو أقرب المذكورين إلى الضمير الموجود في لفظ "فَنَادَاهَا"، إذ بداية هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾: (الآية: 22-23 - مريم). ولا يوجد صارف هنا يصرف الضمير إلى مذكور غير عيسى عليه السلام، وهذا ما رجَّحه الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية حيث قال: أظهر القولين عندي أن الذي ناداها هو ابنها عيسى، وتدل على ذلك قرينتان:

¹ أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج1، ص185.

² الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص246.

³ ينظر: - على بن أحمد بن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج7، ص404.

- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج15، ص112.

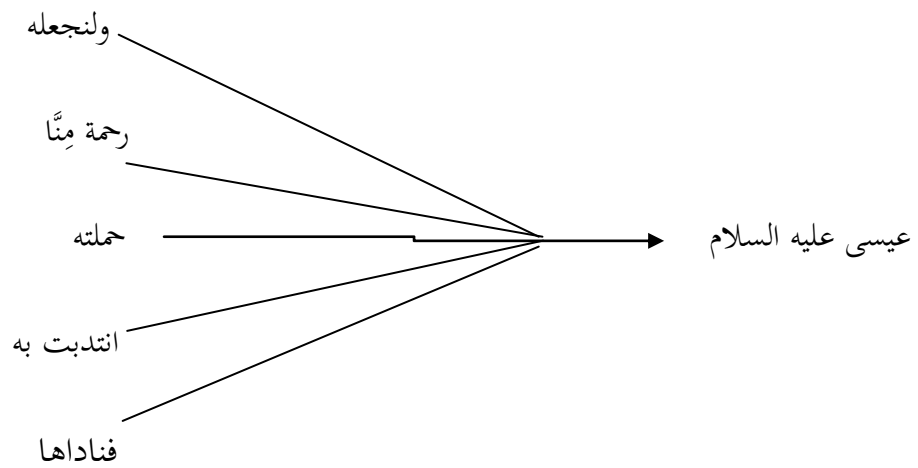
- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج4، ص39.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج5، ص218.

الأول: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلاً بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل، لأن الله قال: "فَحَمَلَتْهُ" يعني عيسى "فَأَنْتَبَدَتْ بِهِ" أي عيسى، ثم قال بعدها "فَنَادَاهَا" فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى.

والثانية: أنها لما جاءت به قومها تحملها، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه، وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه عندما وضعته⁽¹⁾.

وما يؤيد هذا وجود قاعدة من قواعد التفسير المتعلقة بالضمير، جاء في القاعدة: بأن "توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها"⁽²⁾، فاتساق الضمائر وعدم تفريق مرجعياتها هنا أولى في إعادة الضمير إلى "عيسى" عليه السلام، وذلك أن الضمائر في قوله تعالى: "وَلِنَجْعَلَهُ" و"رَحْمَةً مِنَّا" و"حَمَلَتْهُ" و"انْتَبَدَتْ بِهِ" و"فَنَادَاهَا"، كل هذه الضمائر الخمسة، بأنواعها الظاهرة والمستترة، تعود كلها إلى "عيسى عليه السلام"، فالحاق ضمير "فَنَادَاهَا" إلى "عيسى عليه السلام" بالرجوع إلى قواعد الترجيح عند المفسرين أولى من رده إلى غير هذا، بالإضافة إلى أن توحيد مرجع الضمائر يعمل على تماسك الآيات المتتاليات ويحقق الاتساق النصي بين ألفاظها وحبك معناها، وهذا ما يظهر في المخطط الآتي:



فمرجع الضمائر واحد لذلك تحقق السبك النصي.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص:272.

² حسين الحربي: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، ص:230.

النموذج الثاني : قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (الآية: 06-08- العاديات)

اختلف المفسرون في مرجعية الضمير في "إِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ":

* 1/ فذهب بعضهم إلى أنه يعود على الإنسان.

* 2/ وذهب آخرون أنه راجع إلى رَبِّ الْإِنْسَانَ في قوله تعالى: "لِرَبِّهِ".

واستنادا لقاعدة الترجيح عند المفسرين التي تقول بأن "توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها"⁽¹⁾، رجح الشنقيطي مرجع الضمير في هذه الآية على أنه يعود إلى "الإنسان" إذ يقول: الضمير يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَائِدًا إِلَى الْإِنْسَانَ، وَأَنْ يَكُونَ عَائِدًا إِلَى رَبِّ الْإِنْسَانَ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» ولكن النظم الكريم يَدُلُّ عَلَى رَجُوعِهِ إِلَى الْإِنْسَانَ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْأَوَّلُ فِي اللَّفْظِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَهُ: «وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ»، فَإِنَّهُ لِلْإِنْسَانَ بِلَا نِزَاعٍ، وَتَفْرِيقِ الضَّمَائِرِ بِجَعْلِ الْأَوَّلِ لِلرَّبِّ وَالثَّانِي لِلْإِنْسَانَ لَا يَلِيقُ بِالنِّظْمِ الْكَرِيمِ⁽²⁾، فَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ تَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ ضَمَائِرٌ مُتَعَدَّةٌ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ وَاحْتَمَلَتْ فِي مَرْجِعِيَّاتِهَا أَقْوَالَ مُتَعَدَّةً، فَالْقَوْلُ بِتَوْحِيدِ مَرْجِعِهَا وَإِعَادَتِهَا إِلَى مَذْكُورٍ وَاحِدٍ، أَوْلَى الْأَقْوَالِ وَأَفْضَلُهَا وَأَدْعَايُهَا لِمَسَاكِ النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ وَاتِّسَاقِهِ وَانْسِجَامِهِ وَقُوَّةِ إِعْجَازِهِ، وَهَذَا مَا عَمَلَ الشَّنْقِيطِيُّ عَلَى تَرْجِيحِهِ فِي عَوْدَةِ الضَّمَائِرِ.

النموذج الثالث: من الأمثلة المختارة للضمائر ذات المرجعية المتعددة قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ (الآية: 78- الحج).

ذكر الشنقيطي أن الضمير "هو" من قوله تعالى: «هُوَ سَمَّاكُمُ» قد اختلف في مرجعه إلى رأيين: **الرأي الأول:** أنه يعود على "الله" جلَّ جلاله هو الذي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ⁽³⁾، فكان مرجع الضمير هنا متعددا، لكن الشنقيطي رَجَّحَ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ استنادا على قرينتين تَدُلُّانِ عَلَى أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ هُوَ الصَّوَابُ، وَالْقَرِينَتَانِ حَدَّدَتَا مَرْجِعَ الضَّمِيرِ "هَذَا" وَقَدْ كَانَ أَحَدَ الْأَدْوَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي أَسْهَمَتْ فِي تِمَاسُكِ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ:

الرأي الثاني: قال بعضهم هو أي: إبراهيم سماكم المسلمين.⁽⁴⁾

¹ حسين الحربي: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، ص: 230.

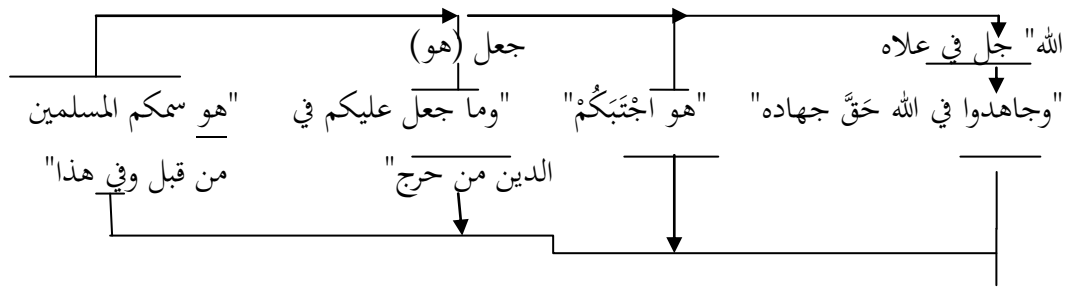
² الشنقيطي: أضواء البيان، ج 1، ص: 16.

³ المرجع نفسه، ج 5، ص: 818.

⁴ المرجع نفسه: ج 5، ص: 818.

القرينة الأولى: أن الله عز وجل: «هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا» أي القرآن الكريم، ومن المعلوم أن إبراهيم عليه السلام لم يسمهم المسلمين في القرآن⁽¹⁾، فالقرينة الأولى تمثلت في اسم الإشارة "هذا" والمشار إليه هو القرآن الكريم الذي نزل بعد إبراهيم عليه السلام، فهي قرينة لغوية في سياق الآية.

القرينة الثانية: والقرينة الثانية التي بها رَجَّحَ الشنقيطي مرجع الضمير إلى "الله" جَلَّ في علاه، هي قرينة تستند إلى قاعدة من قواعد الترجيح عند المفسرين والمتمثلة في: "توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أَوْلَى من تفريقها"⁽²⁾، لأن الأفعال كلها في السياق المذكور راجعة إلى الله لا إلى إبراهيم، فقوله: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ»، أي الله «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»، أي الله، «هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ» أي الله⁽³⁾، على الرغم من أن أقرب مذكور للضمير هو إبراهيم إلا أن الشنقيطي اعتبر هذه القاعدة الترجيحية لاغية، لأن القاعدة التي تُرجع الضمير إلى أقرب مذكور تُسْتَثْنَى إذا صرفها صارف، واعتبر الشنقيطي أن الصارف هنا هو القاعدة السابقة؛ وهي توحيد مرجع الضمير في السياق الواحد أَوْلَى من تفريقها، فلا يمكننا هنا تفريق مرجع الضمير بين عودته على "الله" جَلَّ في علاه وعودته على "إبراهيم" عليه السلام المذكور:



إن توحيد مرجع الضمير في السياق الواحد، وقوله تعالى: "وفي هذا" أي القرآن الكريم، يتبين أنه يعود على لفظ الجلالة "الله"، فاتسقت الآية الأخيرة من سورة الحج وهو عنصر أساس في

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج 5، ص: 819.

² حسين الحري: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، ص: 220.

³ الشنقيطي: أضواء البيان، ج 5، ص: 819.

إعجاز القرآن في نظمه وبناء كلماته وتماسك عباراته، إذ طريقة النظم التي ترابطت بها ألفاظ الآية وتلاحمت معانيها أسلوب من أساليب القرآن الكريم.

النموذج الرابع: من الضمائر ذات المرجعية المتعددة إما إلى لفظ الجلالة "الله" أو إبراهيم عليه السلام، ما جاء في سورة الزخرف من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الآية: 28- الزخرف).

تعددت مرجعية الضمير لدى علماء التفسير؛ إلى قائل بأن ضمير الفاعل المستتر في قولها "وَجَعَلَهَا" راجع إلى إبراهيم وهو ظاهرة السياق، وقال بعضهم هو راجع إلى الله تعالى⁽¹⁾، ففي قوله تعالى: "وَجَعَلَهَا" ضميران؛ الأول: ضمير الفاعل المستتر، والثاني الضمير الظاهر في محل نصب "الهاء"، وهذا الثاني يعود إلى كلمة الإيمان المشتملة على كلمة التوحيد، والضمير محل الشاهد، هو الضمير الأول العائد على الفاعل المستتر، ولأن التعدد المرجعي ظاهرة لافتة للنظر وتقوم بتنشيط المفسر من أجل فهم الآية الكريمة وإيضاح البيان القرآني، لذلك فقد تعددت المرجعية بين مفسر وآخر ووجد اختلاف في الذي يعود عليه هذا الضمير، فكان هناك رأيان كما قال الشنقيطي:

الرأي الأول: أنه يعود على إبراهيم عليه السلام: فالعنى صَيَّرَ إبراهيم تلك الكلمة باقية في عقبه؛ أي ولده وولد وَلَدِهِ⁽²⁾، وجعل إبراهيم كلمة الإيمان باقية في ذريته، بسببين كما ذهب إلى ذلك الشنقيطي:

السبب الأول: وصيته لأولاده بذلك وصاروا يتوارثون الوصية عنه، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَوَصَّيْ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الآية: 132- البقرة).

السبب الثاني: هو سؤاله ربه تعالى لذريته الإيمان والصلاح كقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (الآية: 124- البقرة)، أي واجعل من ذرِّيَّتِي أَيْضًا أُمَّةً، وقد جعل الله الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته⁽³⁾.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص: 247.

² المرجع نفسه، ج7، ص: 247.

³ المرجع نفسه، ج7، ص: 248.

أما الرأي الثاني: أن الضمير عائد إلى الله تعالى، وذكر الشنقيطي أن الله لم يجب دعوة إبراهيم في جميع ذريته، ولم يجعل الكلمة باقية في جميع عقبه لأن كفار مكة الذين كذبوا بنينا ﷺ من عقبه بإجماع العلماء⁽¹⁾.

وإذا رجعنا إلى نص القرآن الكريم نجد الله ﷻ يقول في سورة البقرة: ﴿ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (الآية: 124 - البقرة)، ففيها إعلام من الله لإبراهيم الخليل عليه السلام أنه سيوجد من ذريتك من هو ظالم لنفسه والله أعلم⁽²⁾، وبين الله تعالى في العديد من آيات الذكر الحكيم أن من ذرية إبراهيم محسن وظالم لنفسه مبين.

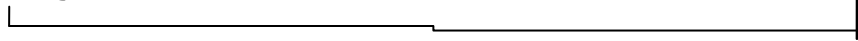
ولم يرجح الشنقيطي الرأي الأول الذي يذهب إلى أن الضمير يعود على إبراهيم عليه السلام، ولا الرأي الثاني بأنه يعود على الله تعالى ومهما تعددت مرجعية الضمير واختلف المفسرون حولها إلا أن هذا النوع من الإحالة أسهم في توليد دلالات الآيات سواء أُرجمته إلى إبراهيم عليه السلام أم إلى الله تعالى، لأن التشكيل التركيبي للآية يهبنا مساحة دلالية يحتلها مرجع الضمير من خلال ربطنا دلالياً بآيات أخرى.

الرأي الأول: أنه يعود على إبراهيم:

وَجَعَلَهَا (الزخرف 28)

وإذ قال إبراهيم لأبيه (الزخرف 26)

(ضمير الرفع المستتر)



على الرأي الأول يكون ضمير الإحالة قد ربط بين النظم القرآني في ثلاث آيات متتاليات، وَيَعْضُدُ هذا وصية إبراهيم عليه السلام لأولاده وسؤاله الله ﷻ لهم الصلاح.
الرأي الثاني: أنه يعود على الله تعالى:

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص: 248.

² ابن كثير (إسماعيل بن كثير الدمشقي): تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط2، 1420، 1999، ص: 412.

الله جَلَّ جَلَالُهُ

وَجَعَلَهَا (الزخرف 28)

ضمير الرفع المستتر

وعلى هذا الرأي يكون ضمير الإحالة قد أسهم، مع الضمائر الأخرى، في سورة الزخرف، التي تعود على الله تعالى، في جعل هذه السورة في نظم فريد تماسك من خلاله النص القرآني، وأسهم الضمير في استثمار قانون الاقتصاد اللغوي واختزال النص شكلا وفي الوقت نفسه توسيع مساحة الخطاب دلاليا بوصفه كُلاً متماسكا، وبرزت وظيفته في الربط الإحالي باستعمال الضمير المستتر.

والنص القرآني يبقى منفتح الدلالة لا يقف تأويله على الرأي الأول وحده أو الرأي الثاني دون الأول، ولا يمكن بحال القطع بدلالة نصوص غير قطعية الدلالة، إلا أن الأمر الذي يمكن الفصل فيه هو أن الضمير كان له دوره البارز في تماسك النص القرآني، سواء تماسك الآيات المتتاليات على الرأي الأول في عودة الضمير أو تماسك السورة على الرأي الثاني في عودة الضمير.

النموذج الخامس: يتحقق انفتاح المجال الإحالي الحاصل بالضمائر أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ ﴾ (الآية: 83- هود)

استوقفت مرجعية الضمير (هي)، الشنقيطي فذهب إلى تعدد هذه المرجعية والسياق القرآني هو الذي بين أن للضمير مرجعين على رأي المفسرين:

الوجه الأول: تعود (هي) إلى ديار قوم لوط: أي أن ديار قوم لوط ليست ببعيدة من الكفار المكذبين لِنَبِيِّنَا، وقد اعتمد الشنقيطي لبيان أن مرجعية الضمير تعود على "ديار قوم لوط" على سياق الآيات البعيدة في سور: الصافات، والحجر، والذاريات، والعنكبوت⁽¹⁾، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾ (الآية: 137-138- الصافات)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الآية: 76-77- الحجر) فكان على هؤلاء المكذبين أن يعتبروا بما وقع لقوم لوط لأن ديارهم ليست ببعيدة عن

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج3، ص: 46-47.

طريق التجارة بين مكة والمدينة والشام التي تمر عليها قوافل المشركين، فيكون المقصود هو البعد المكاني.

الوجه الثاني: أن المعنى وما تلك الحجارة التي أمطرت علة قوم لوط ببعيد من الظالمين الفاعلين مثل فعلهم، فهي تهديد لمشركي العرب⁽¹⁾. فيضعهم في مواجهة حقيقية لواقع تفكيرهم السيئ. فيصلح لأن يعود على الحجارة أي وما تلك الحجارة ببعيد، أي: إن الله قادر على أن يرمي المشركين بها، فيصبح التعذر هنا بمعنى تعذر الحصول ونفيه بإمكان حصوله⁽²⁾، ومن الآيات التي استند إليها الشنقيطي الدالة على مرجعية الضمير إلى الحجارة، قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ (الآية: 10 - مُحَمَّد)، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، والذي جعل الضمير متعدد الإحالة هو وروده غير مقيد بأي قرينة، ولقابلية السياق لتحديد الدلالة فقد كان دوره في إمداد الضمير بطاقة تأويلية نابعة من تعدد احتمالات المعنى التي خص بها ضمير الغائب المنفصل، ويمكن أن ندرج هذه المرجعيات بتنوعها وتعددتها في تسلسل نابع من النظم القرآني المحكم، سواء من خلال مرجعية الضمير في الوجه الأول، وما صاحبه من تماسك سور القرآن الكريم نتيجة إيضاح آيات القرآن بعضها ببعض، أو من خلال مرجعية الضمير في الوجه الثاني، فهما مسوغات يخضع لها السياق القرآني وبه تتضح الدلالات.

وخلاصة ما جاء في دور الضمير في الربط بين أجزاء النص، أنه وإن كان دوره في الربط بين وحدات الجملة أمراً ضرورياً حتمياً تتطلبه عملية الإسناد بين طرفيه (المسند و المسند إليه)، إلا أن وجوده في الجملة يعد عند الشنقيطي نقطة الانطلاق للربط بين أجزاء النص متمثلاً في آيات الذكر الحكيم، وإن شغل مساحة واسعة بين السور، باعتبار النص القرآني نصاً واحداً تنسجم سوره كما تنسجم آياته، والإحالة عن طريق الضمير عنده الأساس الذي به لا يترابط النص سطحياً فقط، بل به أيضاً يمكن أن نتلقى عالم النص وفهم الرسالة السماوية التي جاء بها نبينا مُحَمَّد ﷺ، خاصة تلك الآيات التي تتعلق بالأحكام الفقهية والعقائد.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج3، ص: 47 .

² مُحَمَّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. ج.12، ص:135.

ب - أسماء الإشارة:

اهتم اللغويون من نحاة وبلاغيين ومفسرين وعلماء نحو النص بأسماء الإشارة لأهميتها في الكلام، لكن اختلفت وجهات نظرهم إليها باختلاف أهداف الدراسات اللغوية عندهم، فنظرة النحاة لأسماء الإشارة أسست على مبدأين: أولاً : طبيعة المشار إليه، ثانياً : مدى قربته أو بعده من المتكلم، ويرى أغلب النحاة أنا الأصل في أسماء الإشارة أن يراد بها الإشارة الحسية قريبة أو بعيدة، فإن أشير بها إلى محسوس غير مشاهد تجعله كالمشاهد من مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ (الآية: 72- الزخرف). وقد يشير بها إلى ما يستحيل مشاهدته في الدنيا نحو قوله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ (الآية: 102- الأنعام).⁽¹⁾

وتختلف نظرة البلاغيين لأسماء الإشارة، حيث كان اهتمامهم بالأغراض التي تؤديها هذه الأسماء من خلال السياق اللغوي الذي وردت فيه هذه الألفاظ ، ويمكن إيجاز هذه الأغراض في الآتي :

التنبيه والإيجاز : ويعتبر التنبيه والإيجاز ركيزة كل الأغراض وأهمها التي من أجلها جاءت أسماء الإشارة في كلام العرب، ويقصد به أن "يتضمن التركيب ذكر أوصاف عديدة للشيء ثم تذكر باسم الإشارة"⁽²⁾.

بيان حال المشار إليه : في حال قربته أو بعده، بألفاظ (ذلك ، هذا...) كأن تقصد بقربه تحقيره، كقوله تعالى: ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ (الآية: 26- البقرة)، وبعده تعظيمه، كقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ﴾ (الآية: 32 - يوسف)، ولم تقل فهذا يوسف حاضراً رفعا لمنزلته في الحسن، واستحقاق: أن يجب ويفتن به.⁽³⁾

تمييز المشار إليه : قصد إحضاره في ذهن المتلقي: يحدد اسم الإشارة المشار إليه بدقة، عندما "لا يكون لك أو لسامعك طريق إليه سواها".⁽⁴⁾

(1) ينظر: ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد محمد تامر، شركة القدس للتجارة، القاهرة، مصر، د. ط، د.ت، ص134.

(2) طالب محمد إسماعيل الزويبي: البلاغة العربية (علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين)، جامعة قار يونس، بنغازي، ط 1 1997، ص 184.

(3) السكاكي (يوسف بن أبي بكر): مفتاح العلوم ، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1405- 1987، ص 183.

(4) المرجع نفسه ، ص 375 .

تمييز المسند إليه : ومن أغراض اسم الإشارة تمييز المسند إليه قصد تحقيق الحكم عليه، نحو قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الآية : 05- البقرة)، ذكر اسم الإشارة هنا في موضعين مختلفين وهو حكم على المشار إليه بالهدى والفلاح، وقد ذكر المشار إليه بأوصافه في الآيات السابقة لهذه الآية .
والشيء الواضح من هذه الأغراض كلها والتي جعلها البلاغيون أحد أهداف دراسة أسماء الإشارة ، إنما ارتبطت بالسياق الذي وردت فيه هذه الأسماء، وهو الذي ساعدهم على بيان معانيها بدقة .

أما إذا انتقلنا إلى المفسرين، فنجد اهتمامهم باسم الإشارة قد أخذ جوانب متعددة، فأحيانا ينصب اهتمامهم إلى المسافة الزمنية أو المكانية للمشار إليه، وكذلك إلى تعدد المشار إليه و مسألة عدم تطابق اسم الإشارة مع المشار إليه، إذا كان المفسر يميل إلى التفسير النحوي لآيات الذكر الحكيم، وأحيانا نجد اهتمامهم بالأغراض البلاغية التي يؤديها اسم الإشارة، خصوصا لدى المفسرين الذين غلبوا الجانب البلاغي في تفسيرهم واهتموا كذلك بالإشارة إلى الخطاب.

أما عند علماء لسانيات النص فيذهب الباحثان "هاليداي" و"رقية حسن" إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها، إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا...)، والمكان (هنا، هناك...)⁽¹⁾، أو حسب الإشارة المحايدة: وتكون بـ "The" أي ما يوافق أداة التعريف ، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء) أو حسب البعد (ذاك، تلك) والقرب (هذه، هذا)⁽²⁾.

وتعتبر أسماء الإشارة عندهم من الوحدات الدلالية التي لها دور الربط الذي تحققه داخل النص "فإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخص من التواصل أو غيابها عنه فإن أسماء الإشارة المكانية والزمانية وكذلك الظروف الدالة على الاتجاه، تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي مثلها لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه، ويجري تقسيمها في العربية إلى أقسامها المعروفة باعتماد المسافة قريبا أو بعدا من موقع المتكلم في الزمان والمكان"⁽³⁾.

ومما هو ملاحظ فإن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي، وبذلك فهي بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق، ومن ثم يتحقق سبك النص، إلا أن اسم

(1) مجّد خطاي، لسانيات النص، ص: 19.

(2) M,A,K, Halliday. Ruqaiya hasan, Cohesion In English, pp 70-71

(3) الأزهر الزناد: نسيج النص ، ص 118.

الإشارة المفرد يتميز بالإحالة الموسعة، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل⁽¹⁾. فهي تتسع لتشير إلى جزء من النص.

ونستفيد من استعمال اسم الإشارة بصفة عامة إلى تمييز المشار إليه عن غيره بحضوره في ذهن متلقي النص ذلك أن المعنى الذي يحمله اسم الإشارة هو: "الإيماء إلى حاضر بجارحة أو ما يقوم مقامها"⁽²⁾ فيكون لها الدور البارز في تحديد المعاني وتأويلها بالرجوع إلى المشار إليه داخل النص فتنتظم المعاني في الذهن لتعالق المباني ونظمها في النص.

الإحالة باسم الإشارة في كتاب أضواء البيان :

رأينا في العنصر السابق كيف استعان الشنقيطي بالضمائر الإحالية لبيان تماسك النص القرآني، وحددت الكيفيات التي يترابط بها الضمير مع ما يحيل عليه، وبما أن أسماء الإشارة أيضا تعد وسيلة من الوسائل الإحالية التي يترابط بواسطتها النص ويعتمدها محلل النص للكشف عن النسيج المحكم بين عناصره اللغوية، فقد استعان بها المفسرون واعتمدوها أثناء تفسيرهم لآيات الذكر الحكيم للكشف عن أسرار تراكيبه ومعانيه وأساليب نظمه العالية، ومدى اتصال عناصره وارتباطها، وقد تمحور اهتمامهم بأسماء الإشارة عموما في الحديث عن تعدد المشار إليه، والإشارة إلى الخطاب، وإلى قضية عدم التطابق بين اسم الإشارة والمشار إليه، ونبين في هذا الجزء كيف تناول "صاحب أضواء البيان" اسم الإشارة في تفسيره، وفاعلية هذا العنصر في توليد المعاني باعتبار العلاقة التي يقيمها بين أجزاء النص، وقد تنوعت أسماء الإشارة، فقد يكون المشار إليه قريبا أو متوسطا أو بعيدا، وهي ذات تأثير في التماسك القبلي والبعدي مما يؤدي بالمفسر للاستعانة بها لبيان السبك بين العناصر اللغوية للآيات المتتالية.

النموذج الأول : قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ (الآية: 31-32- يوسف).

نحن هنا أمام إحالة عنصر إلى عنصر وقد تحدث الشنقيطي عن المشار إليه في هذه الآية، إذ يقول: بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة ثناء هؤلاء النسوة على يوسف بهذه الصفات الحميدة

(1) مجّد خطابي، المرجع نفسه، ص: 19.

(2) ابن عيش (موفق الدين يعيش بن علي)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج 3، ص 126.

فيما بينهن⁽¹⁾، ومن باب ربط الآيات القرآنية بعضها ببعض عن طريق اسم الإشارة ذكّر الشنقيطي اعتراف النسوة بهذه الصفات عند سؤال الملك لهنّ أمام الناس⁽²⁾، في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (الآية: 51- يوسف)، ونلاحظ هنا أن الإحالتين مختلفتان، الأولى باسم الإشارة (هذا) والثانية بضمير الهاء، فالعنصر المبهم في الأول اسم الإشارة وفي الثاني الضمير، ورافع الإبهام سواء المشار إليه أو المرجع والعاقد واحد وهو "يوسف عليه السلام".

| | |
|---------------------|-----------------------------------|
| العنصر المبهم | رافع الإبهام |
| اسم الإشارة (هذا) ← | المشار إليه (يوسف عليه السلام) |
| الضمير (الهاء) ← | العاقد والمرجع (يوسف عليه السلام) |

ويفيد استعمال اسم الإشارة في هذه الآية تمييز المشار إليه عن غيره لأن اسم الإشارة إيماء للعنصر المشار إليه فيكون حضور شخصيته في ذهن المفسر والمتلقي للنص بصفة عامة، مما يتضح للنص القرآني تماسكه من خلال استحضار عنصر متقدم بأكمله، وفكرة الاستحضار هذه لم تكن غائبة عند الشنقيطي في هذه الآيات، فاستعت الإحالة باسم الإشارة لتشمل فضاء نصيا أكبر من الآية، لكون اسم الإشارة أحالنا على مشار إليه سبق ذكره في الآيات التي قبلها:

| | |
|------------------------------------|---|
| «ما هذا بَشْرًا» (الآية: 31- يوسف) | |
| «يوسفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا» | «إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ» (الآية: 31- يوسف) |
| (الآية: 29- يوسف) → | اسم الإشارة "هذا" |
| المشار إليه | |

وبهذا يكون الشنقيطي قد تجلّت عنده فكرة الاستحضار عن طريق اسم الإشارة "هذا"، ولا يوجد عنده احتمال آخر للمشار إليه، وحصل التطابق بين المشير والمشار إليه، وتمت الإحالة إلى

¹ الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص:85.

² ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص:85.

عنصر، فكان لاسم الإشارة دور في سبك النص القرآني وترابط الآيات السابقة واللاحقة لها، وحصل التفرغ بين هذه الآيات واسم السورة "يوسف"، للمناسبة بين اسم السورة ومحتواها. وإذا عدنا إلى الآية الكريمة التي من خلالها بين الشنقيطي اعتراف النسوة عند سؤال الملك لمن أمام الناس، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (الآية: 51- يوسف)، يتبين لنا كيف اعتمد الشنقيطي على العلاقة التكاملية بين عنصري الإحالة (الضمير واسم الإشارة) إذ ينحو الضمير إلى الإحالة المحدودة بينما ينحو اسم الإشارة هنا إلى الإحالة الموسعة لأنه يتعلق بمجموعة جمل.

إحالة محدودة → الضمير (أحالنا العائد أو المرجع داخل الآية رقم (51)).

إحالة موسعة → اسم الإشارة (اسم الإشارة وفاعلية بين الآية (31)

والآية (29) من سورة يوسف في وجود

علاقة بين الآيتين والآية رقم (51)).

وفي هذه الحال يدرج هذا النوع من الإحالة ضمن الإحالة الداخلية لعلاقتها المباشرة بالاتساق بين الآيات في السورة الواحدة لأنها ناتجة عن تحويل من بنية لغوية في نص هذه البنية متمثلة في اسم "يوسف عليه السلام".

يوسف → هذا (يوسف)

وما يهمنا هنا، هو كيف استعان الشنقيطي باسم الإشارة الذي تميز عنده هنا باستقلالية وظيفية مما أكسبه قوة مكنته من الربط بين آيات السورة.

وبمثل اسم الإشارة "هذا" استعان الشنقيطي في تفسيره لكثير من آيات الذكر الحكيم، مستحضرا المشار إليه سواء كان بإحالة إشارية قريبة المدى أو إحالة إشارية بعيدة المدى تربط بين أجزاء السورة الواحدة أو بين آيات السور القرآنية بصفة عامة، منها:

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الآية: 83- سورة المؤمنون).

تعدد اسم الإشارة في الآية السابقة على الرغم من أن المشار إليه واحد، واسم الإشارة "هذا" لا يعود على لفظ محدد في الآيات التي سبقته، ولكنه يعود على "البعث" والذي فهمه الشنقيطي من عبارة "أَنَا لَمَبْعُوثُونَ" فنكون هنا أمام انزياح من جهتين:

الانزياح الأول: عند استعمال اسم الإشارة بدل الاسم الظاهر، (هذا ← البعث).

الانزياح الثاني: عند استعمال اسم المفعول بدل المصدر الذي كان متضمنا في اسم المفعول (مبعوثون ← البعث).

وهذا لأهمية المشار إليه في عقيدة المسلمين، وهؤلاء الكفار الذين كذبوا نبينا ﷺ، قالوا مثل ما قالت الأمم قبلهم، من إنكارهم البعث، لأن الاستفهام في قوله: «أَنَا لَمَبْعُوثُونَ» (الآية: 82- سورة المؤمنون)، إنكار منهم للبعث⁽¹⁾، وهنا في تفسير الشنقيطي للآية الكريمة تجاوز فيها اسم الإشارة دوره الوظيفي المتمثل في تماسك السورة القرآنية إلى فهم الرسالة التي جاءت بها هذه السورة ومنها إثبات البعث على الرغم من وجود من ينكره أثناء نزول القرآن الكريم، فأسهمت الإحالة الإشارية هنا في تقرير أمر يتعلق بالعقائد الإسلامية.

وإذا عدنا إلى تفسير الشنقيطي في كثير من الآيات القرآنية التي احتوت اسم الإشارة "هذا" نجد أن اسم الإشارة يسهم في تحقيق أهم ثلاثة أشياء وهي:

- 1- الاختصار، لأن باسم الإشارة يتجنب التكرار.
- 2- إبراز أهمية المشار إليه في حياة الإنسان بصفة عامة أو في عباداته وعقائده.
- 3- تعد أسماء الإشارة هذه، العصب الرئيسي في إحداث السبك النصي ومنها إلى حبه.

والآيات الدالة على هذا كثيرة منها، قوله تعالى:

- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الآية: 09- الإسراء)⁽²⁾.
- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الآية: 76- النمل)⁽³⁾.

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج5، ص: 887.

² ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص: 487.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص: 459.

- ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (الآية: 54- ص) (1).

- ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الآية: 95- الواقعة) (2).

- ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (الآية: 18- الأعلى) (3).

وغيرها من الآيات التي احتوت اسم الإشارة "هذا" وحقق وظائفه التي ذكرناها سابقا، أهمها التي تخص دراستنا هذه وهي الربط بين أجزاء الآية الواحدة والآيات المتتابعة والآيات المتباعدة. وسبب هذا إدراك الشنقيطي لانسجام النص القرآني وأن ذلك رهنٌ بما يحتويه أجزاءه من وحدات لغوية يستعين بها المفسر تكون كفيلة لبيان نظمه المحكم.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ (الآية: 31- سورة العنكبوت)

لا بد هنا من التفريق بين وظيفة اسم الإشارة الإحالية ووظيفته الاتساقية، الفرق بينهما أن الوظيفة الإحالية تقع داخل الجملة كما تقع بين الجمل، أما الوظيفة الاتساقية لاسم الإشارة فتقع بين الجمل لأن أدوات السبك تبرز أهميتها في الربط بين الجمل والنصوص، إذ إن محورية اهتمامها ما وراء الجملة، لأن الترابط داخل الجملة حتمي تتحكم فيه تلك العلاقة المعنوية الإسنادية بين المسند والمسند إليه ومكملات تلك العلاقة، لكن الشيء الذي جعلنا نأتي بهذا المثال من خلال تفسير الشنقيطي هو أن اسم الإشارة في هذه الآية على الرغم من وقوعه داخل الجملة في إشارته لاسم وقع مضافا إليه إلا أن الشنقيطي لا ينفي تلك الوظيفة الاتساقية له، لارتباط اسم الإشارة "هذه" بالمقام الذي ذكرت فيه القرية، فنتساءل عن اسم هذه القرية التي وردت في هذه الآية، ومن خلال تفسير الشنقيطي لهذه الآية ومعالجته لمسألة الإحالة الداخلية والإحالة الخارجية لاسم الإشارة "هذه" نجده يميلنا إلى آية أخرى ذكرت في سورة هود، في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (الآية: 74- هود)، معتمدا بذلك على السياق القرآني الموسع لإبراز المقصود بالمشير إليه.

فحاصل جدال إبراهيم للملائكة في قوم لوط أنه يقول: إن أهلكم القرية وفيها أحد من المؤمنين أهلكم ذلك المؤمن بغير ذنب⁽¹⁾، والإشارة جاءت في سورة العنكبوت في تنمة الآية بقوله

¹ ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص:39.

² ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص:835.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج9، ص:183.

تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ (الآية: 31-32- العنكبوت).

وفي هذه الحال، يدرج هذا النوع من الإحالة ضمن الإحالة الموسعة التي اعتمد فيها لاستخراج المشير إليه على السياق البنيوي للجملة والسياق ما وراء الجملة (السياق القرآني)، وبنوعي الإحالة الداخلية والخارجية (المقامية) لوقوعها في خطاب حوارى بين المخاطب والمخاطب في شكل سؤال وجواب فكان كالاتي:

1- اسم الإشارة يوجد ضمن بنية جملة من شكل:

↓
إشارة + ال + اسم

"إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ" الآية (31) العنكبوت.

2- ارتباط اسم الإشارة بالمقام الذي ورد فيه: إذ بالرجوع إلى تحديد المقام الذي ورد فيه اسم الإشارة يعتمد الشنقيطي على السياق القرآني لبيانه، وذلك بالرجوع إلى سورة هود الآية: (74) في قوله تعالى: «وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ» .

وبهذا يدرج اسم الإشارة "هذه" ضمن أسماء الإشارة التي حققت التماسك بين آيات الذكر الحكيم، ويسمى هذا النوع لدى "هاليداي، ورقية حسن" بالإحالة المقامية، والمقصود منها أن العنصر المشار إليه يكون حاضرا بالقوة وليس بالفعل قال تعالى: «إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ» والقرية هي "سدوم" قرية قوم لوط، كما ذهب إلى ذلك محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير"⁽²⁾. وقد اعتمد أيضا على السياق القرآني متمثلا في آيات من سورة الأعراف لبيان أنها قرية قوم لوط.

وما يمكن استخلاصه من خلال النموذجين السابقين للإحالة باسم الإشارة، أن الإحالة تحققت مباشرة بين الوحدات اللغوية المتمثلة في اسم الإشارة والمشار إليه باعتباره موجودا عينيا بالمقام الخطابي الذي لا يمكن الاستغناء عنه، فهو يعد سياقاً غير لغوي:

¹ الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص:37،38.

² محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج20، ص242.

اسم إشارة + مشار إليه موجود في المقام = إحالة إشارية

1/ ما هذا ↓ + بشرا (يوسف عليه السلام) ↓ = وجود الإحالة.

2/ إن هذا + ملك كريم (يوسف عليه السلام) = وجود الإحالة.

3/ هذه + القرية (قرية سدوم، قوم لوط) = وجود الإحالة.

↓
تحقق الاتساق

النموذج الرابع: قوله تعالى: « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ » (الآية: 53 - الأحزاب).

كان الحديث في المثالين السابقين عن اسم الإشارة ودوره في ترابط الآيات، خصوصا إذا كان المشار إليه موجودا عينيا، وفي هذا المثال تنتقل إلى تخريجات أخرى للشنقيطي باعتبار المشار إليه خطابا في سياق استنادا إلى السياق الذي ورد فيه اسم الإشارة "ذلكم"، فهذا الأخير لا يعود على لفظ مذكور في النص، وإنما يعود على فحوى خطاب سبقه: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» (الآية: 53 - الأحزاب)، فاعتبر الشنقيطي قوله تعالى: « ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ » قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم، وأن وجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء وليس خاصا بأزواجه ﷺ، اعتمادا على المسلك المعروف في الأصول، بمسلك الإيماء والتنبيه (ذلكم) وضابط هذا المسلك: هو أن يقترن وصف بحكم شرعي على وجه لو لم يكن فيه ذلك الوصف علة لذلك الحكم لكان الكلام معيِّنا عند العارفين⁽¹⁾، وبذلك عرف صاحب مراقبي السعود دلالة الإيمان والتنبيه في مبحث دلالة الاقتضاء والإشارة والإيماء والتنبيه بقوله⁽²⁾:

دلالة الإيماء والتنبيه ————— في القنِّ تُقصدُ لدى ذويه.
أن يُقرنَ الوصف بحكم إن يكن لغير علة يعبُه من فطن.

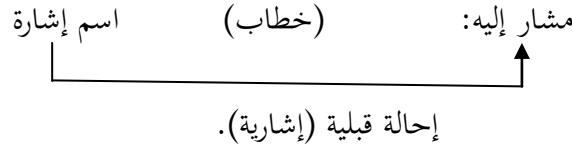
« وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ »

↓

↓

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص: 643، 644.

² محمد الأمين الشنقيطي: شرح مراقبي السعود - المسمى نثر الورد، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط 1، 1426، ج1، ص: 79.



والإمام الشنقيطي في هذه الآية استنبط حكما شرعيا بالرجوع إلى اسم الإشارة "ذلكم" وهو وجوب الحجاب على الجميع، ولم يخصه بأمهات المسلمين زوجات نبينا ﷺ، لأن في قوله تعالى: «ذَلِكَمْ أَطَهَّرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» لو لم يكن علة لقوله تعالى: «فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» لكان الكلام – كما يقول الشنقيطي – معيبا غير منتظم عن الفطن العارف، فحكم هذه الآية عام بدليل القرينة القرآنية⁽¹⁾، فاسم الإشارة هنا لم يكن الركنة التي بها يترابط النص فقط، بل بها أيضا فهمت الرسالة القرآنية لدى الشنقيطي لأن الأمر تجاوز التماسك النصي إلى استنباط الأحكام الفقهية من هذا الترابط.

النموذج الخامس: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ (الآية: 73 – البقرة). يمثل تفسير الشنقيطي لهذه الآية من إشاراته لفائدة الإحالة باسم الإشارة في الربط بين آيات الذكر الحكيم وانسجامها، خصوصا إذا كان المشار إليه خطابا في السورة نفسها أو في سورة أخرى من القرآن الكريم، ومما جاء في تفسيره لهذه الآية قوله: أشار في هذه الآية إلى أن إحياء قتيل بني إسرائيل دليل على بعث الناس بعد الموت، لأن من أحيا نفسا واحدة بعد موتها قادرٌ على إحياء جميع النفوس⁽²⁾. وذكر الشنقيطي أيضا أن الله تعالى صرح بهذا في قوله: «مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعَثْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (الآية: 28 – سورة لقمان)، فكان للإشارة دور في اتساق الخطاب من خلال تفسيره هذه الآية من ناحيتين:

الأولى: السبك بين آيات السورة الواحدة.

الثانية: السبك والترابط بين آيات الذكر الحكيم وسوره.

فالخطاب الأول الذي استحضره الشنقيطي، قوله تعالى من نفس السورة: «فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَظْمِهَا» الآية (73) سورة البقرة، أي: القاتل الذي فيه نزاع⁽³⁾، فضرابه ببعض منها فحبي بإذن

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج 6، ص: 644.

² الشنقيطي، أضواء البيان، ج 1، ص: 94.

³ الشنقيطي: العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، دار ابن عفاف القاهرة، ط 1، 1424، 2003، مج 1، ص 132.

الله⁽¹⁾، فكما أحيا الله هذا القتل وهذا الجثم من الناس ينظرون، كذلك الإحياء المُشاهد يحيي الله الموتى يوم القيامة، فهو دليل قرآني على البعث⁽²⁾، فتحقق السبك النصي كآتي:

| <u>المشار إليه (خطاب)</u> | <u>اسم الإشارة</u> |
|---|--------------------------|
| قوله تعالى: « فقلنا اضربوه ببعضها » | كذلك |
| مضمون الآية من معاني وألفاظ حذفت مناسبة للإعجاز البياني للقرآن الكريم. | إحالة إشارية داخل السورة |

أما الخطاب الثاني الذي استحضره الشنقيطي، فقوله تعالى من سورة لقمان: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (الآية: 28- لقمان). يقول الشنقيطي الذي أحيا نفساً واحدة قادر على إحياء جميع النفوس، لأن ما جاز على المثل يجوز على أمثاله⁽³⁾.

| <u>المشار إليه (خطاب صريح)</u> | <u>اسم الإشارة</u> |
|---|---------------------------|
| قوله تعالى: « مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ » | كذلك |
| الآية (28) سورة لقمان. | إحالة إشارية خارج السورة. |

من خلال تفسير الشنقيطي لهذه الآية، وبالضبط لاسم الإشارة الوارد في قوله تعالى: « كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى » تبين لنا أنه ميّز أولاً المشار إليه أكمل تمييز في إشارته إلى الخطاب الوارد في نفس الآية بقوله تعالى: « فَأَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا »، والخطاب المشار إليه يحوي هذه الألفاظ وما تضمنته هذه الألفاظ من معاني بينها الشنقيطي أثناء تفسيره للآية، فتشكل الخطاب من مجريات القصة التي حدثت لبني إسرائيل أثناء ذبحهم للبقرة، وضرهم ببعض أجزائها القتل، ليحيي الله هذا القتل ويكشف قاتله، فمثل هذا يحيي الله الموتى، فالمشار إليه إذا تمثل في جزء من قصة بني إسرائيل مع البقرة.

¹ الشنقيطي: العذر المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، مج1، ص136.

² المرجع نفسه، مج1، ص137.

³ المرجع نفسه، مج1، ص137.

أما الخطاب المساعد في تفسير اسم الإشارة فقد ذكره الشنقيطي، والمتمثل في صريح الآية الكريمة في قوله تعالى: « مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفَّةٍ وَاحِدَةٍ » الآية (28) سورة لقمان. فالإحالة في هذا المقام نصية لأن المشار إليه واقع في النص القرآني يفسره الخطاب الذي سبقه والخطاب الذي لحقه في سورة لقمان إذا اعتبرنا ترتيب سور القرآن أمرًا تَوْقِيفِيًّا، فتحقق تماسك النص القرآني بالإضافة إلى تحقيق الإيجاز في الخطاب وهي وظيفية من أهم وظائف الإحالة التي أشار إليها نحو النص.

النموذج السادس: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾ (الآية 74- سورة البقرة).

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن قتادة* في قوله: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ» قال: قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاهُمْ اللَّهُ الْآيَةَ⁽¹⁾، يقول الشنقيطي من بعد ذلك الأمر الذي عاينتموه، وهو إحياء القتيل، الذي هو أعظم تسبب للدين القلوب⁽²⁾، فالمشار إليه في هذه الآية هو عملية إحياء القتيل، أما إذا ذهبنا للزخشي فنجده يذهب إلى أن الإشارة الواردة في الآية السابقة "ذلك" إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودات⁽³⁾، والملاحظ أن الشنقيطي لا يعتبر المشار إليه متعددًا على خلاف الزخشي الذي يعتبر أن المشار إليه يتمثل احتمالين:

الاحتمال الأول: اسم الإشارة يعود على إحياء القتيل، فنحن هنا بصدد إحالة إلى عنصر.

الاحتمال الثاني: اسم الإشارة يعود إلى خطاب ذكر سابقًا يتمثل في آيات هي عبارة عن قصة من القصص القرآني قصة "ذبح بقرة بني إسرائيل":

* - عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211) صاحب "تفسير القرآن"

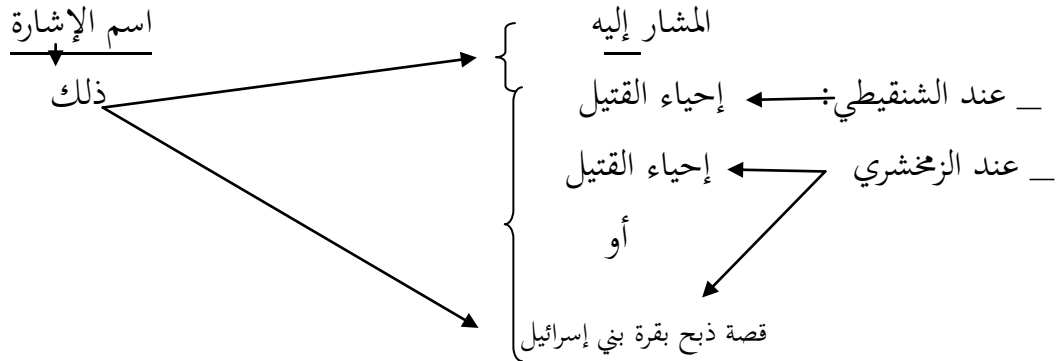
- معمر بن راشد أبو عروة بن أبي عمر الأزدي من علماء القرن الثاني للهجرة.

- قتادة بن دعامة من التابعين (61هـ-118هـ).

¹ حكمت بن بشر بن ياسين، التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، دار المآثر، المدينة النبوية، ط1، 1420، 1999، مج1، ص176.

² الشنقيطي: العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، مج1، ص141.

³ الزخشي (محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل عبد الموجود، علي معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418-1998، ج1، ص286.



وسواء أكان المشار إليه مُحدِّدًا كما عند الشنقيطي أم متعددًا كما عند الزمخشري وغيره من المفسرين، فإن النص القرآني يبقى متماسكا ولو اختلفت الآراء حول المشار إليه، ولا يمكن الفصل بين هذين المتعلقين (اسم الإشارة - المشار إليه) ويبقى الخطاب القرآني مترابطا كمال الارتباط.

ج - الاسم الموصول:

إن اسم الموصول في حقيقته هو ما يدل على معنى بواسطة جملة تذكر بعده، وتسمى هذه الجملة: صلة الموصول⁽¹⁾، ويعد اسم الموصول من وسائل الاتساق النصي لأنه يتطلب وجود جملة بعده -صلة الموصول- وعادة ما تكون هذه الأخيرة جملة فعلية، وقد اعتبره "دي بوجراند" من وسائل الإحالة النصية التي تعمل على ربط أجزاء النص بعضها ببعض⁽²⁾، ويعرفه "الأزهر الزناد" تعريفاً وظيفياً في كتابه: "نسيج النص" بقوله: "الأسماء الموصولة تكتفي بوظيفة التعويض، إذ تعوض وتربط ربطاً تركيبياً وهي بحكم إبهامها تحتاج صلة تفسرها، والصلة ينبغي أن تكون معلومة للسامع في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول⁽³⁾. فالأسماء الموصولة لا تحمل دلالة مستقلة بل تعود إلى عنصر أو عناصر ذكرت في أجزاء أخرى من النص.

فعندما نتحدث عن اسم الموصول في مجال نحو النص فإننا بصدد الحديث عن أداة من أدوات الإحالة التي تعمل على سبك النص، لأنه يرتبط بمذكور سابق وقد يتكرر اسم الموصول للمذكور نفسه وفي هذه الحال، يحدث تلاحماً ونسقا موحداً للنص كله وخير مثال على ذلك في

¹ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تج، على سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1431-2010م، ص124.

² ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1418-1998م، ص32.

³ الأزهر الزناد: نسيج النص، ص118.

القرآن الكريم سورة "المؤمنون"، يقول الله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» (الآية 1-3- المؤمنون)، وغيرها من الآيات التي جاءت بعدها وتكرر اسم الموصول داخلها، وكله يعود على المذكور الأول "المؤمنون" مما جعل اسم الموصول يشد أزر هذه الآيات في تلاحم عجيب بين ما تقدم ذكره وضمه إلى ما ذكر بعده، فقد كانت ثنائية الوظيفة، إذ تم تعويض المحال إليه "المؤمنون" من جهة، وربطت ما قبلها بما بعدها من جهة ثانية.

أقسام اسم الموصول:

يعتبر اسم الموصول، كما ذكرنا، أداة من أدوات الاتساق الإحالية التي تعمل على تماسك الآيات القرآنية، وقد استعان بها المفسرون ومنهم الشنقيطي لتفسير القرآن الكريم وبيان علاقتها بما سبقها وما لحقها لاستخراج المعنى، وتنقسم الأسماء الموصولة إلى قسمين: خاصة وعامة، وفيما يلي بعض النماذج من القسمين و التي أشار فيها الشنقيطي إلى أهمية ودور اسم الموصول في تحقيق التماسك النصي:

أ - الأسماء الموصولة الخاصة :

تقتصر دلالتها على بعض الأنواع دون بعض، فلنوع المفرد المذكور ألفاظ خاصة به، ولنوع المفردة المؤنثة ألفاظ خاصة بها وكذلك للمثنى بنوعيه وللجمع بنوعيه، وأشهرها ثمانية⁽¹⁾:

- 1- الذي: يختص بالمفرد المذكر عاقلاً أو غير عاقل.
- 2- التي: تختص بالمفردة المؤنثة، عاقلة كانت أو غير عاقلة.
- 3- اللذان واللتين: يختص بالمثنى المذكر، بالألف في حالة الرفع وبالياء في حالتي النصب والجر.
- 4- اللتان واللتين: يختص بالمثنى المؤنث، بالألف في حالة الرفع وبالياء في حالتي النصب والجر.
- 5- الألى أو الألاء: للعقلاء من جمعي المذكر والمؤنث.
- 6- الذين: للجمع المذكر العاقل.

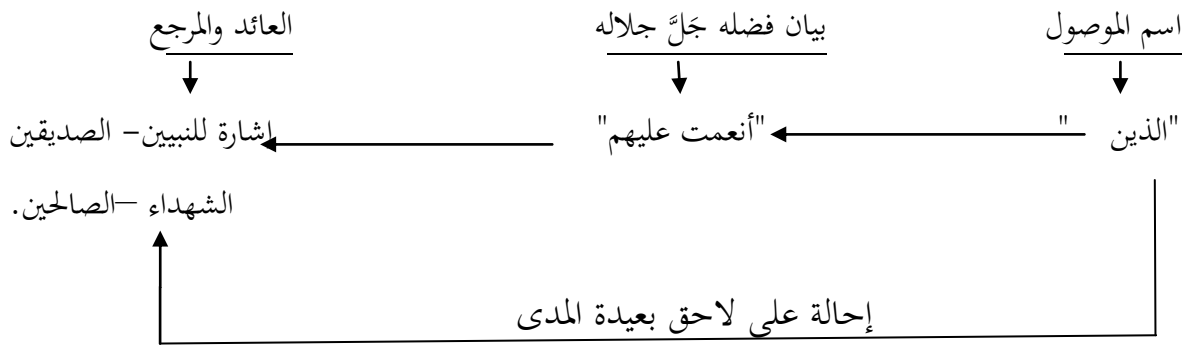
¹ ينظر: عباس حسن: النحو الواقي، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د. ت)، ج1، ص342-346.

7- و 8- اللات أو اللاتي واللاء، أو اللائي: وتختص جمع المؤنث للعاقلة وغير العاقلة.

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (الآية: 6-7 - سورة الفاتحة).

موقع اسم الموصول "الذين" في محل جر بالإضافة مبني على الفتح، و"أنعمت عليهم" صلة موصول لا محل لها من الإعراب وضمير الهاء والميم يعود على اسم الموصول "الذين"، فتترابط الصلة باسم الموصول هنا عن طريق الضمير، ويبرز هنا دور الضمير واسم الموصول في ربط أجزاء النص، إلا أن هناك قراءة أخرى للشنقيطي تبدو أكثر اتساقاً مع بنية الخطاب القرآني الكلي بين آياته وسوره، تُبين مدى إسهام اسم الموصول "الذين" في تماسك القرآن وتربطه، فضلاً عن التطابق بين الاسم الموصول وما يعود عليه، كما ذكرنا سابقاً أن "الذين" تختص بجمع المذكر العاقل.

فإنه تعالى - كما ذكر الشنقيطي⁽¹⁾ - لم يبين هنا من هؤلاء الذين أنعم عليهم وبين ذلك في موضع آخر بقوله: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (الآية: 69 - النساء).



أحالت "الذين" إلى مجموع من أنعم الله عليهم، وقد أسهم التباعد بين الآيات، وانتقالنا من سورة لأخرى، والتطابق بين طرفي الإحالة، إلى توسيع مساحة الخطاب القرآني باعتباره كلا مترابطة واستحضارا لآيات أخرى، أدى كل هذا إلى إبراز وظيفة الربط الإحالي باستعمال اسم الموصول الذي استعان به الشنقيطي ليقوم بوظيفتين:

الأولى: استحضار خطاب قرآني مختزلاً.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج 1، ص 51.

الثانية: ربط هذا الخطاب بما له علاقة من آيات في سور أخرى "بيان التماسك الكلي لآيات الذكر الحكيم".

النموذج الثاني: قوله تعالى: «وَنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» (الآية : 18- سورة فصلت).
 وقع اسم الموصول "الذين" في محل مفعول به للفعل الذي قبله والفاعل ضمير يعود إلى "لفظ الجلالة"، وصلة الموصول جملة فعلية لا محلَّ لها من الإعراب، وارتبطت صلة الموصول بالاسم الموصول عن طريق ضمير الرفع "الواو" العائد على كلمة "الذين"، فارتباط اسم الموصول كان ارتباطاً تركيبياً عادياً يتعلق بترابط أي جملة مع متماتها، لكن السؤال المطروح: على من يعود اسم الموصول "الذين" في هذه الآية الكريمة؟

بالعودة إلى الآيات السابقة لهذه الآية نجد قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ (الآية: 17- فصلت)، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه أهلك ثمود بالصاعقة، وذكر في الآية بعدها، أنه نجى من ذلك إهلاك الذين آمنوا وكانوا يتقون الله، ويعود اسم الموصول وصلته "الَّذِينَ آمَنُوا" على النبي "صالح عليه السلام" ومن آمن معه من قومه⁽¹⁾، وسياق الآيات يدل على العائد، فنرى بوضوح دور "اسم الموصول" "الذين" في الربط بين أجزاء الآيات الكريمة، إذ يحيل إلى أجزاء من قصة النبي صالح عليه السلام مع قومه، وكيف كانت عاقبة المهتدين وممن حادوا الطريق وسلكوا سبيل المجرمين.

وقد استعان الشنقيطي بالسياق القرآني بآياته البينات، والتي يفسر بعضها بعضاً لبيان العائد لاسم الموصول "الذين" في هذه الآية، حيث ذكر أن المعنى الذي دلَّت عليه هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في غير هذا الموضوع، كقوله تعالى في سورة هود: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ (الآية: 66-67- هود)، وقوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (الآية: 45- النمل) إلى قوله تعالى في ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (الآية: 52- 53- النمل). أي وهم صالح ومن آمن معه⁽²⁾.

¹ ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص: 140.

² ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص: 140.

الإحالة

العائد

باسم الموصول "الذين"

|

الذين

النبي صالح ومن آمن معه

إحالة قبلية قصيرة المدى

وبذلك يدرك تماسك النص من خلال هذه المرجعية التي استعان الشنقيطي في تحديدها بأمرين:

1/ **سياق الآية:** ونقصد به هنا ما سبق الآية الكريمة، من معاني تؤكد أنه العائد لاسم الموصول "الذين" هم: النبي صالح ومن آمن معه.

2/ **السياق القرآني:** وتمثل في آيات من الذكر الحكيم ذكرت في سورة أخرى أعادت ذكر قصة النبي صالح مع قومه بأسلوب لغوي آخر، وهذا من بلاغة القرآن الكريم الذي تحدى الله به أساطين البيان من عرب ذلك الزمان - زمن نزول الوحي - ومن جاء بعدهم.

فالسباق اللغوي سواء سياق الآية أم السياق القرآني استند إليهما الشنقيطي لبيان مرجعية اسم الموصول، فكأن بذلك إحالة على الأشخاص الذين نجاهم الله ولم تقع عليهم العقوبة، ففي الإحالة عليهم إشارة إلى الفريق الذي سار على طريق الهدى فجاهه الله وبيان جزاء من أعرض عن ذكر الله واستجب العمى على الهدى، لأن توظيف اسم الموصول لا محالة يُبرز العلاقات الاتساقية بين الآيات.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (الآية: 1-5- العلق).

يتبين لنا من خلال هذا النموذج دور اسم الموصول في التماسك بين أجزاء هذه الآيات، إذ يحيلنا إلى "العليم الحكيم" الذي خلق الإنسان وعلمه ما لم يعلم، فيأتي السبك النصي عن طريق اسم الموصول "الذي" وتكريره في الآية الرابعة من السورة ولم يتكرر في الآيات الأخرى على الرغم من وجود تشابه بين الآيات، وهذا من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فتكرار اللفظ في الذكر الحكيم إعجاز وعدم تكراره إعجاز كذلك: «فَرَأَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ» (الآية: 28-سورة الزمر).

وذكر في أضواء البيان أن في هذه الآيات الخمس تسع مسائل مرتبط بعضها ببعض ارتباط السبب بالمسبب والعام بالخاص والدليل بالمدلول عليه، وكلها من منهج هذا الكتاب المبارك⁽¹⁾، خصوصا إذا علمنا أن الشنقيطي يرى أن الموصولات كالذي والتي وفروعهما من صيغ العموم، لعمومها في كل ما تشتمله صلاتها وهذا ما قرره علماء الأصول⁽²⁾، أما المسائل التسع التي ارتبط بعضها ببعض في هذه الآيات الخمس وذكرت في أضواء البيان أثناء شرح الآيات، وكان لاسم الموصول "الذي" دورا مهما في إبراز الصلات بينها فهي كالاتي⁽³⁾:

أولا: الأمر بالقراءة، يوجه لنبي أمي.

الثانية: كون القراءة هذه باسم الرب سبحانه مضافا للمخاطب ﷺ باسم ربك.

الثالثة: وصف الرب "الذي خلق" بدلا من اسم الله، واسم "الذي يحيي ويميت" أو غير ذلك، لأن صفة "الخلق" هي أقرب الصفات لمعنى الربوبية.

الرابعة: خلق الإنسان بخصوصه، بعد عموم خلق وإطلاقه.

الخامسة: خلق الإنسان من علق، ولم يذكر ما قبل العلقة من نطفة أو خلق آدم من تراب، فهي تفصيل بعد إجمال ببيان لبعض من الكل، فالإنسان بعض مما خلق وذكره من ذكر العام بعد الخاص.

السادسة: إعادة القراءة مع ربك الأكرم، بدلا من أي صفة أخرى، وبدلا من "الذي خلق" المتقدم ذكره.

الثامنة: التعليم بالقلم (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ).

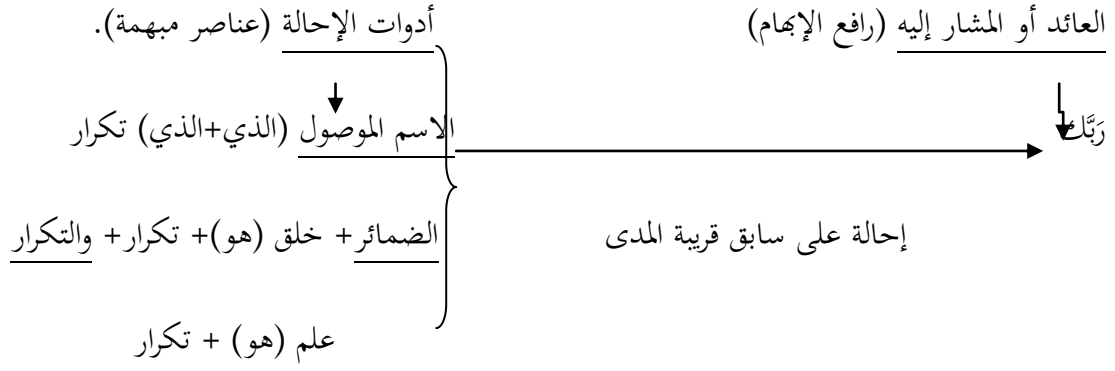
التاسعة: تعليم الإنسان ما لم يعلم وهي بيان للإجمال الحاصل في المسألة الثامنة.

فارتبطت هذه الآيات بأدوات الإحالة، وهي عناصر مبهممة متمثلة في اسم الموصول والضمائر ذات المرجعية السابقة على لفظ "ربك" وهو رافع الإبهام الحاصل في الآيات، بالإضافة إلى التكرار الذي يعد أحد وسائل السبك النصي، نذكره هنا، وسيأتي الحديث عنه لاحقا بالتفصيل في عنصره.

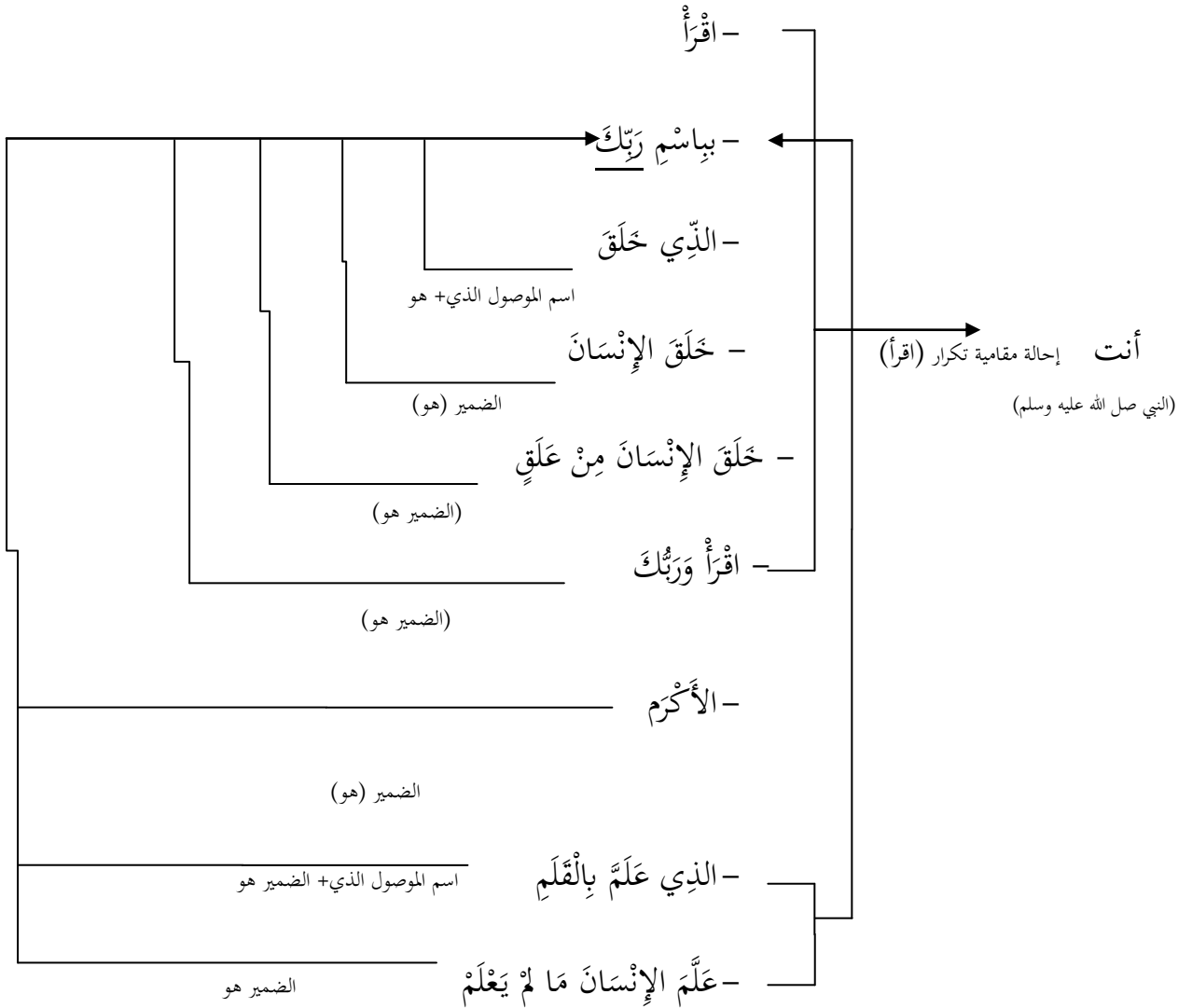
¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، وتمتته لمحمد عطية سالم، ج9، ص: 343، 344.

² ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص: 560.

³ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان وتمتته لمحمد عطية سالم، ج9، ص: 344.



فارتبطت هذه المسائل التسع كالاتي:



فالمسائل التسع - كما ذكر - مرتبط بعضها ببعض بثلاث أدوات من أدوات التماسك النصي وهي:

- الاسم الموصول.

- والضمائر الإحالية.

- والتكرار.

يتبين لنا بوضوح كيف يستعين مفسر النص القرآني بهذه الأدوات لإبراز علاقة التماسك بين أجزاء الآيات الكريمة ومن ثم تحقيق الاتساق في النص القرآني، مما يسهل على مفسر النص فهمه وبيانه للناس على مراد الله، وقد اختفى هنا متلقي النص ولم يذكر -رسول الله ﷺ- في البنية الخطائية وهو المحال إليه الخارجي المحوري لأنه المبلغ لرسالة ربه، فجاءت الإحالة بضمير المخاطب "أنت" في قوله تعالى: «اقرأ» .

النموذج الرابع: قوله تعالى في كلام فرعون لموسى عليه السلام: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي

فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الآية: 19- الشعراء).

ذكر الشنقيطي أن الله ﷻ أجهم هذه الفعلة التي فعلها لتعبيره عنها بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: التي فعلت، وقد أوضحها في آيات أخرى، وبين أن الفعل المذكورة هي قتله نفساً⁽¹⁾، ومن هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (الآية: 15- القصص)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ (الآية: 33- القصص)، وقوله في الذي استغاث بموسى مرتين: ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَمُنُّ بِكَ وَإِنْ تَتُوبْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَبَرًا﴾ (الآية: 19- القصص).

| | |
|----------------------|----------------------|
| عنصر مبهم | رافع الإبهام |
| الاسم الموصول (التي) | المرجع (قتله نفساً). |

إن الإحالة باسم الموصول لا تقتصر على الشخص فقط، بل تتعدى الإحالة إلى الأفعال وإلى غير العاقل خصوصاً إذا علمنا أن "التي" من الأسماء الموصولة التي تختص بالمفردة المؤنثة عاقلة

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج6، ص:408.

كانت أم غير عاقلة، وفي هذه الآية يعد اسم الموصول "التي" إحالة نصية إلى الفعلة التي فعلها موسى عليه السلام وهي قتله نفسا، وهي إحالة نصية بعيدة المدى، ونرى بوضوح هنا كيف اعتمد الشنقيطي على مرجعية اسم الموصول لبيان دلالة النص القرآني، ورد دلالة الآية الواحدة إلى سياقها العام وهو السياق القرآني الكلي، ويؤكد أن الشنقيطي لم يقف في تفسيره للآيات القرآنية عند حدودها الجزئية ولكن نظر إلى وجودها في الخطاب القرآني عموما، حيث تجاوز التركيب الإسنادي للجمل إلى دراسة النص ببعده الكلي الباحث عن انسجام الآيات والسور.

ب - الأسماء الموصولة العامة:

الاسم الموصول العام يسمى: المشترك* : ولا تقتصر دلالتها على بعض هذه الأنواع دون بعض، وإنما يصلح للأنواع كلها وهي⁽¹⁾:

1/"مَنْ": تستعمل غالبا للعقلاء وتكون للمفرد في نوعين؛ المثني والجمع، وقد تستعمل في بعض الأحوال في غير العقلاء.

2/"مَا": تستعمل غالبا في غير العاقل وتكون للمفرد في نوعين؛ المثني والجمع.

3/"أَل": وتكون للعاقل وغيره، مفردا وغير مفرد، ولا تكون موصولة إلا إذا دخلت على صفة صريحة.

4/"ذُو": وتكون للعاقل وغيره؛ مفردًا وغير مفرد.

5/"ذَا": وتكون للعاقل وغيره؛ مفردا وغير مفرد، ولا تكون موصولة إلا بشروط ذكرها العلماء في بابها وابتعدت عن ذكرها هنا تجنبًا للتفصيل الذي لا يخدم الموضوع.

6/"أَي": وتكون للعاقل وغيره.

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (الآية: 46- الرحمن).

ذكر الشنقيطي أنه قد تقرر في الأصول أن الموصولات من صيغ العموم، فقوله: «وَلَمَنْ خَافَ»، يعم كل خائف مقام ربه، ثم صرَّح بشمول ذلك للجن والإنسان معًا بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الآية: 47 - الرحمن)، فبين أن الوعد بالجننتين لمن خاف مقام ربه من آلائه، أي نعمه على الإنس والجن⁽²⁾، ويذهب الشنقيطي إلى أن اسم الموصول "مَنْ"

* والذي يزيل أثر الاشتراك هو وجود الضمير بعده أو غيره من القرائن التي تعينه.

¹ ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج 1، ص 347-363.

² الشنقيطي: أضواء البيان، ج 7، ص: 429.

أحال على الإنس والجن، وقد عرف المحال إليه من سياق المقال، وذلك في قوله تعالى: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

ونشير هنا إلى أن عودة اسم الموصول وتحديد المحال إليه تتأثر بالمعنى، ويلجأ المفسرون إلى تفسيرات نحوية وأخرى دلالية تتعلق بالعقيدة والإيمان حول القضية، مما قد يحدث تباين في وجهات النظر بين المفسرين حول العائد المفسر للإبهام الحاصل من اسم الموصول، وقد اختلف المفسرون في العائد في هذه الآية كما ذكر الشنقيطي، إذ يعود اسم الموصول "مَنْ" عند بعض المفسرين على المؤمنين من الإنس، فقوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزِّمَنَّ مِنْ عَذَابِ الْآلِيمِ﴾ (الآية: 29-31 - الأحقاف)، يفهم منها أن المؤمنين من الجن لا يدخلون الجنة، وأن جزاء إيمانهم وإجابتهم داعي الله هو الغفران وإجارتهم من العذاب الأليم فقط، ومن هؤلاء العلماء أبو حنيفة رحمه الله تعالى⁽¹⁾، أما الشنقيطي فيذهب كما سبق أن اسم الموصول -مَنْ- يعود على الإنس والجن، وأن آية الأحقاف نص فيها على الغفران، والإجارة من العذاب ولم يتعرض فيها لدخول الجنة بنفي ولا إثبات، وأن آية الرحمن نص فيها على دخولهم الجنة، فقوله: «وَلِمَنْ خَافَ» يعم كل خائف مقام ربه، وبالرجوع أيضا إلى علماء الأصول قولهم: أن الموصولات من صيغ العموم، ثم صرَّحَ جَلَّ وَعَلَا بشمول ذلك الجنِّ والإنس معاً⁽²⁾، بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. (الآية: 47 - الرحمن).

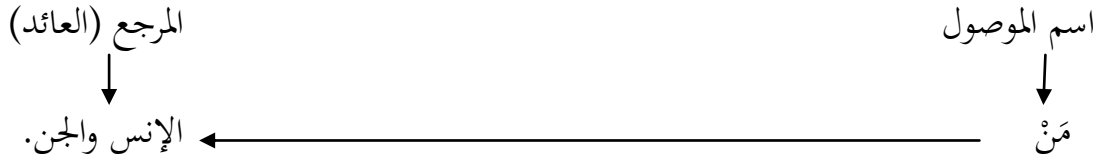
ويرى الشنقيطي أنه لا يوجد تعارض بين آية الأحقاف وآية الرحمن لأن آية الرحمن بينت ما لم تعرض له الأخرى، وإذا سلمنا أن آية الأحقاف تدل على عدم دخول الجن الجنة فإنه إنما يدل عليه المفهوم دون تصريح، وآية الرحمان تدل على دخولهم الجنة بعموم المنطوق، وكما ذكر الشنقيطي أن المنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر في الأصول⁽³⁾، فيكون اسم الموصول هنا قد

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص: 428.

² المرجع نفسه، ج7، ص: 429.

³ المرجع نفسه، ج7، ص: 429.

عاد على الجن والإنس دون استثناء عالم الجن من ذلك، واسم الموصول يعمل على بناء شبكة من العلاقات بين العناصر في فضاء بناء النص.



إحالة بعدية قريبة المدى

فالشنقيطي قام بتحديد المحال إليه بحيث أصبح واضحاً جلياً، وقد تضافرت عوامل عدة على تحديده عنده وهي:

- سياق الآية.

- والقواعد الأصولية المتمثلة في قاعدة:

* أن الموصولات من صيغ العموم.

* أن المنطوق مقدم على المفهوم.

- السياق القرآني باعتبار أن بعض الآيات بينت ما لم تعرض له آيات أخرى.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ (الآية: 37- الأحزاب).

وقع اسم الموصول "ما" في محل نصب مفعول به للفعل تخفي، كما ذكرنا سابقاً أن اسم الموصول عنصر مبهم يحتاج لإزالة الإبهام حتى يتضح المعنى، وهذا هو دور المفسر في شرحه لآيات الذكر الحكيم، وبيان دور اسم الموصول في سبك أجزاء النص، لأن اسم الموصول يعمل على بناء شبكة من العلاقات الإحالية داخل الآية أو بين الآيات المتباعدة في فضاء النص.

وقد ذكر الشنقيطي أن من أنواع البيان التي تضمنها الكتاب المبارك، بيان الإجمال الواقع بسبب الإبهام في صلة الموصول، ومن أمثلة ذلك هذه الآية الكريمة: «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» لأن جملة: "الله مبديه" صلة الموصول الذي هو "ما"، فإنه هنا أجهم هذا الذي أخفاه ﷻ في نفسه وأبداه الله¹.

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص: 639.

| | |
|--------------------|--------------------------|
| عنصر مبهم | رافهم الإبهام |
| الاسم الموصول (ما) | المرجع (الذي أبداه الله) |

لكن: ما الشيء الذي أبداه الله؟ إذا حددنا الشيء الذي أبداه الله يزول الإبهام الحاصل مع اسم الموصول وصلته، وقد ذهب المفسرون مذاهب متباينة في تحديد الشيء الذي أبداه الله وأخفاه رسوله ﷺ:

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: اختلف الناس في تأويل هذه الآية، فذهب قتادة وابن زيد وجماعه من المفسرين ومنهم الطبري وغيره إلى أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً أن يطلقها زيد، فيتزوجها هو، إلى أن قال: وهذا الذي كان يخفي في نفسه، ولكن لزم ما يجب من الأمر بالمعروف يعني قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ (الآية: 37 - الأحزاب) ⁽¹⁾، واعتبر الشنقيطي هذا القول غير صحيح وأنه غير لائق به ﷺ ⁽²⁾، وذهب صاحب التحرير والتنوير إلى أن جملة: «وَحُفِّي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» عطف على جملة ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ (الآية: 37 - الأحزاب)، والذي في نفسه علمه بأنه سيتزوج زينب وأن زيداً يُطَلِّقُهَا وذلك سرٌّ بينه وبين ربِّه ⁽³⁾، وإلى هذا ذهب الشنقيطي على أن المراد به زواجه ﷺ زينب بنت جحش ﷺ حيث أوحى إليه ذلك، لأن زواجه بها هو الذي أبداه الله بقوله: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا» (الآية: 37 - الأحزاب)، وهذا هو التحقيق في معنى الآية وهو اللائق بجنابه ﷺ ⁽⁴⁾، وأن الله أعلم نبيه ﷺ بأن زيداً يطلق زينب وأنه يزوجه إياها ﷺ، وهي في ذلك تحت زيد، فلما شكها زيد إليه ﷺ قال له: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ» (الآية: 37 - الأحزاب). فعاتبه الله على قوله: أمسك عليك زوجك بعد علمه أنها ستصير زوجته هو ﷺ ⁽⁵⁾.

¹ القرطبي (مُجَّد بن أحمد بن أبي بكر): الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427-2006، ج17، ص:155.

² الشنقيطي: أضواء البيان، ج6، ص: 640.

³ ينظر: مُجَّد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج22، ص32.

⁴ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص: 639.

⁵ المرجع نفسه، ج6، ص: 641.

| | |
|----------------------|-------------------------------------|
| العائد أو المرجع | الاسم الموصول |
| ↓ | ↓ |
| زواجه ﷺ بزینب بنت | ما ← |
| جحش ﷺ (رافع الإبهام) | إحالة نصية قريبة المدى. (عنصر مبهم) |

والذي يدعم رأي الشنقيطي على أن العائد للاسم الموصول المبهم هو زواجه ﷺ بزینب بنت جحش ﷺ - هما أمران:

الأمر الأول: أن الله جلَّ وعلا قال: «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» وهذا الذي أبداه الله جلَّ وعلا هو زواجه بها في قوله «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا» ولم يُبدِ جلَّ وعلا شيئاً مما زعموه.

الأمر الثاني: أن الله جلَّ وعلا صرح بأنه هو الذي زوجه بها، وأن الحكمة الإلهية في ذلك التزويج هي قطع تحريم أزواج الأعداء في قوله تعالى: «لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ» (الآية: 37 - الأحزاب). وهو تعليل صريح لتزويجه إياها، وأن زواجه إياها ليس هو محبته لها كما زعموا⁽¹⁾.

يتبين لنا مما سبق أن الشنقيطي يعتمد على السياق اللغوي للنص القرآني في تحديد مرجعية الاسم الموصول، وكيف كان لهذه المرجعية من دور في الربط بين أجزاء الآية الواحدة وتحديد العلاقات التي تربط العناصر اللغوية بعضها ببعض وتعمل على تماسكها، فالنظم القرآني يعتبر من أوجه الكمال اللغوي التي بها استطاع الشنقيطي أن يرجح رأيه على الآراء الأخرى بقوة الحجة لاعتماده على السياق القرآني بأن فسر القرآن بالقرآن وهذا من أكمل أوجه التفسير.

النموذج الثالث: قوله تعالى: « فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ » (الآية: 78 - طه).

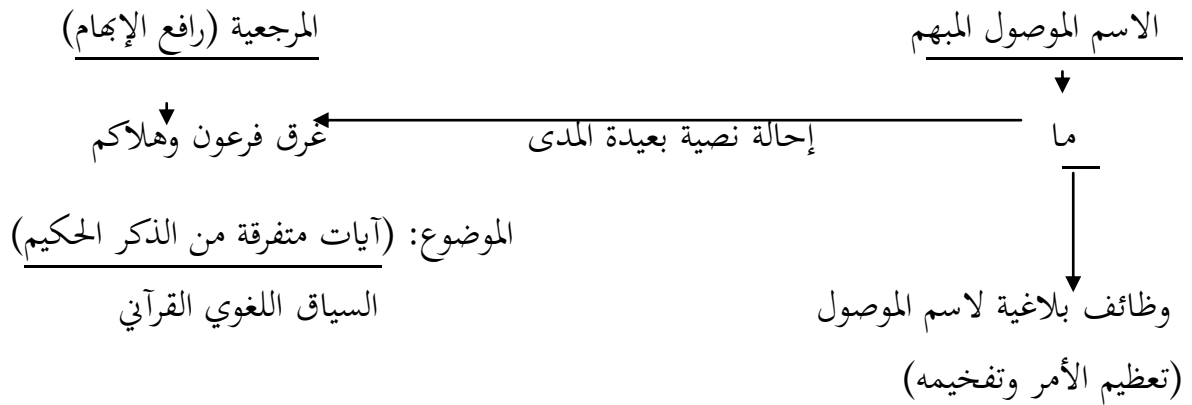
وقع اسم الموصول "ما" فاعلاً للفعل "غشي" والجملة الفعلية بعده صلة موصول لا محل لها من الإعراب، وذكر الشنقيطي أن التعبير بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: « فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ » يدلُّ على تعظيم الأمر وتضخيم شأنه⁽²⁾، ففي رأي الشنقيطي أن اسم الموصول له معاني أخرى غير المعاني التي يحيل إليها وهذا ما تناوله الدراسة البلاغية، فيدل على أن اسم

¹ ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ج6، ص: 641، 641.

² المرجع نفسه: ج4، ص: 602.

الموصول يقوم بعملية الإحالة من خلال بيان واستحضار المحال إليه في ذهن المفسر، وهذا لا يكون إلا دعائم يرتكز عليها المفسر لتحديد المحال إليه، ومن الدعائم التي اعتمدها الشنقيطي في تحديده المرجع في هذه الآية هي السياق العام للآيات القرآنية والمتمثل في السياق القرآني، وفي قوله تعالى: « مَا غَشِيَهُمْ » يقول الشنقيطي: أي أغرق الله فرعون وجنوده في البحر فهلكوا عن آخرهم⁽¹⁾.

واستند الشنقيطي في تحديد مرجعية الاسم الموصول "ما" على مواضع متعددة من الكتاب العزيز⁽²⁾، كقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ وَأَزَلَّفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الآية: 63-67- الشعراء)، وقوله في الأعراف: « فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ » (الآية: 136- سورة الأعراف). إلى غير ذلك من الآيات.



ويبرز هنا دور اسم الموصول في الربط بين أجزاء من النص القرآني، ومع ذلك فإن هناك قراءة أخرى للشنقيطي حول الوظائف البلاغية لاسم الموصول داخل النص تدل على التعظيم وتفخيم شأنه، وأمثلة ذلك كثيرة من الأسماء الموصولة المبهمة التي تحمل بداخلها هذه الوظائف البلاغية منها:

- قوله تعالى: « فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ » (الآية: 10- النجم).
- وقوله تعالى: «إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى» (الآية: 16- النجم).

¹ المرجع نفسه: ج4، ص: 601.

² ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص: 601، 602.

- وقوله تعالى: «فَعَشَّاهَا مَا عَشَّى» (الآية: 54 - النجم).

وقد تكون هناك أغراض غير التي ذكرت لاسم الموصول ومنها: التحقير كقوله تعالى: "كَلَّا
إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ" والتعبير بما الموصولة عن النطفة في قوله تعالى: "مِمَّا يَعْلَمُونَ" فيه غاية
تحقير ذلك الأصل الذي خلق منه الإنسان⁽¹⁾.

وغيرها من الآيات التي عمل فيها اسم الموصول ومرجعيتها على بيان الدلالة باستحضار
خطاب آخر في السورة نفسها أو في سورة أخرى وأسهم في إبراز وظيفة الربط الإحالي، باستعمال
الاسم الموصول في تماسك النص القرآني، وبالإضافة إلى الأغراض الأخرى التي يحملها "اسم
الموصول" داخل جملة من تعظيم له وتفخيمه وتحقير وغيرها من الأغراض التي ليس مجال الحديث
عنها في هذا النوع من الدراسة التي تتجاوز حدود الجملة.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج3، ص: 260.

- نتائج فصل الإحالة ودورها في إيضاح السبك النصي من خلال كتاب أضواء البيان:
- ومن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي للإحالة ودورها في إيضاح سبك النص القرآني عند الشنقيطي ما يلي:
- أن الضمير الإحالي عند الشنقيطي وما يحيل إليه الأداة الأكثر إظهاراً للسبك النصي والأكثر تحديداً للدلالة وإبرازاً للأحكام الشرعية من الأدوات الإحالية الأخرى.
 - لقد اهتم الشنقيطي بعودة الضمير ونتج عن هذا الاهتمام اختلافه عن اللغويين والنحويين في نظرهم لهذه القضية، والذي يظهر من اهتمام الشنقيطي ميله الواضح إلى التحليل والتفسير وفي بعض الأحيان يلجأ إلى الكشف عن الأغراض الأسلوبية للضمير العائد قريباً كان أم بعيداً.
 - يبرز دور الضمير الإحالي عند الشنقيطي -أحياناً- إذا كانت له وظيفة تفخيم ما يعود إليه أو بيان عظيم شأنه كأن يعود على لفظ الجلالة، هذا بالإضافة إلى دوره في الربط بين الآيات الكريمة وتحقيق السبك بينها.
 - هناك أهمية للإحالة بالضمير وباسم الإشارة فبالإضافة إلى دورهما في السبك النصي، أيضاً عن طريقهما استطاع الشنقيطي بيان الكثير مما جاء به القرآن الكريم من عقائد وعبادات.
 - تغيب مرجعية الضمير أو اسم الإشارة المحددة في شخص أو جنس ويبرز الشنقيطي مكانها جملة أو آيات متتابعة أو قصة من القصص القرآني مستعينا في تحديد هذه المرجعية بالسياق القرآني أو أحاديث النبي ﷺ أو أقوال الصحابة والتابعين والعلماء.
 - عدم إشارة الشنقيطي للإحالة باسم الإشارة في حالة عدم التطابق بين المشار إليه واسم الإشارة مثل قوله تعالى: ﴿فَدَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ (الآية: 32 - القصص).
 - لم تكن هناك إشارة لأسماء الإشارة المخصصة للبعيد اتخذت للقريب أو العكس، مثل قوله تعالى: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» (الآية: 2- البقرة).
 - أشار الشنقيطي إلى ذلك النوع من الإحالة الذي يكون فيها المشار إليه حاضراً في النص بالقوة، كما في قوله تعالى: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» (الآية: 2 - البقرة)، في إشارة للقرآن الكريم.
 - تتعدد الآراء في تحديد المشار إليه بين الشنقيطي وغيره من المفسرين، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض الأمثلة، وفي الغالب يعتمد الشنقيطي في تحديده على تفسيره القرآن بالقرآن.

- يربط بين اسم الموصول وصلته ضمير لكن الملاحظ أن الشنقيطي لم يهتم بهذا الرابط لأنه يبقى في حدود الجملة ولا يدخل ضمن نحو النص، وإنما الذي له علاقة بالدراسة هو مرجعية اسم الموصول أو العائد خارج التركيب النحوي.
- أكثر استعمالات اسم الموصول هو "الذين"، لأن القرآن الكريم يخاطب الذين آمنوا والذين أشركوا والذين كفروا لذلك كثر استعمالها واستعان بها الشنقيطي في بيان معاني الآيات القرآنية وعمل على تحديد مرجعياتها مستعينا في أغلبها بالسياق.
- كثيرا ما يستغني الشنقيطي في حديثه عن الاسم الموصول بالسياق القرآني لبيان علاقة النص بالمقام.
- يستعين الشنقيطي كثيرا في تحديد مرجعية الاسم الموصول على القواعد الأصولية وسياق الآية والسياق القرآني وأحيانا يبين الأغراض البلاغية لاسم الموصول في حدود الجملة.
- للإحالة أغراض عدة ذكرها الشنقيطي أثناء تفسيره للآيات التي تحوي هذا النوع من أدوات السبك تتمثل أهمها: فيما يلي: (الإيجاز، التعيين، التحديد، القصر، التقرير، التعليل والتوضيح، التعظيم).
- تتداخل الأدوات الإحالية مع عناصر السبك الأخرى فيستعين بها صاحب أضواء البيان من أجل بيان مراد الله من كلامه جل في علاه.

الفصل الثاني:

العطف والمذف

أولاً - العطف:

يعتبر الترابط بين الوحدات المعجمية وبين الجمل في النص أساساً مهماً في بناء التركيب اللغوية، إذ للروابط أهمية في تشكيل النصوص والأجزاء والعناصر على مستوى المعنى، لأن للربط النحوي مميزاتة الدلالية، ويعد العطف أحد أهم الأدوات التي تؤدي إلى السبك النصي كونه يمد جسور التواصل بين الالفاظ والجمل والعبارات في النص الواحد أو بين النصوص على المستوى السطحي ثم ينتقل إلى تلاحم المعاني وانسجامها .

1- مفهوم العطف:

أ- لغة:

يقول ابن فارس في باب العين والطاء وما يثلثهما: " العطف: عَطَفَ فلان : مال ، وعطفت الوسادة : ثنيتها ، وَعِطْفًا كل شيء جانباه" (1) وجاء في لسان العرب لابن منظور : "عطف يعطف عطفًا : انصرف ، وعطف عليه يعطف عطفًا يرجع عليه بما يكره له بما يريد ، وتعطف عليه : وصله وبرّه...وعطف الشيء يعطفه عطفًا وعُطُوفًا فانعطف وعطفه فتعطف: حناه وأماله" (2).

يتبين لنا من خلال هذه المعاجم القديمة أن كلمة (العطف) تدور حول الميل والثني والرجوع والوصل، وهذا هو المعنى الذي أراده النحاة المتقدمون حين اختاروا كلمة "العطف" لهذه الظاهرة اللغوية فحين يقال حرف عطف، معنى هذا أن حرف العطف يثني ويميل ويرجع ويصل المعطوف بالمعطوف عليه فيجري على المعطوف ما يجري على المعطوف عليه من حكم معنوي وإعرابي من رفع ونصب وجر، وعلى هذا يفترض أن "العطف" يعني إرجاع الثاني إلى الأول في الحكم والإعراب.

ب- اصطلاحاً :

ب- 1 العطف عند القدماء:

اعتبر العطف عند القدماء سرا من أسرار البلاغة لأنه دقيق المسلك ، فقد شغلهم حتى عُدهم حداً من حدود البلاغة لا يكتمل حسن العربية ونظمها إلا من خلاله، وتتضح أهمية

¹ ابن فارس (أبو الحسين أحمد): مجمل اللغة ، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406-1986، ج3، ص674.

² - ابن منظور (مُجَّد بن مكرم): لسان العرب، ج3، ص2669.

العطف عندهم في كونه أحد أهم العوامل في تماسك الجمل وربطها بعضها ببعض، وانسجام معانيها في نطاق النصّ الواحد، وقد أشار إلى ذلك "ابن يعيش" في حديثه عن تماسك الجمل بالعطف، فهدف عطف الجمل عنده هو "ربط بعضها ببعض واتصالها والإيدان بأنّ المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية عن الأولى، والأخذ في جملة أخرى ليست من الأولى في شيء"⁽¹⁾.

ويقول الرضي الأستراباذي "فلما لم تستقلّ الجملة المعطوفة بالفاء وثمّ، وتعلقت من حيث المعنى بالجملة المتقدّمة لتعقب مضمونها مضمونها، صارت كأحد أجزائها"⁽²⁾. فالجملة المعطوفة لا يتحقّق لها المعنى الكامل إلاّ بانسجامها بالجملة المعطوف عليها، وهنا يأتي دور العطف في جعل الجمل المتعاطفة واحدة في المضمون والمعنى الذي تؤدّيه.

فالعطف بالنسبة للقدمات لا يتأتى إلاّ بانسجام في الدلالة، يقول الزركشي: "القران في اللفظ يوجبُ القرانَ في الحكم"⁽³⁾، والكلام عن العطف عند القدمات يستدعي بالضرورة الحديث عن ظاهرة الوصل والفصل باعتبارها الظاهرة التي تقابله وتكسبه قيمته⁽⁴⁾، إذ إن القدمات ربطوا العطف بقضية الفصل والوصل، وعرضوا القضية على ثلاثة محاور:

1- كمال الاتصال: وهذا لا يجوز العطف فيه⁽⁵⁾، وهو أن يكون ما قبلها بمثابة الصفة من الموصوف والتأكيد من المؤكّد، فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج⁽⁶⁾.

2- كمال الانقطاع: مثل سابقه، لا يجوز فيه العطف⁽⁷⁾، وهو أن يغيّر ما قبلها، وليس بينها نوع ارتباط بوجه⁽⁸⁾، إذ لا توجد أي علاقة رابطة.

3- التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع: بمعنى وجود جهة جامعة تميز العطف، وهذه الحالة الوحيدة التي أجازوا فيها العطف⁽¹⁾ حيث إن هناك نوعاً من الارتباط بين المعطوف والمعطوف عليه.

(1) ابن يعيش: شرح المفصل، ج 8، ص 88.

(2) الرضي الأستراباذي (رضي الدين محمّد بن الحسن): شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، 1978، ج 2، ص 342.

(3) الزركشي (مُجّد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص 102.

(4) مُجّد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج 1، ص: 402.

(5) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 1، ص: 247.

(6) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص: 104.

(7) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج 1، ص: 247.

(8) الزركشي، المرجع السابق، ج 4، ص: 104.

وقد قسم أهل البيان وتابعهم في ذلك الزركشي الجملة في ترابطها إلى أقسام:

الأول: أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف، والتأكيد من المؤكد، فلا يدخلها عطف لشدة الامتزاج؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الآية: 01، 02 - البقرة).

الثاني: أن يغير ما قبلها، وليس بينهما نوع ارتباط بوجه، فلا عطف أيضا، إذ شرط العطف المشاكلة وهو مفقود، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ (الآية: 05، 06 - البقرة)، بعد قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الآية: 05 - البقرة).

الثالث: أن يغير ما قبلها لكن بينهما نوع ارتباط، وهذه هي التي توسطها العاطف؛ كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الآية: 05 - البقرة).

الرابع: أن يكون بتقدير الاستئناف؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا﴾ (الآية: 41 - الشعراء)، والتقدير: فما قالوا أو فعلوا؟ فأجيب هذا التقدير بقوله: (قالوا)⁽²⁾.

وأثناء حديث عبد القاهر الجرجاني عن عطف الجملة -على قبل ما يليها- يظهر سداد رأيه، وبعد نظره، إذ يقول: «اعلم أن مما يقلّ نظرُ الناس فيه من أمر العطف، أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان»⁽³⁾، أي عطف الجملة على جملة أخرى بينهما جملة أو ثنتان تفصلان بين المعطوف عليه والمعطوف، وفي هذا النوع من ترابط الجمل الشيء الكثير، ويصبح كحلقة العقد المترابط أجزاءها، ويضرب لذلك مثلا من قول المتنبي⁽⁴⁾:

تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنَنَا
فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِيهِمْ ذَمِيلاً
تَهَيَّيْنِي فَفَاجَأَنِي اغْتِيَالاً
وَسَيَّرُ الدَّمْعَ إِثْرَهُمْ انْهَمَالاً

(2) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص: 104-107.

(3) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 255.

(4) عبدالرحمن البرقوقي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ-1986م، ج3، ص: 338.

فقوله: (فكان مسير عيسهم) معطوفة على (تولوا بغتة)، وليست معطوفة على (ففاجأني)، لأننا إذا عطفناه على هذا الذي يليه، أفسدنا المعنى، وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة⁽¹⁾.

فمن خلال عطف الجملة على قبل ما يليها يحدث ذلك الاتساق العجيب بين أجزاء النص، وخاصة عند انتشاره يكون تلك الوحدة الكلية للنص محدثا ترابط بين الوحدات، لأن المتكلم إذا ربط بين الجمل، كان إيذانا منه أراد من ذلك الوصل بين المعاني.

وقد توصل "عبد القاهر الجرجاني" إلى أن الجمل في العطف وعدمه على ثلاثة أضرب:

1- جملة حالها مع التي قبلها، حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة.

2- جملة حالها مع التي قبلها، حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في الحكم، ويدخل معه في معني، فيكون حقها العطف.

3- وجملة ليست في شيء من الحالين، فيكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله، لعدم التعلق بينه وبينه رأسا، وحق هذا ترك العطف البتة⁽²⁾.

ففائدة العطف هي وصل الكلام بعبءه ببعض والإشراك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والدخول معه في المعنى، حتى يكون النص وحدة كبرى حيث يعتبر "ابن يعيش": "أن الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى"⁽³⁾، فذكر "ابن يعيش" لعطف الجمل يوحى بنظره البعيد في دور العطف في تماسك ما بعد تركيب الجملة الإسنادي.

أما ابن الناظم -مُحَمَّد بن مالك- فقد قسم حروف عطف النسق إلى قسمين:

الأول: ما يعطف مطلقا: أي يشرك في الإعراب والمعنى، وهو ("الواو"، "ثم"، "الفاء"، "حتى"، "أم" "أو").

والثاني: ما يعطف لفظا: فحسب، أي يشرك في الإعراب وحده، وهو: ("بل"، "لا"، "لكن")⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص: 248.

⁽²⁾ ينظر: الجرجاني، المرجع نفسه، ص: 254، 255.

⁽³⁾ ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، ص: 75.

⁽⁴⁾ مُحَمَّد بن مالك - ابن الناظم -، شرح ابن الناظم، تح: عبد الحميد السيد مُحَمَّد الحميد، دار الجيل، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص: 519-520.

ففي النوع الأول من العطف يتحقق الترابط الشكلي الدلالي، وفي النوع الثاني يتحقق الترابط الشكلي فقط، أي أنهما يشتركان في أن لهما خاصية الترابط الشكلي كون التماسك هنا حدث بأداة العطف.

يتضح لنا مما سبق ذكره، كيف أدرك علماء العربية، أهمية العطف في تحقيق الترابط بين الجملة الواحدة وأهميته أيضا في تحقيق اتساق النص عامة، ويزداد الاهتمام أكثر، خصوصا عند البلاغيين في مسألة الوصل والفصل.

ب- 2- العطف عند علماء نحو النص:

أما عند الباحثين في "نحو النص"، فالعطف يؤدي إلى تأكيد تماسك المعطوفات، فنجدهم قد جعلوا أدوات العطف إحدى وسائل السبك النصي، وهذا ما نجده، مثلا عند: "هاليداي" و"رقية حسن" في كتابهما "الاتساق في الإنجليزية"، حيث كان العطف الوسيلة الرابعة من وسائل الاتساق المذكورة في الكتاب وهي (الإحالة-الإبدال-الحذف-العطف- التماسك المعجمي)⁽¹⁾. وقد تنبه "مُجد الشاوش" في كتابه "أصول تحليل الخطاب" إلى دور العطف في تحقيق التماسك النصي، واعتبره أحد مظاهر الربط بين الجمل، وأفرد له جزءا كبيرا من كتابه، شارف على المائة صفحة⁽²⁾.

ويقول "صلاح فضل": أن "نموذج العطف النحوي بين مجموعة من العناصر الحسية المتباعدة في حقولها الدلالية، يقوم بتوليد مستوى تجريدي غائر، هو القادر على تبرير الوصل في البنية العميقة للجملة الشعرية"⁽³⁾، فالعطف يجمع بين متفرقات شكلية في وحدة دلالية، إذ أن له أهمية كبرى في وصل المعاني.

أما العطف عند "أحمد عفيفي" فهو عبارة عن "وسائل متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة من المتواليات السطحية بعضها ببعض، بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النصية"⁽⁴⁾ فقد جعل العطف أحد وسائل الربط إلى جانب أدوات أخرى، والذي عده أصعب

(1) Halliday Roqaiya Hassan, Cohesion in English: look pp 31,88,142,226,274,

(2) ينظر: مُجد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج1، ص: 401-498.

(3) صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء، القاهرة، ط 1998، ص161.

(4) ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 128.

الأدوات تحديداً، كونه تماسكا وظيفيا بدرجة كبيرة، لأن هذا النوع يعتمد على الروابط السببية المعروفة بين الأحداث التي يدل عليها النص.

وبيين إبراهيم خليل دور العطف في الربط بين الجانبين الشكلي والدلالي بقوله: " العطف يجمع عددا من الجمل في نسق متزامن" (1)

ولقد جعل "دفيد كريستال" العطف أول وسيلة من وسائل السبك النصي، إلى جانب أدوات أخرى مثل الإحالة بأنواعها، والتكرار والعلاقات المعجمية، والمقارنة(2).

فالعلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه لا يمكن حصرها في تحقيق الترابط على مستوى الجملة أو الجزء من الكلام، بل يتوزع على مستوى الوحدات الدلالية الصغرى والكبرى بداية من الربط بين الكلمتين إلى غاية الربط بين وحدات النص المختلفة في كل موحد لا يقبل التجزئة.

لكن هذا الدور الكبير الذي يناط بأدوات العطف في جعلها وسيلة من وسائل السبك بوجود عوامل أخرى محيطة بهذه الأداة، كتوفر العلامة الإعرابية، وأفعال المشاركة، ومعنى حرف العطف، لأن لكل حرف معنى خاصا به، يقول "مُجَّد حماسة عبد اللطيف": «يقوم حرف العطف مع التطابق في العلامة الإعرابية بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه، وقد تتوافر عناصر أخرى من خارجها، كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يبدل على المشاركة، ويقوم معنى حرف العطف نفسه بدور في مشاركة المعطوف المعطوف عليه...»(3). فإن كان العطف عبارة عن حروف أو أدوات تحدد علاقات تركيبية، فإن هذه العلاقات تتعدى لتأخذ في ذلك الترابط الدلالي من جهتين؛ الأول: يتعلق بمعاني حروف العطف كالترتيب والاشتراك والإضراب، ومن جهة ثانية: تحمل دلالات أوسع وأشمل تتمثل في دورها في جعل الأجزاء المتتابعة نصا واحدا في وحدة مترابطة، ولأن حروف العطف تكتسب معانيها من السياق الذي ترد فيه، فقد قسم علماء نحو النص الربط إلى عدة أقسام:

1- الربط الإضافي: (Additive): بواسطة الأداة "و" و"أو".

¹ - إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط 1، 2003، ص 162.
⁽²⁾ David Crystal, the Cambridge encyclopedia of language, Cambridge University, Press, Second Edition, P 119.

⁽³⁾ ينظر: مُجَّد حماسة عبداللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 193.

2- **الربط العكسي: (Adversative):** والذي يعني على عكس ما هو متوقع، وهو يعبر عن الوصل العكسي، في نظر "هاليداي و"رقية حسن" وأشهر أدواته، هي: "Yet"⁽¹⁾، والتي يمكن أن نقابلها في العربية بالأداة "حتى".

3- **والربط السببي: (Causal):** يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، وتمثله اللفظة "So" والتي يمكن أن تقابلها في العربية "وهكذا".

4- **الربط الزمني: (Temporal):** علاقة بين جملتين متتابعتين في الزمن نفسه، والأداة التي تعبر عن هذا النوع من الربط هي: "Then"⁽²⁾، والتي تمثلها في العربية حرف العطف "ثم". وبعد هذا العرض النظري حول دور العطف في تحقيق تماسك النصوص من خلال أدواته المختلفة، وذكر آراء علماء العربية القدامى، والمهتمين بنحو النص في الوقت الحالي، يجدر بنا أن نتناول تطبيقاً دور العطف في بيان السبك النصي في تفسير أضواء البيان .

2- العطف وأثره في السبك النصي في تفسير أضواء البيان:

أ: العطف باعتبار حقيقة التراكيب:

1- **عطف الجمل والآيات:** نظر الشنقيطي لعطف الجملة على جملة والدور الذي يقوم به في ربط أجزاء الخطاب القرآني في العديد من أجزاء كتابه، وسنذكر بعض المواضع منها:
النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (الآية: 46- مريم).

بين الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم لما نصح أباه، مع ما في النصيحة من الرفق واللين المشار إليه قبل هذه الآية، وإيضاح الحق والتحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ومن عذاب الله تعالى وولاية الشيطان، خاطبه هذا الخطاب العنيف وسماه باسمه ولم يقل له: يا بني في مقابلة قوله له: يا أبت⁽³⁾. فقد جاء في جوابه دعوة ابنه بمنتهى الجفاء والعنجهية بعكس ما في كلام إبراهيم عليه السلام من اللين والرفق، وهدده بعد ذلك بعقوبة آجلة إن لم يقلع عن كفره بأهنتهم، وبعقوبة عاجلة وهي طرده⁽⁴⁾، وقد ارتبطت العناصر المكونة للآية بعضها ببعض بواسطة العطف

¹Halliday Roqaiya Hassan, Cohesion in English: look p242,

²Halliday Roqaiya Hassan, p242,

³ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص360.

⁴ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص119-120.

كما ذكر الشنقيطي، الذي اعتبر أن جملة: "واهجرني" عطف على جملة: "ألين لم تنته لأرجمنك" واعتبره دليلاً على جواز عطف الجملة الإنشائية على الجملة الخبرية⁽¹⁾، ردّاً على من ذهب بعدم جواز هذا النوع من العطف، واستدل على هذا أيضاً بيت من الشعر جاء به امرؤ القيس في معلقته يقول فيه⁽²⁾:

وإن شفائي عبرةٌ مُهراقفةٌ وهل عند رَسْمِ دَارِسٍ من مُعَوَّلٍ

- فجملة "وهل عند رَسْمِ" جملة إنشائية معطوفة على الجملة الأولى الخبرية وهي قوله: "وإن شفائي".

ويذهب الزمخشري إلى أن: (واهجرني) معطوفة على محذوف يدل عليه (لأرجمنك) أي فاحذرنى واهجرني، لأن (لأرجمنك): تهديد وتقريع⁽³⁾.

- وإذا عدنا إلى رأي الشنقيطي في العطف داخل هذه الآية يتبين لنا أن العطف جاء بين جمليتي: "واهجرني" و"ألين لم تنته لأرجمنك"، فانتقل الكلام من الإخبار إلى الكلام الإنشائي متمثلاً في الأمر، ولا يخفى ما في الجملتين من تماسك دلالي نتج عن طريق السبك النصي بأداة العطف الواو، وقد أبانت هذه الآية بجمالها المتتابعة خصوصاً منها المعطوفة، طريقة التعامل الذي حدث بين جملتين، إنما وقع بين أجزاء من أحداث قصة قرآنية، هي قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر، فهو محور من محاور الوحدة الموضوعية للقصص.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ (الآية: 199- البقرة)

روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت قريش ومن كان على دينها وهم الخمس يقفون بالمزدلفة، يقولون نحن قطين الله، وكان من سواهم يقفون بعرفة فأنزل الله عز وجل " ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ"، صححه الألباني⁽⁴⁾، ومعنى قَطِينُ الله أي سكان حرم الله، فأرادوا أن لا يخرجوا من حدود الحرم وعرفة خارج حدود الحرم.

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص363.

² مفيد قميحة: المعلقات العشر، شرح ودراسة وتحليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط5، 2002، ص65.

³ الزمخشري: الكشاف، ج4، ص25.

⁴ الألباني (مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ): صحيح وضعيف سنن الترمذي، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الاسكندرية، رقم 884، تاريخ الإضافة: 14 نوفمبر 2010، ج2، ص384.

فإنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات، بل كانوا يقفون بالمزدلفة، وهي من الحرم، فكانوا يقولون: ينبغي أن نعظم الحرم، ولا نعظم شيئاً من الحل⁽¹⁾، وعليه كما يذهب الشنقيطي فإن لفظة "ثم" للترتيب الذكري بمعنى عطف جملة، وترتيبها عليها في مطلق الذكر⁽²⁾. ويفصل صاحب التحرير والتنوير في حرف العطف "ثم" فيقول بأنها للتراضي الإخباري للترقي في الخبر وأن الإفاضة المأمور بها هنا، هي عين الإفاضة المذكورة في قوله تعالى "فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ" وأن العطف بـ"ثم" للعودة للكلام على تلك الإفاضة⁽³⁾، فيكون حرف العطف "ثم" على رأي الشنقيطي وابن عاشور رحمهما الله أنها أداة تماسك للآيتين (198) و(199) وعملت على بيان وتفسير لفظة (حيث) الموجودة في الآية الثانية " مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ " والتي هي كلمة تدل على المكان، إذ بين ذلك بقوله " فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ " (الآية: 198- البقرة).

فالعطف بواسطة حرف العطف "ثم" من عوامل السبك التي تفيد الجمل والآيات تماسكا وتبعد عنه التكرار ويساعد المفسرين على بيان المعاني القرآنية والأحكام الشرعية، مثلما كان حرف العطف في هذه الآية عند المفسرين ومنهم الشنقيطي وابن عاشور رحمهما الله عامل بيان حُكم من أحكام فريضة الحج وهو الإفاضة من عرفات.

- ومن أمثلة هذا النوع من العطف بـ"ثم" والذي يعمل على ترابط الجمل والآيات القرآنية داخل السورة الواحدة يذكر الشنقيطي قوله تعالى: ﴿ فَكُ رَقَبَةً أَوْ إِطْعَامًا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (الآية: 13-17- البلد).⁽⁴⁾

النموذج الثالث : قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (الآية: 4-5- النحل).

" وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ " : الواو استئنافية، والأنعام: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على الآخر لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور (خلق).

¹ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص350.

² الشنقيطي: أضواء البيان، ج1، ص166.

³ محمد الطاهر بن عاشور، ج2، ص242.

⁴ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص167.

وهذا الذي ذهب إليه الشنقيطي في إعرابه: "والأنعام" إذ بين أن عامله وهو "خلق" اشتغل عنه بالضمير، فنصب بفعل مقدر وجوبا يفسره "حَلَقَ" المذكور⁽¹⁾، واستدل الشنقيطي على ذلك بقول ابن مالك في الخلاصة⁽²⁾:

فالسَّابِقُ أَنْصَبُهُ بِفَعْلٍ أُضْمِرًا حَتَّمًا مُوَافِقًا لِمَا قَدْ أُظْهِرًا

وسبب ترجيح الشنقيطي النصب على الرفع لأنه معطوف على معمول فعل، وهو قوله تعالى: "حَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ"، فيكون عطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية⁽³⁾، فالعطف كما يجري بين المفردات يجري بين الجمل، وحرف الواو من حروف العطف التي تشرك الأول مع الثاني في الحكم الإعرابي وفي الإشراك الدلالي.

ومبدأ عبد القاهر الجرجاني في الإشراك أنه "لا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك فيه"⁽⁴⁾، فحدث الإشراك هنا بين جملتين وآيتين وتبع المعنى الدلالي الحكم الإعرابي. ولو رفع الاسم "الأنعام" لكان عطف جملة اسمية على جملة فعلية فلما نصب كان عطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية⁽⁵⁾، وقد تكون كلمة الأنعام معطوفة على الإنسان⁽⁶⁾، وعلى اعتباره منصوبا بفعل محذوف مقدر هو الذي رجحه الشنقيطي وابن عطية وغيرهم، لأن الآيتين المتعاطفتين تدلان على نفس الوقائع وتنتمي إلى نفس الحقل الدلالي في علاقة مترادفة، وإن حذف الناصب في الثانية، فأدى دورا في تماسك الآيتين وتعلق بعضها ببعض في عوالم المعنى.

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص263.

² مُجَدِّدُ بن عبد الله (ابن مالك الأندلسي): الخلاصة في النحو، ص:45.

³ ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج3، ص263.

⁴ الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز في المعاني، تح: محمود مُجَدِّدُ شاكِر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004، ص223.

⁵ الشنقيطي: أضواء البيان، ج3، ص263.

⁶ ينظر: ابن عطية الأندلسي (عبد الحق بن غالب)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي مُجَدِّدُ، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2001، ج3، ص379.

النموذج الرابع: ومن نماذج عطف الآيات التي ذكرها الشنقيطي في كتابه وعملت على بيان تماسك الآيات، قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (36) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الآية: 36-37- الشورى).

أي: مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به، فإنما هو متاع الحياة الدنيا وهي دار دنيئة "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى" أي: وثواب الله خير من الدنيا "لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" أي: للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا ويتوكلون على الله ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات⁽¹⁾، ثم قال: "وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ".

ويذكر الشنقيطي أن قوله تعالى: "وَالَّذِينَ" في محل جر عطف على قوله: "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" أي: وخير وأبقى أيضا للذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش⁽²⁾، فأجزاء الآيات متتابعة ومتممة للمعاني المترابطة، حيث ذهب الشنقيطي إلى أن الموصولات هذه معطوف بعضها على بعض، واتحدت أسماء الموصول في قوله تعالى: "الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" و"الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ".

والمقصود من ذلك كما يقول مُجَدِّد الطاهر بن عاشور: "هو الاهتمام بالصلاات فيكرر الاسم الموصول لتكون صلته معننى بها حتى كأن صاحبها المتحد منزّل منزلة ذوات"⁽³⁾. فقد كان الربط بالشكل أولا بين أجزاء الآيتين ثم انعكس هذا الترابط الشكلي على المحتوى الدلالي للآيتين، فالعطف وإن كان يعتبر أحد الروابط السطحية التي تسهم في سبك النص إلا أنه يساهم في التحام أجزاء الآيات ويحدث تماسكا بينها، فقد اتسع مجال تأثير حرف العطف في الآية إلى أكثر من جملتين.

¹ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج12، ص285.

² الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص208.

³ مُجَدِّد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص110.

النموذج الخامس: ومن نماذج عطف الجمل بعضها على بعض داخل الآيات التي ذكرها الشنقيطي، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الآية: 11- الحجرات).

والمعنى: لا يستهزئ قوم منكم بقوم، عسى أن يكون المستهزأ بهم خيراً عند الله، ولا يستهزئ نساء من نساء عسى أن يكون المستهزأ بهن خيراً عند الله⁽¹⁾، فقوله تعالى: "وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ" الواو: عاطفة، ولا: الناهية، ونِسَاءٌ: فاعل لفعل محذوف دلّ عليه السياق القرآني، تقديره: ولا يسخر نساء من نساء، فالجهة الجامعة بين محتوى النهيين، النهي الأول وهو جواب النداء، والنهي الثاني بعد صرف العطف، فالأول نهي القوم على أن يسخروا من قوم آخرين والثانية نهي النساء على أن يسخرن من نساء أخريات.

ويذكر الشنقيطي أن عطف النساء هنا على القوم، لا يعتبر من عطف الخاص على العام، وإنما يدل على عدم دخولهن في لفظ القوم، واستدل على ذلك من الشعر الجاهلي وآيات من الذكر الحكيم⁽²⁾، فالشنقيطي يعتبر قوله تعالى: "وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ" من باب العطف الذي يسوغه اتحاد النهي في الجملتين رغم اختلاف المخاطب ومع ذلك تحقق السبك بينهما، فهو عطف داخلي بين الجمل بين أجزاء الآية الواحدة.

* فالجملتان مشتركتان في: - وحدة النهي.

* ومختلفتان في: - وحدة المخاطب.

وهناك نماذج أخرى للعطف باعتبار حقيقة التراكيب جاء بها الشنقيطي، منها قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (الآية: 12- 13، مريم)، فقوله تعالى: "وَحَنَانًا" معطوفة على "الْحُكْمَ"، أي: وآتيناه حناناً من لدنا⁽³⁾، فعطفت أجزاء من آية على أجزاء من آية أخرى وبين الشنقيطي مدى تماسكها.

¹ محمد بن محمد المختار الشنقيطي: المختصر في التفسير، ص 522.

² ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج 7، ص 256.

³ ينظر: الشنقيطي، المرجع نفسه، ج 4، ص 288.

في هذا الجزء الخاص بـ"العطف باعتبار حقيقة التراكيب" لم نذكر عطف قصة قرآنية على قصة قرآنية، وأيضا عطف سورة على سورة، لأنني لم أجد في كتاب أضواء البيان ما يبين هذا النوع من العطف على الرغم من أهميته في نحو النص عموما لأنها من الإشارات الواضحة التي تبين مدى سبك الوحدات الكبرى في القرآن الكريم، ولعل سبب ذلك هو اعتناء الشنقيطي بتفسير آيات من السور دون أخرى، ولم يشمل تفسيره كل آيات الذكر الحكيم لأن تفسيره ركز على تفسير القرآن بالقرآن لذلك غابت الكثير من الآيات في تفسيره.

2- الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه:

النموذج الأول: يبرز الشنقيطي الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه في تفسيره ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (الآية: 30-32، مريم). يذكر الشنقيطي أن قوله تعالى: "وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ" معطوف على قوله تعالى: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا"⁽¹⁾، لكن هل يمكن اعتبار الجمل التي بين الجملتين معطوفة أيضا؟

يذكر الشنقيطي قولاً لأبي حيان صاحب تفسير البحر المحيط الذي يذهب إلى أنه يوجد بين المعطوف والمعطوف عليه فَصْلٌ بالجملة التي هي "وَأَوْصَانِي" ومتعلقها⁽²⁾ والأولى إضمار فعل: أي وجعلني برًّا⁽³⁾، فذكر الشنقيطي ما يعرف بالفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، فعلى رأي من الآراء عطف "وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ" على قوله: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا"، فقد بين تعلق بداية الآية (31) ببداية الآية (32) إذ بين أن البنية الشكلية للآيتين مترابطة أشد ما يكون الترابط بين معمول (بَرًّا) و(جعل) في الآية التي سبقته على الرغم من وجود فاصل بينهما.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص345.

² المرجع نفسه: ج4، ص345.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص345.

- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413-1993، ج6، ص177.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الآية: 12-13، النحل).

يتضح من خلال تفسير الشنقيطي لهاتين الآيتين مدى اهتمامه بالعطف الداخلي بين الجمل، وكذلك العطف بين الآيات في ربط عجيب بين النحو والدلالة، تمثل النحو في الحركات الإعرابية وعوامل النصب والرفع وبين توضيح المعاني التي أثرت في وجود الحركات الإعرابية لدى أصحاب القراءات القرآنية السبعية.

ومن اللافت للانتباه اهتمام الشنقيطي بكيفية ارتباط الجمل داخل الآية وارتباط الآيات بعضها بجوار بعض، فترتبط العناصر المكونة للآية أو الآيتين بواسطة العطف لوجود جامع بينهما هو تعدد ما يعود عليه العطف، وهذه الآية دليل على ذلك.

فبين الشنقيطي أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أنه سخر لخلقه خمسة أشياء فيها من عظيم نعمته ما يعلمه إلا الله، وهي: الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم⁽¹⁾، والجامع بين هذه الأشياء بوجودها معطوفة هو أنها مسخرة من الله تعالى.

ويتضح العطف في الآيتين كما ذكر الشنقيطي في قوله تعالى: "وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ" جاءت بالنصب عطفًا على: "اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" ورفع: "وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ" على أنه مبتدأ وخبر⁽²⁾، فتكون بذلك الجملة: استئنافية.

وقوله تعالى: "وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ"، فالواو: عاطفة و (مَا) اسم موصول بمعنى الذي يذهب الشنقيطي إلى ربطه بالآية السابقة باعتباره في محل نصب عطفًا على قوله: "وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" أي: وسخر لكم ما ذَرَأَكم في الأرض⁽³⁾، إذ لم يتوقف الشنقيطي هنا ويفرق بين معنى العطف والاستئناف، هذا الأخير الذي كان سببًا في رفع كلمة "النجوم" على الرغم من أن الذي جاء بعدها اسم موصول "ما" نصب، وكان عامل النصب هو الفعل "سَخَّرَ" في الآية التي قبلها.

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص274.

² المرجع نفسه: ج3، ص275.

³ المرجع نفسه: ج3، ص275.

والشيء الذي اكتفى به الشنقيطي هو ذكره أن أظهر أوجه الإعراب في قوله تعالى: "مُسَخَّرَاتٌ" على قراءة النصب أنها حال مؤكدة لعاملها⁽¹⁾، ويبين مُجَدِّ الطاهر بن عاشور سبب الرفع على الاستئناف في قوله تعالى: "والنجومُ مسخراتٌ" حيث يقول: أن نكتة اختلاف الأسلوب الفرق بين التسخيرين من حيث إنَّ الأول واضح والآخر خفي لقلّة من يرقب حركات النجوم⁽²⁾ وعلى الرغم من اختلاف الأسلوبين إلا أنه قد جاء النصب بعد رفع كلمة "والنجومُ مسخراتٌ" واستمر العطف إلى خارج الآية التي احتوت هي أيضا العطف الداخلي.

ومن الأمثلة التي جاء بها الشنقيطي ولها دور في تماسك الجمل داخل الآيات وتربطها ويتحقق من خلالها السبك النصي ويوجد فاصل بين المعطوف والمعطوف عليه منها:
- قوله تعالى: "وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (الآية: 15- النحل) لأن عطف السُّبُل على الرواسي ظاهر في ذلك⁽³⁾، ومعلوم أهمية العطف على بعيد في السبك النصي.

3- العطف بحرف محذوف:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (الآية: 08- الغاشية).

"وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ" أي: ذاتُ نَعْمَةٍ، وهي وجوه المؤمنين، نَعِمَتْ بما عاينت من عاقبة أمرها وعملها الصالح⁽⁴⁾، إذ يشير الشنقيطي إلى أن هذه الآية معطوفة بلا شك على قوله تعالى: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ" (الآية: 02- الغاشية) بالحرف المحذوف الذي هو الواو⁽⁵⁾، فإن في هذه الآية ومن خلال المعنى الذي تحمله عند للشنقيطي عطفها على ما سبقوا، ولو كانت المسافة بعيدة بين الآيتين المعطوفتين، حتى وإن كان الخطاب موجه لفتتين، فالبنية الشكلية للآية المعطوفة خالية من العطف، ومع ذلك فإن الشنقيطي كشف وجود تلك العلاقة بين الآيتين، وذلك أن قوله تعالى: "وجوه يومئذ خاشعة" أي وجوه الكفار، وقوله تعالى: "وجوه يومئذ ناعمة" أي وجوه المؤمنين.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج3، ص275.

² مُجَدِّ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج14، ص116.

³ الشنقيطي: المرجع السابق، ج4، ص528.

⁴ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص247.

⁵ الشنقيطي: المرجع السابق، ج1، ص322.

وذكر الشنقيطي في تفسيره هذه الآية، أن العطف بالحرف المحذوف أجاز ابن مالك وجماعة من علماء العربية* ويذهب هو إلى جوازه وأنه لا يقتصر على الضرورات الشعرية، كما يذهب إلى ذلك بعض العلماء، ويستدل على أن هذه الجملة معطوفة بحرف محذوف من القرآن الكريم⁽¹⁾، في قوله: "وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَهْمَا نَاطِرَةٌ وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ" (الآية: 23، 24- القيامة)، وقوله تعالى: "وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ" (الآية: 38-39، عبس).

وجاء بشواهد من الشعر العربي تثبت حذف حرف العطف، منها البيت الشعري الذي أنشده المبرد قال أنشدني المازني عن أبي زيد قال:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أَمْسَيْتَ مِمَّا يَغْرَسُ⁽²⁾ الْوُدَّ فِي فُؤَادِ الْكَرِيمِ⁽³⁾.

وقد احتوت هذه الآية في عطفها وجوها متعددة من وجوه العطف، فهي:

- عطف بحرف محذوف.

- وعطف بين جملتين متقابلتين في المعنى.

- وعطف على بعيد بينهما فاصل.

فهذه الوجوه الثلاثة جعلت العلاقات التي تربط النص متعددة تلتقي جميعها في موضوع واحد وهو السبك النصي، إذ أمكن للشنقيطي من خلال إثبات مدلولها، على إمكانية أن يؤسس منها أبعادا دلالية نصية، لأن حركة المفسر هنا (الشنقيطي) بين أجزاء السورة كانت حول إبراز العطف بالحرف المحذوف في وجوه تباعدت بين المعطوف والمعطوف عليه على الرغم من تناقضهما.

* أجاز العطف بالحرف المحذوف أبو علي الفارسي وابن عصفور ولم يجزه ابن جني والسهيلي.

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص322.

² وفي رواية: مما يئبث.

³ ينظر: العسكري (أبو هلال)، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، ج2، ص225.

النموذج الثاني: ومن نماذج العطف بحرف محذوف يذكر الشنقيطي أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (الآية: 92، التوبة).

قال: يعني وقلت: بالعطف بواو محذوفة⁽¹⁾، ومعنى هذه الآية كما يذكر أهل التفسير: لا إثم كذلك على المتخلفين عنك إن جاؤوك -أيها الرسول- يطلبون ما تحملهم عليه من الدواب وقُلْتَ لهم: لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عليه من الدواب⁽²⁾، والعطف بحرف محذوف في هذه الآية هو أحد الاحتمالات عند أهل التفسير وبعض علماء النحو منهم ابن هشام الأنصاري في المغني⁽³⁾، وإذا تحقق عطف هذه الجملة الفعلية على ما سبقها على رأي الشنقيطي وغيره من العلماء فإن ذلك راجع إلى ما في معاني الآية من دلالات سوغت للعلماء تقدير حرف العطف المحذوف، لأن الآية شملت على شيئين متتاليين في أحداثهما:

* الأول: مجيء المتخلفين وطلبهم بأن يحملهم.

* الثاني: وقول الرسول ﷺ: لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عليه.

ولجوء الشنقيطي إلى تقدير حرف العطف المحذوف وتسلسل الأحداث في هذه الآية، أدى به إلى اكتشاف أن هذه الآية نسيج متماسك مترابط الأجزاء.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (الآية: 19- آل عمران).

على قراءة فتح همزة "إن".

يذكر الشنقيطي أن بعض احتمالات تفسير هذه الآية تذهب إلى أنها معطوفة بحرف محذوف على قوله تعالى: "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" (الآية: 18- آل عمران). أي وَشَهِدَ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ⁽⁴⁾، فيكون العطف عطفًا خارجيًا بين آيتين متتابعتين، وتقدير حرف العطف المحذوف، وإلى هذا الرأي ذهب ابن هشام في "المغني" عندما استشهد على حذف حرف العطف في القرآن الكريم⁽⁵⁾.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج 1، ص 322.

² مُجَّد بن مُجَّد المختار الشنقيطي وآخرون، المختصر في التفسير، ص 207.

³ ينظر: ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج 2، ص 730.

⁴ الشنقيطي: المرجع السابق، ج 1، ص 322.

⁵ ينظر: ابن هشام الأنصاري، المرجع السابق، ص 706.

ب: العطف باعتبار علاقة المعطوف بالمعطوف عليه:

إن اعتبار النظام اللغوي نظاماً متشابك العلاقات هو ما جعلنا نبحث عن العلاقات التي ذكرها الشنقيطي بين المعطوف والمعطوف عليه ودورها في السبك النصي للآيات وأجزاء الآية الواحدة.

1- عطف الخاص على العام وعطف العام على الخاص: برزت هذه العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه في ستة مواضع من كتاب أضواء البيان منها:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (الآية: 04، الكفر).

والمعنى: وليحذر من بين هؤلاء الكفار من قالوا هذه المقالة الشنيعة: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ وَلَدًا، وهؤلاء ثلاث طوائف:

1- المشركون الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

2- اليهود القائلون: عزير ابن الله.

3- النصارى القائلون: المسيح ابن الله⁽¹⁾.

أي: ينذرهم بأساً شديداً "من لدنه" أي: من عنده⁽²⁾، هذه الأخيرة ذكرت في الآية الثانية من سورة الكهف.

وبهذا تعتبر هذه الآية "وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا" متماسكة دلالياً مع سابقها من الآية، ويذكر الشنقيطي أن هذا من عطف الخاص على العام، لأن قوله: "لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ" شامل للذين قالوا: "اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا" ولغيرهم من سائر الكفار⁽³⁾، وعطف الخاص على العام كما يذكر الشنقيطي، يُعَدُّ من الإطناب المقبول كما تقرر في فن المعاني، إذ كان الخاص يمتاز عن سائر أفراد العام بصفات حسنة أو قيمة⁽⁴⁾. وهؤلاء الذين قالوا "اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا" امتازوا عن غيرهم من الذين كفروا بأنهم نسبوا الولد لربّ تنزه عن الصاحبة والولد، فوحدة المعنى تدل على تماسك الآيات، ومن عناصر السبك حرف العطف "الواو" فلا يفرض على العطف أن يقع بين آيتين

¹ محمد الأمين المرري الشافعي: تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1421-2001، ج16، ص285.

² الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص15.

³ المرجع نفسه، ج4، ص15.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص15.

متواليتين، إذ يجوز أن تعطف آيتان متباعدتان، وهذا يزيد من بيان تماسكها وحسن سبكها، ويجعلهما مع ما بينهما حُمةً واحدة.

ومن أمثلة عطف الخاص على العام بصفات حسنة يذكر الشنقيطي⁽¹⁾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ (الآية: 07- الأَحزاب)، إذ ذكر الله عز وجل النبيين عموماً، ثم خص بعد ذلك ذكر النبي ﷺ وخص نوحاً بالذكر عطف خاص من الأنبياء على عمومهم عليهم السلام.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الآية: 73- الأنبياء).

"وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ" أي: أن يفعلوا الطاعات ويأمرؤا الناس بفعلها، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من جملة الخيرات⁽²⁾، وتخصيص "إِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ" بالذكر بعد شمول الخيرات إياها تنويه بشأنها لأن الصلاة صلاح النفس وبالزكاة صلاح المجتمع⁽³⁾، فمن فوائد التخصيص بعد التعميم أهمية المخصص بالذكر دون نزول مرتبة المعمم.

ويذكر الشنقيطي عطف الخاص على العام هنا ويبين أن له مسوغاً للإطناب المقبول في اللغة لارتباطه بنكتة بلاغية دلالية، وهي: أن يمتاز الخاص عن العام بصفات حسنة أو قبيحة تستدعي ذكره. فارتبطت أجزاء هذه الآية بعلاقات دلالية زاد من سبكها حروف العطف بين الأجزاء وتواليها في الذكر.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ (الآية: 20- المؤمنون).

ذكرت هذه الآية بعد قوله تعالى في الآية التي قبلها: "فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" (الآية: 19، المؤمنون)

والمعنى: فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ، و أَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ وهي شجرة الزيتون⁽⁴⁾، فكلمة جَنَّاتٍ عامة وخصصت شجرة الزيتون بالذكر من هذا العام، وكما ذكرت سابقاً

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص15.

² المرجع نفسه، ج4، ص741.

³ ينظر: مُجَدِّ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص111.

⁴ الشنقيطي: أضواء البيان، ج5، ص861.

أن الشنقيطي يجعل النكتة البلاغية في الإطناب المقبول في القرآن في مثل هذه المواضع من علاقة العام بالخاص متمثلة في امتياز المخصص عن العام بمميزات حسنة أو قبيحة، ونحن نعلم قيمة شجرة الزيتون كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، منها قوله تعالى: "يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ" (الآية: 35، النور).

ويذكر الشنقيطي أن قوله تعالى: "وَشَجَرَةٍ" معطوف على جنّات من عطف الخاص على العام⁽¹⁾، فهو عطف آية على آية وقد ساهم في بيان تماسكهما عند الشنقيطي أمران:

- الأول: حرف العطف (الواو).

- الثاني: علاقة المخصص بالعموم وما تحمله من دلالات تجعل الآيتين وحدة دلالية متماسكة، إذ جيء باسم عام يشمل الجميع مما في الجنان، واختصت شجرة الزيتون بالذكر دون سائر الأشجار، والعلاقة بينهما هي علاقة اشتغال.

النموذج الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الآية: 07- الأحراب)

ذكر الله جلّ وعلا في هذه الآية: أَنَّهُ أَخَذَ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ، ثم خص منهم بذلك خمسة: هم أولوا العزم من الرسل، وهم محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام⁽²⁾، إذ نلاحظ في هذه الآية الكريمة أنها احتوت على ستة حروف عطف، ساهمت في سبكها.

والمعتمد بالعطف في هذا الجزء هو الذي ذكره الشنقيطي والمتمثل في عطف الخاص على العام⁽³⁾، حيث ذكرت كلمة (النبين) بعدها خصّ من النبيين بالذكر محمد ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فذكر هؤلاء جميعاً كان عطفاً على (النبين) في الآية، وعطف الخاص على العام يأتي من باب النكتة البلاغية للإطناب المقبول عند الشنقيطي لامتياز المخصص بالذكر وفضله، ولما كان كذلك ذكر الزمخشري أن ترتيب الأنبياء وذكرهم في هذه الآية لبيان فضيلتهم، فلما كان محمد ﷺ أفضل هؤلاء المفضلين، قدّم عليهم لبيان أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدّم من قدّمه زمانه⁽⁴⁾، وعلى الرغم أن الشنقيطي لم يفصّل في بيان تماسك هذه الآية عن

¹ الشنقيطي: أضواء البيان: ج5، ص861.

² المرجع نفسه: ج6، ص631.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص631.

⁴ ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج5، ص52.

طريق العطف، إلا أن ذكره للعطف عن طريق العلاقات الدلالية يبين اهتمامه بهذا النوع من العطف الداخلي بين الجمل وأجزاء الجمل في الآية الواحدة ومدى مساهمة العلاقات الدلالية في هذا النوع من الترابط.

النموذج الخامس: جاءت الأمثلة السابقة من باب عطف الخاص على العام، ويذكر الشنقيطي في تفسيره نماذج من عطف العام على الخاص، منها قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الآية: 56- النور).

فقوله تعالى: "وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ" بعد قوله تعالى: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ" من عطف العام على الخاص⁽¹⁾، وقوله تعالى أيضا: "وَأَتُوا الزَّكَاةَ"، هي من عطف العام على الخاص لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة جزء من الشرائع والعبادات التي جاء بها محمد ﷺ، فقد توالى الجمل الفعلية تباعا، متماسكة برابط شكلي متمثلا في حروف العطف والعلاقة الدلالية بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد استعان بهما الشنقيطي لبيان السبك النصي للآية ويعتبر من الإطناب المقبول، لأن الخاص امتاز عن العام وفضله عن سائر العبادات، دون أن ينقص من قيمة العبادات الأخرى.

والملاحظ أن عطف الخاص على العام، وعطف العام على الخاص في أضواء البيان لا يقل أهمية عن العناصر الأخرى التي استعان بها الشنقيطي لبيان مدى السبك الحاصل بين الآيات وداخلها، بل يعد من أهم هذه الوسائل في بيان هذا الترابط، لأن الاعتماد عليها يكون من جانبين:

الأول: شكلي، تمثل في حروف العطف ولا يخفى دورها في السبك النصي.
والثاني: (دلالي) تمثل في العلاقات الدلالية القائمة داخل النص، والمساهمة هي أيضا في السبك النصي.

فاجتماع العامل الشكلي الظاهر في سطح النص مع العوامل المعنوية وإيرادهما متلازمين، يدل بوضوح أن الخطاب القرآني وتفسيره يتطلب من مفسره الاعتماد على كل الوسائل اللغوية، لبيان ترابط آياته داخليا وخارجيا.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج6، ص275.

2- العطف المقتضي المغايرة:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (الآية: 09- إبراهيم).

قوله تعالى: "فَرَدُّوا": الفاء: عاطفة، و "رَدُّوا": فعل ماض، وواو الجماعة: فاعل، والجمللة الفعلية: معطوفة على (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ) لا محل لها من الإعراب.

ذهب الشنقيطي أن العطف بالواو يقتضي مغايرة ما بعده لما قبله، فيدل على أن المراد بقوله: "فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ" قيل المعنى أن الكفار جعلوا أيديهم في أفواه الرسل ردًا لقولهم⁽¹⁾، فبعد العطف جاء قوله تعالى: "فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ" وقيل العطف جاء قوله تعالى: "جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ" فهناك علاقة دلالية تمثلت في أن هؤلاء لما جاءتهم رسلهم خالفوهم وغايروهم، فحرف العطف (الواو) ربط بين جملتين متتاليتين في آية واحدة استعان به الشنقيطي لكشف هذا الترابط وقد استعان بأمرين لبيانه:

1- حرف العطف الواو، أبرز من خلاله الترابط الشكلي السطحي داخلي.

2- العلاقة الدلالية بين الجملتين المعطوفتين، وهي مغايرة الجملة التي جاءت بعد العطف لما جاء قبل العطف.

والنتيجة أن العطف ربط بين متتاليات الجمل على مستواها السطحي داخل الآية، فضلا عن أن هذه الجمل تشكل السبك النصي والترابط الدلالي للآية، وهذا يعتمد على فهم كل جملة وتحديد معانيها في علاقاتها بالجملة لأخرى، فالعطف أسهم عند الشنقيطي في توليد علاقات دلالية على مستوى أجزاء الآية وترابطها.

النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الآية: 99-101- الصافات) إلى قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الآية: 107- الصافات).

لقد اختلف العلماء في تحديد الغلام الذي أمر إبراهيم عليه السلام بذبحه، أهو إسماعيل أم إسحاق، ولقد اعتمد الشنقيطي على السياق وقواعد الترجيح وأداة العطف المقتضي المغايرة

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص126.

لبيان المعنى بالذبح دون الآخر عليهما السلام، ومعلوم أن من قواعد الترجيح عند المفسرين، قاعدة: "إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى"⁽¹⁾، ومعلوم أن قصة إبراهيم عليه السلام هذه قد اشتملت على البشارة في قوله تعالى: "فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" (الآية: 101- الصافات) وجاء بعدها، قوله تعالى: "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ" (الآية: 102- الصافات).

وبعد ذكر قصة الذبح، قال بعد ذلك عاطفا على البشارة الأولى: "وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" (الآية: 112- الصافات). فالبشارة الأولى شيء غير المبشورية في الثانية، لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشّرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضا: وبشّرناه بإسحاق. فهو تكرار لا فائدة منه⁽²⁾، فقوله تعالى: "فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" المقصود اسماعيل عليه السلام.

وكما ذكرنا فالشنيطي استعان بقواعد الترجيح لبيان أن العطف هنا يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه⁽³⁾، فإذا كان اختلاف العلماء حول تحديد الغلام الحليم في الآية، وتباين بين أن يكون إسحاق عليه السلام أو اسماعيل عليه السلام، فإن كان المقصود به إسحاق عليه السلام فقوله تعالى: "وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" يكون تأكيدا للأولى، وعلى القول بأنه اسماعيل عليه السلام، يكون تأسيسا لحكم لمعنى جديد، فإذا دار الكلام بين التأسيس لمعنى جديد وتأكيد معنى سابق، فحملة على التأكيد أولى عند المفسرين لأنه يقتضي مغايرة المذكور سابقا.

فآية الصافات هذه دليل واضح على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق عليهما السلام، ومعلوم أن العطف يقتضي المغايرة⁽⁴⁾، على الرغم أنه عطف على بعيد، ومن خلال تفسير الشنيطي لهذه القصة، يظهر لنا أهم الوسائل التي اعتمدها لبيان السبك النصي لآيات القصة القرآنية وتمثلت في الآتي:

1- السياق القصصي.

¹ حسين بن علي الحرابي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ص 473.

² ينظر: الشنيطي، أضواء البيان، ج 6، ص 754- 755.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج 6، ص 755.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ج 6، ص 755.

2- قواعد الترجيح لدى المفسرين.

3- أدوات العطف (الواو).

4- العلاقات الدلالية بين المعطوف والمعطوف عليه (علاقة المغايرة).

فالعطف قام بتوليد علاقات دلالية في السياق الذي وردت فيه الآيات وكان لقواعد الترجيح الدور في تحديد هذه العلاقات، فيتحدد المقصود بالوصف "بِعُلَامٍ حَلِيمٍ" مما يؤدي إلى بيان السبك بين الجمل على المستوى السطحي والانسجام الدلالي للقصة.

3- العطف المقتضي مطلق التشريك دون الترتيب:

النموذج القرآني: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الآية: 27- النور).

ذهب النحاة إلى أن الواو تدل على جمع الثاني بالأول، وليس فيها دليل على أيهما كان أولاً، وذلك "أن المعطوف قد يكون قبل المعطوف عليه في الوجود وقد يكون بعده، وقد يكون معه⁽¹⁾، أي الجمع بين الأمرين في الفعل دون إلزام أحدهما بالتقدم على الآخر إلا إذا وجدت قرينة تدل على وجوب تقدم الأول على الثاني.

فتقديم الاستئناس الذي هو الاستئذان على السلام في قوله تعالى: " حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا" لا يدل على تقديم الاستئذان، لأن العطف بالواو لا يقتضي الترتيب، وإنما يقتضي مطلق التشريك⁽²⁾، أثناء إرادة دخول الإنسان بيت غيره.

فيجوز عطف الأول على الأخير بالواو، إذ أن الواو إذا تجردت من القرائن والأدلة الخارجية لا تقتضي إلا مطلق التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه⁽³⁾، فتماسك أجزاء الآية دون شرط ترتيبها، ويحصل مطلق الجمع والتشريك بين المعطوف والمعطوف عليه دون شرط ترتيبهما حسب الذكر.

¹ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، س)، ج2، ص27.

² الشنقيطي: أضواء البيان، ج6، ص195.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص195.

ومن الأمثلة التي ذكرها الشنقيطي أيضا، قوله تعالى: "يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ" (الآية: 43 - آل عمران) والركوع قبل السجود⁽¹⁾، لأن الواو هنا لم تقتضِ الترتيب وإنما اقتضت مطلق الجمع والتشريك في فعل الركوع والسجود بأمر الله تعالى لمريم عليها السلام.

4- عطف الشيء على نفسه: تنزيلا للتغاير بين الصفات منزلة التغاير في الذوات:

النموذج القرآني: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ لِّدِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الآية: 23- الزمر).

يذكر الشنقيطي هذا النوع من العطف، وهو أن تكون الجملة المعطوفة تحمل الشيء نفسه وبمعناه الذي ذكر في الجمل المعطوف عليها، وبيان هذا النوع من العطف يسهم في إبراز السبك الحاصل بين الآيات المتتاليات أو الآية الواحدة بجملها.

ففي الآية يذكر الشنقيطي أن الاقشعرار المذكور، ولين الجلود والقلوب عند سماع هذا القرآن المعبر عنه بأحسن الحديث يفسر معنى الخشوع لذكر الله وما نزل من الحق فهو من عطف الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظين⁽²⁾، فحرف العطف (ثم) عطف جملة (تلين قلوبهم إلى ذكر الله) على جملة (تقشع منه جلودهم) وهذه الجملة في محل نصب صفة ل (كتاباً)⁽³⁾، وإذا اعتبرنا أن حرف العطف (ثم) قد ربط بين جملتين، فإننا نؤكد أيضا أن ترابط الجملتين أدى إلى ترابط الصفات الموجودة في الجملة المعطوف عليها بصفات في جمل أخرى، فتجاوزت حدود الربط بين جملتين إلى متواليات الجمل ليتضح عظيم نسج النص القرآني وإحكام سبكه.

ومن نماذج عطف الشيء على نفسه يذكر الشنقيطي الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (الآية: 16، الحديد).

المراد بذكر الله على رأي بعضهم، كما قال الشنقيطي أنه: القرآن، وعليه فقوله: "وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ" من عطف الشيء على نفسه مع اختلاف اللفظين⁽⁴⁾.

¹ الشنقيطي: أضواء البيان، ج6، ص195.

² المرجع نفسه: ج7، ص870.

³ ينظر: محمد سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، مج8، ص4035.

⁴ ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج3، ص236.

- ج7، ص197.

- ج ج، ص870.

ثانيا - الحذف:

الحذف ظاهرة لغوية اختصت بها جميع اللغات الإنسانية، إذ من الضرورة أن يعبر الإنسان عن حاجاته وعن الأحداث المحيطة به، فهذا ما جعله يقع في صعوبة ذكر كل هذه الحاجات والأحداث في النص تجنباً للتكرار ومراعاة للإيجاز والاقتصاد في الكلام، وصاحب النص حريص على أن يوفر للمتلقي أسباب التواصل معه من خلال نصه، لأن ذكر كل شيء يتطلب طول الزمان لاستماع المتلقي إليه، على ما في هذه الإطالة من الملل وذكر ما لا يستحق ذكره، ولذلك يلجأ المتكلم إلى الحذف، و" الحذف له دور في نشيط خيال القارئ، وإثراء دلالات النص عبر المحاولات المستمرة للوصول إلى المعنى، في ضوء المعرفة المسبقة للقارئ ووجود قرائن تدل على المحذوف وتساعد القارئ على ملء الفجوات في النص"⁽¹⁾، وهو جزء من عملية فهم النصوص وتفسيرها من خلال المقام أو المقال، ولذلك أخذت العناية به من قبل النحويين في حذف أحد عناصر الإسناد أو متممات الجملة ثم انتقلت مباحثه من علم النحو إلى علم المعاني في علم البلاغة لدراسة بلاغة الظاهرة في أساليب العرب، ومنها إلى نحو النص فبينوا حقيقة هذه الظاهرة، لكن: ما دور هذه الظاهرة في تماسك النص؟

1- تعريف الحذف:

قبل الحديث عن دور الحذف في تماسك النصوص، يجدر بنا أن نتحدث عن مفهومه لغة واصطلاحاً ليتضح لنا بعد ذلك دوره في ربط أجزاء النصوص بعضها ببعض.

التعريف اللغوي: لمادة (ح. ذ. ف) في المعاجم العربية معاني تدور حول القطع من الطرف خاصة، والطرح والإسقاط، جاء في معجم العين للخليل: " الحذف: قَطْفُ الشيء من الطَّرَف كما يحذف من طَّرَفِ ذَنَبِ الشاة"⁽²⁾، وفي لسان العرب: "حذف الشيء يحذفه حذفاً: قَطَعَهُ من طَّرَفِهِ، وقال الجوهري: حذف الشيء إسقاطه، ومنه حذف من شعري... أي أخذت"⁽³⁾.

(1) عزة شبل مُجَّد : علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط 2 ، 1430-2009 ، ص: 175.

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن) : كتاب العين، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق ، 1984، ج 3 ، ص: 201 .

أما اصطلاحاً : فقد ذكره "كريستال Crystal" في موسوعته ومعجمه تحت مصطلح "Ellipses" وهو "حذف جزء من الجملة الثانية، ودل عليه دليل في الجملة الأولى"⁽¹⁾، فالمحذوف من الجملة الثانية يدل عليه دليل في الجملة الأولى، فيؤكد كريستال هنا على وجود دليل لقيام الحذف.

أما "دي بوجراند" فيذهب إلى أن الحذف: "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة، وأطلق عليه تسمية الاكتفاء بالمبنى العدمي"⁽²⁾، والاكتفاء هنا إشارة إلى أن الحذف لا يعد نقصاناً في النص، وإنما يحقق الوحدة لهذا النص، ويذهب الباحثان "هاليداي" و"رقية حسن" إلى أن الحذف "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف إعادة قبلية"⁽³⁾.

ويكثر الحذف في النصوص دون الجمل المنفصلة، والذي يساعد على ذلك هو أن النص بناء يقوم على التماسك، والاتساق، وهذان العاملان يساعدان مُنشئ النص على الاختصار، وعدم الإحالة بذكر معلومات فائضة⁽⁴⁾.

وقد اهتم النحاة والبلاغيون قديماً بهذه الظاهرة، وتوزعت في مصنفاتهم وتناثرت، ويعد "سيبويه" من الذين تناولوا هذه الظاهرة بالدراسة، إذ هناك من المحدثين من تتبع مصطلح "الحذف" عند سيبويه (ت 180هـ) فوجده يتداخل مع مصطلح آخر هو "الإضمار"، و"الواقع أن المصطلحين يستعملان بمعنى واحد عند النحاة ابتداءً من سيبويه، ولا يوجد تفرقة دقيقة ترعى في استعمالهما باستثناء إضمار الفاعل الذي لا يسمونه حذفاً، وسيبويه يتكلم في مواضع كثيرة عن الأسماء والأفعال وعن الإضمار في الأفعال، بحيث لا يتبين من استعماله تفرقة بينهما"⁽⁵⁾، إلى أن جاء "ابن مضاء القرطبي" وانتقد طريقة النحاة في تقدير المحذوفات، ونبه على أن الحذف ليس أصلاً في اللغة وإنما أتى لأغراض أسلوبية⁽⁶⁾، ولقد اعتبره الجرجاني طريقة في الربط أفضل من

(1) Crystal, the Cambridge Encyclopedia, P: 119.

(2) دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 340.

(3) مُجّد خطابي، لسانيات النص، ص: 21.

(4) صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005، ص: 253.

5 - طاهر حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، لدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 1، 1999، ص: 9.

6 - ينظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 1، 1947، ص: 88-99.

الاعتماد على الذكر، يقول في تعليل ما ذهب إليه: "الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة، وتحذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبَيِّن...⁽¹⁾"، ورأيه هذا ينم عن رأي مصيب، وبصيرة نافذة بهذه الظاهرة.

يقول سعيد حسن بحيري معقبا على هذا الباب عند الجرجاني: "ونلاحظ ابتداء أنه قد حلل مسائل محدودة في هذا الباب، وربما لم يهدف من تلك المعالجة إلا إلى الإشارة إلى مواضع تخفى على القارئ المتمرس، أو لم يهتد إلى أسرارها من تصدى لبيان الوجوه والفروق في مسائل الحذف، وتعليل مبدأ (ترك الذكر أفصح من الذكر) وهذا يعني أن عبد القاهر يرفض مسلك السابقين، إذ لا قيمة لوصف الظاهرة فحسب بل تكمن القيمة الفعلية في إطار رؤيته الخاصة للنظم في النفاذ من التأليف أو الصياغة إلى معرفة علة أو سبب اختيار الحذف وترك الحذف"⁽²⁾. وشرط وقوع الحذف في الكلام: أن "لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره"⁽³⁾، نستنتج من هذا الكلام أن المحذوف لو ذكر لحدت في الكلام عيب يبعده عن فصيح اللفظ وبلاغة الأسلوب.

2- أقسام الحذف:

نرى أنه من اللازم أن نعرض لأقسام الحذف حتى يتمكن القارئ من رسم صورة عن هذه الوسيلة اللغوية التي لها دور مهم في عملية السبك النصي، خاصة وأن هذه الظاهرة اللغوية كانت محل دراسة من قبل علماء النحو والبلاغة ولها أهمية كبرى في هذه الدراسات. أما عن أقسام الحذف المختلفة، فنجد أن هناك حذف الحركة والحرف والكلمة وكذلك الجملة وما فوقها، وهي أنماط لا تخرج عن تقسيمات علماء النحو العربي، وتقسيمات علماء نحو النص، يقول ابن جني (ت: 392هـ): «قد حذف العرب الجملة والمفرد، والحرف والحركة، وليس

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص: 117.

2 - سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 1999، ص: 247.

3 - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار الشرق، القاهرة، مصر، ط 1، 1966، ص: 208.

شيء من ذلك وإلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته»⁽¹⁾، فتوفر الدليل شرط من شروط الحذف عنده.

وأما ابن هشام فقد أفرد قسما خاصا يتحدث فيه عن القضايا المتعلقة بالحذف، وقدم فيه أنماط الحذف مفصلة، وقد اتبع في ذلك ما اقترحه ابن جني وهذا ملخصه⁽²⁾:

أولاً: حذف الاسم: ومنه حذف الاسم المضاف، والمضاف إليه، واسمين مضافين، وثلاثة متضائفات، والموصول الاسمي، والصلة، والموصوف، والصفة والمعطوف والمعطوف عليه، والمبدل منه، والمؤكد، والمبتدأ والخبر.

ومما هو ملاحظ أن في هذه المحذوفات المذكورة ما هو اسم أو عبارة وحتى جملة، ومن بين هذه المواضع مثلا الحال ووقوعه جملة واردة، والقول ينطبق على الخبر والصفة.

ثانياً: حذف الفعل: وهو على ضربين: الأول: أن تحذفه والفاعل فيه، والثاني: أن تحذف الفعل وحده.

ثالثاً: حذف الحرف: وهو على نوعين:

- الأول حرف زائد على الكلمة مما يجيء بمعنى، كحذف حرف العطف، وواو الحال، وما النافية للجنس، وما المصدرية، وحرف النداء... إلخ.

- والنوع الثاني: حذف حرف من نفس الكلمة، كحذف حرف العلة في الفعل المضارع المجزوم.

رابعاً: حذف الجملة: كما في حذف: جملة القسم، وجواب القسم، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط.

خامساً: حذف الكلام بجملته.

سادساً: حذف أكثر من جملة.

(1) ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 140.

(2) ينظر بالتفصيل:

- ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 140-158.

- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج2، ص: 692-748.

- صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ج2، ص: 193-194.

- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص: 1178-1212.

أما "هاليداي" و"رقية حسن" فقد قسما الحذف إلى ثلاثة أقسام هي:

1- الحذف الاسمي: ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل: (أي سيارة ستركب؟)

هذه هي الأفضل، أي هذه السيارة. Which ha twill you wear? This is the best.

2- الحذف الفعلي: ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي، مثل: (هل كنت تسبح؟ نعم

فعلت) Have you been swimming? Yes.I have

3- الحذف داخل شبه جملة: مثلاً: (كم ثمنه؟ واحد دينار)⁽¹⁾. How much does it

cost? five pounds

مما هو ملاحظ عن الأمثلة المقدمة – والتي لم تترجم كما جاءت عند هاليداي ورقية حسن فقد تصرف فيها مُجد خطابي – فإن الحذف يقوم بدور اتساق، على الرغم من أن هذا الدور يختلف عن الدور الذي تلعبه الإحالة، لأن في الحذف لا يوجد أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص إلا ما دلّ عليه دليل من السياق.

ويظهر الحذف عندما يحوي فهم النص امكانية إدراك الانقطاع الحاصل على مستوى سطح النص، وبما أن الحذف يرتبط بالبنية السطحية، فإننا وجدنا من الباحثين، من قام بالربط بين ظاهرة الحذف والنظرية التحويلية، حيث إن الطريقة التي يقدمها النحو التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف شبيهة بما قدمه النحو العربي، وما يسميه التحويليون بقواعد الحذف الإجمالي شبيهة بما سماه نحاة العرب القدماء بالحذف الواجب، حيث لا تكون الجملة صحيحة نحويًا إلا إذا ظهر المحذوف في الكلام، أي في بنية السطح على حد تعبير التحويليين⁽²⁾، وقد لاحظ الباحثان أن أكثر الأنماط قياما بمهمة التماسك النصي هي:

1- حذف الاسم، 2- حذف الفعل، 3- حذف العبارة، 4- حذف الجملة، 5- حذف

أكثر من جملة⁽³⁾، وهذا الذي سيكون عليه إيضاح التحليل النصي للسور عند الشنقيطي، لكن هناك جوانب لها علاقة بهذه الأنماط من الحذف، مثل الإحالة والاستبدال وضرورة وجود الدليل، وهذه هي موضوعاتنا التالية على الترتيب.

(1) مُجد خطابي، لسانيات النص، ص: 22.

(2) طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1999، ص: 14.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ج2، ص: 196.

3- علاقة الحذف بالتماسك النصي:

أ - علاقة الحذف بالإحالة: يعد الحذف ذا طبيعة مرجعية سابقة، "وذلك أن شرط الحذف هو العلم بالمحذوف، وهذه الكلمة هي الأساس الذي تدور عليه ظاهرة الحذف، لأن الحذف دون توفر القرينة والدليل من باب تكليف الغيب والرجم به"⁽¹⁾، ووجود القرينة والدليل هو بمثابة المرجع والإحالة، والمرجع يسهم في تقدير المحذوف.

وأحيانا تكون مرجعية الحذف خارجية، وهذه تعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تفسير المثال، لكن الحذف المرجعي للخارج (خارج النص) ليس له مكان في التماسك⁽²⁾ النصي كونه لا يربط بين وحدات النص المختلفة، فأماكن تواجد هذا النوع على مستوى الجملة الواحدة لا على مستوى الجمل المترابطة، والجملة الواحدة ليس فيها مذكور - في الغالب - يدل على المحذوف، كي يمكن فيما بعد أن يتماسك المحذوف مع ما يدل عليه في الجملة.

وقد ذكر "هاليداي" أمثلة كثيرة، خاصة في الاستفهام، توضح أهمية المرجعية في تحقيق التماسك بين جملة الاستفهام وجملة الجواب، إذ يوجد في الغالب، حذف الكثير من العناصر في جملة الجواب، يدل عليه ما ذكر في جملة الاستفهام⁽³⁾، وعليه يمكن أن نستنتج بأن مرجعية الحذف على ضربين: الأول منه قد تكون في الغالب على مستوى الجمل وهذا النوع هو مرجعية الحذف السابقة أو اللاحقة أو المتبادلة، أما الضرب الثاني فهو الذي يكون على مستوى الجملة المفردة، وهذا النوع هو المرجعية الخارجية، التي ليس لها دور في تحقيق الاتساق، كون هذا الأخير يتحقق في العلاقات بين الجمل، وليس في العلاقة بين الجملة وسياقها الخارجي.

(1) ينظر: مجّد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص: 1148.

(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ج2، ص: 201.

(3) M.A.K. Haliday and R. Hassan, Cohesion in English, London, P: 144.

ب - علاقة الحذف بالسياق :

يعتبر السياق بنوعيه -المقالي والمقامي- من العوامل الأساسية في تقدير المحذوف، إذ إن الدليل المقالي شرط من شروط التماسك النصي، ولوجوده أهمية في تحقيق المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة، مما يؤدي إلى استمرارية النص، على الرغم من عدم تكرار اللفظ، وإن كان المحذوف مع وجود دليل كالمذكور، فإنه يطبق عليه مثل الذي يطبق على النص الكامل العناصر⁽¹⁾، فالحذف يقدم نموذجاً توضيحياً على الموازنة بين الإيجاز والوضوح، فعدم الحذف مضيعة للوقت والجهد، والإسراف فيه يؤدي إلى تكثير البحث وحل المشكلات الناتجة عن كثرة الفجوات⁽²⁾، لأن المطلوب من المتلقي الواعي هو ملء الفراغات الموجودة في النص ليحصل على النص بحدوده الكاملة.

وهنا يلعب المقام - أيضاً - الدور الكبير بإسهامه في جودة النص دون الحاق الضرر بعنصر الفهم⁽³⁾، فيتضافر بذلك الدليل المقالي والمقامي باعتبارهما أحد العوامل الأساسية في تحديد المحذوف للوصول إلى بيان مدى تماسك النص وارتباطه وحسن نظمه.

ج- الحذف والتماسك النصي :

يعد الحذف وسيلة أساسية في عملية فهم النص وتفسيره، ويسعى المفسر إلى استنباط مقاصد الحذف ودوره في الربط بين الآيات والسور والقصص القرآنية عبر قراءته للنص القرآني في محاولة منه للكشف عن دور الحذف في بيان مدى التماسك النصي وتعليقه.

ويعتبر المحذوف كالمذكور، خاصة، إنه لا يحذف شيء لا وجوباً ولا جوازاً إلا مع قرينة دالة على تعيينه⁽⁴⁾، ولذلك يطبق على العناصر المحذوفة في النص ما يطبق على النص غير المحذوف.

ومما هو ملاحظ أن الاتساق في تراكيب الحذف يقوم على محورين أساسيين:

المحور الأول: التكرار.

المحور الثاني: الإحالة (المرجعية)⁽⁵⁾.

1 - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص: 221، 191.

2 - إلهام أبو غزالة و علي خليل أحمد : مدخل إلى علم اللغة النصي (تطبيقات لنظرية دي بوجراند و لفيجانج دريسلر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1999، ص : 105.

3 - حسام أحمد فرج: نظرية علم النص(رؤية منهجية في بناء النص الثري) مكتبة الآداب القاهرة ، ط 2، 1430هـ ، 2009 م، ص:89.

(4) مُجَدِّ الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج2، ص: 1148.

(5) صبحي إبراهيم الفقي، المرجع نفسه ، ج2، ص: 221.

فهناك إذن قرائن نُهتدي بها إلى معرفة العناصر المحذوفة وهي القضية المحورية، ثم بعد ذلك يكون البحث عن أثر هذه العناصر في تحقيق الاتساق، وذلك بعد ملاحظة نوع التكرار ونوع الإحالة المحققة تبعاً للحذف.

والحذف من أكثر عناصر التماسك النَّصِّي شيوعاً بجانب الإحالة وهو "اعتداد بالمعنى العدمي على ما يسمونه "Zero Morpheme"، فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالباً بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي، ففي قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ لا مفرّ من فهم "شهد الملائكة وشهد أولو العلم" بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولي العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى،⁽¹⁾ والتماسك النصي لا يتحقق مع ظاهرة الحذف على مستوى الجملة الواحدة، بل يلزم وجود تتابع لجملة أو وجود قصة لأنه عادة ما يكثر الحذف في القصص، وبذلك فإن الجملة الواحدة في الغالب لا يمكن أن نستخرج منها حذفاً يساعدنا على بيان مدى تماسكها، وفي الغالب الحذف في الجملة نستخرجه بالاستعانة بمرجع خارج النص، وفي هذه الحال لا يسهم في عملية السبك النصي، فالحذف إذاً "يستخلص من مجموعة عوامل المقام الذي قيلت فيه العبارة ويشمل المتكلم والمخاطب والمستمعين والمكان والزمان والموضوع والأسلوب، والغاية التي يقصدها المتكلم والنتائج العلمية والسلوكية التي تحدثها العبارة في المخاطب والمستمعين"² وكل هذا لا يمكن للحدود الضيقة للجملة أن تكون مجالاً لهذا الفضاء الواسع.

ولقد أدرك علماء العرب القدامى من المفسرين والمتخصصين في علوم القرآن، دور الحذف في تحقيق التماسك النصي، لكن لا يمكن أن ترقى لدرجة التنظير، فهذا الطبري (ت 310 هـ) له إشارات واضحة لهذه المسألة، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الآية : 135 - البقرة)، يقول ما معناه : وهذا يعني قالت اليهود كونوا هوداً تهتدوا، وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا⁽³⁾، وهذا من الاحتباك الذي هو هنا حذف من الأول "تَهْتَدُوا" لدلالة "تَهْتَدُوا" الثانية عليه، وحذف من الثاني "كُونُوا"

¹ - النَّصّ والحُطاب والإجراء، مقدّمة د. تمام حسان، ص: 34.

² - شاهر الحسن : علم الدلالة السيميائية والدرجاتية في اللغة العربية، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن، 2001 ص: 157 .

³ الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، ص 589.

لدلالة "كُونُوا" في الأول عليه، إذ المعلوم أن اليهودية تكفر النصرانية ولا تجوزها والنصرانية تكفر اليهودية ولا تجوزها ، فلا يجوز أن يراد بها التخيير⁽¹⁾.

ولالإمام القرطبي(ت 671 هـ) إشارات إلى دور الحذف في عملية السبك النصي، ففي قوله تعالى : « وَهَنَّ مَثَلُ الَّذِي عَلَيَّهِ بِالْمَعْرُوفِ » (الآية 228- البقرة) قال: أي لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن⁽²⁾، وهو حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، وحذف من الثاني لدلالة الأول عليه .

أما الإمام برهان الدين البقاعي (ت 855 هـ) فكان اهتمامه بالحذف كثيرا وظهرت عناياته به في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وذلك من خلال تقدير المحذوف معتمدا في ذلك على وجود الدليل على المحذوف وكذلك سياق الآية ، ففي تفسيره لقوله تعالى : « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يُخَيِّي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » (الآية 73- البقرة)، وكما ذكرنا سابقا أن القصص من أكثر النصوص التي يكثر فيه الحذف لوجود الدليل عليه أو لدلالة السياق على المحذوف وتجنبنا للإطالة أيضا تحذف عناصر من القصة، يقول البقاعي: "يقول الإمام أبو علي الفارسي في كتاب الحجة : قلنا اضربوا المقتول ببعض البقرة ، فضرِبوه به فحيي، يعني والدليل على هذا المحذوف قوله: « كَذَلِكَ » أي مثل هذا الإحياء العظيم على هذه الهيئة"⁽³⁾.

وهذا السيوطي(ت911 هـ) يطلق مصطلح "الاحتباك" ويقصد به: "أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره من الأول"⁽⁴⁾، وأول من استعمل مصطلح "الاحتباك" الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات (ت 816 هـ) والذي يعني عند السيوطي: «الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحباك الثوب سد ما بين خيوطه، من الفُرَج، وشده وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه من مواضع الحذف من الكلام شُبِّهت بالفُرَج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه،

¹ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ، دار الفكر ، ط3، 1405 هـ - 1984م، بيروت ، ج 4، ص :89.

² - القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج 4 ، ص : 51- 52.

³ - البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 1 ص: 172.

⁽⁴⁾ - السيوطي (جلال الدين): الإتيقان في علوم القرآن، ج3، ص: 182.

فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقة، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل⁽¹⁾، ويتحدث **مُحَمَّد الطاهر بن عاشور** - رحمه الله - عن حذف القرآن فيقول: «إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفًا، ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق»²، من خلال ما جاء به **هؤلاء العلماء**، تتبين لنا تلك النظرة القديمة لدور الحذف عندهم ويبرز من خلالها بعد النظر واتساعه لهذه الظاهرة عندهم، وكيف أنهم ربطوا العلاقة بين الحذف والتماسك النصي، كما جاء به علماء لسانيات النص في الوقت الحالي، إلا أنها طرحت من خلال ضمنيات داخل الكتب التي جاءوا بها.

إن الغاية من الحذف هنا، هو بيان وظيفته في تحقيق السبك النصي، وتتلخص الخطوات التي لا بد لمحلل النص اتباعها في إبراز دور الحذف في تماسك النص في الآتي:

1- ذكر النماذج التي يراد تحليلها.

2- تحديد وظائف عناصر الجملة.

3- البحث عن المعلومات التي تهدينا إلى المحذوف، مثل السياق المقامي، والسياق اللفظي المتمثل في وجود دليل على المحذوف سابق أو لاحق⁽³⁾، لأنه إذا وجد الحذف، فلا بد من وجود دليل عليه.

ومن خلال هذا العرض النظري لظاهرة الحذف، وما يرتبط بها من قضايا كعلاقتها بالإحالة، وكيفية تحقيق التماسك النصي من خلالها، نتساءل: كيف استعان بها الشنقيطي لبيان معاني النص القرآني وعلاقة الآيات بعضها ببعض؟ وكيفية تحقق تماسك الآيات من خلال هذه الظاهرة، وذلك وفق ما جاء به نحو النص.

4- الحذف ودوره في سبك النص عند الشنقيطي :

لقد تطرق الشنقيطي لموضوع الحذف ودوره في فهم النص القرآني من خلال تفسيره، مبيناً المحذوف والمواضع التي يحدث فيها، وقد كانت دراسته تميل للجانب النحوي التركيبي المتعلق بالجملة وعناصرها في تفسيره لبعض الآيات، وأحياناً أخرى تجاوزت فيها حدود الجملة والآية

(1) السيوطي: المرجع السابق، ص: 183.

(2) مُحَمَّد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 1، ص: 119.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص: 221.

الواحدة إلى فهم النص القرآني وبيان ترابط سورته مستعينا بهذه الظاهرة اللغوية، لأن أسلوب الحذف له مجالاته وسياقاته المقامية والمقالية التي ورد فيها .

وقد ظهرت في تفسيره أنواع أساليب الحذف الخطابية، وأوضح أهمية الحذف ودوره في تماسك النص القرآني، وسيتبين لنا ذلك من خلال هذه العناصر ونماذجها:

1- دلالة الخطاب القرآني على الحذف ودوره في السبك النصي:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْتَ تُنْقِئُ وَإِنَّمَا أَنْتَ نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ (الآية: 65- سورة طه)، إن من أنواع البيان التي تضمنها القرآن الكريم أن يحذف مفعول فعل في موضع، ثم يبين في موضع آخر⁽¹⁾، فبعض الآيات القرآنية توضح الأخرى وتبين دلالتها حتى وإن اختلفت السور.

الدليل على المحذوف: حذف هنا في هذه الآية مفعول "نُلْقِي"، ومفعول أول لـ "أَلْقَى"، وقد بين الله تعالى في مواضع أخرى أن مفعول إلقاء موسى هو: عصاه، وذلك في قوله ﷻ:

– ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الآية 117- الأعراف)

– وقوله: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الآية 45- الشعراء)

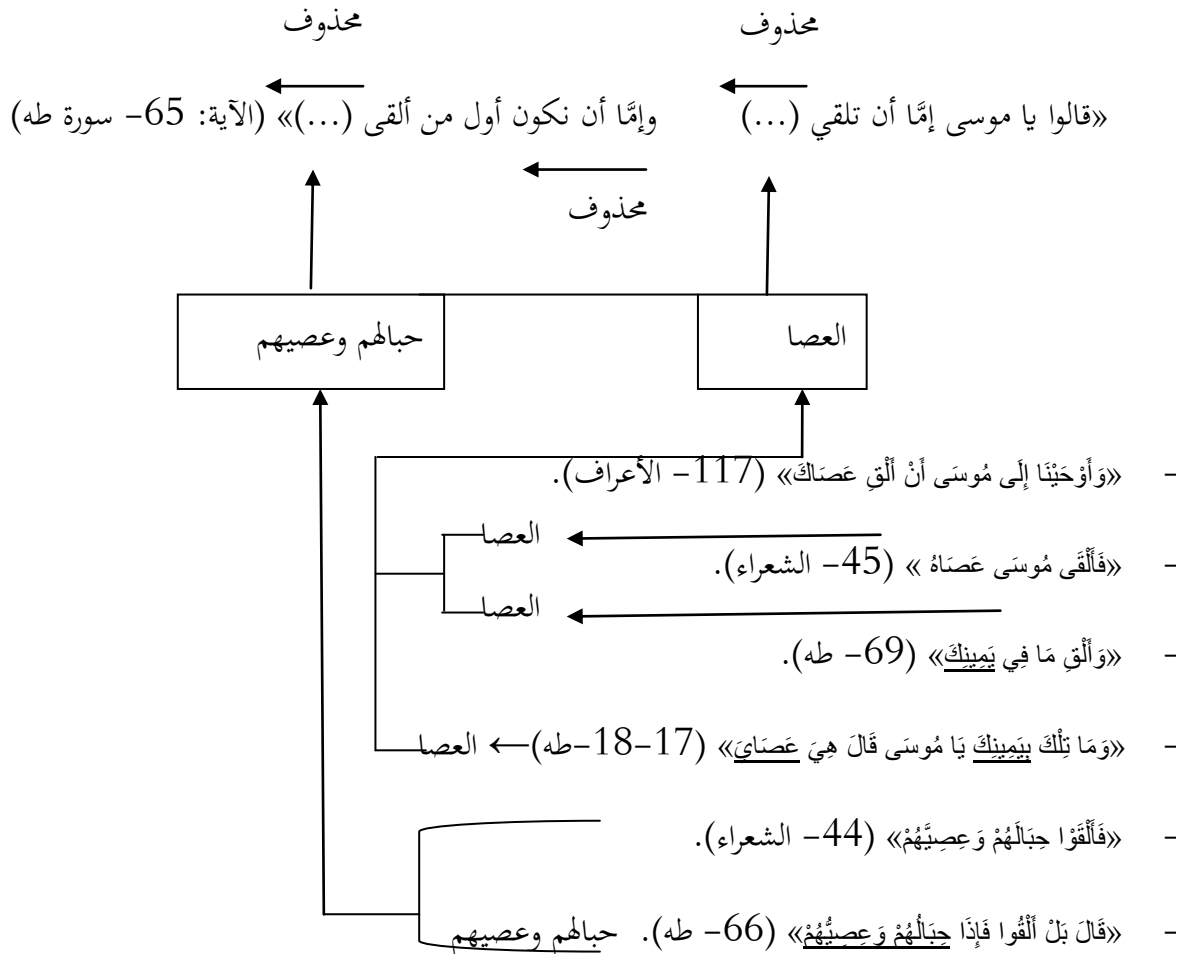
– وقوله هنا في سورة طه: ﴿وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا﴾ (الآية 69- طه)

وما في يمينه هو عصاه⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ قَالَتْ هِيَ عَصَايَ﴾ (الآية: 17-18، طه)، وقد ذكر الشنقيطي أن الله تعالى قد بيّن أيضاً في موضع آخر: أَنَّ مَفْعُولَ إِقْرَائِهِمْ هُوَ حَبْلُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ: ﴿فَأَلْقُوا حَبْلَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾ (الآية: 44- الشعراء).

وقد أشار تعالى إلى ذلك أيضاً بقوله في سورة طه: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حَبْلُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُجَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (الآية: 66- طه)، كل هذه الآيات كانت دليلاً نصياً على المحذوف، لأن الأمر يتعلق بحذف عنصر من السياق القرآني ودلالة المحذوف من النص القرآني:

1- ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ص 783.

2- المرجع نفسه: ص 783.



نتائج التحليل: عن طريق الحذف الحاصل في هذه الآية -والذي يعتبر فراغ موقع من بنية لغوية يتم سدّها بالسياقات النصية- استطاع الشنقيطي بيان الترابط الحاصل بين آيات الذكر الحكيم وتماسكها، وتحققت العلاقات الاتساقية النصية بواسطته في هذه الآية، وإذا ذهبنا إلى قول الزركشي: "بأن من شروط الحذف أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف إِمَّا من لفظه أو من سياقه، وَإِلَّا لم يتمكن من معرفته فيكون اللفظ مُجَلَّأً بالفهم"⁽¹⁾ فإننا نجد أن هذه الآية لم تخرج من إطار هذا الشرط المهم في الحذف حيث أن دلالة المحذوف كان من السياق القرآني، وأن النص القرآني يُفسر انطلاقاً من النظرة الكلية الشمولية للنص، على الرغم من أنه انطلق في دراسته للحذف من نحو الجملة متمثلة في "المفعول به" إلا أنه تجاوز ذلك إلى نحو النص متمثلاً في وحدته الدلالية الكبرى.

1- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص: 127.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (الآية 58- الإسراء) ذكر الشنقيطي أن في هذه الآية نعتا محذوفاً، أي وإن من قرية ظالمة إلا نحن مهلكوها وهذا المحذوف دلت عليه آيات من كتاب الله⁽¹⁾، أي إنها حذفت من هذه الآية اعتماداً على ذكرها في آية أخرى وهذا يؤدي إلى الإيجاز وحسن السبك، حيث حذف عنصر من الكلام اعتماداً على ذكره في كلام آخر.

الدليل على المحذوف: إن لإحاطة الشنقيطي بما حواه القرآن الكريم من آيات جعله يقدر المحذوف في هذه الآية لارتباط آيات الذكر الحكيم بعضها ببعض، ومن الآيات التي ذكرها الشنقيطي باعتبارها دليلاً على المحذوف قوله تعالى:

- ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (الآية 59- القصص).
- وقوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (الآية 131- الأنعام).
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (الآية 117- هود).
- وقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ (الآية 8-9- الطلاق).

التحليل: غاية ما في الأمر أن النعت هنا حذف مع وجود ما يدل عليه من الآيات القرآنية استعان بها الشنقيطي لبيان المحذوف:

المحذوف

«وإن من قرية (.....) إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة»



دليل المحذوف آيات من الذكر الحكيم:

- الآية: 59 من سورة القصص
- الآية: 131 من سورة الأنعام
- الآية: 117 من سورة هود
- الآية: 8-9 من سورة الطلاق

1- الشنقيطي: أضواء البيان، ج 3، ص: 710.

نتائج التحليل: تحقق السبك النصي في هذه الآية من طريقتين:

أولاً: أن الحذف بوجود دليل هو نوع من التكرار بالمعنى، والتكرار يعتبر وسيلة من وسائل التماسك النصي التي تحقق الترابط بين الأجزاء.

ثانياً: أن الحذف بدليل يميلنا إلى آيات أخرى في النص القرآني، هذه الآيات سواء كانت من نفس السورة أو من سور أخرى هي مرجعية إحالية، ولا شك أن الإحالة وسيلة من وسائل السبك النصي.

ومن أمثلة هذه الآية في حذف الصفة كما يذهب الشنقيطي، قوله تعالى: « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا » (الآية 79- الكهف)، أي كل سفينة صالحة، لأن الملك لا يأخذ المعيبة التي فيها خرق وإنما يأخذ الصحيحة بدليل خرق الخضر للسفينة التي ركب فيها هو وموسى عليه السلام⁽¹⁾.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾ (الآية 03- الواقعة)

خافضة رافعة: خيران لمبتدأ محذوف، أي هي خافضة رافعة، أو تفسيرية لجواب (إذ) المقدر⁽²⁾، ومفعول كل من الوصفين محذوف والمعنى كما ذكر الشنقيطي على رأي بعض العلماء مقدر: هي خافضة أقواماً في دركات النار رافعة أقواماً إلى الدرجات العلى إلى الجنة، ودليل هذا آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (الآية: 145- النساء) وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (الآية: 75-76 طه)، وغيرها من الآيات في سور أخرى استند إليها الشنقيطي في تقدير المحذوف من هذه الآية⁽³⁾، فالقرآن يفسر بعضه بعضاً.

وعلى رأي آخر في تقدير المحذوف ذكر الشنقيطي أقوالاً أخرى للعلماء في تقديره للمحذوف من الآية الكريمة وهي قولهم: خَافِضَةٌ أَقْوَامًا كَانُوا مَرْتَفِعِينَ فِي الدُّنْيَا⁽⁴⁾، ودليلهم، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ (الآية: 29-30-

1- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ص 589.

2- مجّد سليمان باقوت: إعراب القرآن الكريم، ص 4515.

3- ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج7، ص 815.

4- المرجع نفسه، ج7، ص 816.

المطففين) إلى قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَبْتَظِرُونَ﴾ (الآية: 34-35- المطففين) وغيرها من الآيات.

وعلى تقدير آخر للمحذوف ذكره الشنقيطي في رأي بعض العلماء، وتقديرهم:

خَافِضَةٌ بَعْضَ الْأَجْرَامِ الَّتِي كَانَتْ مُرْتَفِعَةً كَالنُّجُومِ الَّتِي تَسْقُطُ وَتَتَنَاقَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ خَفِضَ لَهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُرْتَفِعَةً⁽¹⁾، ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكُوكُوبُ انْتَشَرَتْ﴾ (الآية: 2- الانفطار) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (الآية: 02- التكوير).
رافعة أي: رافعة بعض الأجرام التي كانت منخفضة، كالجبال التي ترفع من أماكنها⁽²⁾، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (الآية: 47- الكهف) وقوله ﷻ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (الآية: 88- النمل).

فتقدير المحذوف هو محاولة إكمال هذه البنية النصية في ضوء ما قُدِّر لها أن تكون عند المفسرين وأهل اللغة، فقد بدأ الشنقيطي:

- 1- بتحديد المحذوف من الآية الكريمة.
- 2- ذكر تقدير المحذوف في الآية، وتنوع التقديرات عند العلماء.
- 3- الدليل على آراء العلماء في تقديرهم للمحذوف والأدلة كانت كلها من القرآن الكريم باختلاف سوره.

والشيء الملاحظ هنا في الحذف الذي مَسَّ هذه الآية أنها جاءت بجوامع الكلم مشتملة على الاختصار مفيدة للمعنى حصل السبك النصي كون السبك تحقق بإزالة بعض العناصر التركيبية المعلومة - لدى المتلقي - من النص القرآني الظاهر، وتركها قائمة في البنية النصية العميقة الواضحة الدلالة عند أهل التفسير وعلوم القرآن.

1- أضواء البيان، الشنقيطي، ج 7، ص 816.

2- المرجع نفسه، ج 7، ص 816.

النموذج الرابع: قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (الآية: 59- الكهف)

بين الله ﷻ في هذه الآية الكريمة: أن القرى الماضية لما ظلمت بتكذيب الرسل والعناد واللجاج في الكفر والمعاصي أهلكهم الله بذنوبهم⁽¹⁾، ذكر الشنقيطي أن "لَمَّا" ترد في القرآن وفي كلام العرب ثلاثة أنواع:

- الأول: لما النافية الجازمة للمضارع: كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (الآية: 214- البقرة) وهذه حرف بلا خلاف، وهي مختصة بالمضارع.

- الثاني: أن تكون حرف استثناء بمعنى **إِلَّا**: فتدخل على الجملة الإسمية، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (الآية: 04- الطارق).

- الثالث: هو النوع المختص بالماضي المقتضي جملتين توجد ثانيتهما عند وجود أولهما، نحو قوله تعالى في هذه الآية: «لَمَّا ظَلَمُوا» أي: لما ظلموا أهلكناهم، فما قبلها دليل على الجملة المحذوفة⁽²⁾.

و"لَمَّا" هذه الأخيرة تقتضي ربط جملة بجملة³ ربط جملة محذوفة مقدرة بجملة مذكورة معلومة، فالمحذوف في هذه الآية جملة (أهلكناهم)، والدليل عليها هو جملة "أهلكناهم" السابقة، فقد تكررت بلفظها ومعناها، وهي سابقة بالذكر فأصبحت مرجعية المحذوف مرجعية قبلية، وفي ضوء هذا التفسير والتقدير الذي اعتمده الشنقيطي يتبين لنا أن الحذف أدى إلى السبك النصي متمثلاً في ترابط تراكيب الجملة في الآية التي تحتوي على أكثر من جملة بين المحذوفة والمذكورة، فقد ترك الفراغ في الآية الكريمة، وقام المفسر -الشنقيطي- بمَلءِ هذا الفراغ اعتماداً على القرائن الدالة، ففهم المفسر للدليل يعتبر أهم سبيل لمعرفة المحذوف، فأدى المحذوف وتقديره وظيفته الدلالية وأثر في بنية النص وتلاحمه.

1- الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص 195.

2- المرجع نفسه، ج4، ص 197- 198.

3- المرجع نفسه، ج4، ص 198.

النموذج الخامس: قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الآية: 22- الحج).

ذكر الشنقيطي أن قول الله تعالى في هذه الآية: «أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» حذف فيها القول والمعنى: أُعِيدُوا فِيهَا، وقيل لهم: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ⁽¹⁾، وذكر صاحب التحرير والتنوير أنهم ولشدة ما يغمهم، أي يَمْنَعُهُمْ من التنفس، يحاولون الخروج فَيُعَادُونَ فِيهَا فيحصل لهم ألم الخيبة، ويقال لهم: ذوقوا عذاب الحريق⁽²⁾، أما دليل المحذوف هو استقراء القرآن الكريم من طرف الشنقيطي بحيث ذكر أن المحذوف صرَّح به في سورة السجدة⁽³⁾، في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (الآية: 20- السجدة):

قوله تعالى: «أُعِيدُوا فِيهَا (قول محذوف) وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق» (الآية: 22-



قوله تعالى: «أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ» (الآية: 20- السجدة)

لقد ظهر جليا من خلال هذه الآية وصورة الحذف فيها أن للحذف قيمة كبيرة في تحقيق ترابط الآيات في النص القرآني، بالإضافة إلى قيمة اختصار التركيب اللغوي إذ يجعل المفسر ينتقل من خطاب إلى خطاب ومن سورة إلى سورة مستحضرا الآيات القرآنية التي تدل على المحذوف ويسهم المحذوف وتقديره في الربط بين أجزاء النص والنسج بين وحداته، وقد تجاوز حدود الجملة والآية والسورة للربط بين السور وما تحمله من دلالات أحدثت نوعا عجيبا من التعالق بين أجزاء النص القرآني باعتباره وحدة كلية.

1- الشنقيطي: أضواء البيان، ج5، ص 59.

2- مجد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص 230.

3- ينظر "الشنقيطي: المرجع السابق، ج5، ص 59.

النموذج السادس: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (الآية: 99-100- المؤمنون).

يذكر الشنقيطي رحمه الله بأن الظاهر أن قبل "حتى" الجملة محذوفة هي غاية لها، يَدُلُّ عَلَيْهَا ما قبلها، وقدّر الجملة المحذوفة بقوله: فلا أكون كالكفار الذين تهزهم الشياطين ويحضرونهم، حتى إذا جاء أحدهم الموت قال: رب ارجعون⁽¹⁾.

ولهذا الحذف نظير في كلام العرب، ومنها قول الفرزدق⁽²⁾:

فِيَا عَجَبِي حَتَّىٰ كَلَيْبٌ تَسُبُّنِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مَجَاشِعُ.

فإذا نظرنا للبيت الشعري نجد أن ما بعد "حتى" دليل على الجملة المحذوفة أما في الآية الكريمة فما قبل "حتى" دليل على الجملة المحذوفة، وحذف الجملة لدلالة ما قبلها أو ما بعدها على المحذوف نوع من تماسك التراكيب، ويعتبر الحذف بهذه الطريقة من أدوات السبك التي لها القدرة على التحرر من القيود النحوية ومن ثم خضوعها للقيود الدلالية التي يحددها الشنقيطي مرتكزا في كل ذلك على التأويل وتقديم المحذوف ليمنح للحذف حركية داخل النص للخروج إلى فضاء أوسع من حدود الجملة.

النموذج السابع: قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ (الآية: 55- الكهف).

بيان المحذوف وتقديره: من أوجه المعنى التي ذكرها الشنقيطي في تفسيره هذه الآية هو القول بأن في الآية الكريمة مضافاً محذوفاً، وتقديره: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِلَّا طَلِبَهُمْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا⁽³⁾، والدليل على تقدير المحذوف: نجد الشنقيطي قد استطاع أن يقوم باستقراء القرآن الكريم ويملاً الفراغات النصية، والآيات الدالة على المحذوف عن الشنقيطي تمثلت في:

1- ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ج5، ص 895-896.

2- همام بن غالب بن صعصعة (الفرزدق)، ديوان الفرزدق، شرح وضبط: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1987، 1407، م، ص: 365.

3- الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص 174.

– قوله تعالى عن قوم شعب: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الآية: 187- الشعراء).

– وقوله تعالى عن قوم هود: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ آهْتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الآية: 22- الأحقاف).

– وقوله تعالى عن قوم صالح: ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الآية: 77- الأعراف).

– وقوله تعالى عن قوم لوط: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الآية: 29- العنكبوت).

– وقوله عن قوم نُوحٍ: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الآية: 32- هود).

فمجموع الآيات القرآنية هذه كانت حاملة لمعاني كثيرة عملت جميعها على اتساع المعنى الذي جاء مجملاً في آية الكهف، لأن المعاني ليست ما تحمله الألفاظ فقد بل أيضاً ما تحيل إليه في مواطن أخرى من النص القرآني، ويبقى على المفسر الدور البارز في بيان مرجعية المحذوف وهذا ما عمل عليه الشنقيطي، الذي عمل على ربط دلالة العناصر المحذوفة بالعناصر المذكورة مبينا السبك النصي الحاصل بينهما.

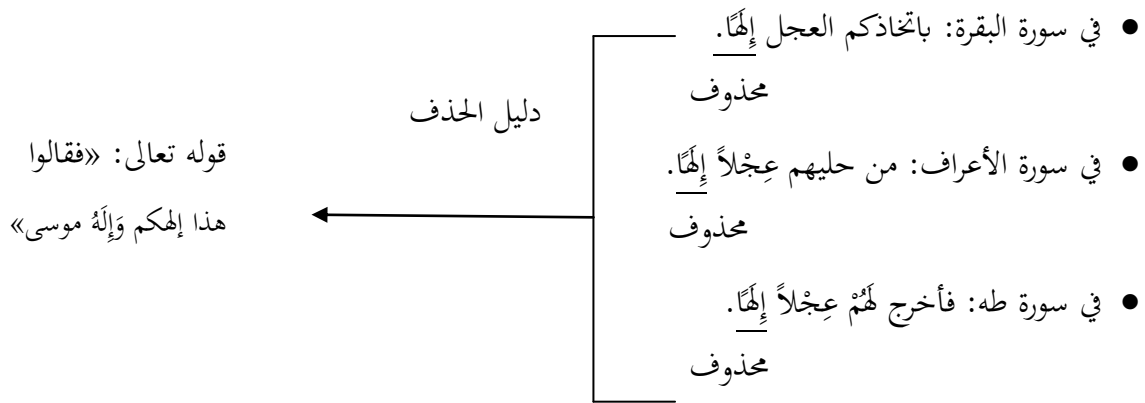
النموذج الثامن: قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ﴾ (الآية: 54- البقرة).

– وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ﴾ (الآية: 148- الأعراف).

– وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ﴾ (الآيتين: 87-88- طه).

الآيات السابقة تشير إلى قصة موسى عليه السلام مع قومه، وذكر الله تعالى كيف اتخذ قوم موسى من حليهم عجلاً، والملاحظ من هذه الآيات أنه لم يذكر ماذا اتخذوا من هذا العجل ففي قوله تعالى: «إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ»، لم يذكر المفعول به الثاني للاتخاذ، وذكر

الشنقيطي أن المفعول به الثاني لم يذكر في جميع القرآن، وتقديره: بأخذكم العجل إلهًا⁽¹⁾. وبين أن النكتة في حذفه دائما التنبيه على أنه لا ينبغي التلطف بأن عجلاً مصطنعاً من جماد إله⁽²⁾، والدليل على المفعول به الثاني حينما أشار الله تعالى في سورة طه بقوله: ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَازٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ (الآية: 87-88- طه)، حيث حذفت في كل آية من الآيات السابقة كلمة إلهًا:



أي أن كلمة (إلهًا) حذفت من آية سورة البقرة وسورة الأعراف وسورة طه للدلالة عليه في آية سورة طه «فقالوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى»، وإذا بحثنا عن العلاقات النصية بين هذه الآيات نجدها في الحذف المشترك بينها والتي جاء به النص القرآني في سورة طه، لأن هذا الوحي المرسل بلغة من أرسل إليهم وهو عرب ذلك الزمان قد حقق العلة من اتفاق لغة القرآن مع لغتهم باعتماد الاختصار وتجنب التكرار لغاية التبين «وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ».

وإذا كان الأمر كما ذكرنا فإننا نستطيع أن نلمح دور الخطاب القرآني في تحديد العلاقات النصية بين الآيات الثلاث، فقد انفردت آية سورة طه ببيان دلالة اتخاذ العجل في الآيات السابقة، ففيها تخصيص وتحديد وبيان المفعول به الثاني المحذوف في سورة البقرة والأعراف وطه، ومع ذلك فإن الشنقيطي قد حاول جاهداً في تحديد المحذوف مستعيناً في ذلك بالسياق النصي القرآني مبيناً وجه العلاقات بين الآيات الثلاث التي يربط بينها حذف كلمة "إلهًا".

1- ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ج1، ص 22.

2- المرجع نفسه، ج2، ص 392.

وهناك العديد من الآيات القرآنية التي حذفت فيها وحداتها اللغوية، واستعان الشنقيطي في تحديد المحذوف منها بآيات من القرآن الكريم مبينا وجه العلاقة بين المحذوف والآيات الدالة عليه، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (الآية: 26 - النازعات) فإنه هنا لم يذكر مفعول يخشى وأشار إليه في سورة هود، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَاف عَذَابَ الآخِرَةِ﴾ (الآية: 103 - هود) يدل على أن المفعول المحذوف في النازعات هو عذاب الآخرة. وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الآية: 118 - المؤمنون) ومعمول اغفر وارحم حذف هنا لدلالة ما تقدم عليه¹، في قوله تعالى: «فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا» (الآية: 109 - المؤمنون).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الآية: 37 - الكهف).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (الآية: 77 - يس)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ (الآية: 02 - الإنسان). في هذه الآيات الثلاث ذكر بعض أطوار خلق الإنسان مع حذف بعضها وهذا المحذوف دل على دليل في النص القرآني في قوله تعالى بالتفصيل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (الآية: 12-14 - المؤمنون)، فالآيات التي بها حذف بعض أطوار الخالق، كانت هذه الآية من سورة "المؤمنون" دليلا سياقيا على المحذوف⁽²⁾، فتربطت هذه الآيات وتماسكت فيما بينها، وفسر بعضها بعضا.

كل هذه الآيات وغيرها كان الخطاب القرآني دليلا على بيان المحذوف، وتوضيح الدلالة، وعاملا على إظهار مدى السبك الحاصل بين آيات القرآن الكريم على اختلاف سورته، لجأ إليها الشنقيطي في تفسيره مستعينا في ذلك بالسياق القرآني كأفضل ما يفسر به القرآن الكريم، وظهر اعتماد الشنقيطي في تفسيره على السياق القرآني كثيرا في تحديده للمحذوف منها تفسير للآيات التالية:

1- الشنقيطي: أضواء البيان، ج5، ص 912.

2- ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص 132.

- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (الآية: 234- البقرة)⁽¹⁾.

- وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ (الآية: 07- الإسراء)⁽²⁾.

- وقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (الآية: 25- النحل)⁽³⁾.

- وقوله تعالى: ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهَا الْحَقَّ ﴾⁽⁴⁾.

وغيرها من الآيات* التي استعان بها الشنقيطي بالسياق لتحديد المحذوف وإبراز علاقة الآيات بعضها ببعض، لأنه كما ذكرنا سابقا القرآن يفسر بعضه بعضا باعتباره نصًا مَوْحَدًا.

1- ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج1، ص 256- 257.

2- ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص 484.

3- ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص 309-310.

4- ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص: 178.

*- لمزيد من التوضيح لدور السياق في تحديد المحذوف عند الشنقيطي يُنظر: (ج1، ص 97، 572)، (ج2، ص: 392)، (ج3، ص: 710، 718، 572، 709)، (ج4، ص: 151، 157، 243، 364، 349، 735، 651)، (ج5، ص: 64، 755)، (ج6، ص: 301، 446)، (ج7، ص: 55، 62، 436، 690، 732).

2- دلالة المقام على الحذف ودوره في بيان المعنى وإيضاح السبك النصي:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ (الآية: 69-70- الأنبياء).

يكثُر الحذف في القصص بصفة عامة، لأن ذكر كل تفاصيل القصة يُجِلُّ بأهدافها، فتُحذف بذلك أجزاء منها تجنبًا للتكرار وتحقيقًا للأغراض التي قيلت من أجلها وبيانًا لمحتواها، وفي القصص القرآني حذفت أجزاء أكبر من الجمل ويسمى هذا النوع من الحذف "الحذف النصي" وهو الذي يتعدى الجملة وهذا النوع يعمل على تماسك أجزاء النص وللمفسر مجال لتأويل المحذوف منها. وفي هذه الآية حذف دَلٌّ عليه المقام، وتقديره، قالوا: حرقوه فرموه في النار، فَلََمَّا فعلوا ذلك قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا⁽¹⁾.

ومن طبيعة القصص القرآني الميل للحذف اعتمادًا على دليل مقالي أو مقامي للأحداث القصصية، أو اكتفاءً بالإشارة لهذه الأحداث في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كما في هذه الآية حيث بين الله تعالى في سورة الصافات أنهم بنوا له بيانًا من أجل أن يلقوه في النار، قال تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ (الآية: 97- الصافات). والشنقيطي عمل على بيان المحذوف وأشار إلى الآية القرآنية التي احتوت أجزاء من قصة إبراهيم عليه السلام، وهذا كله يكشف لنا دور الحذف في بيان تماسك النص القرآني عامة والأحداث القصصية بصفة خاصة من خلال ملء مواضع الحذف وتقديرها من قبل الشنقيطي، ومن ثم وضوح معنى القصة.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (الآية: 24-

مُحَمَّد)، قوله تعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ» أي: يتفهمونه، فيعلمون مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلَّذِينَ لَمْ يَتَوَلَّوْا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، «أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» أي: بل على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فَهَمٌ لَا يَعْقِلُونَ⁽²⁾، والهمزة في قوله: «أفلا يتدبرون» للإنكار، والفاء عاطفة على جملة محذوفة، والتقدير: أيعرضون عن كتاب الله فلا يتدبرون القرآن³، كما أشار له في الخلاصة بقوله:

1- الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص 735.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص 275.

3- الشنقيطي: المرجع السابق، ج7، ص 457.

وحذف متبوع بدا هنا استَبَح⁽¹⁾.

فحذف الجملة في هذه الآية تعد ظاهرة تركيبية نصية، خرجت من إطار الجملة الواحدة إلى النص، بحيث لا يمكن للشنقيطي أن يُفسِّرَهَا تفسيراً بيناً إلا من خلال النسيج النصي بتراطبط الجمل فيما بينها، وبتقدير الجملة المحذوفة يحصل هذا التراطبط ويضفي على التركيب دلالات أخرى لم تكن لتظهر لولا تقدير المفسر للمحذوف، وهذه العلاقات الاتساقية النصية، تسهم في بنائه وسبكه نتيجة الربط العجيب لأبنية الجمل.

وتقدير الشنقيطي للجملة المحذوفة في تفسيره للآيات التي جاءت بهمزة استفهام بعدها فاء العطف أو واوه، كثيرة في أضواء البيان، منها:

- قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ (الآية: 5- الزخرف).
- وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الآية: 9- سبأ).
- وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (الآية: 31- الجاثية).
- وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (الآية: 82- النساء).

- وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ (الآية: 68- المؤمنون)2.
- وغيرها من الآيات التي رَجَّحَ الشنقيطي حذف جملة قبل همزة الاستفهام وحرف العطف، وأسهم تقدير الحذف فيها في عملية بناء النص وسبكه.

3- دلالة القراءات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على الحذف ودوره في بيان المعنى

وإظهار السبك النصي:

- النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الآية: 36- 37- النور).

1- ابن مالك (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْدَلُسِيِّ): الخلاصة في النحو- ألفية ابن مالك، تح: عبد المحسن القاسم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط1، 1439-2018، ص:73.

2- ينظر في تفسيره لهذه الآيات: أضواء البيان، ج:3، ص:335، ج:5، ص:874، ج:7، ص:457-682.

إن من أهم مقاصد تأليف الشنقيطي كتابه هذا هو بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلَّ وعلا من الله جلَّ وعلا، وقد التزم الشنقيطي في هذا بالقراءة السبعية دون غيرها من القراءات، سواء أكانت القراءة السبعية في الآية المبينة نفسها أم آية أخرى غيرها⁽¹⁾، وعلى هذا يتضح الحذف ودوره في بيان المعنى وإظهار السبك النصي عندما يستعين الشنقيطي بقراءة من القراءات. ففي هذه الآية قرأ الآية الكريمة «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا» جميع السبعة غير ابن عامر، وشعبة، عن عاصم بكسر الباء الموحدة المشدودة مبنياً للفاعل وفاعله رِجَالٌ، وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم: «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا» بفتح الباء الموحدة المشددة مبنياً للمفعول، وعلى هذه القراءة فالفاعل المحذوف قد دلت القراءة الأولى على أن تقديره رجال فكأنه لما قال يسبح له فيها، قيل: ومن يسبح له فيها؟ قال رجال: أي يسبح له فيها رجال⁽²⁾.

والمقرر عند الشنقيطي وعند العلماء قبله أن القراءتين في الآية الواحدة كالأيتين لذلك كانت يسبِّح بكسر الباء وفاعله رجال مبينة عندهم أن الفاعل المحذوف في قراءة ابن عامر وشعبة عن عاصم يسبِّح بفتح الباء مُبْنِيًّا للمفعول لحذف الفاعل هو رجال⁽³⁾. وعلى القراءة الثانية ففاعل "يُسَبِّحُ" محذوف الفعل الرفع للفاعل "رجالٌ" محذوف، وقد دَلَّ على هذا الحذف القراءة الأولى: القراءة الأولى: «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا رِجَالٌ».

القراءة الثانية: «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا (محذوف) (محذوف) رِجَالٌ لَا تَلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ».

رجال يُسَبِّحُهُ

فالمحذوف في القراءة الثانية دَلَّ عليه دليل القراءة الأولى، وعملت على بيان معنى القراءة الثانية وإظهار التماسك بين الآية (36) والآية (37) من سورة النور.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الآية: 57- سورة النور).

"لَا تَحْسَبَنَّ" بقاء الخطاب والفاعل ضمير المخاطب، أي لَا تَحْسَبَنَّ أيها المخاطب، وقرأ حمزة وابن عامر "لَا يَحْسَبَنَّ" بياء الغيبة وهي قراءة حسنة واضحة، فإن الفاعل فيها مضمَرٌ يُدَلُّ على ما

1- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 08.

2- المرجع نفسه: ج6، ص 252.

3- ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص 252.

دَلَّ السياق عليه، أي: لَا يَحْسَبَنَّ حاسب -أو أحدٌ- وإما على رسول الله ﷺ⁽¹⁾، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين وباقي السبعة بكسرها، يذهب الشنقيطي إلى أنه لا إشكال في الآية، على قراءة من قرأ بالتاء، مع فتح السين وكسرها، لأن الخطاب بقوله: "لا تحسبن" للنبي صلى الله عليه وسلم، وقوله: «الذين كفروا» هو المفعول الأول، وقوله: «معجزين» هو المفعول به الثاني لتحسبن⁽²⁾، وإنما الإشكال حصل مع المفسرين في قراءة "لا يحسبن" وَذُكِرَ فيه أوجه منها الوجه الأول الذي تحدث عنه القرطبي والذي له علاقة بالحذف، وهو أن قوله: «الذين كفروا» في محل رفع فاعل "يحسبن"، والمفعول الأول محذوف تقديره (أنفسهم) و(معجزين) مفعول به ثان: أي لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين الله في الأرض، والمفعول المحذوف قد تدلَّ عليه قراءة من قرأ بالتاء⁽³⁾، فعلى القراءة الأولى تقدير الكلام: لَا تَحْسَبَنَّ أيها المخاطب (النبي ﷺ) الذين كفروا معجزين في الأرض، وعلى القراءة الثانية بالياء: لَا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا أنفسهم معجزين الله في الأرض، وهنا حذف مفعول لفعل القلب مع وجود دليل عليه إذا انتقلنا إلى القراءة (لا تحسبن) لأن في القراءة الأولى موجهة للمخاطب والقراءة الثانية للغائب لأن: «الذين كفروا» في القراءة الأولى وقعت مفعول به، وفي القراءة الثانية وقعت فاعلاً بحاجة إلى مفعول به أول ومفعول به ثان، لأن الفعل من أفعال القلوب التي تحتاج إلى مفعولين أو أكثر لبيان المعنى وحصول الدلالة وتوضيح مراد الله من الآية الكريمة بالنسبة لمفسر القرآن -الشنقيطي- وكما هو معلوم أن الحذف داخل الجملة الواحدة لا يحقق السبك النصي بين الجمل إلا أن دراستي للمحذوف في هذه الآية -وهي عبارة عن جملة- إنما أتيت به هنا، لأن الآية يبين بعض القراءات فيها معنى بعض، إذ المقرر عند العلماء، كما يذهب لذلك الشنقيطي في بعض مواضع الكتاب، أن القراءتين في الآية الواحدة كالآيتين⁽⁴⁾، وإذا تبين هذا كان من باب أولى دراسته هنا لأن مرجعية الحذف هو قراءة أخرى غير القراءة محل الدراسة.

1- ينظر: السمين الحلبي (أحمد بن يوسف)، الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، تج: أحمد مجد الشراط، دار القلم، دمشق، (د.ط)، (د.س)، ج8، ص 435.

2- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص 276.

3- المرجع نفسه: ج6، ص 276.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص 1284.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الآية: 48-

الكهف)، لقد اشتملت هذه الآية على محذوف وهو مقول القول، والمعنى يقال لهم يوم القيامة لقد جئتمونا، أي والله لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة، أي حفاة عراة غرلاً غير مختونين كل واحد منكم فرد لا مال معه ولا ولد ولا خدم ولا حشم⁽¹⁾، والدليل على المحذوف: الذي جاء به الشنقيطي في قوله حفاة عراة غرلاً غير مختونين هو حديث النبي ﷺ: «تحشرون حفاة عراة غرلاً». أخرجه البخاري (6527).⁽²⁾

وبالإضافة إلى حديث النبي ﷺ ذكر الشنقيطي أيضاً أدلة أخرى على المحذوف⁽³⁾، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الآية: 94- الأنعام)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (الآية: 94-95- مريم)، وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا﴾ (الآية: 104- يوسف).

فالحديث النبوي الشريف يعد مرجعية خارجية ودليلاً على المحذوف من الآية الكريمة، بالإضافة إلى السياق القرآني متمثلاً في الآيات التي ذكرها الشنقيطي، كل هذا يعد دليلاً نصياً على المحذوف من مقول القول: لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة (حفاة، عراة، غرلاً، فرادى، لا مال، ولا ولد، ولا خدم، ولا حشم).

- دليل المحذوف: حديث النبي ﷺ السابق.

- والآيات التي ذكرها الشنقيطي من سورة الأنعام، ومريم، ويوسف.

فالمحذوف دلت عليه السنة ودل عليه القرآن، والشنقيطي اعتمد في تفسيره لآيات الذكر الحكيم بآيات الذكر الحكيم أولاً فيتحقق السبك بين الآيات، ويعتمد أيضاً في تفسيره للآيات بأحاديث النبي ﷺ، لأن القرآن والسنة هي الحججة الدامغة والبيان الساطع فيفسر بعضها بعضاً.

1- الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص 147.

2- البخاري: (محمد بن اسماعيل)، صحيح البخاري، دار صادر، بيروت، ط 1، 1425-2004، ج 4، ص: 1058.

3- المرجع نفسه، 649، ج4، ص 147.

4- قواعد الترجيح ودورها في تحديد الحذف وبيان السبك النصي:

النموذج: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الآية: 41- النور).

ذكر الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية أن الضمير المحذوف الذي هو فاعل للفعل "عَلِمَ" ذهب فيه العلماء إلى رأيين:

الرأي الأول: أنه راجع إلى الله تعالى في قوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ»، وعلى هذا فالمعنى كل من المسيحين والمصلين قد علم الله صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ.

الرأي الثاني: أن الضمير راجع إلى قوله: كل، أي كل من المصلين والمسيحين قد علم صلاة نفسه وتسيب نفسه⁽¹⁾.

وإذا نظرنا إلى قواعد الترجيح عند المفسرين نجد أن هناك قاعدة من قواعد الترجيح تنص على أنه "إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى"⁽²⁾، ومعنى التأسيس في اصطلاح المفسرين: إفادة معنى آخر لم يكن حاصلاً قَبْلُ⁽³⁾.

ومعنى التأكيد والتوكيد كما جاء في كتاب التمهيد للإسنوي: تقوية مدلول ما ذكر بلفظ آخر، وهو إمَّا معنوي كقولك: جاء القوم كلهم أجمعون، وقد يكون لفظياً بإعادة اللفظ الأول بعينه كقولك: جاء القوم جاء القوم⁽⁴⁾، ومعنى هذا أن الكلمة أو الجملة إذا كانت تحتل احتمالين في رأي المفسرين بين أن تكون مؤكِّداً لقضية سابقة أو جاءت بمعنى جديد لم يذكر قبلها فَحَمَلُهُ على إضافة معنى جديد أولى من أن نجعله تأكيداً ونلغي المعنى الجديد.

وعلى هذا الرأي ذهب الشنقيطي في تحديد الفاعل المحذوف للفعل "علم"، فبعد أن ذكر الرأيين؛ الرأي الأول وحثُّه وذكر الرأي الثاني وحثُّه، بين بعد ذلك الصواب من القولين معتمداً

1- ينظر: - الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص 271..

- الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 245.

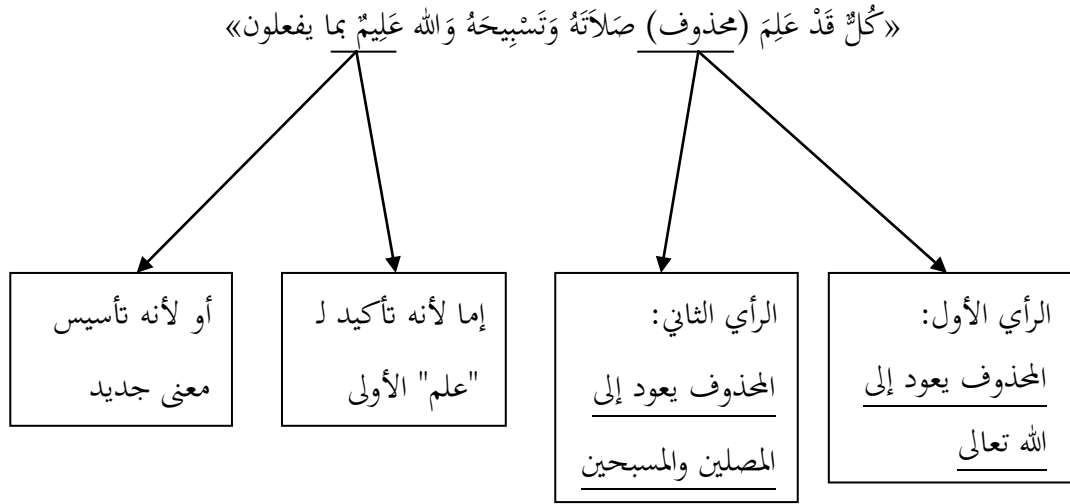
- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج17، ص 334.

2 - الإسنوي (عبد الرحيم بن الحسن الشافعي): التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تح: مُجَّد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400، ص 167، وأنظر: - حسين الحربي، مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، ص 185.

3- الشريف الجرجاني (علي بن مُجَّد): كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1985، ص 51.

4- الإسنوي (عبد الرحيم بن الحسن، الشافعي)، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، المرجع نفسه، ص 167.

على تتابع الجمل في الآية الكريمة حيث جاء بعد قوله تعالى: «كُلُّ قَدِ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ» قوله تعالى من نفس الآية مباشرة: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ» الآية، فقوله تعالى:



فإذا علمنا من قواعد الترجيح عند المفسرين أن الحمل على التأسيس مرجح على الحمل على التأكيد، فإن الأظهر عند الشنقيطي وغيره أن يكون ضمير الفاعل المحذوف في قوله تعالى: «كُلُّ قَدِ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ» راجعاً إلى قوله: كل، أي كل من المصلين قد علم صلاة نفسه وكل من المسبحين قد علم تسبيح نفسه⁽¹⁾، فيحمل تأسيس معنى جديد لا تأكيد معنى سابق.

فجاءت طريقة تحديد المحذوف عند الشنقيطي في هذه الآية كالآتي:

- 1- بيان وجود حذف في الجملة.
- 2- تقدير المحذوف بذكر الآراء المختلفة في بيان المحذوف.
- 3- إعطاء الدليل في تحديد المحذوف لكل رأي من الآراء.
- 4- بيان قاعدة من قواعد الترجيح عند المفسرين.
- 5- الاستعانة بجملة من الجمل المتتابعة في الآية الكريمة لتطبيق قاعدة الترجيح في بيان المحذوف.
- 6- الوصول إلى نتيجة من خلال ترجيح قاعدة التأسيس بدل التأكيد.

فبيان المحذوف من أهم المهام التي يقوم بها مفسر النص القرآني، لأنها تزيد اللبس والغموض الحاصل في الآية وتوضح دلالتها، والمعلوم أن اللبس إذا حصل يحول دون تحقيق السبك النصي، كما أن إزالة اللبس في الآيات القرآنية يبين الترابط القوي بين أجزاء الآية والنص القرآني، وهذا ما

1- ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ج6، ص 271.

لُوحظ أثناء تفسير الشنقيطي لهذه الآية الكريمة حيث استعان بتحديد المحذوف وبيانه بأجزاء من نفس الآية واعتماداً على قواعد الترجيح عند المفسرين، فتعالقت أجزاء الآية مما يجعل منها بيئة متماسكة، تكمن فاعليتها من توليد المعاني من خلال العلاقات التي يقيمها المحذف بين أجزاء النص.

5- دور المحذف في تفصيل الأحكام الشرعية وتحقيق السبك النصي:

النموذج القرآني : قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (الآية: 04- محمد).

فقوله تعالى: «فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً» حالتان للمأسور إمَّا أن يُمَنَّ عَلَيْهِ بِالْإِطْلَاقِ كما من رسول الله ﷺ بإطلاق أسير، وإمَّا أن يفدي كما روي عنه عليه السلام أنه فودي منه رجلان من الكفار بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ⁽¹⁾، ومعنى «فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ» أي: فِيمَا تَمْنُونَ مَنَّا⁽²⁾ فقد حذف عامل المصدر وهو الفعل المضارع وفاعله (تَمْنُونَ)، ومعنى "وَإِمَّا فِدَاءً" أي: تُفَادُوهُمْ فِدَاءً⁽³⁾، وقد حذف هنا أيضاً عامل المصدر وهو الفعل المضارع وفاعله (تفادونهم)، وقد ذكر الشنقيطي أنه يجب حذف عامل المصدر إذا سيق المصدر لتفصيل⁽⁴⁾، كما في الخلاصة⁽⁵⁾:

وما لتفصيل كإمَّا مَنَّا عامِلُهُ يُحذفُ حَيْثُ عَنَّا.

فحذف عامل المصدر لتفصيل حكم الأسرى، فالإمام مخير وله أن يفعل ما رآه مصلحاً للمسلمين⁶، فالشنقيطي قد استعان بالمحذف في الآية الكريمة من أجل تفصيل حكم شرعي في حروب المسلمين وكيفية التعامل مع بعض متعلقات الحرب، فالمحذوف من النص يتعلق بأحكام الإسلام، والمحذف جزء من عملية الفهم والتفسير عند الشنقيطي، فحذف عامل المصدر أدى

1- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف): تفسير البحر المحيط، ج8، ص 75.

2- الشنقيطي، أضواء البيان، ج7، ص 446.

3- المرجع نفسه، ج7، ص 446.

4- المرجع نفسه، ج7، ص 446.

5- محمد بن عبد الله (ابن مالك الأندلسي): الخلاصة في النحو، ص: 48.

6- الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص 647.

بالمفسر بأن يرصد موضعه وتعقبه ويؤدي إلى إعمال فكره حتى يتوصل إلى الأسرار الباعثة على الحذف، فيصل المفسر إلى المعنى المراد من الآية الكريمة ويتحقق السبك بين الجملتين في الآية الكريمة وقد اشتركا في حذف عامل المصدر، وكان بذلك تفصيل الحكم الشرعي في الأسرى.

6- حذف الأجوبة ودورها في السبك النصي:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ (الآية: 31- الرعد)، المحذوف في الآية الكريمة جواب "لو" كما ذكر الشنقيطي⁽¹⁾. والتقدير: ولو أن قرآنًا... لكان هذا القرآن⁽²⁾، وذكر الشنقيطي أيضًا رأيًا آخر للمحذوف، وهو تقدير بعض العلماء قولهم: لكفرتم بالرحمن ودليل هذا الأخير قوله تعالى في الآية التي سبقت هذه: «وهم يكفرون بالرحمن» (الآية: 30- الرعد). ويبين الشنقيطي أن الغالب في اللغة العربية أن يكون الجواب المحذوف من جنس المذكور قبل الشرط، ليكون ما قبل الشرط دليلاً على الجواب المحذوف،⁽³⁾ ومرجعية المحذوف ودليله في آيات سابقة دلالة على السبك الحاصل بين تراكيب النص القرآني وتماسك آياته واستعانة المفسر على إبراز هذه المرجعية بآيات سابقة دلالة على وعيه بترباط هذه الآيات وعلاقتها فيما بينها إذ قام بـ:

- 1- ذكر موضع الحذف.
- 2- ذكر تقديرات المحذوف.
- 3- بيان الدليل على المحذوف من القرآن الكريم.
- 4- أحالنا إلى شواهد من حذف جواب "لو" في سورة البقرة.
- 5- بيان أن الحذف هذا ودليله من كلام سابق، أسلوب عربي غالب.

1- الشنقيطي: أضواء البيان، ج3، ص 120.

2- محمد سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، ج5، ص 2364.

3- الشنقيطي: المرجع السابق، ج3، ص 120.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الآية: 10- الأحقاف).

ومعنى الآية: قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بنبوتك أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على أنه من عند الله، اعتماداً على ما جاء في التوراة بشأنه، فأمن هو به، واستكبرتم عن الإيمان به، أستم حينئذ ظالمين؟ إن الله لا يوفق القوم الظالمين للحق⁽¹⁾، وذكر الشنقيطي أن جواب الشرط في هذه الآية محذوف، وأظهر الأقوال في تقديره: إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به وجحدتموه. فأنتم ضلال ظالمون⁽²⁾.

فمن الكلمات المقدره في جزاء الشرط عنده كلمتي: "ضالين ظالمين"، ودليله على الكلمتين المحذوفتين من النص القرآني في سورة فصلت وسورة الأحقاف، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (الآية: 52- فصلت)، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الآية: 10- الأحقاف).

فقد جاب الشرط المحذوف بدليل دلت عليه آيات الذكر الحكيم في الآية نفسها وآية من سورة فصلت، فكان الدليل مرجعية الأول قريبة المدى من الآية نفسها والثانية بعيدة المدى من سورة أخرى، فالشنقيطي عمل على:

1- بيان المحذوف من الآية.

2- تقدير المحذوف.

3- بيان بالدليل من النص القرآني سبب هذا التقدير.

فقد اجتمع تقدير المحذوف وبيان سبب التقدير في تحقيق الترابط على مستوى النص القرآني، إذ جاءت آية أخرى مفسرة للمحذوف إضافة إلى الآية نفسها.

1- سيد محمد بن محمد المختار الشنقيطي وآخرون: المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، ط3، 1436، ص 503.

2- الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص 404.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (الآية: 1- 2 - ص).

اختلف العلماء في تعيين الشيء الذي أقسم الله عليه في قوله: «والقرآن ذي الذكر»، وقد ذكر الشنقيطي أقوالاً كثيرة، تفرعت إلى اتجاهين⁽¹⁾؛ اتجاه يجعل المقسم عليه مذكوراً وآخر يجعله محذوفاً، فمن آراء الاتجاه الأول:

- 1- أن المقسم عليه هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (الآية: 64- ص).
 - 2- ومن قائل أن المقسم عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (الآية: 54- ص).
- ومنهم من قال: هو قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الآية: 03- ص)، والذي ذهب إلى هذا الرأي قال بأن الأصل: لكم أهلكننا، حذف لام القسم، وغيرها من الآراء في بيان المقسم عليه المذكور في السورة.

أما الاتجاه الثاني: فيذهب إلى أن المقسم عليه محذوف، واختلفوا في تقديره، منهم الزمخشري الذي ذكر أن المقسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه، كأنه قال: والقرآن ذي الذكر إنه لكلام معجز⁽²⁾ والذي يظهر صوابه عند الشنقيطي بدليل استقراء القرآن الكريم: أن جواب القسم محذوف وتقديره: «والقرآن ذي الذكر» ما الأمر كما يقوله الكافرون⁽³⁾.

معنى ذلك أن الكلام أخذ في الثناء على القرآن الكريم ثم انقطع عن ذلك إلى ما هو أهم وهو بيان سبب إعراض المعرضين عنه لاعتزازهم بأنفسهم وشقاقهم، فوقع العدول عن جواب القسم استغناء بما يفيد مُفَادَ ذلك الجواب⁽⁴⁾، وباستقراء الشنقيطي تبين له أن المقسم على نفيه شامل لثلاثة أشياء متلازمة⁽⁵⁾.

الأول منها: أن النبي ﷺ مرسل من الله حقاً، وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ (الآية: 43- الرعد).

1- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج7، ص 10-09.

2- الزمخشري: الكشاف، ج5، ص 240.

3- ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج7، ص 10.

4- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984، ج23، ص 205.

5- ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج7، ص 10-11.

والثاني: وأن الإله المعبود جَلَّ وَعَلَاً واحداً، وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (الآية: 05- ص).

والثالث: وأن الله جلَّ عَزَّوَجَلَّ يبعث من يموت وليس الأمر كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ (الآية: 38- النحل).
فهذه المتلازمات الثلاثة هي التي كان انقطاع الثناء على القرآن الكريم وانتقل للحديث عنها وَعُدِلَ عن جواب القسم.

أما الدليل من القرآن الكريم على أن المقسم عليه محذوف فقد ذكره الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (الآية: 02- ص)، لأن الإضراب بقوله (بَل) دليل واضح على المقسم عليه محذوف⁽¹⁾.

يستنتج من خلال هذا التحليل أن السبك النصي قد تحقق في هذا المحور عن طريق حذف جواب القسم، إذ بعد الحذف جاء بيان سبب إعراض المعرضين عن القرآن، ولأن القرآن يفسر بعضه بعضاً فقد قام الشنقيطي باستقراء القرآن الكريم بسوره المختلفة فتبين له أن المقسم على نفيه يشمل ثلاثة أشياء متلازمة، هي أن الكفار لم يعترفوا بمحمد ﷺ رسلاً من عند الله، وأن هناك آلهة تُعْبَدُ لآلهة واحداً، وأنكروا البعث بعد الموت، فلم يتحقق التماسك على مستوى الآية الأولى من سورة (ص) والآية الثانية من السورة نفسها، باعتبار أن الآية الثانية دليل على جواب القسم المحذوف، بل تحقق التماسك النصي والترابط بين الآية التي حذف منها جواب القسم وكثير من الآيات القرآنية في سورة الرعد و(ص) والنحل وغيرها من الآيات القرآنية التي حوت المتلازمات الثلاثة التي شملها المقسم على نفيه.

النموذج الرابع: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (الآية: 07-

الإسراء)، ذكر الشنقيطي أن جواب "إذا" في هذه الآية محذوف والتقدير: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوههم⁽²⁾، حيث حذف هنا الجواب اعتماداً على ذكره في الآية الخامسة من السورة نفسها، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ (الآية: 05- الإسراء)، وهذا أدّى إلى الإيجاز، ويمكن أن تعد مرجعية قبلية، فالمحذوف كان ثانياً والدليل عليه

1- الشنقيطي، أضواء البيان، ج7، ص 11.

2- المرجع نفسه، ج3، ص 484.

سابق، وهو قوله تعالى: «بعثنا عليهم عِبَادًا لَنَا» وهذه التقديرات يستند فيها إلى الأساليب العربية التي تعتمد هذا النوع من الحذف، وإذا كان النصيون قد تحدثوا عن أهمية وجود دليل مقالي أو مقامي على المحذوف لتحقيق السبك النصي فإنهم قد أشاروا أيضًا إلى وجود مرجعية للمحذوف قد تكون سابقة أو لاحقة، وفي هذه الآية وجدت المرجعية السابقة، فيربط بين هذه الآية والآية الخامسة من نفس السورة، لأنهما تتحدثان عن بني إسرائيل، فانتظمت هذه الآية مع الآية السابقة لها.

7- الحذف مراعاة للانسجام الصوتي:

النموذج القرآني: قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (الآية: 79 - طه).

معنى الآية: وأضلّ فرعون قومه بما حسّنه لهم من الكفر وخذعهم به من الباطل، ولم يرشدهم إلى طريق الهداية⁽¹⁾، وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ: الواو: عاطفة، أضل: فعل ماض مبني على الفتح، فرعون: فاعل مرفوع بالضممة، قومه: مفعول به منصوب بالفتحة والهاء: ضمير متصل مبني في محل جر بالإضافة، وما هدى: الواو عاطفة، وما: نافية لا عمل لها، هدى: فعل ماض مبني على الفتح المقدر، والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو، ومفعول هدى محذوف⁽²⁾.

وذكر الشنقيطي النكتة البلاغية في حذف المفعول في قوله تعالى: «وَمَا هَدَى» ولم يقل وما هداهم، هي مراعاة فواصل الآيات⁽³⁾ القرآنية المتتابعة في السورة الواحدة، فقد بين الشنقيطي دور الحذف في تحقيق التكامل الصوتي في السورة وما له أثر في المتلقي، إذ تناسق الأصوات وانتظامها يحدث نوعًا من الانسجام الصوتي بين الآيات القرآنية يجعل لها حضورًا جماليًا في الكلام.

ونظير هذا النوع من الحذف في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الآية: 03 - الضحى)⁽⁴⁾ والظاهر من بحثي في هذا العنصر أنه لم يكن للحذف دور في الانسجام الصوتي للآيات القرآنية من خلال كتاب أضواء البيان في غير هذين الموضوعين.

1- سيد محمد بن محمد المختار الشنقيطي وآخرون: المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط3، 1436، ص 317.

2- مهجت عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المنزل، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1413-1993، ج7، ص 131.

3- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 602.

4- ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 603.

8- الاحتباك ودوره في السبك النصي:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الآية: 07- الشورى)، ذكر ابن كثير -رحمه الله- أن المقصود من قوله تعالى: «لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ»، وهي مكة «وَمَنْ حَوْلَهَا» أي: من سائر البلاد شرقًا وغربًا، وقوله: «وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ»، وهو يوم القيامة، يجمع الله الأوَّلين والآخرين في صعيد واحد⁽¹⁾.

وقد ذكر الشنقيطي أن «وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ» معطوف على قوله: «لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ»، فحذف في الأول أحد المفعولين، وحذف في الثاني أحدهما، فكان ما أثبت في كل منهما دليلًا على ما حذف في الثاني⁽²⁾ فهو استغناء بأحد المذكورين عن الآخر بحيث يحذف عنصر في الأول وإثبات نظيره في الثاني، وإثبات عنصر في الأول وحذف نظيره في الثاني، ويعتبر من بلاغة الكلام وبديعه.

وقد ذكر الزركشي هذا النوع من الحذف وأطلق عليه مصطلح: "الحذف المقابلي" إذ يقول عنه: «هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه»⁽³⁾، ويسميه بعضهم بـ"الاحتباك" بل يوجد من أفرد لهذا النوع من الحذف كتابًا، منهم الإمام البقاعي، بعنوان: "الإدراك لفن الاحتباك".

وإذا رجعنا إلى الآية الكريمة فإننا نجد أن التركيب النصي وتقديره: لتندر أم القرى أي أهل مكة ومن حولها عذابًا شديدًا إن لم يؤمنوا، ففي الأول هنا حذف المفعول به الثاني، وفي الثانية حذف المفعول به الأول، أي وتندر الناس يوم الجمع وهو يوم القيامة⁽⁴⁾.

وذكر الشنقيطي أن الأمر الأول: في قوله تعالى: «لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا»، قد وضَّحه الله تعالى في الكثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (الآية: 281- البقرة)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ (الآية: 18- غافر) وغيرها من الآيات⁽⁵⁾.

1- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، ج7، ص 191.

2- الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص 170.

3- الزركشي البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 129.

4- ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج7، ص 170.

5- ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص 171.

أما الثاني منها: وهو كون يوم القيامة لا ريب فيه، فقد جاء مُؤَصَّحًا في مواضع مختلفة من نصوص القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الآية: 87- النساء)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ (الآية: 07- الحج)⁽¹⁾، وغيرها من الآيات التي ذكرها الشنقيطي والموضحة للأمور التي اشتملتها الآية الكريمة. يتبين من خلال هذه الآية أن السبك النصي قد تحقق في محورها التركيبي عن طريق الحذف الاسمي مثلًا في حذف المفعول به مرتين وتحقق الترابط النصي بين عناصر الآية الواحدة وتعدد الدليل على المحذوف الأول فقد جاءت آيات في سورة البقرة وغافر وغيرها دليلاً على حذف المفعول به في الجملة الأولى، وآيات من سورة النساء والحج دليلاً على المحذوف الثاني، فمن خلال استقراء كتاب الله اهتدى متلقي النص -الشنقيطي- إلى معرفة العناصر المحذوفة، وهذه الأدلة التي أحالته إلى معرفة العناصر المحذوفة ساهمت في ربط السور القرآنية بعضها ببعض، فإسقاط المفعولين من الآية الكريمة وإبقاء عناصر في سورة أخرى كان كافياً في استخراج المعنى المراد في الآية الأولى وتحقيق الترابط على المستويين التركيبي والدلالي بالإضافة إلى قيمته البلاغية الواضحة في إيجاز الكلام.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾
 (الآية: 17- ق)، قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾، يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان وقوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي مترصد⁽²⁾، وقوله: ﴿إِذْ﴾ منصوب بقوله: ﴿أَقْرَبُ﴾، أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد في الوقت الذي يتلقى فيه الملكان جميع ما يصدر منه، ومفعول التلقي كما ذكر الشنقيطي في الفعل الذي هو يتلقى والوصف الذي هو المتلقيان محذوف، تقديره: إِذْ يَتَلَقَّى المتلقيان جميع ما يصدر عن الإنسان فيكتبانه عليه⁽³⁾، والقعيد: القاعد كالجالس بمعنى الجالس⁽⁴⁾، وتقدير الكلام: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فحذف الأول

1- الشنقيطي، أضواء البيان ج7، ص 171.

2- محمد نسيب الرفاعي: تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط 4، ص 231.

3- الشنقيطي: السابق، ج7، ص 687.

4- الزحخشري: الكشف، ج5، ص 597.

لدلالة الثاني عليه، وهو أسلوب عربي معروف⁽¹⁾، منها قول الشاعر قيس بن الخطيم الأنصاري⁽²⁾:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ.

أي: نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راضٍ، فحذف الخبر في صدر البيت للدلالة على المحذوف في عجزه، وهذا يجنبنا التكرار ويضفي على النص نوعاً من الاقتصاد اللغوي والاختصار في استعمال الألفاظ، بالإضافة إلى المساهمة في سبك النص، وهذا ما يظهر في الآية الكريمة لما قدر الشنقيطي المحذوف منها تبين بذلك علاقة الجملة اللاحقة بالسابقة، وتقدير المحذوف أصبح من السهل إدراك العلاقة المنطقية بين الجملتين بما أن المحذوف كالمذكور والأثر الدلالي للحذف تعدى الجملة.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الآية: 26- الحج).

قوله تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» أي واذكر إذ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ؛ يقال: بَوَّأْتُهُ مَنْزِلًا وَبَوَّأْتُ لَهُ، كما يقول: مَكَّنْتُكَ وَمَكَّنْتُ لَكَ، وقوله تعالى: «أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا» هي مخاطبة لإبراهيم عليه السلام⁽³⁾، وهي متعلق بمحذوف، وقد دَلَّتْ عَلَى تقدير المحذوف آية البقرة⁽⁴⁾. في قوله تعالى: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ (الآية: 125- البقرة).

فالمحذوف في آية الحج هو (إسماعيل) عليه السلام والدليل على المحذوف من القرآن الكريم سورة البقرة، وسورة البقرة سابقة في الترتيب فصارت مرجعية الحذف مرجعية قبلية، وفي ضوء رجوع الشنقيطي إلى آيات في سور أخرى ليفسر آية الحج يتبين لنا كيف أن الحذف يؤدي إلى سبك النص، إذ وجد فراغ في الآية الكريمة ليُملأ من قبل الشنقيطي معتمداً على السياق باستقراء النص القرآني.

وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ (الآية: 125- البقرة)، يذكر الشنقيطي أن في "أَنْ" وجهين:

1- الشنقيطي، السابق، ج7، ص 688.

2- قيس بن الخطيم، ديوان قيس بن الخطيم، تح: إبراهيم السامرائي، أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1381، 1962، ص: 81.

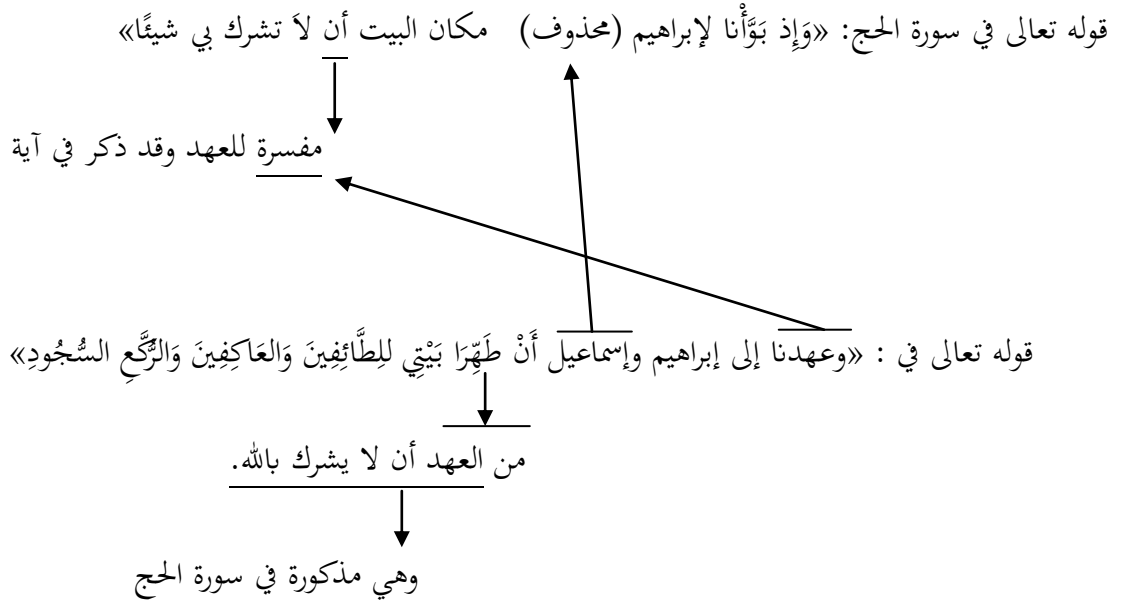
3- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص 258.

4- الشنقيطي: أضواء البيان، ج5، ص 66.

أحدهما: أنها هي المفسرة، وعليه فتطهير البيت من الشرك وغيره فهي تفسير العهد إلى إبراهيم، أي والعهد هو إيصاؤه بالتطهير المذكور، والتطهير يشمل التطهير المعنوي والحسي من الأقدار والشرك والمعاصي.

والثاني: أنها مصدرية بناء على دخول "أن" المصدرية على الأفعال الطلبية⁽¹⁾.

والملاحظ أن العهد غير مذكور في آية الحج، وذكر في سورة البقرة، والقرآن يفسر بعضه بعضاً كما يذهب إلى ذلك الشنقيطي، فالمذكور هناك كأنه مذكور هنا، لأن كلام الله يصدق بعضه بعضاً⁽²⁾ فيكون بيان المحذوف كالاتي:



إن فقه المفسر ، واستقراء النص القرآني هو أساس معرفة المحذوف في الآيات القرآنية، فدليل المحذوف عند الشنقيطي في آية الحج هو آية البقرة ودليل محذوف آية البقرة هو آية الحج، فالألفاظ التي تسقط من آية لغرض دلالي أو بياني توجد في آيات أخرى، وعلى هذا فإن مرجعية المحذوف قبلية بالنسبة لآية الحج وبعديّة بالنسبة لآية البقرة، وفي مثل هذه الحال يؤدي الحذف

1- الشنقيطي: أضواء البيان، ج5، ص 66-67.

2- ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 66.

أفضل حالات السبك النصي لدى المفسرين الذين يعتمدون على معرفة العلاقة بين ألفاظ وجمل القرآن الكريم.

النموذج الرابع: قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (الآية: 2-4، الكهف).

تحديد موضع الحذف: ذكر الشنقيطي أن الله عز وجل كرّر الإنذار في هذه الآيات، فحذف في الموضع الأول مفعول الإنذار الأول، وحذف في الثاني مفعول الثاني، فصار المذكور دليلاً على المحذوف في الموضعين⁽¹⁾.

التقدير: وإذا ذهبنا إلى الشنقيطي فإننا نجده يقدر المفعول به الأول المحذوف في الموضع الأول ب: لينذر الذين كفروا بأسًا شديدًا من لدنه.

وتقديره المفعول به الثاني المحذوف في الموضع الثاني ب: وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً بأساً شديداً من لدنه⁽²⁾. فالمذكور في الآية الأولى «بأساً شديداً» قدره الشنقيطي محذوفاً في الآية الثانية والمذكور في الآية الثانية كان عاماً على تقدير المحذوف في الآية الأولى، لكن الملاحظ على المحذوف المقدر في الآية الأولى (لينذر الذين كفروا) كان جنساً عاماً على المذكور في الآية الثانية (الذين قالوا اتخذ الله ولداً) لذلك يذكر ابن عاشور -رحمه الله- أن المفعول الأول لـ"يُنذِرُ" محذوف لقصد التعميم⁽³⁾، فالإنذار الأول عام والإنذار الثاني خاص بمن نسب لله الولد، والشنقيطي كانت له نظرة كلية في تفسيره لنصوص القرآن الكريم من خلال استدعاء قرآني، بحيث تحذف كلمة أو جملة استغناءً بما ذكر في آيات أخرى، فتكاملت الآيتان في سورة الكهف وتأزرت لتكون في النهاية دلالة موحدة.

النموذج الخامس: قوله تعالى في سورة مريم: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (الآية: 78-79 - مريم).

1- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 11.

2- ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 11.

3- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط 1984، ج15، ص 248.

وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الآية: 80- البقرة).

ذكر الشنقيطي أنه حذف في "البقرة" قسم إطلاع الغيب المذكور في "مريم" لدلالة ذكره في "مريم" على قصده في "البقرة"، كما أن كذبهم الذي صرح به في سورة البقرة لم يُصرَّح به في "مريم" لأن ما في البقرة يبين ما في "مريم" لأن القرآن يبين بعضه بعضاً⁽¹⁾ فمرجعية المحذوف في سورة "البقرة" (اطلع الغيب) ذكرت في سورة "مريم" والكذب المصرح به في سورة "البقرة" (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) أشار إليه فقط بكلمة (كلا) في سورة "مريم" ولم يصرح به.

بين الشنقيطي في الآيتين السابقتين ما يلي:

- بيان المحذوف.
- بيان مرجعية الحذف في الآيتين من الآيتين.
- بيان أن القرآن يبين بعضه بعضاً.
- فكان بيان الحذف وبيان مرجعية الحذف وإبراز السبك النصي في القرآن الكريم بالنص القرآني.

1- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 458.

نتائج فصل العطف الحذف ودورها في إيضاح السبك النصي من خلال كتاب أضواء البيان:
نتائج العطف:

- يعمل العطف على إبراز سبك النص بترباط الجمل والآيات ويعمل الشنقيطي على بيان هذا بالإضافة إلى أن استنباط الأحكام الشرعية يكون نتيجة من نتائج فهم دور العطف في النص.
- أسهم العطف عنده في بيان ترباط الجمل، وإن تباينت هذه الجمل بين الخبر والإنشاء، ويذهب بعض العلماء إلى أنه لا يمكن العطف بينهما، إلا أن الشنقيطي خالف ذلك مستدلاً على صحته من عيون الشعر الجاهلي.
- بيّن الشنقيطي أن اتحاد النهي في جملتين يكون مسوغاً للعطف بينهما وترباطهما، على الرغم من اختلاف المخاطب بين الأولى والثانية.
- يتوخى الشنقيطي في تفسيره وبيانه للسبك بين الجمل والآيات، معاني النحو فيربط بين وجود الحركات الإعرابية وعوامل النصب والرفع والجر لتأثير المعاني في وجود هذه الحركات.
- يسهم العطف عند الشنقيطي في السبك بين الآيات حتى وإن لم يوجد حرف العطف، إذ يذهب مذهب من يميز حذف حرف العطف في بعض المواضع.
- من العطف الذي استعان به الشنقيطي لبيان مدى ترباط الآيات والجمل بعضها ببعض، عطف العام على الخاص، حتى وإن وجد فاصل من الجمل بينهما، فهو لا يمنع ذلك السبك العجيب للقطعة من السورة بوسيلتين متشابكتين؛ الأول: شكلية سطحية متمثلة في حروف العطف، والثانية: دلالية عميقة متمثلة في العموم والخصوص.
- استعان الشنقيطي لبيان مدى السبك النصي الحاصل في الخطاب القرآني على حرف العطف الكاشف لعلاقة المغايرة بين جملة المعطوف والمعطوف عليه.
- يعتمد الشنقيطي في تحديد العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه - حتى وإن كان العطف بعيداً - على السياق وقواعد الترجيح في بيان هذه العلاقة وتحديد المعنى بالأحكام الشرعية.
- يعتمد الشنقيطي على العطف لبيان السبك الحاصل عن طريق التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه دون شرط الترتيب حسب الذكر في التركيب، وذهب إلى ذلك مذهب ابن هشام ومجموع البصريين.

- لم يهتم الشنقيطي ببيان عطف القصة القرآنية على قصة أخرى و "عطف السور على السور على الرغم من أهميتها في بيان السبك النصي للخطاب القرآني.
- من أنواع العطف التي يستعين بها الشنقيطي لبيان السبك بين الآيات والجمل المتوالية داخل الآية، عطف الشيء على نفسه، بلفظين مختلفين تنزيلاً للتغاير بين الصفات منزلة التغاير في الذوات.
- نتائج الحذف:
- يعتمد الشنقيطي في أغلب مواضع الحذف على الدليل المقالي لبيان المحذوف وكيف أسهم في ربط الآيات بعضها ببعض، دون اقضاء المقام ودوره في هذا النوع من البيان.
- يعتمد الشنقيطي في مواضع على إعراب اللفظ وحركات وأواخر الكلمات لبيان المحذوف كأن تكون الكلمة منصوبة فيقدر لها عاملها من الآية نفسها مدعماً رأيه بآيات في سورة أخرى، فيحدث بذلك التماسك بين سور القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً.
- يعتمد الشنقيطي أحياناً على قواعد الترجيح عند المفسرين لبيان المحذوف وتحديد الوصول إلى معنى الآية أو الآيات، ومن خلالها يتضح مدى الترابط الحاصل بينها.
- للحذف التقابلي أو الاحتباك دور في السبك النصي وبيان ترابطه عند الشنقيطي لأنه حذف في الأولى لدلالة ما سبقه من تراكيب عليه وحذف في الثاني لدلالة التركيب الأول عليه.
- للحذف دور عند الشنقيطي في بيان الأحكام الشرعية الناتجة عن المحذوف ومنها التفصيل في بيان الحكم الشرعي من قضية من القضايا.
- يرجح الشنقيطي جملة محذوفة في الآيات القرآنية التي جاءت همزة الاستفهام فيها قبل حرف العطف الواو أو الفاء نحو قوله تعالى «أفلا يتدبرون» «أفلم يَدَّبَّرُوا» «أفلم تَكُنْ آياتي» وغيرها من الآيات الكريمة.
- تعدد مرجعيات المحذوف وهذا نتيجة الاستقرار العميق للنص القرآني من قبل الشنقيطي، وهذا يؤدي إلى ربط دلالة العناصر المحذوفة بالعناصر المذكورة، معززا التماسك الحاصل بينها.
- مما يكثر حذفه، ويكون سببا في تقديره لدى الشنقيطي الآيات القرآنية والمقام، حذف الأجوبة مثل حذف جواب الشرط جواب القسم وغيرها.

-
- يعتمد الشنقيطي أحيانا لبيان الحذف في الآية الأولى على مذكور في آية ثانية ومحذوف الآية الثانية من الآية الأولى فكمل بعضهما بعضا وإن اختلفت السور.
- للحذف دور بارز في كتاب أضواء البيان في بيان التكامل الصوتي وبيان الانسجام الصوتي الذي تحدته فواصل الآيات القرآنية المتتابعة.

الباب الثاني:

الجَبك النصي في كتاب "أضواء

البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"

أولاً : تعريف الحَبْكُ النِّصِّيُّ:

1- الحَبْكُ لغة : جاء في "مقاييس اللغة" لابن فارس في مادة (حبك) الحاء والباء والكاف، أصل منقاس مطّرد، وهو إحكام الشيء في امتداد واطراد، ومن الاحتباك، الاحتباء، وهو شدّ الإزار،⁽¹⁾ والمعلوم من عمل ابن فارس في معجمه هذا أنه يجمع معاني الجذر في أصل واحد أو أصلين أو ثلاثة، والظاهر أن لجذر (حبك) أصلاً واحداً، وهو إحكام الشيء .

والحَبْكُ عند ابن منظور: الشّد، والاحتباك: شدّ الإزار، والمحبوك: ما أُجيدَ عمله، والمَحْبُوكُ: المَحْكُمُ الخلق، من حَبَكْتُ الثوبَ إذا أَحَكَمْت نَسِجَه، وكل شيء أَحَكَمْتَه وَأَحَسَنْتَ عمله، فقد اَحْتَبَكْتَه⁽²⁾، وسنرى بعد تعريف الحَبْكُ اصطلاحاً مدى ارتباط التعريف اللغوي بالتعريف الاصطلاحي.

2- الحَبْكُ اصطلاحاً: يمكن اعتبار الحَبْكُ^(*) Coherence تلك العلاقات الدلالية غير سطحية والتي تسمح للنص بأن يفهم ويقوم بوظيفة التواصل، حيث لا تقتصر تلك العلاقات على القضايا المتجاوزة فحسب، بل يتم التوصل إلى إيجاد روابط مواكبة أيضاً بين وحدات دلالية أكبر في النص⁽³⁾، فشرط الحَبْكُ هو العلاقات الدلالية، إذ يعتبر أعمق من السبب، فإذا كان هذا الأخير يهتم بالترابط في سطح النص، فإن الحَبْكُ ينطلق من سطح النص للوصول إلى عمقه ببيان تماسك الأفكار والوحدات الدلالية، من أصغر وحدة في النص وصولاً للوحدة الكبرى، وهي "النص" في ترابط عجيب بين كل هذه الوحدات، ومهمة دارس النص هو اكتشاف هذه العلاقات للوصول للوحدة الدلالية عن طريق فهم النص، وبفهم النص بكل جزئياته يمكن للنص أن يحدث العملية التواصلية بين متلقيه وصاحبه أي بين المرسل والمتلقي.

فالحَبْكُ إذا يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، وتعني الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة من المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم مكونين فيما بينهما تصورياً في النفس فيما

(1) ابن فارس : مقاييس اللغة ، ج2 ، ص130.

(2) ابن منظور : لسان العرب ، ج1 ، ص : 726-727

(*) ترجمة مصطلح : coherence إلى اللغة العربية ترجمات عدة تؤدي المفهوم نفسه ومنها الحَبْكُ: (حسام فرج ، جميل عبد المجيد) ، الالتحام (تمام حسان) ، التماسك الدلالي أو المعنى (صبيحي الفقي) ، التقارن (إهام أبو غزالة) ، الانسجام (مُجَدَّ خطابي ، مُجَدَّ الأخضر الصبيحي) .

(3) فولفجانج هاينه من و ديترفيه فيجر : مدخل إلى اللغة النصّي ، تر: فالج بن شبيب العجمي ، مطبع جامعة الملل سعود ، الرياض ، السعودية ، ط 1419، ص:48.

تعارف عليه باللغة،⁽¹⁾ وهذه العلاقات، غير ظاهرة، أي معنوية، وجب أن تكون محكمة حتى يستطيع المتلقي فهمها، ومعرفة القارئ المسبقة، ومعرفته بالهيكل المختار وتوقعاته تسهم في عملية التفسير المستمر للنص خلال عملية القراءة،⁽²⁾ وإذا كانت هذه العلاقات غير محكمة أو غير منطقية وعدم معرفة القارئ المسبقة بها يوقع المتلقي في خطأ التفسير.

ومن خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي نستطيع أن نعتبر التعريف اللغوي: "إحكام الشيء، وحبكُ الثوب إذا أحكمت نسجه"، امتد ليصل إلى التعريف الاصطلاحي المرتبط بنحو النص، إذ أن النص لابد أن يكون محكم البناء ومحكم النسج، حتى نعتبره نصاً يمكن تحليله ودراسته وتفسيره، وانطلاقاً من هذا المفهوم كانت دراستنا لأهم عناصر الحبك التي اعتمدها الشنقيطي لإيضاح النص القرآني.

ثانياً : عناصر الحبك من خلال كتاب "أضواء البيان ":

إن دور عناصر الحبك كبيرٌ في إيضاح دلالة النص القرآني وبيان تماسكه ، لأنها تربط بين العلاقات الدلالية وعناصر التداولية ، وكل هذه العلاقات لا تكون إلا من مفسر متبحر في علوم التفسير القرآني وبيانه، وهذا ما اتصف به الشنقيطي وسيكون حديثنا عن أهم آليات الحبك التي اعتمدها وساهمت في إيضاح النص القرآني وبيان تماسكه ومن هذه العناصر :

- السياق بنوعيه : اللغوي وغير اللغوي.

- والمتلقي (المفسر) والخطاب، والعلاقات بين التمثيلات الخطابية الدلالية.

(1) ينظر: أشرف عبد البديع عبد السميع ، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، ص78.

(2) ينظر: عادل مناع، نحو النص- اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011، ص:229.

الفصل الأول:

السياق

1- السياق:

أصبح من الضروري معرفة أن المعنى النصي تتجاوزه عناصر متعددة، تتراوح بين داخلية نصية وخارجية محيطية بالنص مساعدة على فهم وبيان تلاحم معناه، فمتلقي النص يلجأ إلى كل هذه العناصر للوصول إلى المعنى الكلي للخطاب، فهو "إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية، ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ".⁽¹⁾

1-1- مفهوم السياق:

أ- لغة: إن تحديد المعنى اللغوي لأي مصطلح من مصطلحات العلوم والفنون يعد الركيزة الأساسية لبيان مفهومه الاصطلاحي والعلمي، لأن علماء المصطلح والتخصص يؤسسون لمصطلحاتهم انطلاقاً من الألفاظ اللغوية المستعملة لدى الأقدمين، سواء اندثر استعمال اللفظ عند المحدثين أم بقي متداولاً عندهم، ومصطلح السياق يخضع لهذا الناموس اللغوي ويحتكم لقوانين وضع المصطلح، فقد تطرقت معاجم اللغة لمادته، حيث جاء في معجم العين للخليل في الثلاثي المعتل من حرف القاف، من مقلوب: القاف والسين و (و ا ي ء) معهما، قوله: " سُقْتُه سَوْقًا، ورأيتُه يسوق سيقًا، أي ينزع نزعًا... والساق لكل شجر وإنسان وطائر"⁽²⁾، ويذكر ابن فارس في الجمل، مادة (سوق): "السوق : مصدر ساقه، ما استيق من الدواب، وسُقْتُ إلى امرأتي الصداق وأسُقْتُه"⁽³⁾ وجاء في الصحاح قول الجوهري في مادة (سوق) : " يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي بعضهم على إثر بعض ليست بينهم جارية"⁽⁴⁾، ومما أورده ابن منظور في لسان العرب حول مادة سوق تتمحور حول المعاني في المعاجم السابقة، فيقول: " انسأقت ، تسأوَقَت الإبل إذا تتابعت... والمساوِقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، وهو في السوق أي النزع

1 عبد الرحمن بودرع، أثر السياق في فهم النص القرآني، الإحياء، 25، (جمادى الثانية 1428هـ- يوليو 2007م)، ص: 73.

2 الفراهيدي (الخليل بن أحمد): كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 1408-1988، ج 5، ص: 190.

3 ابن فارس (أبو الحسن أحمد): مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1406-1986، ج 2، ص: 479.

4 الجوهري (اسماعيل بن حماد): الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1404-1984، ج 4، ص: 1499.

كأن روحه تساق لتخرج من بدنه، ويقال له السياق أيضا⁽¹⁾، أما في المعاجم الحديثة ، فقد ذكر في المعجم الوسيط تعريف لسياق الكلام بأنه : " تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"⁽²⁾. من خلال التعريفات التي جاءت في هذه المعاجم يتبين أنها تدور حول تتابع الشيء ، وأن استعمال العرب لهذه اللفظة في حياتهم الاجتماعية كان بهذا المعنى سواء استعملت مع الإنسان أو الحيوان وغيرها من الكائنات.

ب- اصطلاحا:

يرتكز التعريف الاصطلاحي لأي مصطلح على المفهوم اللغوي لأنه الركيزة التي يستند عليها العلماء في تعريفهم له، وعلى الرغم من أن التعريف اللغوي للسياق تمحور حول معنى "التتابع" إلا أننا لم نجد له تعريفاً عند علماء العرب القدماء، على الرغم من اعتمادهم عليه في تحليلاتهم وتفسيرهم لأي الذكر الحكيم، أما العلماء والباحثون المحدثون فمصطلح السياق عندهم شاع استعماله بمعان مختلفة، ولا بد من التنبه ترادفاً بين المقام والحال، وبذلك استعمل السياق أيضاً للدلالة طورا على السياق النصي⁽³⁾، فقد ذهبوا في تعريفهم لمصطلح السياق مذهبين:

القسم الأول: يقصر تعريفه على السياق النصي: أي الكلمات أو العبارات التي تجاور كلمة أو عبارة ما داخل النص، وهذه التجاورات نبحت من طريقها عن تأويل كلمة أو عبارة أو جملة أو نص، نلتمس في ذلك مراد صاحب النص.

ومن هؤلاء نجد **المثنى عبد الفتاح محمود** يرى أنه : "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"⁽⁴⁾.

والقسم الثاني: يمزج ركني السياق في تعريفه، إذ يجعل التتابع النصي والظروف المحيطة بالنص سياقاً من خلالهما يتبين لنا معاني النص الكلية، فيؤكد **تمام حسان** المعاني اللغوية لمصطلح السياق التي تدل على التتابع والتوالي، بقوله: المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين:

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 1941-1942.

² مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ص330.

³ محمد الولي، السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، الإحياء، 25 (جمادى الثانية 1428هـ- يوليو 2007)، ص 63.

⁴ المثنى عبد الفتاح محمود : نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر، عمان، الأردن ، ط1، 2008، ص 15،

الأولى: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص).

والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف)⁽¹⁾، ولا يخفى علينا أهمية السياق بنوعيه: المقالي والمقامي في دراسة النصوص وبيان دلالاتها ومدى ترابط أجزاء النص ووحداته وتماسكها. وهو عند مُجدّ الربيعية: "الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية"⁽²⁾، لذلك فإننا نذهب مذهب علماء نحو النص في اعتبار السياق المقامي لا يمكن فصله عن السياق المقالي من أجل الوصول إلى الدلالات الكلية للنصوص، لأنه لا يمكننا فصل الظروف المحيطة بالنص، ولو فصلنا بينها لم نصل إلى المعنى الدقيق والكلّي للنص.

أنواع السياق القرآني:

بالنظر إلى أنواع السياق (المقامي والمقالي) أمكننا أن نقسم أنواع السياق القرآني أيضا إلى قسمين على ضوء التقسيم السابق، ونبين من خلاله مدى اعتماد السياق آلية من آليات بيان المعنى النصي في كتاب أضواء البيان:

أولا: السياق اللغوي القرآني ودوره في بيان السبك النصي:

لا يمكن تحديد المعنى الدقيق للآية أحيانا، من خلال سياق الآية والمقطع أو التركيب اللغوي فقط إلا إذا تجاوزنا حدود السورة التي شملت هذا التركيب، فهذه أنواع أربعة للسياق النصي: (سياق الآية، وسيقاق المقطع، وسيقاق السورة، والسيقاق القرآني العام)، ويمكن إضافة نوع خامس من أنواع السياق اللغوي القرآني والمتمثل في القراءات القرآنية السبعية ودورها في بيان المعنى، لأن بعض المعاني تتحد بمقارنتها بقراءات أخرى متواترة، وجعلت هذا الأمر قسما خامسا من أنواع السياق اللغوي القرآني لأن هناك من يعتبر أن القراءة إذا كانت سبعة هي بمثابة آية ثانية لقراءة الآية نفسها، ونبدأ بسياق الآية:

¹ تمام حسان: قرينة السياق، دراسة مقدمة في (الكتاب التذكري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم القاهرة)، مطبعة عبير للكتاب، القاهرة، 1413-1993، ص 375.

² مُجدّ الربيعية: أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، رسالة دكتوراه، جامعة مُجدّ بن سعود الإسلامية، الرياض، ص 19.

1: سياق الآية:

تعدد المعاني المعجمية للفظة الواحدة، ولا يمكن ضبطها إلا بتسويقها في التركيب الذي جاءت فيه، وفي هذا النوع يتم النظر والبحث على المعنى داخل الآية دون تجاوزها، فإذا اختلف في معنى الآية، فإننا ننظر في سياقها، إذ توجد ألفاظ مشتركة لا يتضح معناه إلا من سياق الآية، إذ نقوم بإلغاء جميع المعاني المعجمية للفظة والابقاء على معنى واحد يحدد عن طريق ما سبقه ولحقه داخل الآية، وهذا ينطبق على الآية القرآنية التي يمكنها أن تنفرد بدلالاتها الكلية دون الحاجة لآيات أخرى لبيان معناها الكامل، ومن أمثلة هذا النوع في كتاب أضواء البيان ما يلي:

أ. إيضاح الدقة في تحديد معنى اللفظة دون المعاني المعجمية الأخرى من خلال سياق الآية:
النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (الآية: 26- مريم).

لقد عمل الشنقيطي -رحمه الله- على بيان معاني الألفاظ القرآنية، وذلك بالرجوع للمعاجم العربية وأشعار العرب والاستعانة بسياق الآية لإيضاح المعنى الدقيق لها، ومن أمثلة ذلك لفظة (صَوْمًا) في الآية السابقة، يقول الشنقيطي مستندا للمعاجم اللغوية: صَوْمًا: أي الإمساك عن الكلام، في قول الجمهور، والصوم في اللغة: الإمساك، ومنه قول النابغة الذبياني⁽¹⁾:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللَّجْمَا

فقوله " خَيْلٌ صِيَامٌ " أي ممسكة عن الجري، وقيل عن العلف، " وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ " أي: غير ممسكة عما ذكر⁽²⁾، ويستدل الشنقيطي ببيت من الشعر لامرئ القيس لبيان أن لفظة الصوم تتعلق بالإمساك عن أي شيء في قوله⁽³⁾:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

فقوله: " في مصامها " أي: مكان صومها، يعني إمساكها عن الحركة⁽⁴⁾، ويرى الشنقيطي أن معنى الصوم في الآية الكريمة، هو الإمساك عن الكلام، ودليله سياق الآية الذي وردت فيه لفظة

¹ النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق: حنا نصر الحبيبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1411-1991، ص: 202.

² الشنقيطي: أضواء البيان، ج4، ص335.

³ مفيد قميحة: المعلقات العشر - شرح ودراسة وتحليل، ص: 70.

⁴ الشنقيطي: المرجع السابق، ج4، ص335.

"الصوم"، بدليل قوله بعده: " فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا" وهو قول أكثر أهل العلم⁽¹⁾، فمنهج الشنقيطي في إيضاحه لمعنى المفردة القرآنية (الصوم) كانت كالآتي:

أولاً: بيان معنى لفظة الصوم من خلال معناها المعجمي، دون ذكره للمعاجم التي استقى منها هذه المعاني، ويتبين من خلال قوله: الصوم في اللغة: الإمساك.

ثانياً: حرص الشنقيطي على دعم المعنى الذي ذهب إليه للفظ "الصوم" بالاستشهاد بشعر الشعراء الجاهليين المتفق على حجية شعرهم لبيان معاني المفردات العربية، فذكر بيتاً للنابغة وآخر لأمرئ القيس، وأسند كل بيت لقائله.

ثالثاً: يشرح معنى "الصوم" في البيتين الشعريين، فحمل في البيت الأول للنابغة الדיباني معنى: الإمساك عن الجري، وفي بيت امرؤ القيس: إمساكها عن الحركة، ولم يستشهد في إيضاح معنى هذه اللفظة بشعر شعراء لا يحتج بكلامهم.

رابعاً: عمل الشنقيطي بعد ذلك على ربط استشهاداته بأبيات الشعر وما حملته من معاني تتعلق بالمفردة محل الدراسة بالمعنى الأول الذي ذهب إليه ورجح معناه.

خامساً: الاستناد لسياق الآية والربط بين أجزائها لإيضاح المعنى الدقيق للفظ "الصوم"، فيتضح أهمية تماسكها من أجل بيان معناها.

سادساً: الاستناد للتأكيد على أن معنى "الصوم" في هذه الآية يعني: الإمساك عن الكلام، على أقوال ثابتة في صحابة رسول الله ﷺ وهو: أبي بن كعب وأنس بن مالك رضي الله عنهما أن معنى قوله تعالى: " إِيَّيْ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا": أي صمتاً، ويذكر أن الحديث أخرجه الطبراني.

من خلال تحليل منهج الشنقيطي في إيضاحه المعنى المقصود للفظ في الآية الكريمة يتبين أنه يعتمد على: بيان معناها السياق في الآية، ثم يبين معناها المعجمي، وبعدها يستشهد بأبيات من الشعر لبيان معناها، ثم يبين معاني اللفظة في الأبيات وبعدها يعمل على الربط بين معنى اللفظة في الأبيات والمعنى السياقي الأول الذي ذهب إليه، ثم يؤكد صحة المعنى السياقي الذي ذهب إليه من خلال ذكر أجزاء الآية التي اعتمدت وسيلة لبيان المعنى بدقة وفي الأخير يرسخ المعنى الراجح عنده بأقواله لصحابة رسول الله ﷺ ويذكر إخراجهم.

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص335.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الآية: 80- الأنبياء).

ذكر الشنقيطي -رحمه الله- في البداية، المعنى الذي يذهب إليه لمفردة "اللبوس" حيث قال: المراد بصنعة لبوس: صنعة الدروع ونسجها، ودليله على أن معنى اللبوس في الآية الدروع: أنه أتبعه بقوله: "لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ" لأن الدرع تقيه ضرر الضرب بالسيف والرمح والسهم⁽¹⁾، ثم يستعين بكلام العرب القديم لبيان أن العرب كانت تطلق لفظة "لبوس" على الدروع وفي ذلك قال الشاعر⁽²⁾:

عَلَيْهَا أَسْوَدُ ضَاوِيَاتٍ* لَبُوسَهُمْ سَوَابِغٌ بِيضٌ لَا يَخْرِقُهَا النَّبْلُ

فقوله: "سوابغ" أي دروع سوابغ⁽³⁾، وقول كعب بن زهير⁽⁴⁾:

شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لَبُوسَهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

ويبين الشنقيطي معنى اللبوس في هذا البيت بقوله: المراد باللبوس التي عبر عنها بالسراويل: الدروع، والعرب تطلق اللبوس أيضا على جميع السلاح، درعا كان أو جوشنا** أو سيفا أو رمحا⁽⁵⁾، كما يذكر الشنقيطي معاني أخرى للفظ لبوس، حيث يطلق أيضا على كل ما يلبس، ومنها قول بيهس الفزاري:

الْبَسُ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسِهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُؤْسِهَا⁽⁶⁾

فمنهج الشنقيطي في إيضاحه لمعنى المفردة القرآنية (اللبوس) كانت كالاتي:

أولا: إيضاح المعنى الدقيق للفظه والذي رجحه.

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص842.

² زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1406، 1986، ص60.

* وجدتها في غير موضع: ضاويات: أنظر ديوان زهير بن أبي سلمى، ص60.

³ الشنقيطي: المرجع السابق، ج4، ص842.

⁴ كعب بن زهير: ديوان كعب بن زهير، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1417-1997 ص: 67.

** الجوشن: نوع من الدرع.

⁵ ينظر الشنقيطي، المرجع السابق، ج4، ص843.

⁶ ينظر: - الشنقيطي، المرجع نفسه، ج4، ص843، وأنظر أيضا:

- ابن رفاعة (زيد بن عبد الله الهاشمي)، الأمثال للهاشمي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1423، ج1، ص: 322 .

ثانياً: ذكر جزء الآية الذي استعان به لترجيح هذا المعنى دون المعاني المعجمية الأخرى.

ثالثاً: دعم الرأي الذي رجحه في معنى المفردة (لبوس) بأبيات من الشعر العربي، منها بيت لزهير بن أبي سلمى لم ينسبه لقائله، واكتفى بقوله، قال الشاعر، بينما البيت الثاني ذكر صاحبه، وهو أيضاً من الشعر العربي القديم للشاعر كعب بن زهير، ويشرح محل الشاهد من كل بيت، ويربط بين هذه المعاني والمعنى السياقي الذي رجحه.

رابعاً: يذكر بعدها المعاني المعجمية الأخرى التي استعملها العرب للفظ "لبوس" ومنها: الرمح، وكل ما يلبس، ويستشهد على ذلك بأشعارهم.

من خلال تحليله لمعنى هذه اللفظة وإيضاح معناها يتبين أنه لم يلتزم الطريقة نفسها التي حلل بها معنى لفظة (الصوم)، حيث إنه بدأ بالمعنى السياقي الذي رجحه مدعماً رأيه بالشواهد الشعرية التي تأرجحت بين مسند لقائلها وغير مسند، وبعدها يأتي بالمعاني المعجمية التي جاءت في الشعر العربي ليختم بشرح محل الشاهد من هذه الأشعار.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الآية: 01-الإسراء).

ذكر الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية الكريمة أن من أنواع البيان في القرآن الكريم أن يقول العلماء في تفسير الآية قولاً، ويكون في الآية قرينة تدل على عدم صحة ما ذهبوا إليه⁽¹⁾، فيبين المفسر ذلك مستعيناً بهذه القرينة فيتبين معنى الآية من سياق الآية نفسها.

وفي هذه الآية يرفض الشنقيطي، القول الذي يذهب إلى تفسير لفظة "أسرى" بأن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى بروحه دون جسده، زاعمين -على قول الشنقيطي- أنه في المنام لا اليقظة، لأن رؤيا الأنبياء حق، كما زعم بعضهم أن الإسراء بالجسد والمعراج بالروح دون الجسد⁽²⁾، لقد حرص الشنقيطي على دعم المعنى الذي ذهب إليه، وهو أنه الإسراء بالروح والجسد باجتماع ألفاظ في سياق هذه الآية، كلها كانت الفيصل في إيضاح المعنى الدقيق للفظه الإسراء، وهذه الألفاظ هي:

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص467.

² ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص467.

1- لفظ "العبد": يذهب إلى أن معنى العبد هو مجموع الروح والجسد⁽¹⁾، فقوله "أسرى بعبدِه" بمعنى بروحه وجسده، لأننا نستطيع أن نذكر العبد ونقصد الروح دون الجسد، أو نذكر العبد ونقصد الجسد دون روح، فبالروح والجسد تتحقق العبودية.

2- لفظ "سبحان": ذكر الشنقيطي أن التسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، إذ لو كان مناماً لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه⁽²⁾، إذ قد يتنعم الإنسان في منامه بجنات لم يشاهدها في حياته، وبعدها يستيقظ وكأن حدثاً لم يحدث.

3- لفظ "النريك": أكد الشنقيطي على كونها رؤيا عين يقظة، بطرق منها⁽³⁾:

أ- من القرآن الكريم: أن القرآن جاء بلسان عربي مبين وقد استعمل كلمة "رؤيا" على رؤيا عين اليقظة في آيات نحو قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (الآية: 18- النجم).

ب- كلام العرب: أن كلمة رؤيا تطلق عند العرب أيضا على رؤية العين يقظة، ومنها قول الراعي الذي يعتبره الشنقيطي، شاعرا عربيا قحا:

فَكَبِرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَ فُؤَادِهِ وَبَشَرَ نَفْسًا كَانَ قَبْلَ يَلُومَهَا

فإنه يعني رؤية صائد بعينه

ت- تكذيب قريش: إذ لو كان رؤيا منام لما كانت فتنة ولا سببا لتكذيب قريش، لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار.

ث- المعجم العربي: جاء بكلام لابن منظور في لسان العرب، يثبت فيها أن الرؤيا لا تختص بالمنام فقط⁽⁴⁾، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الآية: 27- الفتح).

فهذه الطرق الأربعة التي استعان بها الشنقيطي لبيان معنى لفظة واحدة وهي "الرؤيا"، وهذه الأخيرة مع لفظي "العبد" و "سبحان" حملت جميعها معاني دقيقة وجاءت في سياق آية واحدة،

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص467.

² ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص467.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص468.

⁴ ينظر: ابن منظور، لسان العرب. ج 2، ص: 1415.

أسهمت في إيضاح المعنى الحقيقي والدقيق لكلمة "أسرى" في هذه الآية، على الرغم من وجود آراء وأقوال السابقة، إلا أنه في الأخير كان لسياق الآية الدور البارز للشنقيطي في القطع بمعناها دون المعاني الأخرى، لأنه يعتبر إيضاح القرآن بالقرآن أعلى درجات البيان القرآني، فهو من عجيب نظم القرآن الكريم وحسن معناه بحيث تتحرك معاني كل الألفاظ لبيان بعضها ببعض، وأي حذف يحصل يفسد المعنى ويغيره.

- فكل هذه الألفاظ كان لسياق الآية العامل الأساسي في تحديد معناها وبيان قيمتها:

- "سبحان" تكون في الأمور العظيمة فدلّت على أن الرؤيا حقيقية وليست مناما لو كانت مناما لما استعمل معها لفظة "التسبيح".

- "أسرى" كانت بالروح والجسد، وقد تظافت القرائن اللفظية جميعها في سياق الآية نفسها على التأكيد على هذا المعنى، تمثلت في ألفاظ: (سبحان، عبده، لنزيه).

- "عبده" وصف الله عز وجل نبيه ﷺ "بالعبد" في هذا المقام العظيم وهو الإسراء وإطلاق لفظ "التسبيح" والتي لا تكون إلا مع عظام الأمور أيضا، كل هذه القرائن دلت على أن التعبير بلفظ العبد هي أعظم صفة لعباد الله.

النموذج الرابع: قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (الآية: 121 - طه)

ذكر الشنقيطي - رحمه الله - في بداية تفسيره هذه الآية أن قوله تعالى: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ"، أي: لم يطعه في اجتناب ما نهاه عنه من قربان تلك الشجرة⁽¹⁾، ثم بين معنى لفظة "فغوى" في اللغة، فقال: الغي: الضلال⁽²⁾، ومن المعاني اللغوية الأخرى للفظ "غوى": غويت اللبن صيرته رائبا، وغوى الفصيل: بَشِمَ من اللبن أو منع الرضاع فهزل⁽³⁾، ثم يعود الشنقيطي للربط بين المعنى اللغوي ومعنى الآية، فيقول: لم يطع آدم ربه فأخطأ طريق الصواب بسبب عدم الطاعة، ثم بين بعد ذلك سبب عدم الطاعة وقصته عليه السلام مع إبليس⁽⁴⁾، ومن المعاني اللغوية التي ذكرها الشنقيطي ولم يذهب إليها، أن الغي في قوله تعالى: "فغوى" أي: فسد عليه عيشته بنزوله إلى الدنيا، وذكر أيضا أن الغي: الفساد، استحسنة القرطبي⁽⁵⁾، وأيضا "فَغَوَى" أي: بشم من كثرة

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص666.

² ينظر: الفيروز آبادي (مُجَّد بن يعقوب) القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1398-1978، ج4، ص365.

³ ينظر المرجع نفسه، ج4، ص365.

⁴ ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج4، ص666.

⁵ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص154-155.

الأكل⁽¹⁾ وهذا المعنى من التفسير الذي أبطله الزمخشري في الكشاف⁽²⁾ ورفضه الشنقيطي⁽³⁾، وقد استغنى الشنقيطي عن كل هذه المعاني اللغوية بعد ذكرها واكتفى بالمعنى الذي استند إلى سياق الآية في تحديده، وهو قوله تعالى: " وَعَصَى آدَمُ، " لأن وجود كلمة " وَعَصَى " يدل على أن معنى " فَعَوَى " ضل عن طريق الصواب⁽⁴⁾.

وبتحليل منهج الشنقيطي في تفسيره لفظة " فَعَوَى " يتبين لنا أنه اتبع الطريقة التالية:

- أولاً: إعادة الكلمة إلى أصلها والتركيز على بيان المعنى الذي تدل عليه، فقال: قوله: " فَعَوَى " الغي: الضلال، وهو الذهاب عن طريق الصواب.
 - ثانياً: حرص على ذكر قصة آدم عليه السلام وإبليس، مختصراً القول في الحديث عنها.
 - ثالثاً: من المعاني التي ذكرها الشنقيطي في تفسيره للفظة " فَعَوَى " نجدها في معاجم عربية قديمة، مثل القاموس المحيط للفيروز آبادي أو نجدها في تفاسير للقرآن الكريم كتفسير الكشاف للزمخشري، أو تفسير القرطبي.
 - رابعاً: يبين الشنقيطي بطلان بعض المعاني التي جاء بها بعضهم والتي تستند إلى لهجات عربية قديمة لا حاجة للمفسر لها.
 - خامساً: يحتتم حديثه في إيضاح معنى اللفظة " عَوَى " بربطها بالسياق الذي وردت فيه ومدى أهمية الألفاظ الموجودة في نفس الآية وذلك بتدقيق وتحديد المعنى المقصود من اللفظة، لأن إيضاح القرآن بالقرآن من أحسن أنواع التفسير والبيان القرآني.
- ولإيضاح أكثر لدور سياق الآية في تحديد معاني المفردات القرآنية دون المعاني المعجمية الأخرى للمفردة، ينظر بيان معاني الألفاظ التالية: المحصنات⁽⁵⁾، الإيمان⁽⁶⁾ يعدلون⁽⁷⁾، خشع⁽⁸⁾، سيماهم⁽⁹⁾، وغيرها من المفردات في كتاب أضواء البيان.

¹ ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، ص365.

² ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص116.

³ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص666.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص667.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص06.

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص105.

⁷ ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص213.

⁸ ينظر، المرجع نفسه، ج7، ص869-870.

⁹ ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص84.

ب- إيضاح الدقة في اختيار الصيغة الصرفية من خلال سياق الآية:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الآية: 02- الحج).

لقد حرص الشنقيطي -رحمه الله- على الوقوف على بعض المفردات القرآنية والصيغ الصرفية، وبيّن معانيها ومناسبة هذه المعاني للسياق الذي وردت فيه من خلال الآية القرآنية، وأن العلاقة بين الصيغة الصرفية والآية وثيقة ومتينة، لأن كل مستويات البنية اللغوية تتضافر وتتعلق لتعطينا المعنى الكامل والبارز، ومن هذه الألفاظ، لفظة "مُرْضِعَةٍ" في هذه الآية الكريمة، ويتضح لنا معنى "مُرْضِعَةٍ" وسبب مجيئها بالتاء بدل حذفها من خلال سياق الآية كما يذهب إلى ذلك الشنقيطي، فما سر العدول عن الاتيان بهذه الكلمة دون تاء (مُرْضِعِ).

يبدأ الشنقيطي بشرح الألفاظ الواردة في نفس الآية بحيث جمع بينها سياق واحد، فذكر أن ضمير الإجابة الهاء في لفظة "تَرَوْنَهَا" يعود على الزلزلة ثم يبين معنى كلمة "تَذْهَلُ" لقوله: الدهول الذهاب عن الأمر مع دهشة، ويستدل على هذا ببيت من الشعر لعبد الله بن رواحة وكلام لقطرب⁽¹⁾، ثم ينتقل إلى اللفظ المقصود وهو: "مُرْضِعَةٍ"، وقد تم التحليل بناء على وعي الشنقيطي الشنقيطي بعلم العربية وأسرارها مستندا على السياق الذي وردت فيه اللفظة، ولأن اللفظ هو قالب المعنى فإن الشنقيطي يرى أيضا إضافة إلى ذلك اعتبار السياق محده وموضحه، إذ يقول في تفسيره لهذه الآية، وقوله: "كُلُّ مُرْضِعَةٍ" أي كل أنثى ترضع ولدها، ووجه قوله تعالى "مُرْضِعَةٍ" ولم يقل "مُرْضِعِ" هو الاستناد إلى ما تقرر في علم العربية، من أن الأوصاف المختصة بالإناث تأتي على حالتين:

- الأولى: إن أريد بها الفعل لحقها التاء.

- الثانية: إن أريد بها النسب جرّدت من التاء⁽²⁾.

ومن ذلك قول امرؤ القيس⁽³⁾:

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَفْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُعْبِلٍ

¹ نظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج5، ص06.

² ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص07.

³ مفيد قميحة،: المعلقات العشر - شرح ودراسة وتحليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 5، 2002، ص:66.

فهنا نسب لها الرضاع، ولو كانت بالتاء لكان القصد حكاية الفعل من الرضاع، ثم توقف الشنقيطي عند أبيات من الشعر التعليمي، يقول فيه قائله⁽¹⁾:

وَمَا مِنَ الصِّفَاتِ بِالْأُنْثَى يُخْصُ ... عَنْ تَاءٍ اسْتَعْنَى لِأَنَّ اللَّفْظَ نَصٌّ
وَحَيْثُ مَعْنَى الْفِعْلِ تَنْوِي التَّاءِ زِدْ ... كَذِي غَدَتْ مُرْضِعَةً طِفْلاً وَوَلِدٌ
وذكر رأيين لبعض الكوفيين:

- الأول: يذهب أن أم الصبي "مرضعة" بالتاء والمستأجرة للإرضاع: "مرضع" بلا تاء.
 - الثاني: إن وصف المختص بالأنثى لا يحتاج فيه إلى التاء، لأن المراد منها بين الذكر والأنثى، والوصف المختص بالأنثى لا يحتاج إلى فرق، لعدم مشاركة الذكر لها⁽²⁾.
- واعتر الرأين باطلين، واستدل على ذلك من كلام أبي حيان في البحر المحيط، الذي استشهد على فساد الرأي الأول بقول امرئ القيس:

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت

واحتج على بطلان الرأي الثاني مستدلاً بقول العرب: مرضعة وحائضة وطالقة⁽³⁾، ولا يكتفي الشنقيطي بهذه الحجج لبيان صحة ما ذهب إليه بل يؤكد ذلك أيضا بقول الزمخشري جاء فيه: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة تديها للصبي، والمرضع: التي شأنها أن ترضع⁽⁴⁾.
وبتحليل منهج الشنقيطي في بيان مجيء الصيغة الصرفية بالتاء وربط ذلك بالمعاني السياقية الآتية نجده قد سلك الطريق الآتي:

أولاً: حرص قبل حديثه عن لفظ "مرضعة" على تحليله لمعاني الكلمات التي جاءت في سياق الآية نفسها، ومنها لفظة "تذهل"، وبيان معناها مستشهداً بأبيات من شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وبكلام لقطرب.

ثانياً: تعيين مرجع ضمير الإحالة، في كلمة "ترونها"، والمرجع هي كلمة الزلزلة، وبذلك اتضح أن الآية التي ذكرت فيها كلمة "مرضعة" تتحدث عن أهوال يوم القيامة.

¹ ابن مالك (محمد بن عبد الله): شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، منشورات جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط1، ج4، ص1732.

² ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج5، ص07.

³ ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج4، ص174.

⁴ ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص174.

ثالثاً: بيان أن كلمة "مرضعة" في الآية هي وصف، وبعده حرص على إيضاح الفرق بينها وبين كلمة "مرضع"، لأن سياق الآية هو من فصل في تحديد معناها باعتبارها وصفاً لا فعلاً، بسياق الآية قطع الشنقيطي المعنى المراد من اللفظة بحضور التاء في اللفظة، فتحددت معنى الكلمة بقوة السياق الذي وردت فيه، مما يوحي بتلك الدقة المتناهية في استعمال الصيغ الصرفية وحسن اختيار المفردات وعجيب النظم الحاصل في تركيب الآية والتماسك بين معانيها.

رابعاً: يحرص الشنقيطي على تقوية الرأي الذي ذهب إليه بالاستشهاد بكلام العرب الفصحاء منهم شعراء المعلقات وعلى رأسهم امرؤ القيس، ومن الشعر التعليمي النحوي ما جاء عند ابن الحاجب ويربط بينهما وبين المعنى السياقي الذي اختاره.

خامساً: يحرص كذلك على إيراد الأقوال المخالفة وبعدها يقوم بدحضها من خلال الاستشهاد على ذلك بكلام العرب الفصحاء منهم امرؤ القيس وكلام علماء التفسير الذين لهم باع في علوم العربية وأسرارها منهم أبو حيان الأندلسي والزمخشري، كل هذا حرصاً منه على بيان أن سبب وجود التاء في كلمة "مرضعة" إنما خضع لآلية سياق الآية الذي وردت فيه.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الآية: 01-الإسراء).

تناولت هذه الآية بالدراسة في العنوان السابق، الذي يتعلق ببيان الدقة في تحديد معنى المفردة القرآنية دون معانيها المعجمية الأخرى، وكانت المفردات (العبد- سبحان- نريك) محل الدراسة والتحليل، وفي هذا الجزء نتطرق إلى مفردة أخرى في قضية لها علاقة بمسائل التصريف وهي لفظة "لَيْلًا" والتي جاءت نكرة، لنبرز كيف استعان الشنقيطي بسياق الآية ومعانيها لتحديد سبب تنكيرها.

ذكر الشنقيطي أن هناك اختلاف بين العلماء في تحديد النكتة البلاغية التي نكر من أجلها "لَيْلًا" في هذه الآية، وتمحور على رأيين⁽¹⁾:

- **الرأي الأول:** قال به الزمخشري في الكشاف، حيث يذهب إلى أن قوله تعالى: "لَيْلًا" ذكرت بلفظ التنكير تقليلاً لمدة الإسراء، وأنه أسري به في بعض الليل، وذلك أن التنكير فيه قد دل على

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص475.

معنى البعضية، كقوله تعالى: "وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً" (الآية: 79- الإسراء) يعني بالقيام في بعض الليل⁽¹⁾.

- **الرأي الثاني:** يذهب الشنقيطي أن هناك من العلماء من وضع التنكير توضيحاً يعتمد على تأثير سياق الآية التي وردت فيه المفردة القرآنية، إذ يذهب بعضهم أن التنكير في قوله: "ليلاً" للتعظيم؛ أي: ليلاً أي ليل، دنا فيه المحب للحبيب⁽²⁾، وعلى هذا الرأي يكون لسياق الآية الدور البارز في تنكير المفردة أو تعريفها، فجاءت نكرة لأن الرسول ﷺ أُسْرِيَ به من البلد الحرام المعظم إلى المسجد الأقصى المبارك ما حوله، ثم أعرج به إلى السماء السابعة. ولتحليل طريقة بيان الشنقيطي لسبب تنكير لفظة "الليل" نجده قد اتبع المراحل التالية:

أولاً: حرص على بيان أن هناك اختلافاً في تحديد سبب تنكير الكلمة.

ثانياً: إبراز الرأي الأول وذكر من ذهب إليه من علماء التفسير؛ من بينهم الزمخشري، ويذهب إلى أن معنى البعضية الذي ذهب إليه يستند إلى قراءة من القراءات القرآنية وهي قراءة عبد الله وحذيفة "من الليل" كما يستند إلى آية من الذكر الحكيم ورد فيها معنى البعضية.

ثالثاً: يحرص على ذكر الرأي الثاني الذي يعترض الرأي الأول، ويذهب إلى أن سياق الآية هو الذي يحدد التنكير من عدمه، إذ سياق الآية يدل على أن الأمر جليل، وقد تنكر اللفظة العربية للتعظيم، والملاحظ عليه عدم ذكره لأصحاب الأقوال أحياناً، ويكتفي بقول، ويعترض بعضهم، أو قال بعضهم.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (الآية: 03- النساء).

يفرق الشنقيطي أثناء تفسيره لهذه الآية بين صيغة صرفية للفظة "تَعُولُوا" وبين صيغة صرفية بينهما اختلاف طفيف، وسأبين منهجه فيه بإيضاح معنى الصيغة الصرفية، ومدى علاقتها بسياق الآية التي وردت فيها، إذ وردت في هذه الآية كلمتان لهما علاقة وطيدة بالكلمة الأخيرة محل الدراسة وهي "تَعُولُوا" هما: (أَلَّا تُقْسِطُوا- أَلَّا تَعْدِلُوا).

¹ ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص491.

² ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج3، ص475.

ولقد ذكر الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية أن كلمة: "أَلَّا تَعُولُوا" أي: لا تجوروا في الحقوق الشرعية، وذكر أن العرب تقول: عال يعول إذا جار ومال، وهو عائل، ومنه قول لأبي طالب:

بِمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يَخِيْسُ شَعْبِيَّةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرَ عَائِلٍ⁽¹⁾

أي: غير مائل ولا جائر.

- ويحتاج لهذه الصيغة الصرفية والتي تحمل معنى الجور والميل، بقول الشاعر:

ثلاثة أنفس وثلاث ذود لقد جار الزمان على عيالي

أي جار ومال⁽²⁾.

ويفرق الشنقيطي بين الصيغة الصرفية من الأصل: عال يعول بمعنى: جار ومال، وقد كان سياق الآية يدل على ذلك ومنها لفظي: (ألا تقسطوا- ألا تعدلوا) اللتان تحملان المعنى نفسه، وهو الجور والميل، وبين لفظة يعيل وعائل من العيلة وهي الفقر، بناء على قول الشاعر جرير⁽³⁾:

الله نزل* في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل.

وقوله تعالى: "وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى" (الآية: 08- الضحى) كل هذا من العيلة وهي الفقر، ومنه قوله تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً" (الآية: 28- التوبة)، فالفرق بينهما كما يذكر الشنقيطي أن عال التي بمعنى جار واوية العين، والتي بمعنى افتقر يائية العين⁽⁴⁾، وإلى معنى: ألا تجوروا ولا تميلوا يذهب جمع من الصحابة والتابعين والعلماء المحققين، منهم عائشة وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والنخعي والضحاك وغيرهم⁽⁵⁾.

فمنهج الشنقيطي في تحليله للصيغ الصرفية وإيضاح المعنى الدقيق لها كان كالآتي:

أولاً: حرص على بيان المعنى الذي ذهب إليه للفظ "أَلَّا تَعُولُوا".

ثانياً: يعيد اللفظة إلى أصلها كما جاء عند العرب، بقوله: عال يعول إذا جار ومال.

¹ أبو طالب: ديوان أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، جمعه وشرحه: محمد التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1414-1994، ص:69.

ملاحظة: ورد في الديوان: بِمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يَخِيْسُ شَعْبِيَّةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ حَقٌّ عَادِلٍ

² ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص502.

³ جرير ابن عطية (أبو حذرة): ديوان جرير، شرح: يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413-1992، ص515.

* هكذا جاء في أضواء البيان، أما في ديوان جرير: والله أُنزِلَ.

⁴ ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج1، ص503.

⁵ ينظر: ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن محمد)، تفسير القرآن العظيم- مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة التابعين، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- الرياض، ط1، 1417-1997، مج2، ص860.

ثالثا: يحتج على صحة ما ذهب إليه بالشعر العربي القديم ومنها، أشعار أبي طالب، ويبتين من الشعر لم يسندها لقائليهما.

رابعا: يعضد قوله بشرح ألفاظ عربية جاءت في القرآن الكريم والشعر العربي القديم بمعنى العيلة والتي تعني: الفقر منها المفردات الآتية: (عَائِلًا - عَيْلَةً) في القرآن الكريم، و (يعيل - العائل) للشاعر جرير.

والملاحظ أن سياق الآية جاء في النقل من أن لا يقسطوا في اليتامى وألا يعدلوا بين النساء، وهذا جور وميل، ثم دهم عز وجل حتى يجتنبوا هذا الجور وهذا الميل أن يكتفوا بواحدة أو ما ملكت أيامهم، وهو أقرب إلى عدم الجور والميل، فكان المعنى الذي ذهب إليه الشنقيطي أنسب لسياق الآية، لأن الله تعالى قال في نفس السياق " فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا"، ولم يقل (وإن خفتكم أن تكونوا فُقراء)، فألفاظ الآية ساعدت على تحديد معنى اللفظة (ألا تعولوا) بالإضافة إلى انتحاء سميت العرب في كلامها من قبل الشنقيطي.

ولإيضاح الدقة في اختيار الصيغة الصرفية من خلال السياق الذي وردت فيه، وبيان ذلك من قبل الشنقيطي، ينظر أيضا إلى تفسيره وشرحه للألفاظ التالية:

- 1- "قَرِيبٌ"⁽¹⁾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الآية: 56- الأعراف).
- 2- "بُطُونِهِ"⁽²⁾ في قوله تعالى: ﴿نَسْقِيهِ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ (الآية: 66- النحل).
- 3- "رَسُولٌ"⁽³⁾ في قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الآية: 16- الشعراء).
- 4- "مَوْلَى"⁽⁴⁾ في قوله تعالى: ﴿وَمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (الآية: 41- الدخان). وغيرها من الصيغ الصرفية.

¹ ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص379.

² ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص356.

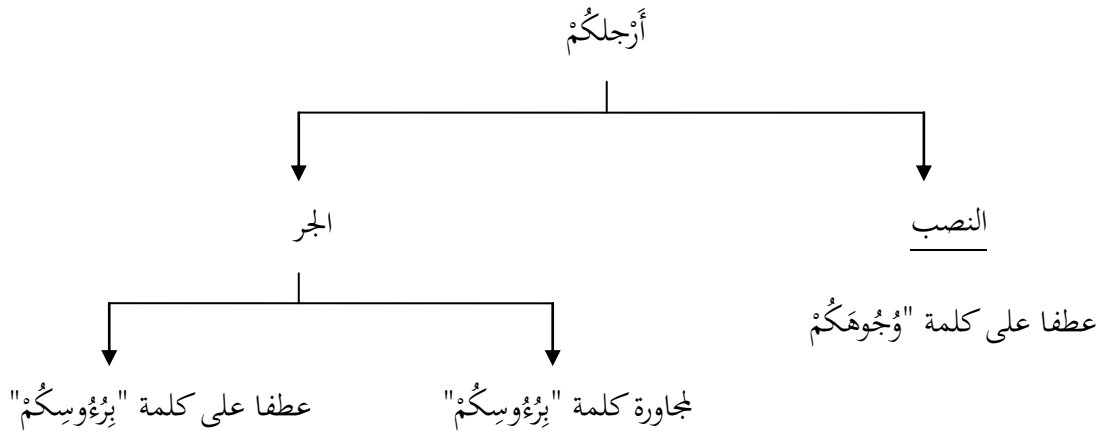
³ ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص519.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص257.

ج- إيضاح الدقة في اختيار الإعراب المناسب بحسب سياق الآية:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ (الآية: 06 المائدة).

في معرض تفسير الشنقيطي لهذه الآية الكريمة نراه يذكر القراءات الثلاث لقوله تعالى "وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ" واحدة شاذة واثنتان متواترتان، أمّا الشاذة فقراءة الرفع وأما المتواترتان فقراءة النصب وقراءة الخفض⁽¹⁾، فإذا كانت قراءة الرفع شاذة، تبقى لدى الشنقيطي قراءتان هما: الرفع والنصب، وكلاهما كان سياق الآية فيهما آية من الآليات التي عملت على تحديد الحركة الإعرابية:



بالنسبة للشنقيطي قراءة النصب لا إشكال فيها، لأن الأرجل معطوفة على الوجه، وتقدير المعنى عليها: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برءوسكم، حيث يذهب أن إدخال مسح الرأس بين المغسولات محافظة على الترتيب لأن الرأس يمسح بين المغسولات⁽²⁾، إذ على الرغم من وجود فاصل بينها إلا أن الحركة الإعرابية تحدد عن طريق العطف على كلمة "وُجُوهَكُمْ" فسياق الآية له دوره في تحديد الحركات الإعرابية وبيان المراد من الآية الكريمة، إذ تتضافر هذه الحركات في نسق عجيب مكونٍ بذلك السبك المحكم لأجزاء الآية

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص 10.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 11.

الكريمة، حيث كان النظر إلى ما سبق الكلمة من جمل وعبارات دون تجاوز الآية، من أجل تحديد المعنى المراد للمفردة "أَرْجُلِكُمْ" من المعاني المتعددة الأخرى في علاقتها بالغسل أو المسح. أما على قراءة الجر، فذهب إلى أن العرب تخفض الكلمة لمجاورتها للمخفوض مع أن إعرابها النصب والرفع⁽¹⁾، فإذا كان كذلك فإعراب "وَأَرْجُلِكُمْ" معطوفة على "وَجُوهَكُمْ" منصوبة وعلامة نصبه بالفتحة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الجر المجاورة لها في كلمة "بِرُّؤُوسِكُمْ".

وذهب الشنقيطي أن الخفض بالمجاورة أسلوب من أساليب اللغة العربية، وأنه جاء في القرآن الكريم لأنه بلسان عربي مبين، وجاء في الشعر العربي القديم، ومن أمثله في القرآن الكريم، قوله تعالى: "عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ" (الآية: 84 هود) بخفض محيط مع أنه نعت للعذاب⁽²⁾، وعلى اعتبار أن كلمة "أَرْجُلِكُمْ" بالجر قد جاءت مجرورة لمجاورتها حركة الكسرة، وما يثبت ذلك أنه ليس لمسح الأرجل وأنها لم تعطف على كلمة "برؤوسكم"، أحاديث النبي ﷺ التي اعتمدها الشنقيطي حجة على أنها مجرورة بالمجاورة لا عطفاً، منها الحديث النبوي الشريف الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار»⁽³⁾.

وذكر الشنقيطي أن المراد بقراءة الجر عند بعض العلماء عطفاً على مسح الرأس، وأن النبي ﷺ بين أن ذلك المسح لا يكون إلا على الخف.

وبتحليل منهج الشنقيطي في تفسيره هذه الآية وبيان دور السياق وأثره في الحركات الإعرابية للفظ "وَأَرْجُلِكُمْ" يتبين لنا ما يلي:

أولاً: بيان أن هناك ثلاث قراءات للفظ؛ واحدة شاذة وهي الرفع واثنان متواترتان وهما النصب والجر.

ثانياً: حرص على بيان أن النصب يتعلق بسياق الآية والمتمثل في العطف على بعض عناصرها مما يحدث السبك النصي بين أجزاء الآية.

ثالثاً: حرص على بيان القراءة المتواترة الثانية بالجر، وأن الجر لم يُلغ تماسك أجزاء الآية، لأنه على الرغم من الجر إلا أن لفظة "وَأَرْجُلِكُمْ" تبقى في ارتباط بكلمة "وَجُوهَكُمْ" بالعطف، لأن حركة الجر فيها جاءت لمجاورتها للفظ "بِرُّؤُوسِكُمْ" فتأثرت بالحركة ولم تتأثر بالحكم.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص 11.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 11، 16.

³ - محمد بن اسماعيل (البخاري)، صحيح البخاري: رقم: 165، ج 1، ص: 44.

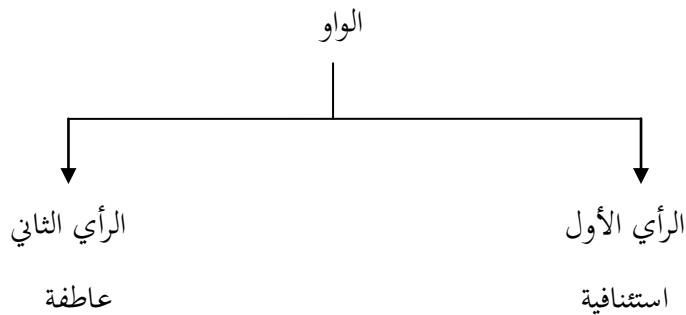
رابعاً: يستند الشنقيطي في الجر بالمجاورة إلى أقوال الشعراء الجاهليين فمنهم النابغة الذبياني وامرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، وآيات من الذكر الحكيم لإثبات أن هذا أسلوب من أساليب اللغة العربية.

خامساً: ذكره أن بعض العلماء يذهب إلى أن الجر جاء عطفاً على كلمة "برءوسكم" ويتعلق الأمر بالمسح على الخفيف.

من خلال هذا النموذج يتبين لنا كيف يكون للسياق دور في فهم معاني الآية الكريمة وبيان الحركات الإعرابية على أواخر الكلم، إذ عمل الشنقيطي على بيان هذا الترابط بين أجزاء الآية الكريمة ومدى تماسكها وكيف تتأثر الحركات الإعرابية بالسياق اللغوي الذي وردت فيه، وأن اختلاف علماء العربية في إعراب هذه الكلمات إنما يرجع إلى المعنى المستخرج من السياق، وباعتماد السياق آلية من آليات فهم المعنى عند الشنقيطي، أمكنه ذلك من استنباط بعض الأحكام الشرعية وضبطها، واعتماد هذا دليلاً للترجيح بين الأقوال.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الآية: 07 آل عمران).

جاء في إعراب الشنقيطي للواو في قوله تعالى "وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" وجهان، كلاهما يرتبط بسياق الآية الذي كان له الدور البار في تحديد هذه الواو:



1/ الواو الاستئنافية: فيكون قوله تعالى: " وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ " مبتدأ وخبره "يقولون"⁽¹⁾، وعليه يكون للسياق دور في اعتبار الواو استئنافية والذي يعدها مبتدأ، وعلى هذا اعتبر الشنقيطي

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 316.

أن المتشابه لا يعلم تأويله إلاً الله وحده، والوقف على هذا تام على لفظة الجلالة⁽¹⁾، والذي يؤيد على أن الواو استثنائية لا عاطفة دلالة الاستقراء من القرآن الكريم، فالسياق القبلي والبعدي للواو في الآية نفسها كلها عوامل استند إليها أصحاب هذا الرأي لبيان صحة ما ذهبوا إليه.

أ/ لفظاً: يذكر الشنقيطي أنه لو أراد عطف الراسخين لقال: ويقولون: آمنا به بالواو.

ب/ معنى: لأنه دَمَّ مبتغي التأويل، ولو كان ذلك للراسخين معلوماً لكان مبتغيه ممدوحاً لا مذموماً، ولأن قولهم: آمنا به يدل على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه⁽²⁾.

2/ الواو العاطفة: وعلى رأي الشنقيطي، يحتمل أن تكون الواو عاطفة، فيكون قوله:

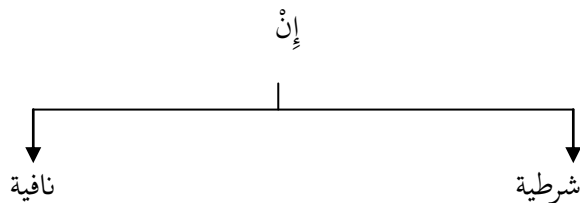
"وَالرَّاسِخُونَ" معطوفاً على لفظ الجلالة، وعليه فالمتشابه يعلم تأويله الراسخون في العلم أيضاً⁽³⁾، ويستند أصحاب هذا الرأي إلى سياق الآية الكريمة وما ورد فيها من ألفاظ وتراكيب تدل على أن الأظهر إعرابها حرف عطف لا استثنائية ومن هؤلاء نذكر الإمام القرطبي حيث يذكر أن هذا القول يذهب إليه شيخه، أبو العباس أحمد بن عمر، القائل: أن تسميتهم راسخين يقتضي بأنهم يعلمون أكثر من المخكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب⁽⁴⁾.

ومهما يكن الرأي الصواب الذي يرححه العلماء فإن كلاً الرأيين احتكما لسباق الآية لاختيار الإعراب المناسب لحرف الواو، كما وضحه الشنقيطي أثناء تفسيره للآية الكريمة وبيان معناها.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الآية: 81

الزخرف).

اختلف العلماء والمفسرون في تحديد الإعراب المناسب ل(إِنْ) وبيان معناها في هذه الآية الكريمة، وذهبوا إلى أنها إما شرطية أو نافية:



¹ - ينظر، الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 317.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 317.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 317.

⁴ - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص 28.

1/ الرأي الأول: الشرطية: ويذكر الشنقيطي أن الذين قالوا إنها شرطية، اختلفوا في المراد بقوله تعالى: "فأنا أول العابدين" إلى أن معناها:

1- ﴿فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ﴾ لذلك الولد.

2- «فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ» لله على فرض أن له ولدًا

3- «فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ» لله، جازمين بأنه لا يمكن أن يكون له ولد⁽¹⁾.

وإلى معنى الشرط ذهب الطبري في تفسيره بعد أن ناقش القضية بين الشرط والجحد⁽²⁾.

2/ الرأي الثاني: نافية:

هناك من يذهب إلى أن "إن" في الآية الكريمة نافية، ومن هؤلاء الشنقيطي، ومعنى "إن كان للرحمن ولد" أي ما كان للرحمن ولد.

وعلى القول بأن "إن" نافية يذهب الشنقيطي إلى أن معنى قوله: "فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ" ثلاثة أوجه عند العلماء:

الوجه الأول: وهو الأقرب في نظر الشنقيطي، وأن معنى: ما كان لله ولد، فأنا أول العابدين لله المنزهين له عن الولد، وفي كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

الوجه الثاني: أن معنى قوله "فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ" الأنفين المستنكفين من ذلك، يعني القول الباطل الذي هو ادعاء الولد له.

الوجه الثالث: أن المعنى "فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ" أي الجاحدين النافين أن يكون لله ولد⁽³⁾.

وقد اختار الشنقيطي إعراب "إن" نافية لا شرطية اعتماداً على أمرين:

الأمر الأول: السياق الذي وردت فيه "إن"، أي السياق الداخلي للآية.

الأمر الثاني: الأساليب العربية التي جاءت وفق هذا النموذج والمعاني القرآنية.

أولاً: ما تعلق بسياق الآية: إذ من خلال السياق أمكن الشنقيطي نفي الشرط وإثبات النفي، وذهب إلى أن مدار الصدق والكذب في الشرطيات على صحة الربط بين طرفي الشرطية، وأن الشرط المزعوم في قوله: "إن كان للرحمن ولد" إنما يعلق به محال، لاستحالة كون الرحمن ذاً

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخواء البيان، ج7، ص 307.

² - ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20، ص 657.

³ - ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج7، ص 307-308.

وَلَدٍ، ومعلوم أن المحال لا يعلق به إلا المحال⁽¹⁾، فإذا اعتبرت شرطية، تكون قد ربطت جزء الشرط وهو عبادة الله، وهي أصل الدين كله، بالشرط وهو اتخاذ للرحمن وَلَدًا، فالسياق جعل الشنقيطي يعدل على اعتبار "إن" شرطية إلى اعتبارها نافية.

ثانياً: الأساليب العربية والمعاني القرآنية: على اعتبار أن معنى الآية الشرط والجزاء فيذكر الشنقيطي أنه لا يصح له معنى غير محذور في اللغة، وليس له في كتاب الله نظير⁽²⁾، وعلى اعتبارها نافية له سند في لغة العرب إذ في القرآن الكريم آيات مطابقة لهذا المعنى، منها قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً﴾ (الآية: 29 - يس)، أي ما كانت إلا صيحة واحدة⁽³⁾.

الملاحظ من ترجيح الشنقيطي لمعنى النفي وعدوله عن معنى الشرط الذي هو رأي من آراء العلماء الأفاضل أنه استند إلى أساس متين وهو تفسير القرآن بالقرآن واعتماد سياق الآية وما تحمله من دلالات وارتباط هذه الدلالات بالأوجه الإعرابية لمفرداتها وأدواتها النحوية، وبأساليب العربية التي جاء بها القرآن الكريم وبالمعاني العظيمة في الدين الإسلامي وأصول العبادة فيه، كل هذه العوامل كانت سنداً له في الرأي الذي تبناه.

2- سياق المقطع (الآيات):

تتابع الآيات وأجزاء السورة الواحدة ويكون بعضها مبيناً لمعاني بعض، لأن السورة القرآنية تتضمن آيات متماسكة فيما بينها متلاحمة المعاني يربط بينها وحدة الغرض والموضوع الواحد الذي له علاقة بموضوع السورة، وقد اعتنى الشنقيطي بهذا النوع من السياق، وبين دوره من خلال تفسيره لآيات الذكر الحكيم، إذ يعد عنده من أهم أنواع تفسير القرآن بالقرآن، وينتشر في القصص القرآني ومن نماذج هذا النوع من التفسير في كتاب أضواء البيان، وما له من دور في بيان تماسك معاني الآيات بعضها ببعض وترجيح قول على قول أو تضييق آخر اعتماداً على مراعاة ما سبق الآية أو لحقها، وفيما يلي نماذج من هذا النوع من السياق:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج7، ص 312.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص 328.

³ - المرجع نفسه، ج7، ص 308.

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾
(الآية: 24 مريم).

بيان طريقة الشنقيطي في تحليله لمعنى اللفظ: اختلف المفسرون في بيان معنى كلمة "سريًّا" في هذه الآية إلى قولين:

القول الأول: بمعنى الجدول: أي النهر الصغير لأن الله أجرى لها تحتها نهرًا، فقوله تعالى "فَكُلِّي" أي: من الرطب المذكور في الآية، "وَأَشْرِي" أي من النهر المذكور في الآية ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (الآية: 24 مريم)⁽¹⁾، ويحتج الشنقيطي على إطلاق العرب لفظ السري على الجدول بقول لبيد في معلقته⁽²⁾:

فتوسَّطَ عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مسجورةً متجاوزًا قُلامُهَا

كما دعم رأيه هذا بيت من الشعر لم يذكر قائله وبعض الأرجاز الشعرية⁽³⁾.

القول الثاني: السري هو عيسى عليه السلام والسري هو الرجل الذي له شرف ومروءة ومنها قول الشاعر:

تلقى السَّري من الرجال بنفسه وابن السَّري إذا سَرا أسراهما⁽⁴⁾

وقوله: "أسراهما" أي أشرفهما⁽⁵⁾، ففي تفسيره للفظ "السري" في هذا الآية يحرص الشنقيطي الشنقيطي أنه يأتي بآراء العلماء المخالفين والعلماء المؤيدين، ثم يبين سبب انتصاره لرأي دون رأي، وفي هذه الآية يبين أولاً أن أظهر القولين عنده، أن السَّريَّ في الآية هو النهر الصغير.

الدليل: بعد تحليله للمعاني المختلفة للفظة السري في اللغة العربية واحتججه بأقوال الشعراء، ثم انتصاره للرأي من الآراء، يأتي لنا بالدليل على ذلك وهو أمران:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 311.

² - لبيد بن ربيعة: ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1414_1992، ص : 216.

³ - ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج4، ص 311-312.

⁴ - المرجع نفسه، ج4، ص 312.

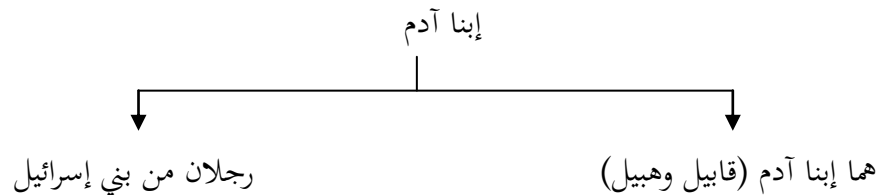
⁵ - المرجع نفسه، ج4، ص 312.

الأمر الأول: سياق الآيات التي وردت فيه هذه اللفظة، أو المقطع من السورة، وهو ما جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي﴾ (الآية: 26 - مريم)، وقوله تعالى: ﴿تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا﴾ (الآية: 25 - مريم)، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْيَتْهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (الآية: 50 - المؤمنون)، ففي الآية الأولى ذُكِرَ فيها الأكل والشرب، وسبقت بذكر: السري والرطب، وبعد آيات وفي نفس السورة ذكرت الربوة ذات قرار معين، والمعنى النهر الجار، مما جعل الشنقيطي يرجح معنى الجدول لكلمة "السري" في هذه الآية، استنادًا للمقطع الذي وردت فيه⁽¹⁾.

الأمر الثاني: وهو حديث للنبي ﷺ عن البراء عنه ﷺ، في قوله تعالى: "قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا"، قال الشنقيطي: "السري: النهر" وهو ضعيف، وعلى الرغم من ضعفه إلا أنه أقرب إلى الصواب من دعوى أَنَّ السَّرِيَّ عيسى بغير دليل يَجِبُ الرجوع إليه⁽²⁾، ويبقى سياق الآيات وتتابعها أكبر دليل عند الشنقيطي في اعتبار "السري" هو النهر، لأن بيان القرآن بالقرآن يأتي في أعلى درجات التفسير.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ (الآية: 27 المائدة)، وردت هذه الآية تسرد قصة من القصص القرآني، وكما هو معلوم أن القصة القرآنية هي مقطع من سورة يبين حادثة معينة يستنبط منها العلماء شرائع الدين وأحكامه، وهي عبرة لأولي الألباب.

وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على قولين، بين من يعتبر أن المقصود بـ"ابني آدم" هما إبنا آدم لصلبه، وهما قابيل وهابيل، وقال الحسن البصري: هما رجلان من بني إسرائيل⁽³⁾، والقول الأول هو قول الجمهور.



¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 313.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 314.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 71.

وقد رجَّح الشنقيطي القول الأول لأنه يتوافق مع ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ (الآية: 31 المائدة)، ولا يخفى على أحد أنه ليس في بني إسرائيل رجلٌ يجهلُ الدفن حتى يذله عليه الغراب⁽¹⁾.

من خلال تفسير الشنقيطي للآية وترجيحه قول الجمهور على قول الحسن البصري، نلاحظ أنه استند إلى حمل الآية على ما جاء به سياق المقطع الذي وردت فيه، بأن يكون المقصود بـ"ابني آدم" أنهما: قابيل وهاويل، لأن المقطع القرآني يقص قصة ابني آدم وكيف أخذ العبرة في الدفن من الغراب، لأن توضيح القرآن بالقرآن يأتي في أعلى مراتب البيان القرآني، وما دام سياق المقطع يبين المعنى ويوضحه فهو الأرجح من بين القولين، لأن القصة متماسكة ولا يمكن فصل آياتها عن بعضها، بل لا بد من النظر في ترابط المقطع وتماسكه للوصول لمراد الله تعالى من آياته.

بالإضافة إلى اعتماد الشنقيطي على السياق في بيان معنى هذه الآية، فقد استند أيضاً إلى الواقع بعقله، لأن قصة الاقتداء بالغراب في الدفن، ومعرفته منه تدلُّ أن الواقعة وقعت في أول الأمر قبل أن يتمرن الناس على دفن الموتى⁽²⁾.

والملاحظ أن اعتماد الشنقيطي على بعض أجزاء القصة لبيان معنى بعض الأجزاء الأخرى يحقق التماسك النصي للقصة من عدة أوجه:

الوجه الأول: تماسك القصة نفسها وبيان ترابط معانيها.

الوجه الثاني: اعتمادها باعتبارها وحدة مترابطة لترجيح قول على قول آخر.

الوجه الثالث: تعتبر وحدة متماسكة، وفي الوقت نفسه هي وحدة جزئية أسهمت في تماسك السورة التي وردت فيها.

الوجه الرابع: يستند عليها لتفسير بعض الآيات خارج السورة التي وردت فيها، وبذلك تحقق التماسك النص القرآني كوحدة متكاملة مترابطة.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص 71.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 71.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾ (الآية: 05 - التوبة)

اختلف العلماء في المقصود من قوله تعالى: "الأشهر الحرم"، فيذهب ابن جرير الطبري أنه يعني بالأشهر الحرم: ذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم⁽¹⁾، أما الشنقيطي فسيتعين في تحديد المراد بـ"الأشهر الحرم" بسياق الآيات من خلال تتبعها في مقطع واحد من سورة التوبة، إذ السياق يدل على أن المراد بها أشهر الإمهال المذكورة في الآيات السابقة في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ (الآية: 02 التوبة)،⁽²⁾.

فقد استعان الشنقيطي بسياق الآية لبيان المقصود ببعض أجزاء، فتحدد المعنى عنده استناداً إلى سياق المقطع الذي وردت فيه الآية، إذ الظاهر من سياق الآيات من الآية الثانية إلى الآية الخامسة على أن المقصود بـ"الأشهر الحرم" ما ذهب إليه الشنقيطي فحصل التماسك بين أجزاء النص، وعوامل هذا التماسك سياقات لغوية نصية، وقد استعان الشنقيطي في تفسيره بسياق المقطع الذي وردت فيه الآيات وتتابعت وكان عاملاً على ترجيح رأي من آراء المفسرين أو تضعيفه رأي آخر، ومن ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿وَعَنْتَ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ (الآية: 111 - طه)⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿فَارْأَوْا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (الآية: 98 الصافات)⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا تَمُودُ فَأَهْلِكُوهَا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (الآية: 05 الحاقة)⁽⁵⁾.

3 - سياق السورة:

بني القرآن الكريم على سور متفرقة مختلفة في أوقات نزولها لكنها منتظمة في وحدتها ومضمونها، إذ يتألف سياق الآية مع سياق المقاطع والقصص القرآنية في بناء محكم ينتج عنه وحدة موضوعية هي السورة القرآنية لذلك استعان بها المفسرون لآيات الذكر الحكيم لبيان معاني الآيات.

وقد كان للمفسرين القدامى والمحدثين والمتخصصين في علوم القرآن اهتمام بذلك، فهذا ابن القيم في تفسيره لآيات الأخيرة من سورة التحريم حينما يضرب الله مثلاً للمرأة المؤمنة ومثلاً

¹ - الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، ج11، ص 343.

² - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص 506.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 643.

⁴ - المرجع نفسه، ج4، ص 736.

⁵ - المرجع نفسه، ج7، ص 138.

للمرأة الكافرة، يذكر أهمية سياق السورة في بيان المعنى وتحديد الدلالات الدقيقة، بقوله: "ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ وتحذيرهن من التظاهر عليه، وأهنئ إن لم يُطعن الله ورسوله، ويردن الدار الآخرة: لم ينفعهن اتصاهن برسول الله ﷺ، كما لم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط اتصاهما بهما"⁽¹⁾، فسياق السورة له أهمية بالغة عنده في بيان السبب الذي ذكرت من أجله هذه الأمثال.

ويذهب برهان الدين البقاعي إلى أن "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من مقدمات... وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة به... وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مُفصَّلاً بين كل آية في كل سورة"⁽²⁾.

وأبرز من تحدث عن أهمية سياق السورة في العصر الحديث، محمد دراز صاحب كتاب "النبأ العظيم" حيث يقول في حديثه عن تعالق آيات السورة الواحدة وترابط معانيها: "اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى... وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟ وكيف ختمت، وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطأت أولها لأخراها؟"⁽³⁾. فهو يسأل الناظر المتبصر والمتبحر في معاني آيات السورة ويدعوه لاكتشاف ترابط آيات السورة وعناصرها، ثم يجيب على هذا التساؤل لبيان شدة التلاحم والحبك الحاصل بين عناصر السورة ومقاطعها، بقوله: "إنك لنقرأ السورة الطويلة المنجّمة بحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً، فإذا هي لو تَدَبَّرتَ بنيةً متماسكةً"⁽⁴⁾، كما يشبه السورة من القرآن بالبناء الواحد، إذ يقول فيها: "قد بنيت على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شُعبٌ وفصول، وامتدَّ من

¹- ينظر: محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية: أعلام الموقعين، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص:156.

²- البقاعي (برهان الدين): نظم الدور في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، ج1، ص 18.

³- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، ط9، 1413-1993، ص 154.

⁴- المرجع نفسه، ص 155.

كل شعبة منها فروعٌ تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حُجرات وأفنية في بناء واحد⁽¹⁾. بل يجعلها تلتحم كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان.

فكل سورة من سور القرآن الكريم، إذا دققنا النظر في معانيها، نجد أن بين عناصرها وأجزائها رباطاً وثيقاً تتابعت آياتها في سياق واحد، فلما اكتشف أهل التفسير هذا التلاحم سارعوا لتفسير آيات الذكر الحكيم اعتماداً على السورة التي وردت فيها، ومن خلال النماذج الآتية نبين أهمية سياق السورة عند الشنقيطي في تفسيره للقرآن الكريم:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ (الآية: 127 النساء).

قوله تعالى: " وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ"، ذكر الشنقيطي أن الله تعالى لم يبين هنا الذي يتلى عليهم في الكتاب ما هو، لكن بينه في أول السورة بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (الآية: 03 النساء)،⁽²⁾.

"وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَتَامَى" (الآية: 03) → "وَمَا يُتْلَى" (الآية: 127)

فالآية التي اعتمد عليها الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: " وَمَا يُتْلَى" على الرغم من كونها بعيدة المدى، إلا أنها وجدت في سياق السورة نفسها.

ومضمون ما أفتى به هذا الذي يُتلى علينا في الكتاب هو تحريم هضم حقوق اليتيمات، وتقرير المعنى: (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ) أيضا (وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ) الآية⁽³⁾، فالملاحظ أنه بين عناصر سورة النساء وأجزائها رباط وتماسك وحبك في معانيها، فقريئة السياق اللفظي، المتقدم في أول السورة كان لها دور في بيان معاني النص القرآني، مما أبرز وحدة السورة في مضمونها.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُهَا عَنِهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الآية: 08 النور)، قوله تعالى: " وَيَذَرُهَا عَنِهَا الْعَذَابَ" معنى ذَرَأَ من: الدَّرُءُ: الدَّفْعُ،

¹ - المرجع نفسه، ص 155.

² - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج 1، ص 496.

³ - المرجع نفسه، ج 1، ص 496.

دَرَأَهُ دَرَاءً: دَفَعَهُ⁽¹⁾، والمراد بالعذاب كما يذهب إلى ذلك الشنقيطي، الحد، والمصدر المنسبك من أن وصلتها في قوله تعالى: "أَنْ تَشْهَدَ" فاعل يدرأ، أي: يدفع عنها الحد شهادتها أربع شهادات⁽²⁾، ويستند الشنقيطي على أن معنى العذاب: الحد في قوله تعالى: "وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ" إلى نوعين من السياق:

الأول: سياق الآية، فهو يدل على أن العذاب الذي تدرؤه عنها شهادتها هو الحد.

الثاني: سياق السورة، حيث أطلق اسم العذاب في مواضع أخرى على الحد مع دلالة السياق فيها على أن المراد بالعذاب فيها هو الحد⁽³⁾.

ومن الآيات التي تبين أن المراد بالعذاب الحد في نفس السورة ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الآية: 02 النور)، فقوله تعالى: " "وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا" أي: حدَّهما بلا نزاع⁽⁴⁾ وهذه الآية دليل سابق للآية المراد بيان معناها، من نفس السورة، فَتَنَجَّ عَنْهُ رَبَطُ بَدَايَةِ السُّورَةِ بِالْآيَاتِ الَّلَّاحِقَةِ لَهَا مِمَّا يَبِينُ التَّمَّاسِكَ الحَاصِلَ بَيْنَ أَجْزَائِهَا.

2- والآية الثانية التي اعتمدها الشنقيطي لبيان معنى العذاب، هي قوله تعالى: (فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) أي: نصف ما على الحرائر من الجلد⁽⁵⁾.

فالملاحظ من منهج الشنقيطي أنه استعان بسياق الآية وسياق السورة لبيان معنى المفردة القرآنية إذ للسياق أثر في توجيه الدلالة وتحديدتها، ويتجلى دور السياق هنا في أمرين:

الأمر الأول: أنه بين للمفسر المعنى الدقيق للمفردة القرآنية.

الأمر الثاني: أنه حقق السبك والحبك بين أجزاء السورة الواحدة.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص 1247.

² - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص 147.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص 147.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص 147.

⁵ - الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص 147.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ﴾ (الآية: 78 البقرة)، يذكر الشنقيطي أن العلماء اختلفوا في تفسيرهم لـ "الأماني" وذهبوا في ذلك إلى قولين*:

القول الأول: أن المراد بالأمنية القراءة، أي: لا يعلمون من الكتاب إلا قراءة ألفاظ، دون إدراك معانيها، وهذا القول في رأي الشنقيطي لا يتناسب مع قوله تعالى: وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ⁽¹⁾، فسياق الآية يناقض هذا القول لأن الأمي، كما جاء في لسان العرب، قيل له أميٌّ لأنه على ما ولدته أمُّه عليه من قلة الكلام وعجمة اللسان⁽²⁾، فلما كان هذا معناه في لغة العرب خرجت تفسير "الأماني" على أنها القراءة استناداً للسياق الذي وردت فيه.

القول الثاني: أن الاستثناء منقطع، والمعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أماني باطلة⁽³⁾، وهذا الذي ذهب إليه الشنقيطي، ويستند في ذلك إلى سياق السورة الذي كان أهم عامل في تحديد معنى كلمة "أماني"، ودليله من سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ (الآية: 111 البقرة)، ودليله من سورة النساء: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيٍّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (الآية: 123 النساء).

الملاحظة من تفسير الشنقيطي، أنه التزم النقاط الآتية لبيان معنى كلمة "الأماني":

- 1- بين وجود اختلاف في معناها عند المفسرين.
- 2- ذكر الرأي المخالف للرأي الذي ذهب إليه، بذكر معنى الكلمة عند أصحاب هذا الرأي.
- 3- الاعتماد على سياق الآية لتضعيف رأي مخالفه.
- 4- الاعتماد على سياق السورة والسياق القرآني العام متمثلاً في آية من سورة النساء، لبيان صحة الرأي الذي ذهب إليه في شرحه وتفسيره لكلمة "الأماني" الواردة في الآية.

* - يذكر ابن عطية وابن كثير والقرطبي آراء أخرى، أنظر:

- ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص 169-170.

- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 311.

- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص 217-218.

1- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 94.

2- ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص 154.

3- الشنقيطي، المرجع السابق، ج1، ص 95.

ولإيضاح أهمية سياق السورة في بيان المعنى ودوره في التماسك النصي، يمكن الرجوع إلى تفسير الشنقيطي للآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (الآية: 80 الأعراف) (1).

وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ الْأَوْثِينَ ﴾ (الآية: 05 القصص) (2).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ ﴾ (الآية: 74 المؤمنون) (3)، وغيرها من الآيات التي استعان فيها الشنقيطي بسياق السورة لبيان معناها وتماسكها بآيات أخرى من نفس السورة.

4- السياق القرآني العام:

إن السياق القرآني العام هو قراءة النص القرآني وفهمه وبيان معانيه على ضوء علاقة ألفاظه وتراكيبه بعضها ببعض، متجاوزة الحدود الموضوعية للسورة الواحدة، منطلقاً من أن النص القرآني بآياته وسوره كلّها نص واحد، تترايط معانيه كما تترايط وحداته اللغوية شكلياً بأدوات وألفاظ وإحالات، لأن "أَبَيَّنَ الْبَيَانَ بِيَانَهُ، وَأَفْضَلَ الْكَلَامَ كَلَامَهُ، وَأَنَّ قَدَرَ فَضْلَ بَيَانِهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ- عَلَى بَيَانِ جَمِيعِ خَلْقِهِ كَفَضْلِهِ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ" (4)، فهناك من المعاني من يقترن بعضها ببعض، وأصبح وجود بعضها يتطلب وجود الآخر بلفظ صريح أو دلالات إيحائية يبينها المفسر ويستنبطها ويستحضرها، فتتعلق بذلك الآيات وإن اختلفت سورها وتباعدت، "وَلَمَّا كَانَ مَدَارَ الْقُرْآنِ عَلَى مَقَاصِدِ مَعْدُودَةٍ وَأَغْرَاضِ مَتَفَقَّةٍ... كَشَفَ عَنِ الْجَانِبِ الْآخِرِ فِي تَشَابُهِ السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ وَتَنَاسُبِهِ عَلَى الْمَسْتَوَى الْكُلِّيِّ لِلْقُرْآنِ" (5)، وفهم هذه المقاصد والأغراض من الأمور التي يتوجب على مفسر القرآن معرفتها. حتى لا يقع في تفسير القرآن الكريم على غير مراد الله، وتسهل عليه ربط الآيات بعضها ببعض وبيان معناها عن طريق الدلالات والمقاصد الموجودة في مواضع أخرى من كتاب

1- ينظر: الشنقيطي، أخواء البيان، ج2، ص 383.

2- ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص 499.

3- ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 882.

4- الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص 11.

5- ينظر: منال مبطي حامد المسعود، التناسب في تفسير الإمام الرازي دراسة في أسرار الاقتران، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1431-2010، ص 377.

الله، ولمعرفة هذه المقاصد يتطلب من المفسر استقراءها، وقد حددها محمد الطاهر بن عاشور في ثمانية مقاصد هي:

المقصد الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.

المقصد الثاني: تهذيب الأخلاق.

المقصد الثالث: التشريع وهو الأحكام الخاصة والعامة.

المقصد الرابع: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها.

المقصد الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم.

المقصد السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين.

المقصد السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.

المقصد الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ⁽¹⁾.

ويتبع معرفة المقاصد الرئيسية في القرآن الكريم معرفة المعاني العامة والكلية فيه ليسهل ربط الآيات وبيان تعالقاتها وتماسكها على اختلاف سورها، يقول الشنقيطي: "ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية"⁽²⁾ ولا يمكن الحكم على أن معنى هو الغالب في القرآن الكريم إلا إذا كان المفسر قد قام باستقراء الكتاب الكريم مستنبطاً هذه المعاني الكلية بفهمه وفقهه لمحتواه، وبالإضافة إلى هذه المعاني الكلية، هناك الأساليب القرآنية في النظم، إذ للقرآن الكريم أسلوبه الخاص الذي يميزه عن غيره في تراكيبه، وقد ذكر الشنقيطي منها أن من أساليب القرآن الكريم "إذا ذكر تنزيله لكتابه أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنی المتضمنة صفاته العليا"⁽³⁾، وهو أسلوب مطرد في القرآن الكريم، وإذا أطردت وانتشرت في القرآن الكريم كانت عملاً مساعداً على بيان المعنى وإيضاح التماسك بين آياته لوجود جامع مشترك بينها وهو الأسلوب فيحرص الشنقيطي عند حديثه عن الأسلوب القرآني في آية، أن يذكر أمثلة هذا الأسلوب في القرآن الكريم ليوضح أن هذا الأسلوب من خصائص البيان القرآني للمخاطبين

¹ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 40-41.

² - الشنقيطي: أخوة البيان، ج1، ص 23.

³ - المرجع السابق، ج7، ص 45.

وباعتبار السياق القرآني العام من أهم أسس التفسير فقد استعان به الشنقيطي في تفسيره لإيضاح مراد الله من آياته وبيان تعالقها وترابطها مهما تباعد زمن نزولها أو ترتيبها في المصحف، ومن النماذج الدالة على ذلك في تفسيره ما يلي:

النموذج الأول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الآية: 02 الفاتحة)

ذكر الشنقيطي -رحمه الله- أن الله تعالى لم يبين هنا ما المراد بالعالمين، لكن وقع سؤال عنهم وجواب في موضع آخر، وهو قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ (الآية: 23-24 الشعراء).⁽¹⁾

والملاحظ هنا علاقة سورة الفاتحة بسورة الشعراء في الجزء الذي يتعلق ببيان دلالة لفظه "العالمين"، ويبين الشنقيطي أن سؤال فرعون وإن كان في الأصل عن الرب جل وعلا، فقد دخل فيه الجواب عن المراد بالعالمين⁽²⁾.

"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ← "وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا"
سورة الفاتحة سورة الشعراء

فمن أنواع البيان التي تضمنها القرآن الكريم أن يذكر شيئاً في موضع ثم يقع سؤال عنها وجواب في موضع آخر⁽³⁾، وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدلُّ على مناسبة بيانها في الوضع الثاني وعدم مناسبة ذكر معناها في الأول، ويدل كذلك على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، كما يدل على ذلك التماسك بين آياته، إذ جعل الشنقيطي وجود آية أخرى قرينة قوية استند عليها في تخصيص هذا المعنى وتحديدته.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الآية: 30 الأنبياء).

يحرص الشنقيطي في تفسيره هذه الآية على شرح المفردات وبيان المعاني المعجمية للفظتين: "الرتق" و"الفتق"، حيث ذكر أن: الرتق مصدر رتقه رتقاً: إذا سدّه، ومنه الرتقاء، وهي التي انسد

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 16.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 16.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 16.

فرجها، والفتق: الفصل بين الشيئين المتصلين، فهو ضد الرتق⁽¹⁾، وبين الشنقيطي أن العلماء اختلفوا في المراد بالرتق والفتق في هذه الآية على خمسة أقوال، بعضها في غاية السقوط وواحد منها تدل عليه قرائن من القرآن العظيم:

القول الأول: أن معنى "كَانَتَا رَتْقًا" أي كانت السماوات والأرض متلاصقة بعضها مع بعض، ففتقها الله وفصل بين السماوات والأرض ورفع السماء إلى مكانها، وأَقَرَّ الأرض في مكانها، وفصل بينهما بالهواء الذي بينهما⁽²⁾.

القول الثاني: أن السماوات السبع كانت رتقًا، أي متلاصقة بعضها ببعض ففتقها الله وجعلها سبع سماوات، كل اثنين منها بينهما فصل، والأرضون كذلك كانت رتقًا ففتقها، وجعلها سبعًا بعضها منفصل عن بعض⁽³⁾.

القول الثالث: أن معنى "كَانَتَا رَتْقًا" أن السماء كانت لا ينزل منها مطر، والأرض كانت لا ينبت فيها نبات، ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات⁽⁴⁾.

القول الرابع: أنهما "كَانَتَا رَتْقًا" أي في ظلمة لا يرى من شدتها شيء ففتقها الله بالنور⁽⁵⁾.

القول الخامس: أن الرتق يراد به العدم والفتق يراد به الإيجاد⁽⁶⁾، أي كانتا عدماً فأوجدناهما، ويرى الشنقيطي أن هذا القول أبعدهما لظهور سقوطه⁽⁷⁾.

بعد سرد الأقوال وعددها يرجح الشنقيطي القول الثالث منها، أي أن السماء والأرض كانتا رتقًا لا ينزل من السماء مطر ولا من الأرض نبات، ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات، ويستند في ذلك إلى قرائن من القرآن العظيم، تمحورت في ثلاث:

القرينة الأولى: أن قوله تعالى في سياق الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الآية: 30 الأنبياء)، يعتبر الشنقيطي أن "رأى" هنا بصرية، والذين يرونه بأبصارهم هو أن السماء تكون لا ينزل منها مطر،

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخواء البيان، ج4، ص 701-702، ابن منظور: لسان العرب، ج2، ص 1447.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 702، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج5، ص 339.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 702، وذكر هذا القول بمعناه عند القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص 195.

وعند الألوسي (محمود): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، ج17، ص 35.

⁴ - ينظر: - الشنقيطي، المرجع السابق، ج4، ص 702، - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج16، ص 257.

⁵ - ينظر: - الشنقيطي، المرجع نفسه، ج4، ص 702، ذكر نحو هذا المعنى ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج23، ص 339.

⁶ - نقل هذا الرأي: الألوسي عن أبي مسلم الأصفهاني، انظر: الألوسي: روح المعاني، ج17، ص 34.

⁷ - ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج4، ص 703.

والأرض ميتة، فيشاهدون بأبصارهم إنزال الله المطر، وإنباته أنواع النبات⁽¹⁾ فاستعان بذلك بسياق الآية باعتبارها قرينة دالة على المعنى الذي ذهب إليه، بعد أن فسر "رأى" بالرؤية البصرية لا القلبية كما يذهب إلى ذلك بعض العلماء.

القرينة الثانية: أن قوله تعالى في لحاق كلمة "رتقا" في سياق الآية نفسها: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الآية: 30 الأنبياء).

يرى الشنقيطي أن هذا الكلام يتصل بما قبله، أي بمعنى: وجعلنا من الماء الذي أنزلناه بفتقنا السماء وأنبتنا به أنواع النبات بفتقنا الأرض كل شيء حي⁽²⁾، وإلى هذا يذهب الإمام الطبري - رحمه الله - في تفسيره على أن الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه⁽³⁾، وهذه القرينة تمثلت في سياق الآية ذكرت في لحاق يعقب ذكر اللفظة "رَتَقًا" بَيَّنَّ وَحَدَّدَ معناها كل من الإمام الطبري وَتَبِعَهُ الشنقيطي - رحمه الله.

القرينة الثالثة: وآخر القرائن القرآنية التي استعان بها الشنقيطي لبيان معنى اللفظة هي السياق القرآني العام متمثلاً في آيات من كتاب الله تعالى تخطت حدود سورة الأنبياء وهي:

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الآية: 11-12 الطارق)، لأن المراد بالرجع نزول المطر منها تارة بعد أخرى⁽⁴⁾، والمراد بالصدع: انشقاق الأرض عن النبات⁽⁵⁾، وقيل الصدع: نبات الأرض، لأنه يَصْدَعُهَا فَتَنْصَدِعُ بِهِ⁽⁶⁾، فوصف السماء والأرض بهذه الأوصاف في هاتين الآيتين دليل يعضد الرأي الذي ذهب إليه الشنقيطي، ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك أيضاً، قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (الآية: 24-26 عبس).

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخواء البيان، ج4، ص 703.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 703.

³ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج16، ص 259.

⁴ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 1462.

⁵ - ينظر: الشنقيطي، المرجع نفسه، ج4، ص 703.

⁶ - ابن منظور، المرجع السابق، ج2، ص 2164.

ويؤيد هذه القرينة كما ذهب الشنقيطي كثرة ورود الاستدلال بإنزال المطر وإنبات النبات في القرآن العظيم⁽¹⁾، والملاحظ من هذا أن الشنقيطي في تفسيره للفظه "رَتَقًا" قد نهج أسلوبا تمثل في الآتي:

1- يحرص على ذكر المعاني اللغوية للفظه، بتركيزه على المعنى المعجمي السياقي للفظه دون عزو هذه المعاني للمعاجم التي أخذ منها مادته اللغوية.

2- يحرص الشنقيطي على الاستشهاد بكلام العرب، دون حرصه على ذكر اسم الشاعر، بل اكتفى بقوله: (قال الشاعر).

3- يذكر الشنقيطي، الخلاف بين العلماء في تفسيرهم لهذه الآية، ويعدد الأقوال المختلفة في ذلك، دون عزوه الأقوال لقائلها، باستثناء القول الذي ذهب إليه، فقد ذكر أن ابن جرير الطبري وابن عطية رحمهما الله اختارا هذا القول.

4- يذكر الرأي الذي ذهب إليه، ويحرص على ذكر القرائن القرآنية التي استند إليها في رأيه، مع ذكره أهم علماء التفسير الذين اختاروا هذا القول وعلّة اختيارهم أيضا.

والملاحظ من الرأي الذي اختاره الشنقيطي والقرائن المعتمدة باعتبارها علة ترجيحه قوله، يتضح لنا كيف يربط بين السياقات المختلفة لبيان معنى المفردة القرآنية؛ سياق الآية متمثلا في سباق القول ولحاظه، والسياق العام للقرآن الكريم، مما يتضح لنا ذلك الحُبك بين آيات الذكر الحكيم، إذ تتصافر القرائن السياقية، ليحدد عن طريقها الشنقيطي دلالة اللفظة وينتصر للرأي القائل بمعناها السياقي مما يبين ذلك التماسك النصي لآيات الذكر الحكيم بتعدد سوره وترابطها.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (الآية:

24 النساء)، ذكر الشنقيطي -رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية أن لفظ "المحصنات" أطلق في القرآن الكريم ثلاثة إطلاقات:

الأول: المحصنات بمعنى: العفائف، ومنه قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ﴾ (الآية:

25 النساء) أي عفائف غير زانيات.

¹ - الشنقيطي، المرجع السابق، ج4، ص 704.

الثاني: المحصنات بمعنى: الحرائر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (الآية: 25 - النساء)، أي إن الأمة إذا وقعت في الزنى فحدها نصف ما على الحرّة من العذاب.

الثالث: أن يراد بالإحصان التزويج، ومنه على التحقيق، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ (الآية: 25 - لنساء) أي: فإذا تزوجن⁽¹⁾.

إن غرض الشنقيطي أن يبين مراد الله من آياته بآتم بيان لدلالاتها وبما أن ألفاظ القرآن الكريم هي أفضل الألفاظ العربية، وأحسن التراكيب النظم القرآني، فقد انطلق في تفسيره من المعاني الثلاثة للفظ "المحصنات" في القرآن الكريم، فسرّد أولاً أقوال العلماء في تفسيرهم لهذا اللفظ في هذه الآية، انطلاقاً من إطلاق الألفاظ في التنزيل العزيز، فتمحورت أقوالهم حول هذه الاطلاقات الثلاثة، فكانت كالاتي:

القول الأول: يذهب أصحابه إلى أن المراد بالمحصنات في هذه الآية: أعمّ من العفاف والحرائر والمتزوجات، فمعنى الآية حرمت عليكم النساء كلهن إلاً بنكاح صحيح أو تسرّ شرعي.

القول الثاني: يذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالمحصنات في الآية: الحرائر، وعليه فالمعنى: حرمت عليكم الحرائر غير الأربع، وأحل لكم ما ملكت أيماكم في الإيماء، وعليه فالاستثناء منقطع.

القول الثالث: المراد بالمحصنات: المتزوجات وعليه فمعنى الآية: وحرمت عليه المتزوجات لأن ذات الزوج لا تحل لغيره إلاً ما ملكت أيماكم بالسبي من الكفار⁽²⁾، وهذا القول الأخير هو الصحيح في نظر الشنقيطي، ويعتبر القرآن الكريم وآياته دليلاً عليه، واستدلّاه بآياته يفرض إبطال القول الأول، فكان دليلاً بالخلف على صحة الرأي الذي ذهب إليه، بعد أن اعتبر الرأي الثاني أيضاً خلاف الظاهر من معنى لفظ الآية فكان بيانه كالاتي:

أولاً: إبطال الرأي الأول: وهذا القول يذهب إلى اعتبار ملك اليمين يشمل ملك النكاح، وملك اليمين لم يرد في القرآن الكريم إلاً بمعنى الملك بالرق، كما يذهب إلى ذلك الشنقيطي باستقراء آيات الذكر الحكيم نحو قوله تعالى: ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج1، ص 375.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 376.

(الآية: 25 النساء)، وقوله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (الآية: 36 النساء)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ (الآية: 5-6 المؤمنون)، فجعل ملك اليمين قسما آخر غير الزوجية⁽¹⁾، فهذه الآيات وغيرها التي ذكرها الشنقيطي في هذا الموضوع تدل على أن المراد بما ملكت أيمانكم الإماء ولا يدخل فيها المتزوجات، لأن الاستقراء التام لآيات الذكر الحكيم يعتبر حجة على تضعيف الرأي أو ترجيحه، ومنها تبين فائدة النظرة الكلية العامة للقرآن الكريم، وأهمية بيان تماسك آياته لاستنباط الأحكام الشرعية.

ثانيا: بيان أن الرأي الثاني غير ظاهر: لأن المعنى عليه: وحرمت عليكم الحرائر إلا ما ملكت أيمانكم، وهو في رأي الشنقيطي خلاف الظاهر من معنى لفظ الآية⁽²⁾، وقد ردَّ ابن القيم هذا الرأي لفظاً ومعنى في تفسيره هذه الآية⁽³⁾.

ثالثا: بيان صحة الرأي الثالث: بما أن الشنقيطي ذهب إلى تضعيف الرأي الأول ورد الرأي الثاني، فقد اختار الرأي الثالث استنادا لنص سياق الآية التي ورد فيها لفظ "المحصنات"، كما استند إلى السياق العام للقرآن الكريم على بطلان الرأي الأول.

والملاحظ أن تحديد المعنى من طرف الشنقيطي تطلب منه تحليلا دقيقا وواعيا للسياقات المختلفة التي ورد فيها هذا اللفظ، حتى وإن كان غير لغوي متمثلا في حديث للنبي ﷺ يحدد سبب نزول الآية الكريمة، وفي هذا يعطي للسياق الدور المهم في بيان الدلالة، مبينا أن الوحدات اللغوية يتحدد معناها بتسويقها مستعينا في ذلك بالمتقدم منها والمتأخر والقريب والبعيد من الألفاظ، وقد اعتمد الشنقيطي على هذه الطريقة في تفسيره كثيرا وَعَدَّهَا من الآليات التي تثبت أن القرآن الكريم بجميع سوره نصا واحدا متماسك الأجزاء وإن تباعدت، ومتلاحم المعاني وإن اختلفت موضوعاتها فالسياق العام للقرآن الكريم عند الشنقيطي هو الرابط بين الآيات التي تبدو معانيها متباعدة.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 377.

² - المرجع نفسه، ج1، ص 377.

³ - ينظر: ابن قيم الجوزية، الضوء المنير على التفسير، جمعه: علي محمد الصالح، مؤسسة النور، مكتبة دار السلام، الرياض، السعودية، (د.ط)، ج2، ص 197.

وفي أغلب السور نجد هذا المنهج متبعاً في تفسيره لأهميته لأنه يتوخى الدقة في بيان مراد الله مرجحاً قولاً على أقوال و مضعفاً أخرى، ومن هذه النماذج تفسيره للآيات الآتية:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (الآية: 30 البقرة) في بيانه لمعنى لفظ "خليفة"⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ (الآية: 229 البقرة) في تحديد عدد الطلقات من السياق القرآني العام⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ حَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (الآية: 111 - طه) في بيانه لمعنى كلمة "ظلماً"⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَجِيئَنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (الآية: 18 فصلت)⁽⁴⁾، وغيرها من الآيات التي اعتمد فيها على النظرة الكلية للنص القرآني لبيان معانيها وترجيح الأحكام الشرعية أو تضعيفها انطلاقاً من هذه الفكرة.

5_ السياق النصي للقراءات السبع وأثرها في التماسك النصي:

تعد القراءات القرآنية أول الدراسات والمعارف التي تعلقت بالقرآن الكريم، لأنها كانت مصاحبة للنص القرآني من بداية النزول إلى وقتنا الحالي، وللصلة الرابطة بين التفسير والقراءة، فقد كان هناك اتفاق على العناية بها، لأن القراءات القرآنية تحرص على الحفاظ على النص القرآني من الخطأ، إذ صلتها بعلم النحو واللغة والبلاغة وثيقة، وتعدد القراءات يعود إلى آلة التفسير وبيان المعنى المهمة وهي اللغة، لأن كل اختلاف في أداء المفردات القرآنية يؤدي إلى تنوع المعنى، فالاختلاف في البنى اختلاف في المعنى، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "وهم متفقون -أي: الأئمة المتبعون من أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم- على أن الأحرف السبعة لا يخالف بعضها بعضاً خلافاً يتضاد فيه المعنى ويتناقض، بل يصدق بعضها بعضاً، كما تصدق الآيات بعضها بعضاً"⁽⁵⁾، فتعدد القراءات مثل تعدد الآيات لأن السياق هو الأساس في توجيه القراءات، فما مفهوم القراءة القرآنية:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 68.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 176-243.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 644.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص 140.

⁵ - ابن تيمية (أحمد عبد الحلیم)، الفتاوى الكبرى، تح: حسنین محمد مخلوف، دار المعرفة بیروت، ط1، 1386هـ، ج4، ص414.

أ- مفهوم القراءة القرآنية:

يعرف الزركشي القراءات القرآنية بقوله: "القراءات اختلاف ألفاظ الوحي في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها"⁽¹⁾.

ويعرف السيوطي القراءات القرآنية عند حديثه عن أسانيد القرآن الكريم بقوله: "تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة ورواية وطريقة ووجه، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الطرق والروايات فهو قراءة"⁽²⁾، فالقراءات عنده هو ذلك الاختلاف الحاصل في قراءة النص القرآني وقد تبرز باختلاف إمام من الأئمة عن غيره، مع اتفاق الطرق والروايات، وتعرف القراءات باعتبارها علم من علوم القرآن على أنها: "مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تبارك وتعالى من جهة اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل من حيث النقل"⁽³⁾.

وتعرف على اعتبار علاقتها بالأداء الصوتي القرآني على أنها: "مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية وطريقة أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقليه"⁽⁴⁾.

ب- علاقة القراءات القرآنية بالتفسير:

من خلال التعريف الأخير والذي قبله يتضح لنا أن القراءات القرآنية والاختلاف الحاصل بين الأئمة في طريقة أدائها لا يتعلق جميعه بعلم التفسير إذ تنقسم الدراسات في هذا العلم في علاقتها بالتفسير إلى قسمين:

القسم الأول: لا علاقة له بالتفسير ويتعلق بمقدار أداء الحرف العربي في قراءة القرآن، كأن يكون المد فيه ست حركات في رواية وفي قراءة أخرى مقدار المد أقل من ذلك.

¹ - الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، الرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 1404-1984، ج1، ص 318.

² - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): الإتيان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط، 1426، ج2، ص 477-478.

³ - ينظر: محمد بازمول، القراءات القرآنية وأثرها في التفسير، أطروحة دكتوراه في الشريعة الإسلامية، إشراف: عبد الستار فتح الله سعيد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412-1413، ج1، ص 83.

⁴ - المرجع نفسه، ج1، ص 83.

القسم الثاني: له علاقة بالتفسير وهو الاختلاف الحاصل بين القراء في قراءة الحركات يكون بالجر بدل النصب، مثل قوله تعالى: "وَأَرْجِلِكُمْ" أو وجود الحركة الطويلة من عدمها نحو قوله تعالى: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، "مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ".

وهذا الذي يجعل من المفسرين يجعلون القراءات القرآنية آلية من آليات السياق القرآني يستندون إليها في تفسيرهم لذلك كان الاختلاف بين المفسرين في تفسيرهم لبعض آيات الذكر الحكيم انطلاقاً من قراءة قرآنية، لكن هذا الاختلاف في المعنى لدى المفسرين في مقابل الاختلاف في الأداء لدى القراء الذي لا يعني التعارض والتناقض، وإلى هذا أشار الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره، إذ يقول: "وإني أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالباً فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن"⁽¹⁾، فاعتبار تعدد القراءات في الآية الواحدة هو بمثابة الآيتين هو الذي جعلني أدرج القراءات القرآنية ضمن السياق اللغوي، بحيث يستعين بها المفسر لبيان معنى الآية ومدى تماسكها.

وقد بين الشنقيطي في مقدمة تفسيره التزامه ببيان معاني القرآن الكريم من جهة القراءات بالسبعية منها، إذ يقول: "وقد التزمنا ألا نبين القرآن إلا بقراءة سبعية سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها"⁽²⁾، أما القراءات الشاذة فلم يعتمد عليها لبيان المعنى، وهناك الكثير من نماذج اعتماد الشنقيطي لبيان معاني الآيات على القراءات القرآنية السبعية والجمع بين المعاني التي ساهمت القراءات في تعددها في الآية الواحدة، ومدة إظهار هذه القراءات لترابط الآيات وتعالقها:

نماذج تطبيقية لاعتماد الشنقيطي على القراءات القرآنية في تفسيره ودورها في السبك النصي:
أ - بيان تعدد المعنى وتحديد العلاقة بين التراكيب اللغوية عن طريق القراءة القرآنية:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (الآية: 06-المائدة).

لقد اعتمد الشنقيطي -رحمه الله- على القراءات القرآنية لبيان المعنى للآيات القرآنية لأن أفضل تفسير للقرآن الكريم هو القرآن الكريم، والقراءة القرآنية السبعية هو معنى ثاني للآية، إذ

¹ - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص 56.

² - الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 08.

تصبح القراءة الثانية السبعية مثل الآيتين في السورة الواحدة، من ناحية المعنى الذي تضيفه أو بيان معاني أخرى غير المعنى الأول، وفي هذه الآية يذكر الشنقيطي أن لها ثلاث قراءات: واحدة شاذة واثنان متواترتان:

القراءة الأولى: قراءة الرفع: وهي شاذة، وهي قراءة الحسن.

القراءة الثانية: قراءة النصب، وهي قراءة نافع وابن عامر، والكسائي وعاصم في رواية حفص من السبعة ويعقوب من الثلاثة.

القراءة الثالثة: قراءة الجر فهي قراءة ابن كثير وحزمة وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر⁽¹⁾.

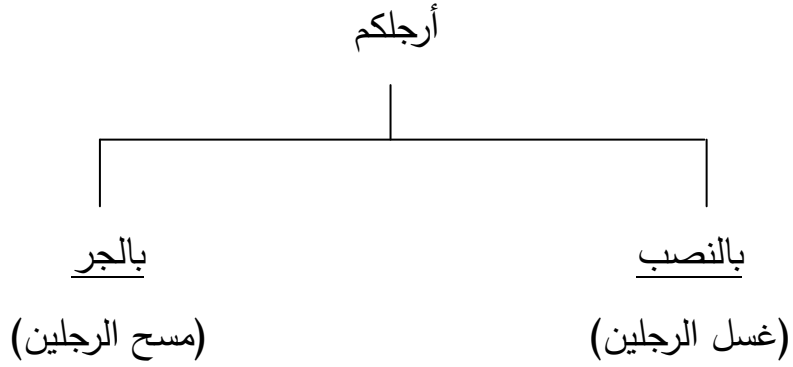
فالقراءة الأولى لا تمنا في دراستنا هذه لأن الدراسة تتعلق بالسياق القرآني المتمثل في القراءة السبعية ودوره في بيان المعنى وتحديده، لأن القراءة السبعية هو معنى إضافي ثاني للآية الكريمة. بقي الذي بقي؛ قراءة النصب والجر، لأنهما قراءتان سبعيتان، أما قراءة النصب : فيرى الشنقيطي أنه لا إشكال فيها، لأن "رجل" فيها معطوفة على الوجه فيكون حق الرجلين الغسل تبعاً للعطف على الوجه، وإنما أدخل مسح الرأس بين المغسولات، محافظة على الترتيب لأن الرأس يمسح بين المغسولات⁽²⁾، أما قراءة الجر: فهي التي تمنا في دراستنا باعتبارها قراءة سبعية، لأنها جاءت بالجر بعد الفعل "وأمسحوا" والجار والمجرور "برؤوسكم" وعلى قراءة الجر يذهب الشنقيطي أن في الآية ما يحتاج إلى تفصيل، وقد كان للسياق الذي وردت فيه الآية دور في تحديد المعنى المراد، من خلال هذه القراءة، وكذلك ما دلت عليه السنة الصحيحة وكلام الفصحاء من الشعراء الذين يحتج بشعرهم، وهم في أعلى درجات الفصاحة.

1/ باعتبار السياق: بالرجوع إلى السياق الذي وردت فيه كلمة "وأرجلكم" نجد أن القراءتين ظهر تعارضهما، وإذا ظهر هذا التعارض في آية واحدة، يصبح لهما حكم الآيتين⁽³⁾، على النحو التالي:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص 10-11.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 11.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص 11.



فسياق الآية الظاهر قبل أن يحقق في المسألة الشنقيطي هو الذي حدد غسل الرجلين على قراءة النصب ومسح الرجلين على قراءة الجر، لكن بعد التحقيق في المسألة تبين للشنقيطي أن الخفض بالمجاورة أسلوب من أساليب اللغة العربية، وأنها جاءت في القرآن الكريم وفي شعر الشعراء، بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي تأبى مسح الرجلين على قراءة الجر في قبول هذا المعنى:

1- الأدلة على الخفض بالمجاورة من كلام العرب:

أ/ الشعر: استدل على ذلك بقول امرئ القيس⁽¹⁾:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَدَقَّةً كَبِيرٌ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ

بخفض "مزمل" بالمجاورة، مع أنه نعت "كبير" المرفوع بأنه خبر كَأَنَّ⁽²⁾، واستدل أيضا بشعر ذي الرمة، وزهير بن أبي سلمى⁽³⁾، لبيان استعمال الشعراء للخفض بالمجاورة في أساليبهم العربية.

ب/ كلام العرب: ومن كلام العرب الذي اعتمده الشنقيطي دليلا على الخفض بالمجاورة، قولهم: "هذا جُحْرٌ ضَبٌّ حَرْبٍ" فكلمة "حَرْبٍ" صفة للجحر إلا أنها جاءت بالجر بدل الرفع تبعية للموصوف.

2- من القرآن الكريم: يعضد الشنقيطي رأيه باعتبار قراءة الجر للمجاورة مستدلا على ذلك بآيات من الذكر الحكيم منها:⁽⁴⁾

قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ يَوْمَ تُحِيطُ﴾ (الآية: 84-هود).

¹ - مفيد قميحة: المعلقات العشر - شرح ودراسة وتحليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 5، 2002، ص : 73.

² - الشنقيطي: أخوة البيان، ج2، ص 12.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص 12-14.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 16.

وقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ يَوْمَ أَلِيمٍ﴾ (الآية: 26-هود).

3- الأحاديث النبوية: يعتبر الشنقيطي أن بيان قراءة النصب بقراءة الجر، على اعتبار أن المعنى المستنبط من الجر يفيد بمسح الرجلين بدل غسلهما، تأباه السنة الصريحة الصحيحة الناطقة بخلافه⁽¹⁾، ويتوعد مرتكبيه بالويل من النار في قوله ﷺ: "وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ"⁽²⁾، ومن الأحاديث الدالة على أن قراءة الجر لا تحمل معنى المسح دون الغسل، حديث النبي ﷺ الذي رواه أمير المؤمنين عثمان بن عفان: "أن رسول الله ﷺ غسل الرجلين في وضوئه، إما مرة أو مرتين أو ثلاث" على اختلاف رواه عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وابن عباس ومعاوية وعبد الله بن زيد والمقداد بن معد يكره⁽³⁾.

كل هذه الأحاديث الشريفة استند إليها الشنقيطي لبيان وجوب غسل الرجلين، وعدم الاكتفاء بمسحهما وأن قراءة الجر لا تفيد المسح منفردا دون الغسل، وقد أورد الشنقيطي بعض آراء العلماء حول قراءة الجر، مما يفيد الاعتماد على القراءات القرآنية في بيان تعدد المعنى في الآية الواحدة، ومن هذه الأقوال في قراءة الجر في هذه الآية وعدم اعتماد الجر بالمجاورة ما يلي:

أ/ المراد بقراءة مسح الرجلين غسلهما: إذ لا مانع في هذا الرأي من كون المراد بالمسح في الأرجل هو الغسل والمراد به في الرأس المسح الذي ليس بغسل لأنهما مسألان كل منهما منفردة عن الأخرى، والعرب تطلق المسح على الغسل أيضا⁽⁴⁾.

ب/ المراد بقراءة الجر المسح مع الغسل: يذهب الطبري في تفسيره أن قراءة الجر يراد بها المسح مع الغسل يعني ذلك باليدين وغيرها⁽⁵⁾.

ج/ المراد بقراءة الجر المسح: ولكن النبي ﷺ بين ذلك أن المسح لا يكون إلا على الخف⁽⁶⁾، والملاحظ من التحليل السابق للآية الكريمة أن الشنقيطي يعتمد على القراءات القرآنية السبعية في تفسيره، ويورد القراءة القرآنية لبيان معاني الآية واستنباط الأحكام الشرعية بالرجوع إلى السياق اللغوي الذي وردت فيه القراءة، إذ اعتبر القراءتين في الآية الواحدة كالأيتين، وقد تكون القراءة

¹ - الشنقيطي، أضواء البيان ج2، ص 17.

² - محمد بن اسماعيل (البخاري)، صحيح البخاري: رقم: 165، دار صادر، بيروت، ط 1، 1425، 2004، ج 1، ص: 44.

³ - ينظر: الشنقيطي: المرجع السابق، ج2، ص 18.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 19.

⁵ - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 8، ص: 188، 189.

⁶ - الشنقيطي: المرجع السابق، ج2، ص 19-20.

وسيلة لحملها على المعنى المتعدد من خلال ذكر آراء العلماء في المسألة، فقد استفاد من عدة معاني من هذه الآية، أهمها:

1- أن قراءة الجر للمجاورة، واستند على صحة ما ذهب إليه أن هذا الأسلوب شائع في كلام العرب، شعره ونثره، وفي كتاب الله من خلال ذكر أمثلة على ذلك، مدعماً رأيه بأحاديث للنبي ﷺ تثبت عدم الاكتفاء بالمسح ووجوب الغسل، مما يدعم الرأي القائل بأن قراءة الجر للمجاورة.

2- المراد بمسح الرجلين غسلهما والعرب تطلق المسح على الغسل.

3- المسح بالدلك مع الغسل، لأن الأرجل أقرب للأرض من الأوساخ فيجتمع الدلك مع الغسل.

4- يراد بها المسح ونبينا الكريم بين أن المسح لا يكون إلا على الخف، كما ذكر سابقاً.

ومن كل ما سبق يتبين لنا دور القراءات في بيان المعنى وتوجيهه واستنباط الأحكام الشرعية والمعاني المختلفة للآية الكريمة، ومدى ترابط أجزاء الآية وتلاحمها من أجل الكشف عن كل هذه المعاني.

النموذج الثاني: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَحَمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (الآية: 17-23-سورة الواقعة).

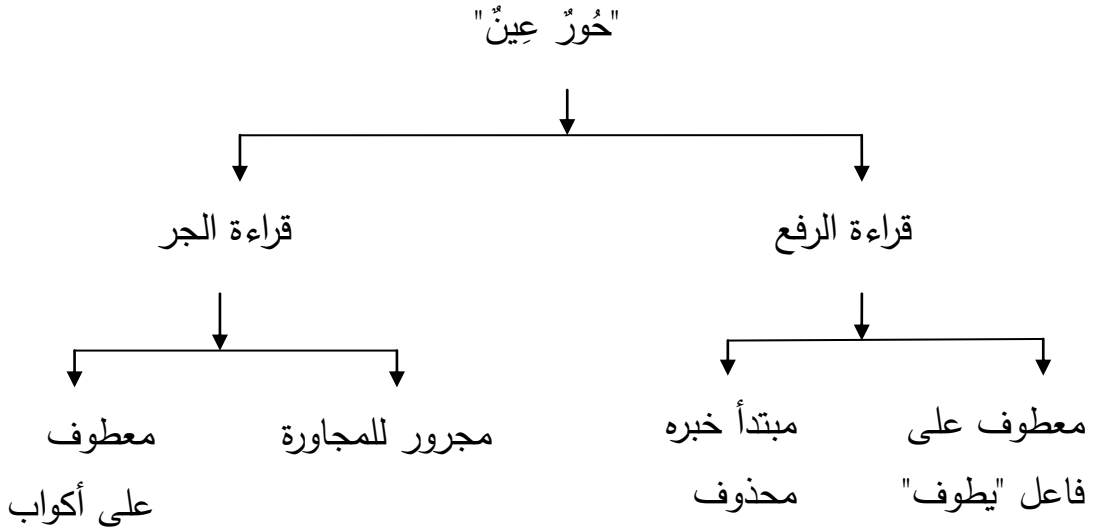
من القراءات التي تعددت وتنوعت فيها معنى الآيات قراءة "حُورٌ عِينٌ" بالرفع وبالجر، فقراءة حمزة والنسائي ورواية المفضل عن عاصم بالجر لمجاورتها لأكواب وأباريق، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (الآية: 21-الواقعة)، وذكر الشنقيطي أن قوله تعالى: "وَحُورٌ عِينٌ" حكمه الرفع، وللعلماء في الرفع قولان: (1)

القول الأول: قيل هو مرفوع على أنه معطوف على فاعل "يَطُوفُ" الذي هو ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (الآية: 18-الواقعة).

القول الثاني: قيل هو مرفوع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل عليه المقام أي وفيها حُورٌ عِينٌ.

بين المعطوف والمعطوف عليه آيات تماسكت عطفاً على بعضها وتراپطت دلالاتها، ومن دراسة الشنقيطي للقراءتين يتبين لنا تنوع المعاني المستنبطة منهما وهي كالآتي:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخواء البيان، ج2، ص 14.



ففي قراءة الرفع يذكر الشنقيطي أن الذي يرد القول بالعطف على "وَلَدَانٌ مُّحَلَّدُونَ" (الآية: 18- الواقعة)، في قراءة الرفع، لأنه يقتضي أن الحور يطفن عليهم كالولدان، والحور العين لا يطاق بهن لقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ﴾ (الآية: 72- الرحمن) ⁽¹⁾، فيكون السياق القرآني موجها لمعاني القراءة بالرفع، لأن القرآن يفسر بعضه بعضا.

وفي قراءة الجر، يذهب الشنقيطي إلى أنه للمجاورة، خلافا لمن اعتبر في قراءة الجر: إن العطف على أكواب، أي يطلق عليهم بأكواب وبحور عين، والحور العين لا يطاق بهن مع الشراب لقوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ﴾ (الآية: 72- الرحمن) ⁽²⁾، ومما هو ملاحظ أيضا أن الشنقيطي يستعين بالسياق القرآني العام لبيان معنى قراءة من القراءات، والدلالة المستنبطة من كل قراءة سواء قراءة الرفع أو الجر، وطريقته في التحليل كانت كالآتي:

- 1- بيان أن في الآية قراءتين من القراءات السبعية.
- 2- بيان القراءة الأولى، بالرفع وهي الأصل لأنها عن عاصم، وهي القراءة المعتمدة في تفسيره.
- 3- يبين أقوال العلماء في الإعراب وفق قراءة الرفع، وأن هناك قولين، وكل قول مرده المعنى المستنبط من القراءة.
- 4- يحرص على بيان القراءة الثانية، بالجر، ويبين القراء الذي ذهبوا إلى هذه القراءة.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص 15-16.

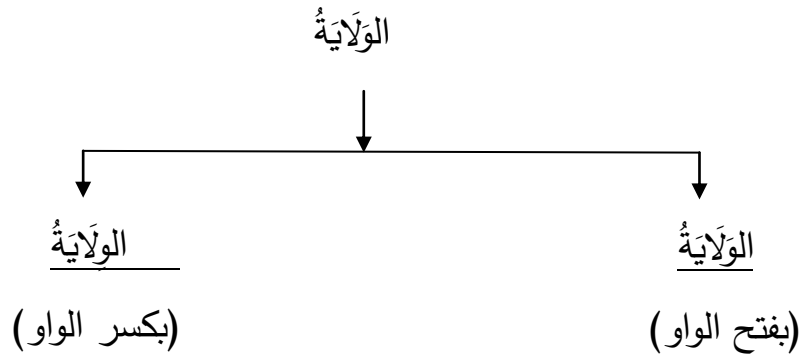
² - المرجع نفسه، ج2، ص 15.

5- يبين أيضا أقوال العلماء واختلافهم في الإعراب وفق هذه القراءة، وهذا الاختلاف تبرره المعاني المستنبطة من كل إعراب.

6- ينتصر لقول في كل قراءة من القراءتين، ويعتمد على السياق القرآني العام لدحض رأي أو الانتصار لآخر.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (الآية: 43-44).

يذكر الشنقيطي في بداية تفسيره لهذه الآيات أن في الآية قراءات سبعة وأقوالا لعلماء التفسير، بعضها يشهد له القرآن الكريم⁽¹⁾، إذ للسياق القرآني العام دور في إبراز المعنى الذي جاءت به القراءة السبعية، ففي قوله تعالى: "الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ" قراءتان كلاهما سبعية:



يحرص الشنقيطي على بيان معنى الآية من خلال كل قراءة من القراءات السبعية، مبينا أن هذه المعاني يشهد لكل واحد منها القرآن الكريم، فقد جاء تفسيره لهذه الآية كالتالي:

أ/ القراءة السبعية الأولى (قراءة فتح الواو-الْوَلَايَةُ): ذكر أولا المعنى اللغوي لكلمة الْوَلَايَةُ، وهي الموالاتة والصلة⁽²⁾، وذكر بعدها أن على هذه القراءة في معنى الآية وجهان:

الوجه الأول: أن معنى "هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ" أي في ذلك المقام وتلك الحال تكون الولاية من كل أحد لله، لأن الكافر إذا رأى العذاب رجع إلى الله⁽³⁾، وقد كان السياق العام دليلا ومستندا استند إليه الشنقيطي لبيان هذا الوجه من المعنى، ومن هذه الآيات القرآنية:

¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج2، ص 137.

² - المرجع نفسه، ج4، ص 137.

³ - المرجع نفسه، ج4، ص 137.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (الآية: 84-غافر).
 وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلَا بَلَّغْنَاكَ الْغَايَةَ وَتَقُولُ سَوَاءٌ﴾ (الآية: 90-91-يونس)، وغيرها من الآيات⁽¹⁾، والملاحظ في هذا الوجه من المعنى أنه لم يخرج في تحديده عن النص القرآني العام.

الوجه الثاني: أن الولاية في مثل ذلك المقام وتلك الحال لله وحده فيوالي فيه المسلمين ولاية رحمة⁽²⁾، ودليله على هذا المعنى المستنبط من هذه القراءة النص القرآني في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الآية: 257-البقرة).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (الآية: 11-محمد)، والملاحظ من المعنى المستنبط من هذه القراءة السبعية أنه لم يخرج في تحديده وبيانه من النص القرآني العام، إذ للسياق القرآني العام دور في بيان الأوجه المختلفة للمعاني المستنبطة من القراءة القرآنية.

ب/ القراءة السبعية الثانية: (قراءة كسر الواو-الولاية) وهذه القراءة هي قراءة حمزة والكسائي كما ذكر الشنقيطي وعلى هذه القراءة يكون المعنى: الملك والسلطان⁽³⁾، ومن الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (الآية: 16- غافر).
 وقوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وغيرها من الآيات التي ذكرها الشنقيطي⁽⁴⁾.
 يتبين من المعنى المستنبط من هذه القراءة أن السياق القرآني العام كان عاملاً أساسياً في تحديده، والملاحظ من طريقة الشنقيطي في ذكره للقراءة السبعية في تفسيره أنه يعتمد على منهج في للتفسير، وقد كان في هذه الآية كالاتي:

1- يحرص على بيان أن في الآية أكثر من قراءة سبعية.

2- ينسب كل قراءة لصاحبها أو أصحابها.

3- يبين المعنى اللغوي لقراءة كل لفظ.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج4، ص 137.

² - المرجع نفسه، ج4، ص 138.

³ - المرجع نفسه، ج4، ص 138.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 138.

4- يذكر الأوجه المختلفة للمعنى وفق كل قراءة.

5- يحرص على بيان أن كل هذه القراءات وأوجه المعنى المستنبطة من خلالها باعتبارها قراءات سبعية، فإن لها ما يبررها من آيات الذكر الحكيم، حرصاً من الشنقيطي على بيان انسجام وملاءمة هذه المعاني من السياق القرآني العام.

وإذا عدنا إلى تفسير أضواء البيان نجد الكثير من القراءات القرآنية السبعية الواردة في تفسيره، كانت عاملاً أساسياً في إيضاح تعدد المعنى في الآية الواحدة، مستعينا في ذلك على السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الآية، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِحَيْجٍ﴾ (الآية: 05-الحج) في قراءة "وَرَبَّتْ" "وَرَبَّتْ" (1).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الآية: 80-الأنبياء) ففي قوله تعالى: "لِيُحْصِنَكُمْ" ثلاث قراءات سبعية (2)، وغيرها من الآيات القرآنية.

ب/ بيان المعنى الواحد من القراءات السبعية المتعددة أو بالقراءة القرآنية الثانية:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (الآية: 17-الكهف).

في قوله تعالى: "تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ" يذكر الشنقيطي في بداية حديثه عن هذا الجزء من الآية، التعريف اللغوي للفظ "تزاور" بقوله: أصل مادة التزاور الميل، فمعنى تزاور، تميل، والزور: الميل، ومنه شهادة الزور، لأنها ميل عن الحق، ومنه الزيارة، لأن الزائر يميل إلى المنزل (3)، والملاحظ عن الشنقيطي أنه لم يذكر المعاجم اللغوية التي ذكرت هذه المعاني، ويستشهد على صحة المعنى اللغوي الذي جاء به بأبيات من الشعر العربي القديم (4).

1- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج5، ص 40.

2- المرجع نفسه، ج4، ص 841.

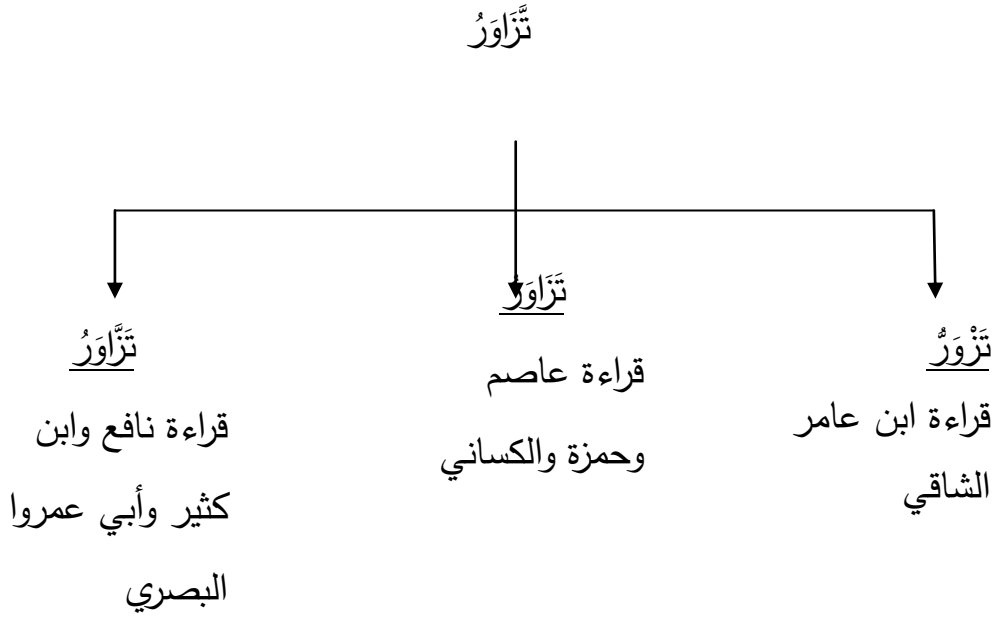
3- ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 49.

- ينظر: ابن فارس (أبي الحسن أحمد)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط1399-1979، ج3، ص 36.

4- ينظر: -الشنقيطي، المرجع السابق، ج4، ص 49.

ويعتبر الاستشهاد بأبيات من الشعر العربي من قبيل التوجيه اللغوي والبياني للقراءات القرآنية، وهي من باب الدليل على اللغة التي جاءت بها هذه القراءة، فرى هنا الشنقيطي استشهاد بقول عمر بن أبي ربيعة في توجيه معنى القراءات.

وذهب الشنقيطي أن الآية الكريمة "تَزَاوُرُ عَن كَهْفِهِمْ" فيها ثلاث قراءات سبعة: (1)



فالقراءة الأولى "تَزَاوُرُ" بمعنى "الميل".

أما على القراءة الثانية "تَزَاوُرُ" أصلها تَتَزَاوُرُ، فحذفت منها إحدى التاءين.

أما على القراءة الثالثة: "تَزَاوُرُ" وأصله تَتَزَاوُرُ أدغمت فيها التاء في الزاء (2)، قال الشنقيطي عند توجيه معنى القراءتين الأخيرتين: "وعلى هاتين القراءتين أعني قراءة حذف إحدى التاءين، وقراءة إدغامها في الزاي فهو من التزاور بمعنى الميل أيضا" (3).

مما سبق يتبين أن الشنقيطي قد اتبع في تفسيره للآية ما يلي:

1- يعتمد إلى المعنى اللغوي والأصل الجامع بين القراءات المختلفة للفظ (تزاور) الوارد في الآية، دون ذكر المعاجم التي أخذ منها.

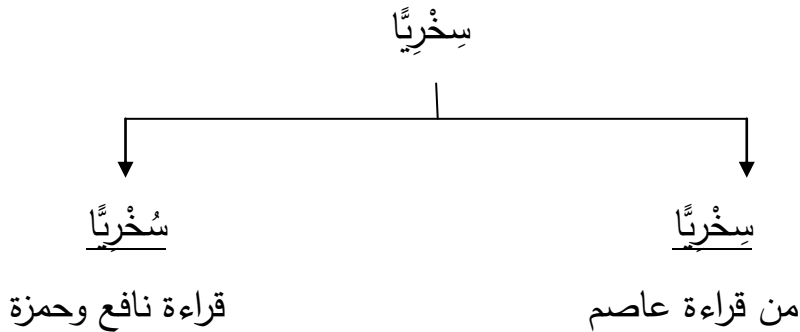
1- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 50.

2- المرجع نفسه، ج4، ص 50.

3- المرجع نفسه، ج4، ص 50-51.

- 2- ذكر المعاني الثانوية للفظ (تزاور) في المعاجم العربية.
 - 3- يستشهد على هذه المعاني بيت من الشعر.
 - 4- بيان القراءات القرآنية السبعية للآية، وينسب كل قراءة لأصحابها.
 - 5- بيان المعنى الواحد والجامع المستنبط من القراءات المتعددة.
- والملاحظ من تفسير الشنقيطي لهذه الآية: أنه على الرغم من اعتبار القراءة القرآنية السبعية بمثابة آية ثانية، فتصبح كل قراءة تحمل معنى غير المعنى الأول إلا أن اتحاد المعنى في هذه القراءات الثلاث جعل منها نصا واحدا يحمل دلالة موحدة، لا اختلاف بين قراءة وقراءة إلا في الجانب الصوتي الأدائي للفظ.
- النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (الآية: 109-110-المؤمنون).

يذكر الشنقيطي أن في قوله تعالى: "فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا" قراءتين: (1)



يسرد الشنقيطي اختلاف العلماء حول معنى كلمة "سحريا" فهناك من يجعل معناها واحد على القراءتين، وهناك من يفرق بين معناها على اختلاف القراءة السبعية، وهي كالآتي:

القراءة الأولى: سِحْرِيًّا، بمعنى الاستهزاء.

القراءة الثانية: سِحْرِيًّا، من التسخير الذي هو التذليل والعبودية⁽²⁾.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج5، ص 905.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 905.

فعلى المعنى الأول: وهو سخرية الكفار واستهزاؤهم بضعفاء المؤمنين، وعلى المعنى الثاني: هو أن الكفار يسخرون ضعفاء المؤمنين ويستعبدونهم، وإلى الرأي القائل باختلاف المعنى باختلاف كل قراءة يذهب كل من الكسائي والفراء⁽¹⁾، إلا أن الشنقيطي يذهب إلى خلاف ذلك، إذ يجعل المعنى واحداً على الرغم من اختلاف القراءة في لفظ "سخرى" بين ضم السين وكسرها، والمعنى الذي يذهب إليه هو: سخرية الكفار واستهزاؤهم بضعفاء المؤمنين⁽²⁾، ودليله على ما ذهب إليه هو استقصاء كلام العرب إذ السخري بالضم والكسر مصدر سخر منه، إذ استهزأ به على سبيل الاحتقار⁽³⁾، وياء النسب: زيادة في الفعل كما قيل في الخصوصية بمعنى الخصوص⁽⁴⁾، ومعناه: أن الياء المشددة في آخره تدل على زيادة سخرهم منهم ومبالغتهم في ذلك⁽⁵⁾.

ودليله أيضاً مراعاة السياق القرآني العام، إذ المعنى الذي ذهب إليه الشنقيطي أشار له الله عز وجل في مواضع من كتابه الحكيم منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ (الآية: 29-30-المطففين)، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَّوْنَا إِلَيْهِ﴾ (الآية: 11-الأحقاف) وكل ذلك احتقار منهم لهم⁽⁶⁾.

مما سبق يتبين أن الشنقيطي جعل المعنى واحداً على الرغم من اختلاف القراءة بين الأولى والثانية للفظ "سخرى"، إذ بدأ بذكر الأصل اللغوي للكلمة، وبعدها بين المعنى المشترك بينهما، وأن للعلماء في معنى الكلمة قولين، وذكرهما، إلا أنه ينتصر للقول بأن المعنى واحد، مستدلاً على ذلك بالمعنى اللغوي للكلمة ومصدرها، ومعتمداً على السياق القرآني العام في سورة أخرى، أشار فيها الله عز وجل لاستهزاء الكفار بالمؤمنين.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج5، ص 905.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 905.

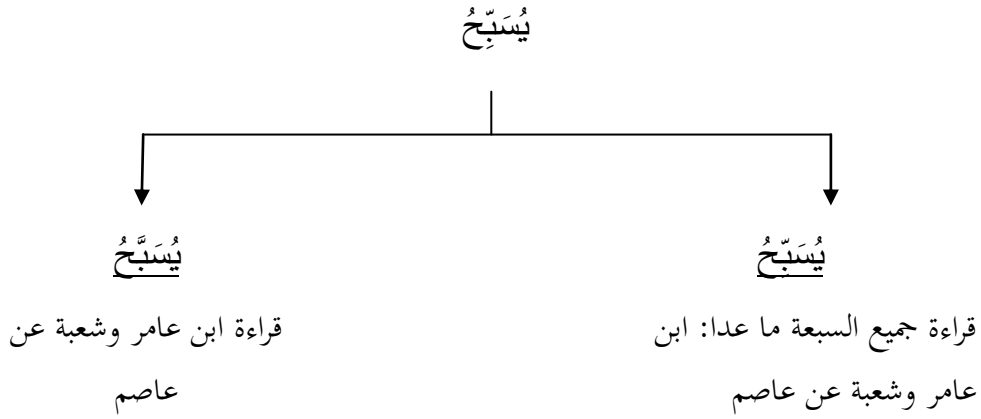
³ - ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 905.

⁴ - الرمخشي: الكشاف، ج4، ص 252.

⁵ - الشنقيطي: المرجع السابق، ج5، ص

⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 905.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الآية: 36-37-النور)، تعتبر هذه الآية من الآيات التي اعتمد عليها الشنقيطي لتفسيرها على قراءة ثانية، إذ عنده القرآن يفسر بعضه بعضا والقراءة مبينة لمعنى القراءة الثانية وعاملا لتوضيح معناها، باعتبارها قراءة متواترة. يذكر الشنقيطي أن في الآية الكريمة قراءتين:



القراءة الأولى: "يُسَبِّحُ": يُسَبِّحُ مبنياً للفاعل وفاعله رجال، والمعنى واضح على هذه القراءة. **القراءة الثانية:** "يُسَبِّحُ": يُسَبِّحُ مبنياً للمفعول وعلى هذه القراءة فالفاعل المحذوف كما يذكر الشنقيطي قد دلت عليه القراءة الأولى على تقديره: رجال⁽¹⁾.

يذكر الشنقيطي في تقدير المعنى على القراءة الثانية كأنه لما قال: يسبح له فيها، قيل ومن يسبح له فيها؟ قال رجال، أي: يُسَبِّحُ له فيها رجال⁽²⁾، فكانت القراءة الأولى قرينة سياقية استعان بها الشنقيطي لبيان المعنى في القراءة الثانية.

فقراءة (يُسَبِّحُ) بالكسر وفاعله رجال، مبينة أن الفاعل المحذوف في قراءة الفتح يُسَبِّحُ مبنياً للمفعول، لحذف الفاعل في هذه القراءة⁽³⁾، وهو أسلوب عربي مطرد في الاستعمال ويستدل على هذا بأقوال أهل النحو، مستشهدا بأبيات من عيون الشعر العربي⁽⁴⁾.

من خلال تفسير الشنقيطي لهذه الآية يتبين لنا أنه اعتمد على الآتي في تفسيرها:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج6، ص 251-252.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص 252.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص 252.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص 252.

- 1- بيان القراءات المختلفة لألفاظ الآية ومحل الاختلاف بين القراءات السبعية.
- 2- بيان المعنى في القراءة الأولى.
- 3- بيان المعنى في القراءة الثانية انطلاقاً من القراءة الأولى فيكون القرآن مفسراً بعضه لبعض.
- 4- تقدير المحذوف على القراءة الثانية انطلاقاً من القراءة الأولى.
- 5- ذكره أن الآية يبين بعض القراءات فيها معنى قراءة أخرى باعتبار أن القراءتين في الآية الواحدة كآيتين، وهنا يظهر التعالق والترابط والتماسك بين القراءات القرآنية وكأنها في سياق نص واحد يبين بعضه معنى بعض.
- 6- تأكيد أن هذا الأسلوب من أساليب اللغة العربية، وقد ذكره النحاة في كتبهم ونسج على منواله شعراء العرب القدامى.

ثانيا : السياق الخارجي (المقامي أو غير اللغوي):

يعد السياق الخارجي تلك العوامل والملابسات والظروف التي تحيط بالنص وتُصاحبه أثناء إنتاجه، ويستعين مفسر النص بمثل هذه العوامل جميعها من أجل تحديد الدلالات النصية لكلام الله، ويسمى أيضا السياق غير اللغوي أو الحال، ففي هذا الجزء نتناول مدى اعتماد الشنقيطي على الظروف المحيطة بالنص من عناصر السياق غير اللغوي ودوره في بيان دلالة النص القرآني وتشكل المعنى وكيف تسهم عناصر السياق الخارجي في تماسكه، لأن العناصر التي تشكل المعنى النصي مختلفة ولا تقتصر على العناصر اللغوية فقط، فعدم الاهتمام بالسياق الخارجي وعزل النص عن هذا السياق كان من المآخذ التي أخذت عن البنيويين، لأن هذا الأمر قاد إلى عدم الفهم الواقعي للنصوص⁽¹⁾، فمعرفة السياق الخارجي والظروف المحيطة بالنص تساعد مفسر النص القرآني على إيضاح المعنى بدقة وبيان علاقة النصوص بعضها ببعض، بل تتعداها إلى كل ما له علاقة بالنص القرآني.

1- السياق الخارجي عند العلماء القدامى:

لقد وعى علماء البلاغة العربية والنحويون وعلماء الأصول والمفسرون أثر سياق الموقف في دلالة الكلام وتوجيه المعاني وتشكيلها على ذلك بصور شتى، فقد حدّدوا فائدته على نحو دقيق، وعم الذين سمّوه (المقام) وجعلوا لكلّ مقام مقالا، ويسمون المواقف الاجتماعية المرتبطة بالنص مقاما، واعتبر "تمام حسان" القرائن الحالية هي القرائن ذات الفائدة الكبرى في تحديد المعنى⁽²⁾، فقد أولوا الظروف المحيطة بالنص والجوانب الاجتماعية اهتماماً فريداً؛ لأنّ تحليل المعاني على مستوى البنى اللغوية الأربع يعطينا المعنى السطحي بعيدا عن المعاني العميقة المستنبطة من هذه الظروف السياقية غير اللغوية، وسنذكر هذه الزمر العلمية العربية القديمة واهتمامها بالسياق الخارجي للنص باختصار:

أ: السياق الخارجي عند علماء البلاغة :

لقد حضر السياق الخارجي في دراسات البلاغيين بعمق وكان متأصلا وشديد الوضوح عندهم لأهميته في دراسات النصوص العربية ونقدها، واعتبر من أهم المعايير البلاغية والآليات

(1) المهدي إبراهيم الغويل ، السياق وأثره في المعنى ، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، ليبيا ، ط 2011، ص 110.

(2) تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 338 .

المعتمدة لتمحيص النصوص وبيان حسنها وبلاغتها ومدى تعالقها، وحددوا فائدته على نحو فريد، وإذا تتبعنا تراثنا البلاغي القديم نجد أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال من معايير الحسن والجمال الأسلوبية في علم المعاني، ولقد اختصروا ذلك في قولهم: لكل مقام مقال، ولقد أوجب ابن قتيبة مراعاة الحال حيث يرى بأن على الكاتب أن تكون ألفاظه "على قدر الكاتب والمكتوب إليه وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس خسيس الكلام"⁽¹⁾، وفي هذا الصدد يقول تمام حسان مبينا أسبقية علماء البلاغة في دراستهم لسياق الموقف على غيرهم من اللسانيين المحدثين: "لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"⁽²⁾، ولقد اشترط البلاغيون موافقة الكلام لمقتضى الحال، ولهم في ذلك مقولتان من جوامع الكلام في هذا الاختصاص وهما: " لكل مقام مقال" و " لكل كلمة مع صاحبها مقام"⁽³⁾، وكلام البلاغيين عن "موافقة الكلام لمقتضى الحال" فيه إشارة واضحة إلى السياق غير اللغوي والدور الذي يلعبه في العملية التواصلية التي تتم عن طريق اللغة .

والملاحظ أن فكرة البلاغيين تبدأ بالمقال وتنتهي بالمقام بشرط المطابقة بينهما لتحقيق الفصاحة، والغريون تبدأ نظريتهم بالحال أو الموقف (المقام) وتنتهي بالنص (المقال) عن طريق التحليل للوصول إلى المعنى،⁽⁴⁾ وهذا المعتمد في الدراسات النصية وفي تحليلنا لمدى اعتماد الشنقيطي على السياق الخارجي باعتباره وسيلة بيان المعنى وتحقيق ترابط النصوص وتماسكها .

ب - السياق الخارجي عند علماء النحو العربي:

لم يقتصر النحاة العرب في دراسة اللغة على بنية النص الداخلية ولم يتعاملوا معه على أساس أنه منعزل عن العوامل الخارجية المؤثرة فيه، كما "فطنوا إلى أن الكلام له وظيفة ومعنى في عملية التواصل وإن هذه الوظيفة وذلك المعنى لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام وما فيه من

¹ ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط 1، 1982، ص 18.

² تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 337.

³ ينظر: أسعد خلف العوادي، سياق الحال في كتاب سيبويه - دراسة في النحو والدلالة، دار الحامد، عمان، الأردن، ط 1، 1432-2011، ص 26.

⁴ المرجع نفسه، ص: 29.

شخص وأحداث، فقد ظهر هذا كله في دراستهم وإن لم ينصوا عليه مبدأ من مبادئ التقييد أو أصلاً من أصول نظريتهم اللغوية⁽¹⁾.

والدارس للتراث النحوي بعمق يتبين له "أن معاني النحو وأصوله ليست كما يتوهم كثير من الناس قوالب جامدة أو مقاييس محددة... بل إنها مع كونها تقوم على أسس عقلية ومنطقية، فإنها ترعى الجوانب الفنية والأحوال النفسية لدى من ينشئ الكلام تعتد بتقدير المنشئ لحال من يتلقى عنه ويأخذ منه"⁽²⁾، وقد تنبه سيبويه إلى دور السياق الخارجي في توجيه المعنى، إذ لم ينظر للنحو العربي نظرة بنيوية لغوية خالصة، ولم يقص العوامل الخارجية وما لها من وظيفة في اللغة، فسيبويه "منذ ذلك العهد المبكر يفرغ إلى السياق والملابسات الخارجية وعناصر المقام ليرد ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة لأصول النحو طلباً للاطراد المحكم، وهو يوافق فيما صدر عنه في الكتاب ملاحظات كثيرة مما تنبني عليه الوظيفة ومناهج التوسيع أو اللغويات الخارجية بعبارة دي سوسير⁽³⁾، ومن أمثلة اهتمام سيبويه بالسياق الخارجي بيانه العلاقة بين المتكلم والمخاطب وما ينتظره المخاطب من المتكلم⁽⁴⁾، وفي حديثه عن الحذف يفرغ إلى السياق والملابسات الخارجية وعناصر المقام⁽⁵⁾.

وإذا نظرنا إلى أقوال سيبويه في كتابه التي تعود إلى أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي، يتضح أن أستاذه يعد من أوائل النحاة الذين اهتموا بعناصر سياق الموقف المتمثلة في المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما وعلم المخاطب بالمعنى⁽⁶⁾، فالخليل وسيبويه وغيرهما من نحاة العربية لم يفصلوا الدراسات النحوية عن محيطها الخارجي بل اعتبروها أداة إنسانية لها وظيفة تواصلية تتفاعل مع محيط الإنسان وظروفه والمقام الذي فيه، إذ يصفها ابن جني اللغة على أن "حدّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽⁷⁾.

1- ينظر: كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي (مدخل)، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط 1994، ص 66.

2- أحمد عبد الستار الجوّاري، نحو المعاني، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط 1987، ص 33.

3- نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1980، ص 88.

4- سيبويه (عمرو بن عثمان بن قيس): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988، ج 1، ص 48.

5- أسعد خلف العوادي، سياق الحال في كتاب سيبويه، ص 50.

6- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط 1981، ص 332.

7- ابن جني: الخصائص، ج 1، ص: 87.

ج- السياق الخارجي عند المفسرين:

إذا نظرنا إلى جهود المفسرين في إيضاح المعاني القرآنية نجد أن الظروف المحيطة بالنص القرآني اعتبرت آلية من آليات البيان التي اعتمدها في تفاسيرهم، وبها استنبطوا الأحكام الشرعية، لأن معرفة هذه الظروف تساعد المفسر في الوقوف على المعنى القرآني بدقة وقد "اشتروا على من يتقدم لتفسير القرآن الكريم شروطاً هي من عناصر السياق الخارجي منها أسباب النزول"⁽¹⁾، وقد اعتنوا به لأنه يساعدهم على فهم معاني الذكر الحكيم، وإذا اعتبرنا أسباب النزول أهم عناصر السياق الخارجي التي اعتمدها المفسرون لإيضاح المعاني القرآنية، فهناك عناصر خارجية أخرى استعان بها المفسرون والتي أسهمت في توجيه الدلالة لديهم منها: معرفة المكي والمدني والحديث النبوي الشريف، وهي من أهم عناصر السياق الخارجي والتي سيكون لنا وقفة معها في كتاب أضواء البيان، لمعرفة مدى اعتمادها من طرف الشنقيطي باعتبارها آلية بيان المعنى للوصول إلى إيضاح الحبك النصي بين آياته وسوره من خلال تفسيره.

2- عناصر السياق الخارجي ودورها في الحبك النصي من خلال كتاب أضواء البيان::

2-1- أسباب النزول:

تعد أسباب النزول من أهم عناصر السياق الخارجي لما لها من فائدة في توجيه الدلالة عند المفسرين عامة، لأن أسباب النزول تمثل الرابط بين النص القرآني والواقع الذي نزل فيه هذا النص ويعتقد الواحدي -رحمه الله- أنه لا يمكن "تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"⁽²⁾، واعتبر الشاطبي -رحمه الله- معرفة أسباب النزول من الضوابط المعتبرة في فهم النص القرآني وآياته، حيث قال: "معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف بعلم إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب أو الجميع... ومعرفة الأسباب رافعة كل مشكل في هذا النمط، ومعرفة السبب هو معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه: الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع

¹ - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 13.

² - الواحدي: أسباب النزول، ص 04.

في الشبه والإشكالية، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف⁽¹⁾، ويقرر ابن تيمية -رحمه الله- أن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب⁽²⁾، فمن أجل فهم المعاني القرآنية بدقة وربط بعضها ببعض وإبراز معاني الآيات والعلاقات الرابطة بينها لا بد من معرفة أسباب النزول، ولفهم أعمق نبين مدى اعتماد الشنقيطي على أسباب النزول في تفسيره، باعتبارها من أهم آليات السياق الخارجي:

أ/ أهمية أسباب النزول في توجيه الدلالة القرآنية:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الآية: 01-سورة النحل).

تتبع الشنقيطي المعاني التي حملتها هذه الآية واستحضر أقوال العلماء فيها، وبعد التحقيق في الدلالات المختلفة يذكر المعنى الذي رجحه استنادا للسياق الخارجي متمثلا في أسباب نزول هذه الآية، يقول الشنقيطي: لقد عبر بصيغة الماضي تنزيلا في قوله تعالى: "أَتَى" تنزيلا لتحقيق الوقوع منزلة الوقوع وهذا الأسلوب اللغوي موجود في آيات الذكر الحكيم، إذ يكون التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه⁽³⁾، منها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ (الآية: 51-يس).

يذكر ابن كثير أن الضمير في قوله: "فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ" في تفسيره وجهان:

أحدهما: أنه العذاب الموعد به يوم القيامة، المفهوم من قوله: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ"

والثاني: أنه يعود إلى الله، أي لا تطلبوا من الله أن يعجل لكم العذاب⁽⁴⁾.

وكلاهما يمثل الرأي الأول في تفسير قوله تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ" أي: العذاب.

أما الرأي الثاني: فيذهب إلى أن معنى قوله تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ" أي فرائضه وحدوده⁽⁵⁾.

واختار الشنقيطي الرأي الأول في قوله تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ" أي العذاب وهو تهديد للكافرين بأن عذاب النار قد اقترب، معتمدا على دليل من السياق الخارجي، وهو سبب نزول هذه الآية،

¹ الشاطبي: الموافقات، أبو إسحاق بن موسى الغرناطي الشاطبي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417، ج4، ص 146.

² محمد عمر بازمول، شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، الدار الأثرية، عنابة، الجزائر، ط1، 1424-2003، ص 56.

³ ينظر: الشنقيطي، أخواء البيان، ج3، ص 253.

⁴ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص 555.

⁵ ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج3، ص 255.

وفي هذا يورد الشنقيطي قول القرطبي سبب نزول هذه الآية، إذ يقول قال ابن عباس: لما أنزلت ﴿اقتربت الساعة وأنشق القمر﴾ (الآية: 01-القمر) قال الكفار: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون، فأمسكوا فانظروا فلم يروا شيئاً، فقالوا: ما نرى شيئاً، فنزلت: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ (الآية: 01-الأنبياء). فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فامتدت الأيام فقالوا: ما نرى شيئاً، فنزلت: "أتى أمر الله"، فوثب رسوله الله ﷺ والمسلمون وخافوا فنزلت: "فلا تستعجلوه" فاطمأنوا⁽¹⁾.

والتحقيق عند الشنقيطي أنه وجه الدلالة صوب الرأي الأول، فانطلاقاً من معطيات السياق الخارجي ضعف رأياً وانتصر لآخر وأوضحه بسياق سبب النزول للآية، الذي كان آلية ومعياراً قوياً يميز به بين الأقوال، فكان السياق الخارجي متمثلاً في سبب النزول له الدور المهم في فهم النص القرآني وبيان أسراره، فالعبرة في أن المعنى ابتداء يتحدد فيما نزلت فيه الآية، فسبب النزول قد أزال اللبس الحاصل في الآية بين المفسرين وهو أن قوله تعالى: "أتى أمر الله" أي العذاب، فابن عباس رتب الآية الكريمة بسبب نزولها بحيث وضعها في سياقها، وجعل السياق المقالي في رباط محكم مع السياق المقامي لإنتاج الدلالة وتحديد مراد الله تعالى من الآية، وتبعه في ذلك الشنقيطي، ولم يكن هدفه الوقوف عند سبب النزول ولا تقييد الآية به وإنما من أجل التدقيق في المعنى من خلال الربط بين الكلام والموقف الخارجي، لأنه لا يمكن فصلهما، إذ بترابطهما يصل المفسر إلى الفهم الدقيق للآية أو الآيات وبهذه الطريقة تظهر وحدة النص ويتماسك عالم النص بالتقاء السياق اللغوي (البنية اللغوية للآية أو الآيات) مع السياق غير اللغوي (أسباب النزول) دون تقييد وبهذا يدرك المعنى كاملاً ودقيقاً، دون توقف المعنى في زمن نزول الآية ولا عند سبب نزولها، إذ المعاني متجددة ولا تخص المشركين زمن نزول الآية فقط، بل تتعداها لكل من استعجل هذا الأمر.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ (الآية: 196-البقرة).

تحدث الجرجاني في بداية تفسيره لهذه الآية وقسم أقوال العلماء حول المراد بالإحصار في هذه الآية إلى أربعة أقوال:⁽²⁾

¹ - ينظر: - أخوة البيان، الشنقيطي، ج3، ص 254.

- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص 267.

² - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج1، ص 145-156.

القول الأول: هو أن يصد العدو المحرّم ومنعه من الطواف بالبيت، أي المقصود به، حصر العدو خاصة دون المرض ونحوه، فمن أحصر بمرض ونحوه فلا يجوز له التحلل حتى يبرأ من مرضه ويطوف بالبيت ويسعى.

القول الثاني: أن المراد بالإحصار أنه يشمل ما كان من عدو ومرض ونحوه من جميع العوائق المانعة من الوصول إلى الحرم مستندا إلى حديث رسول الله ﷺ يقول فيه: "من كُسر أو عرّج فقد حلّ وعليه حجة أخرى" (سنن الترمذي 940).

القول الثالث: أن المراد بالإحصار أنه ما كان من إمراض ونحوه خاصة، دون ما كان من العدو. **القول الرابع:** وهو ضعيف جدا بالنسبة للشنقيطي، وهو أنه لا إحصار بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

يتضح من تفسير الشنقيطي لهذه الآية حرصه على ذكر كل الأقوال على اختلافها في المراد بالإحصار، كما يبين الأساس الذي بني عليه كل ذي قول قوله، حتى يتبين مبنى الخلاف عند هؤلاء العلماء، وعند ذكره لهذه الأقوال يعقبها بالرد عليها وبيان ضعفها، أو سبب انتصاره للقول الأول دون الأقوال الثلاثة المتبقية، ففي القول الثاني الذي استند أصحابه إلى حديث للنبي صلى الله عليه وسلم في أن الإحصار يشمل المرض والعدو وجميع العوائق، يذكر الشنقيطي أن الحديث الشريف يتعلق بمن يشترط في إحرامه أنه يحل حيث حبسه العذر أما القول الثالث فقد رده الشنقيطي استنادا إلى السياق الخارجي متمثلا في أسباب نزول الآية الكريمة والتي ارتبط نزولها بالإحصار من العدو، أما القول الرابع فيعتبره ضعيفا جدا ولا يعول عليه لأن الإحصار منصوص عليه في السنة النبوية وفي القرآن الكريم.

وانتصر للقول الأول القائل بأن المراد بالإحصار حصر العدو للمحرم، دون المرض ونحوه، وقد استند على آليات السياق المختلفة وغيرها لبيان صحة ما ذهب إليه وهي كالآتي:

1/ السياق الخارجي: (سبب النزول) وهو من أهم الآليات التي اعتمدها لترجيح هذا القول دون الأقوال الأخرى إذ قد ربط هذه الآية بسياقها المقامي من أجل الفهم الدقيق لها، فالسياق الخارجي هنا أزال اللبس الحاصل في معنى الإحصار في هذه الآية، ويكون بذلك قد ربط بين السياقين الداخلي (اللغوي) والخارجي (أسباب النزول) لفهم أعمق وأدق لمعنى الآية الكريمة.

لأن الآية الكريمة: "فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ" نزلت في صد المشركين للنبي ﷺ وأصحابه وهم محرمون بعمره الحديبية⁽¹⁾.

ومن السياق الخارجي الذي اعتمده الشنقيطي لبيان المعنى الدقيق للآية، نجده يذكر ما ورد من الآثار في أن المحصر بمرض ونحوه لا يتحلل إلا بالطواف والسعي، من ذلك ما رواه الشافعي والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لا حصر إلا حصر العدو" قال النووي إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم⁽²⁾، ومن المعلوم أن هذه الآثار تدرج ضمن معطيات السياق الخارجي في توجيه المعنى النصي والدلالة التركيبية للآية، فأسهمت في تشكيل المعنى النصي وبيانه.

2/ السياق الداخلي (اللغوي): متمثلاً في سياق الآية الكريمة وما له دور في تحديد المعنى النصي وتدقيقه، ويبرز في قوله تعالى: "فَإِنْ أَمِنْتُمْ" وهو دليل عند الشنقيطي على أن الإحصار في الآية في إحصار العدو⁽³⁾، وهو سياق بعدي استند إليه الشنقيطي أيضاً أن الإحصار المذكور هو إحصار العدو، إذ "حمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن، لأنه أوفق للنظم وأليق بالسياق"⁽⁴⁾.

من التحليل السابق نستطيع أن نرسم المنهج الذي اتبعه الشنقيطي لبيان المعنى للوصول إلى الترجيح الفقهي في المسألة المطروحة، فكان كالاتي: معتمداً على السياق الخارجي بالدرجة الأولى وعلى السياق اللغوي الداخلي بالدرجة الثانية، للوصول إلى دقة المعنى في الربط بين السياق اللغوي وغير اللغوي لبناء المعنى النصي ومنها للوصول إلى الترجيح الفقهي في المسألة فكان كالاتي:

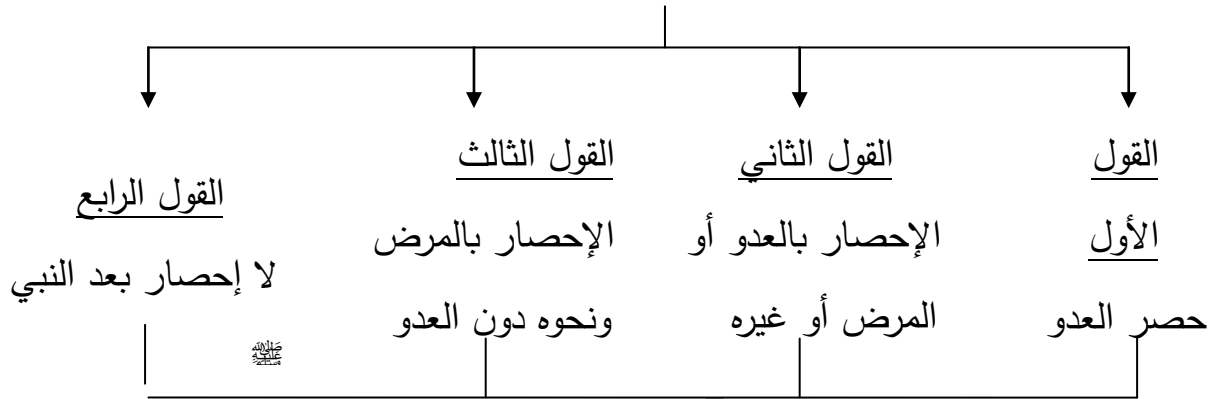
¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 148.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 149.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 152.

⁴ - حسن بن علي الحرابي، قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، دار قاسم، الرياض، السعودية، ط1، 1417-1996، ج1، ص 125.

المراد بالإحصار في الآية



تضعيف: القول الثاني والثالث والرابع بواسطة:

- أسباب نزول الآية
- أحاديث النبي ﷺ
- أقوال العلماء
- معاجم اللغة

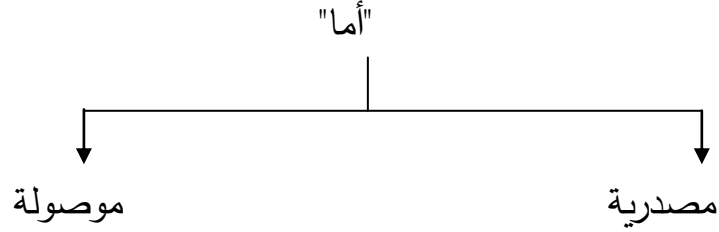
بيان صحة القول الأول بواسطة:

- السياق الخارجي متمثلاً في - أسباب النزول
- أحاديث النبي ﷺ
- السياق الداخلي (اللغوي) متمثلاً في سياق الآية

دقة المعنى للآية الكريمة وإبراز المعنى النصي

الترجيح الفقهي في المسألة

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (الآية: 22- النساء، يذكر الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية أن الله تعالى نهي في هذه الآية الكريمة عن نكاح المرأة التي نكحها الأب⁽¹⁾، ثم يذكر العلماء اختلفوا في لفظة "ما" من قوله تعالى: "وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ" وذهبوا في ذلك مذهبين:



القول الأول: مصدرية: فإذا اعتبرت مصدرية، فقوله: "مِنَ النِّسَاءِ" متعلق بقوله: "تَنْكِحُوا" لا بقوله "نَكَحَ" وتقدير المعنى على هذا القول في رأي الشنقيطي: ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم⁽²⁾ بمعنى: ولا تنكحوا كِنَاكِحَهُمْ كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الإسلام⁽³⁾.

القول الثاني: موصولة: يذهب الشنقيطي أن الذي يظهر وجزم به غير واحد من المحققين أن "ما" موصولة واقعة على النساء التي نكحها الآباء.

والدليل: على أن "ما" موصولة وليست مصدرية هو السياق الخارجي متمثلاً في سبب نزول هذه الآية، لأنهم كانوا ينكحون نساء آبائهم⁽⁴⁾، فقد ذكر ابن كثير عن ابن حاتم قال: لما توفي أبو قيس يعني ابن الأسلت فخطب ابنه قيس امرأته، فأنت رسول الله ﷺ، فقالت: إن أبا قيس توفي، فقال: "خير" ثم قالت: إن ابنه قيساً خطبني، وإنما كنت أعده ولداً، فما ترى؟ فقال لها: "ارجعي إلى بيتك" قال: فنزلت هذه الآية⁽⁵⁾، والقاعدة الأصولية تقول: "إذا صحَّ سبب النزول الصريح

¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج1، ص 372.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 372.

³ - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص 551.

⁴ - ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج1، ص 372.

⁵ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 245.

فهو مرجع لما وافقه من أوجه التفسير"⁽¹⁾، وهذا الذي رجحه الشنقيطي، ويؤيد ذلك السياق الخارجي للنص القرآن، متمثلاً في أسباب نزول هذه الآية، وبسبب النزول ضعف القول القائل بأن "ما" مصدرية.

فالسبب الخارجي متمثلاً في سبب النزول قد أزال الخلاف الحاصل في الوظيفة النحوية لـ"ما"، وحاصل الأمر أنه رحمه الله ربط بين الآية القرآنية بسياقها الخارجي، وهذا يدل على وعيه بقيمة السياق ودوره في فهم النص القرآني، وكان من نتائج هذا الفهم أن رجح فيها قولاً على قول وضعف آخر، وعلى الرغم من خصوصية سبب النزول إلا أن دلالة الآية تبقى عامة ويبقى الحكم الشرعي الذي جاءت به عبر الزمن، فانتقلت من خصوصية السبب إلى عمومية الدلالة، فانتقلنا بذلك من السياق الخارجي المحدد لدلالة الآية إلى تعميم الحكم الشرعي الذي جاءت به دلالة الآية.

ونجد أن الشنقيطي في كتابه أضواء البيان يستعين بهذا النوع من السياق متمثلاً في أسباب النزول وما لها من دور في بيان المعنى الدقيق وترجيح دلالات بعض الآيات والنصوص القرآنية بالإضافة إلى الترجيح الفقهي بواسطة أسباب النزول والتي عن طريقها يربط بين السياق اللغوي (الداخلي) والسياق الخارجي (أسباب النزول) لبيان المعنى النصي، وهذا النوع بارز في كل أجزاء الكتاب⁽²⁾.

¹ - حسين بن علي الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ج1، ص 241.

² - لأمثلة هذا النوع من السياق ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص (19-145-170-347-377)، ج2، ص (91)، ج3، ص (448-696)، ج4، ص (172-173)، ج5، ص (224-534)، ج6، ص (86-590-635-636)، ج7، ص (460-756).

2- 2: المكي والمدني:

إن دراسة المكي والمدني في القرآن الكريم هو دراسة لتفاعل النص القرآني مع السياق الخارجي ليصل المفسر لأرقى المعاني لمعاد الله من كلامه، والاعتماد على مكان نزول القرآن الكريم وزمانه "أكبر من مجرد وسيط مادي له إحدائياته التي يمكن تلمسها أو التحقق منها، فالنص قد اكتمل بناؤه وتحققه على الأرض في المدينتين، واختلف مضمونا وأسلوبا باختلاف نزوله في كل منهما، وبهذا فإن مكة والمدينة يمكن اعتبار كل منهما مكانا مشحونا بالدلالات التي تجعلهما مكونين للنصوص ومكونين بها"⁽¹⁾.

أ- حدود القرآن المكي والمدني:

وللعلماء في تحديد المكي في القرآن الكريم من المدني ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة.

القول الثاني: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

القول الثالث: -وهو المشهور- أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة⁽²⁾.

ففي القول الأول تم تصنيف المكي من المدني باعتبار مكان النزول في أي المدينتين نزل، أما في القول الثاني، فقد روعي فيه **المخاطب**، فإذا وجه الخطاب لأهل مكة فهو مكي وإن وجه لأهل المدينة فهو مدني، وثالث الأقوال وأشهرها فقد روعي فيه **الزمن**، ولا اعتبار للمكان في تحديده ولا **المخاطب**، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني.

ب- طرق معرفة المكي والمدني:

ولمعرفة القرآن المكي من القرآن المدني طريقتان:

الأول: عن طريق السماع: وهو ما وصل إلينا نزوله بأحدهما⁽³⁾، أي في مكان حدده لنا

صحابه رسول الله ﷺ وفي زمن قبل الهجرة أو بعدها، ونقله عنهم الرواة الثقة.

¹ - محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب-قراءة في علوم القرآن، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط، 2016، ص 89.

² - الزركشي (محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404-1984، ج1، ص 187.

³ - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 189.

والثاني: عن طريق القياس: فكل سورة فيها "أيها الناس" فقط أو "كلًا" أو أولها حرف تخرج سوى البقرة وآل عمران والرعد في وجهه، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى سورة البقرة، فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدٌ فهي مدنية⁽¹⁾، فالقياس يرتبط بما جاء من خطابات في سور أخرى تقيس عليها معرفة آيات وسور أخرى، إذ تحديد المكي من المدني يرتبط هنا بالدور الذي يقوم به السياق القرآني العام في تحديد نوع من النوعين، وإذا كان للسياق النصي دور في تحديد المكي من المدني، فهذا الأخير باعتباره من السياق الخارجي له دور متبادل أيضا، إذ يعمل كذلك، في اقترانه بالسياق النصي على بيان المعنى النصي بدقة، بحيث يترابط السياق النصي الداخلي بالسياق الخارجي متمثلا في معرفة المكي من المدني على تحديد المعاني القرآنية وعلاقة الآيات القرآنية والسور بعضها ببعض.

ولا ينحصر دور المكي والمدني في هذا النوع من البيان القرآني، إذ هناك سبل أخرى اعتمدها المفسرون، ومنهم الشنقيطي وهي لا تقل أهمية عن غيرها، وتتمثل في الاعتماد على القرآن المكي لبيان معاني الآيات المدنية، والاعتماد أيضا على القرآن المدني لبيان معاني الآيات المكية، وبهذه الطريقة نستطيع بيان ترابط النصوص القرآنية من آيات وسور وانسجامه انطلاقا من السياق الخارجي للنص القرآني، وهذا ما سنلاحظه من خلال طرق التفسير المعتمدة عند الشنقيطي في أضواء البيان.

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ (الآية: 67-النحل).

يراعي الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية السياق النصي متمثلا في السياق العام للقرآن الكريم، بالإضافة إلى السياق الدلالي للآية، والسياق المكاني والزمني لنزول هذه الآية الكريمة، كل هذه الآليات مجتمعة اعتمدها من أجل الوصول إلى المعنى المراد من كلام الله تعالى، مبينا العلاقة بين الآيات القرآنية وبين الآية القرآنية في سياقها اللغوي والسياقات غير اللغوية المختلفة، وذلك كالاتي:

يبدأ رحمه الله بتحديد معنى السكر في هذه الآية، بحيث يذهب إلى أن جمهور العلماء يذهبون إلى أن المراد بالسكر هنا هو: الخمر، لأن العرب تطلق اسم السكر على ما يحصل به

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 189.

السكر، من إطلاق المصدر وإرادة الاسم، والعرب تقول: سكر بالسكر سكرًا "بفتحتين" وسكرًا بضم وسكون⁽¹⁾، ويذهب الزمخشري - رحمه الله - إلى أن السكر: الخمر، سميت بالمصدر من سَكِرَ سُكْرًا أو سَكَّرًا، نحو رَشِدَ رُشْدًا⁽²⁾، وممن قال بأن السكر في الآية الخمر: ابن عباس، وابن مسعود وابن عمر والحسن والشعبي وغيرهم⁽³⁾ من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم جميعًا، ومن عيون الشعر العربي التي يمكن الاستشهاد بها على أن المراد بالسكر الخمر، قول لامرئ القيس يقول فيه⁽⁴⁾:

سَمَاحَةٌ ذَا وَبِرٍّ ذَا وَفَاءٌ ذَا وَنَائِلٌ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ

فأخبر بأنه يحمل صفات السماحة والبر والوفاء في حال الصحو وحال السكر، فتبين أن المراد بالسكر هنا هو: الخمر.

حرص الشنقيطي على ذكر المعنى اللغوي لكلمة "السكر" في اللغة العربية على أنه يعني: الخمر، ودعم رأيه بأبيات من الشعر، لم يذكر قائلها فاضطرت للبحث في الشعر العربي القديم على المعنى الذي تحمله كلمة السكر، بالإضافة إلى أنه يورد آراء العلماء من الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - في تفسير هذه الآية، ويذكر أن مذهب جمهور العلماء على أن معنى السكر في الآية: الخمر⁽⁵⁾، واعتمادًا على أقوال العلماء والمعنى اللغوي لكلمة "سكر" يحدد الشنقيطي مكية الآية، وقد ترابطت بذلك السياقات المختلفة للآية لتحديد معناها:

1- السياق غير اللغوي: متمثلاً في المعنى المعجمي للكلمة وأقوال العلماء حدداً لنا معناها، ومكيتها.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص 369.

² - ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص: 449.

³ - ينظر: - الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص 369.

- الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج14، ص 275-283.

⁴ - امرؤ القيس، الديوان، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط.)، 1430-2009، ص 161.

- ينظر: البغدادي (عبد القادر بن عمر)، خزانة الأدب ولُبُّ لُبَابِ لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1404-1984، ج5، ص 52.

⁵ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص 369.

2- المعنى المستنبط من السياق غير اللغوي (مكية الآية) ربط من خلاله الشنقيطي بينه وبين السياق اللغوي العام للقرآن الكريم، وبالضبط الآيات المدنية التي بينت تحريم الخمر، فكان للبعد الزمني دور في توجيه دلالة الآية محل الدراسة.

3- يحرص الشنقيطي على ذكر الآيات المدنية وهي كالاتي: (1)

الآية الأولى: آية البقرة التي ذكر فيها -ﷺ- بعض معائبها ومفاسدها ولم يجزم فيها بالتحريم، وهي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (الآية: 219-البقرة).

الآية الثانية: آية النساء الدالة على تحريمها أوقات الصلوات، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (الآية: 43-النساء).

الآية الثالثة: آية المائة الدالة على تحريمها تحريماً باتاً، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ (الآية: 90، 91-المائدة).

فهذه الآيات الثلاث المدنية وجودها في زمن النزول لاحقة للآية المكية، فيكون بذلك معنى السكر في الآية المكية، الخمر، قبل التحريم، في فترة إباحتها، ثم تأتي الآيات المدنية متدرجة في تحريمها.

والذي يذهب إليه الشنقيطي في الأخير أن هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ (الآية: 67-النحل) منسوخة بآية المائة المذكورة سابقاً (2).

ومما سبق يتبين لنا أن النص القرآني الكريم بسياقاته المختلفة تتضافر جميعها ويعتمد عليها الشنقيطي دون إهمال لنوع من السياق على حساب آخر من أجل الوصول إلى تشكل المعنى لدى المفسر، فكانت في هذه الآية كالاتي:

1- اعتماد الشنقيطي على معاجم اللغة وشعر الشعراء وأقوال العلماء لتحديد معنى كلمة "سكر" فكل هذه تعد من السياق غير اللغوي، ودوره في بيان معنى المفردة القرآنية.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص 369-370.

² - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص 372.

- 2- من خلال معنى المفردة القرآنية يبين مكية الآية، فالمعنى المعجمي يؤيد مكية الآية الكريمة.
- 3- يربط بين السياقات اللغوية المختلفة في النص القرآني عموماً، لبيان مدنية آية البقرة والنساء والمائدة، فالسياق القرآني العام يؤيد مدنية هذه الآيات الثلاث أيضاً.
- 4- يستنبط من خلال ترابط الآيات القرآنية المختلفة التي تحدثت عن الخمر، أن آية المائدة ناسخة لآية النحل.
- 5- الوصول في الأخير إلى المعنى المراد من كلام الله من خلال تضافر كل هذه السياقات الداخلية اللغوية والخارجية غير اللغوية، وعملت بذلك على توجيه دلالة الآية.
- فالمعاني اللغوية تحدد معنى الآية، وهذه الأخيرة تحدد مكيته، والمكي يبين ترتيب النزول وتحديد مدنية الآيات الأخرى وكل هذه بينت الآية الناسخة من المنسوخة، وجميع الآليات ساعدت على دقة المعنى في النص القرآني.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (الآية: 286-

البقرة). يذكر الشنقيطي أن الله تعالى لم يبين في هذا الموضع هل أجاب دعاءهم أم لا، وأشار إلى أنه أجاب دعاءهم في غير هذا الموضع، وهي قوله تعالى في الخطأ⁽¹⁾، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ (الآية: 05-الأحزاب)، وأشار إلى أنه أجاب في النسيان بقوله: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الآية: 68-الأنعام)، فأية الأحزاب والأنعام، وضحتا أن الله تعالى قد أجاب دعاءهم في سورة البقرة.

فقوله تعالى: "رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا" آية مدنية كما يذكر الشنقيطي وآية: "وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ" آية مكية، إذ لا مانع من بيان المدني بالمكي⁽²⁾، على الرغم من أن القرآن المكي سابق في عمومته نزولاً من المدني إذ لا يترتب عن الآية المدنية نسخ للآية المكية، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً وتترابط وتنسجم آياته ودلالاته، إذ لم يقتصر حديث الشنقيطي في تفسيره هذه الآية على إيضاح آيات بآيات أخرى فقط، بل ركز أيضاً على بيان معاني الآيات المدنية بآيات مكية والعكس، إذ الترتيب الزمني للنزول في هذه الحال لم يكن وسيلة لبيان المعنى، فقد حلل الآية استناداً إلى السياق اللغوي وانطلاقاً من السياق القرآني العام.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 312.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 312.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (الآية: 04-المؤمنون).

إذا تأملنا تفسير الشنقيطي -رحمه الله- لهذه الآية نجده يوظف عناصر السياق الخارجي، من أجل بيان معانيها ويربط معطيات البعد الزماني والمكاني مع ما جاء في السياق القرآني العام في العديد من آيات الذكر الحكيم للوصول للمعنى المراد وإيضاحه وبيان انسجام الآيات القرآنية في دلالاتها، حيث يذكر أن المراد بالزكاة في هذه الآية وجهان من التفسير معروفان عند أهل العلم:

الوجه الأول: أن المراد بها زكاة الأموال.

الوجه الثاني: أن المراد بالزكاة هنا: زكاة النفس أي تطهيرها من الشرك والمعاصي بالإيمان بالله وطاعته واطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام⁽¹⁾.

يتضح مدى ارتباط عناصر السياق اللغوي وغير اللغوي في إبراز معنى هذه الآية، من خلال الوجه الثاني الذي يرى بأن المقصود بالزكاة هنا هو: زكاة النفس، مستعينا بثلاث قرائن، كما ذكر الشنقيطي، وهذه القرائن تُظهر النص القرآني متماسكا منسجما في سياقه ونسيجا متصلا بعضه برباط بعض، وتمثلت هذه القرائن في قرينة سياقية خارجية (مكية الآية) وقرينتان لغويتان، ذكرها الشنقيطي كالآتي:

القرينة الأولى: أن هذه السورة مكية بلا خلاف، والزكاة إنما فرضت من المدينة، فدل على أن المراد بالزكاة هنا غير زكاة الفريضة⁽²⁾، وهي قرينة خارجية اعتمدت على البعد الزماني والمكاني لتاريخ ومكان نزول الآية.

القرينة الثانية: هي أن المعروف في زكاة الأموال أن يعبر عن أدائها بالإيتاء، كقوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الزَّكَاةَ﴾ (الآية: 43-البقرة) وقوله: ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ (الآية: 37-النور) وغيرها من الآيات، وهذه الزكاة المذكورة هنا لم يعبر عنها بالإيتاء، فدل على أنها أفعال المؤمنين المفلحين⁽³⁾. والملاحظ من هذه القرينة أنها اعتمدت على السياق العام للقرآن الكريم والذي ورد فيه ذكر الزكاة حوالي ثلاثين مرة مقرونة بالإيتاء.

¹ - الشنقيطي، أضواء البيان، ج5، ص 828.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 828.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 828-829.

القرينة الثالثة: أن زكاة الأموال تكون في القرآن عادة مقرونة بالصلاة من غير فصل بينهما، وهذه الزكاة المذكورة هنا فصل بين ذكرها وبين ذكر الصلاة بجملة ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (الآية. 03- المؤمنون).⁽¹⁾

والملاحظ من القرينة الثانية والثالثة قد اعتمدت في ترجيح الرأي الثاني باعتبار الزكاة المذكورة في الآية غير زكاة الفريضة، على السياق القرآني العام ممثلاً في الأسلوب اللغوي القرآني المطرد، حيث إذا ذكرت زكاة الفريضة ذكر معها الإيتاء والصلاة لأهميتهما في حياة المسلم، فاجتمعت بذلك القرائن اللغوية الأسلوبية مع قرينة السياق الخارجي باعتبار مكية الآية للوصول للمعنى المراد فيها، فالآيات القرآنية قد لا تحتاج إلى أدوات ربط تحكم نسجها بقدر امتلاكها للعلائق السياقية اللغوية وغير اللغوية لتحديد معناها وتبين تلاحمها، فالعلاقات السياقية هي القاعدة الأساسية لبناء النص، بحيث توفر الحَبْكُ النِّصِي فتتضح الروابط النصية داخل النص، ولمزيد من الأمثلة في إيضاح تعالق السياق الخارجي في بعده الزماني والمكاني مع السياق الداخلي لتشكيل المعنى لدى الشنقيطي ينظر: أضواء البيان⁽²⁾.

2- 3: السنة النبوية:

يعتبر تفسير القرآن بالسنة النبوية العنصر الثالث من عناصر السياق الخارجي، فعلاً كانت أو قولاً، وقد استعان بها أهل التفسير لأنها تعد المصدر الثاني للتشريع الإسلامي سواء في استنباط الأحكام أو في الترجيح الفقهي بين الأقوال، فالحديث الشريف يعتبر مرجعية خارجية وقرينة يستدل بها لبيان المعنى القرآني، وتعمل الأحاديث النبوية على تحقيق الفهم الصحيح للنص، نظراً لما توفره من الانسجام، وبذلك فإن الأحاديث النبوية تعني إبراز الآليات التي تمكن المفسر من اكتشاف الروابط بين أقوال النبي ﷺ وأفعاله من جهة وإيضاح معاني الآيات القرآنية من جهة أخرى، وتم إدراج السنة النبوية ضمن عناصر السياق الخارجي لأنها لا تدخل في التشكيل الأساسي لتركيب النص القرآني، ومن خلال النماذج الآتية يتبين مدى اعتماد الشنقيطي في كتابه أضواء البيان على معطيات هذا النوع من السياق الخارجي للوصول للمعنى المراد من الآيات

¹ - أضواء البيان، الشنقيطي، ج5، ص 829.

² - ينظر: المرجع نفسه، - (ج1، ص: 446)، (ج2، ص 245)، (ج3، ص 462)، (ج3، ص 712)، (ج4، ص 708)، (ج7، ص 406).

القرآنية أو ترجيح رأي فقيه على آخر، أو إزالة تعارض ظاهر بين الآيات القرآنية أو تأكيد بعض المعاني وتوجيه دلالاتها وإبراز ترابطها وتعالقها:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الآية:

87-الحجر)، اعتمد الشنقيطي على أقوال النبي ﷺ لبيان المعنى من مراد الله تعالى، إذ يذكر أن الآية الكريمة إن كان لها بيان في كتاب الله غير واف بالمقصود أنه يتم ذلك البيان من السنة⁽¹⁾ وفي هذه الآية الكريمة لم يبين الله عز وجل المقصود بـ "السبع المثاني والقرآن العظيم" لذلك استعان الشنقيطي بعناصر السياق الخارجي (حديث النبي ﷺ) لإيضاح المعنى وتحديدته، وبيان ترابط السياق اللغوي والسياق غير اللغوي لبيان معنى النص القرآني.

وقد فسر -رحمه الله- "السبع المثاني والقرآن الكريم" بالفاصلة مستندا إلى السياق الخارجي

الذي وردت فيه هذه العبارة، في عنصرتين بعنصرين:

العنصر الأول: سياق الحديث النبوي الشريف، وهو الأساس.

العنصر الثاني: السياق الزماني والمكاني لنزول الآية الكريمة مدعما للعنصر الأول.

العنصر الأول: سياق الحديث النبوي الشريف والذي أورده الشنقيطي لإيضاح المعنى

الدلالي، والذي رواه البخاري في صحيحه في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة الحجر، يقول النبي ﷺ: "الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"⁽²⁾، والحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ"⁽³⁾، فأحاديث النبي ﷺ للترجيح الدلالي لمعنى السبع المثاني والقرآن العظيم، على أنها فاتحة الكتاب، وبالقرينة نفسها يبطل "القول الذي يذهب أن السبع المثاني هي السبع الطوال"⁽⁴⁾، وهكذا نجد أن الشنقيطي قد استند إلى هذا العنصر من عناصر السياق الخارجي لبيان معنى التركيب الدلالي للنص القرآني وتضعيف القول المخالف.

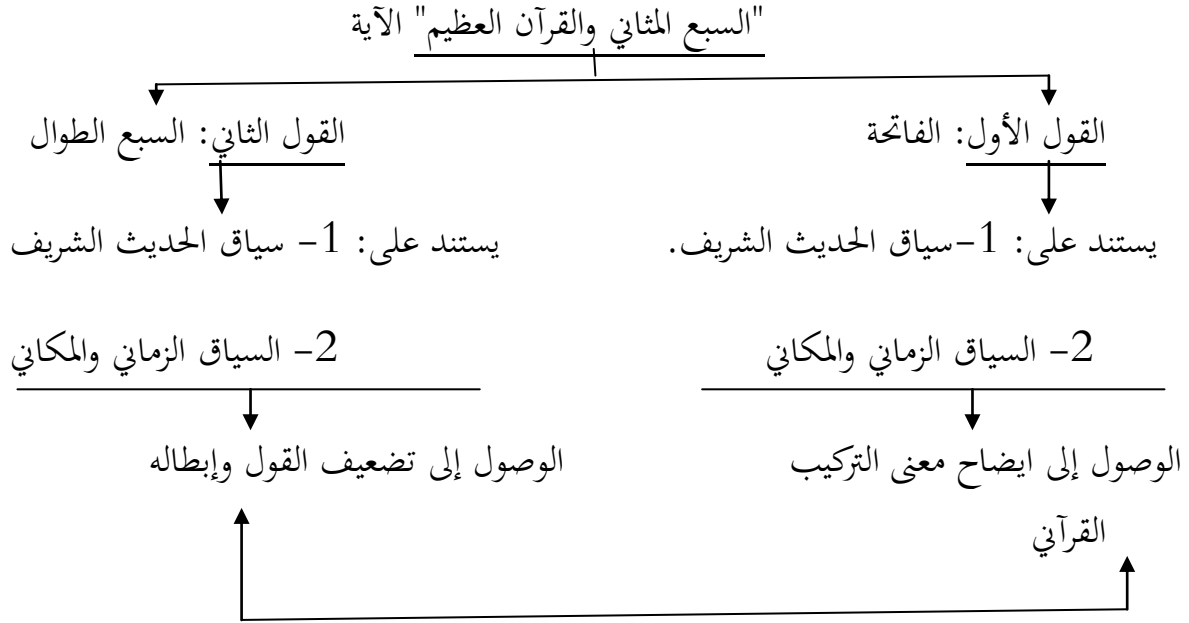
¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج3، ص 235.

² - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة السلام، الرياض، مكتبة الفيحاء، دمشق، ط3، 1421-2000، ج8، ص 484، رقم الحديث: 4703.

³ - المرجع نفسه، ج8، ص 484، رقم الحديث: 4704.

⁴ - الشنقيطي: المرجع السابق، ج3، ص 236.

العنصر الثاني: السياق الزماني والمكاني لنزول الآية: ومن القرائن التي استند إليها لتأكيد ما ذهب إليه، عنصر مكية الآية وزمن نزولها إذ يرى "أن آية الحجر هذه مكية، وأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة"⁽¹⁾، فيكون بذلك قد بين معاني التشكيل النصي للقرآن الكريم بعنصرين خارج التشكيل النصي للقرآن الكريم، على الرغم من وجود وجوه للمعنى في هذه الآية وترجيح بذلك ما دلّ عليه الحديث الشريف، وردّ التفسير المخالف للصحيح من الحديث: فكان كالاتي:



يكون بذلك قد ربط بين السياق اللغوي النصي والسياق الخارجي غير اللغوي لإبراز تعالق القرائن السياقية.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (الآية: 25-النحل).

يوضح الشنقيطي أن الله ﷻ في هذه الآية يذكر أن أولئك الكفار يصرفون الناس عن القرآن بدعواهم أنه أساطير الأولين، تحملوا أوزارهم، أي: ذنوبهم كاملة، وبعض أوزار أتباعهم الذين اتبعوهم في الضلال، كما يدل عليه حرف التبعية الذي هو "من"⁽²⁾.

وقال القرطبي "من" للجنس لا للتبعية، فُدَعَاةُ الضلالة عليهم مثل أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُمْ⁽¹⁾ لكن إن قيل: ما وجه تحملهم أوزار غيرهم المنصوص عليه بقوله: ﴿وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ

¹ - الشنقيطي، أضواء البيان ، ج3، ص 236.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ج3، ص 309.

عَلِمَ ﴿الآية، مع أن الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الآية: 15-الإسراء). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ (الآية: 164-الأنعام) إلى غير ذلك من الآيات⁽²⁾، والتي تظهر التعارض بين آية النحل وبينها، مع أننا نؤمن بأنه لا تعارض بين آيات الذكر الحكيم، وأنه كما ذكر جل وعلا ﴿قُرْآنًا غَرِيبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (الآية: 28-الزمر)، فهو تعارض ظاهر دون حقيقة، ويجيب الشنقيطي ليزيل إشكال التعارض الظاهر بين الآيات القرآنية أن رؤساء الضلال وقادته، تحملوا وزرين:

الوزر الأول: وزر ضلالهم في أنفسهم.

الوزر الثاني: وزر إضلالهم غيرهم لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من ذلك من أوزارهم شيئاً⁽³⁾، ودليله على هذا حديث النبي ﷺ الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، قوله ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ"⁽⁴⁾، ويعتبر إزالة إشكال التعارض الظاهر بهذه الطريقة وَجْهٌ من وجوه تفاعل النص القرآني مع سياقه المقامي، تفاعلاً يستدعي ذكر حديث النبي ﷺ توضيحاً لما جاء في الآيات القرآنية وربطاً بينها، مما أحدث التماسك الدلالي بين آية سورة النحل، والإسراء والأنعام، من جهة وحديث النبي ﷺ من جهة أخرى.

النموذج الرابع: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (الآية: 30-ق).

من الأسس التي اعتمد عليها الشنقيطي في الترجيح بين أقوال العلماء، صحة أحاديث النبي ﷺ، فقد ذكر أن المفسرين اختلفوا في دلالة الاستفهام المذكور في الآية "هَلْ مِنْ مَزِيدٍ" على قولين:

القول الأول: أن الاستفهام إنكاري، وعلى هذا فمعنى (هل من مزيد) لا محل للزيادة، لشدة امتلاء النار.

¹- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص 312.

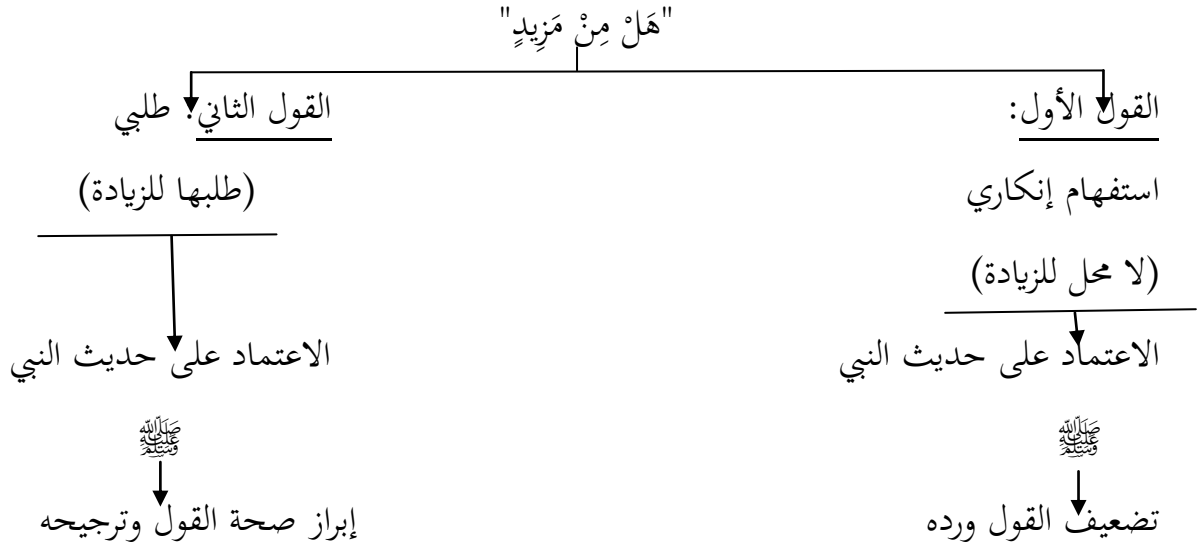
²- ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص 310.

³- ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص 310.

⁴- صحيح المسلم، رقم: 1017.

القول الثاني: هو أن المراد بالاستفهام في قول النار: (هل من مزيد) هو طلبها للزيادة، وهذا القول هو الأصح⁽¹⁾، ودليله ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ "أن جهنم لا تزال تقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط" (صحيح البخاري، رقم الحديث: 6661).⁽²⁾

معنى الاستفهام:



من خلال هذا التفسير نلاحظ أن الشنقيطي استند في رده القول الأول على عنصر من عناصر السياق المقامي، وهو صحة الحديث النبوي الذي بنى عليه ترجيحه الدلالي، ومن هنا يبرز تفاعل عناصر السياق اللغوي الداخلية بعناصر السياق المقامي الخارجية لتشكيل دلالة النص عند الشنقيطي، وما هو إلا وجه من أوجه الانسجام الدلالي بين معاني الآيات القرآنية مع معاني الأحاديث النبوية، وهي من القضايا التي تبين مفهوم الحُبك في النص القرآني من خلال استقراء العلاقة بين النص والمقام، والمفسر دالٌّ على هذه العلاقة.

¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج 7، ص 691-692.

² - البخاري: صحيح البخاري، ج 4، ص: 1178.

نتائج السياق اللغوي وغير اللغوي ودوره في بيان الحرك النصي:

- اعتمد الشنقيطي على السياق في أضواء البيان بدرجة أولى واعتبره من الوسائل التي تبين أن القرآن الكريم كله مثل السورة الواحدة، فهو نص واحد مترابط في دلالاته وإن تباعدت وسائل إيضاح المعنى من آية لآية ومن سورة لأخرى.
- نموذج انفراد الآية القرآنية بمعنى مكتمل لا يحتاج إلى آيات أخرى لبيان معناها قليل، مقارنة بعدد الآيات التي تتعدى وسائل إيضاح معناها إلى آيات أخرى من نفس السورة أو سور أخرى.
- يعتمد الشنقيطي لإيضاح المعنى السياقي المراد للفظ في الآية على تأصيل معانيها في المعاجم العربية، وذكر الأشعار العربية القديمة التي يحتج بها غالبا لبيان استعمالها بالمعنى الذي رجحه، ويركز على السياق كأهم آلية يرجح بها المعنى الذي ذهب إليه.
- لا يكتفي الشنقيطي بلفظ واحدة لبيان معنى لفظ آخر، بل يتعداه إلى لفظتين وثلاث وأكثر من الآية نفسها لبيان معنى لفظة واحدة، إذ تتحرك الألفاظ جميعها لبيان معاني بعضها ببعض وهذا من عجب نظم القرآن الكريم.
- يحرص الشنقيطي على بيان سبب مجيء اللفظة بالتاء من عدمها استنادا إلى سياق الآية الذي وردت فيه وتعضيد المعنى يكون بالاحتجاج بكلام العرب من شعراء العصر الجاهلي والإسلامي في غالب استشهاداته ومن القرآن الكريم، ويقارن بينها وبين صيغ صرفية قريبة منها إن وجدت في كلام العرب، ويستعين بسياق الآية لترجيح المعنى الذي يذهب إليه.
- تتضح الدقة في اختيار الإعراب المناسب في الآية بقدر اعتماد الشنقيطي على سياق الآية لبيان أوجه الإعراب المختلفة والأظهر منها.
- يعتمد الشنقيطي على ترابط أجزاء القصة القرآنية لبيان المعنى، فيرجح قولاً على قول استناداً إلى السياق القصصي الذي وردت فيه الآية.
- يعتبر سياق المقطع الذي وردت فيه الآيات وتتابعت، عاملاً من عوامل ترجيح رأي من آراء المفسرين أو تضعيفه عند الشنقيطي، لما لتماسك المقطع من أهمية في هذا النوع من البيان القرآني.
- من منهج الشنقيطي لبيان معاني المفردات القرآنية، أنه يستعين بسياق الآية والسورة لإيضاحه، لكن الملاحظ في تفسير أضواء البيان أن اعتماده على سياق السورة يتمثل في بيان معنى آية بآية

- أخرى فقط، دون الاستعانة بالوحدة الموضوعية للسورة، ولم يبين شدة التلاحم والحبك لأجزاء السورة، ولم يوضح أن السورة عبارة عن بناء واحد وإنما يكفي بالانتقال للآية الموضحة للأخرى.
- يربط الشنقيطي بين السياقات المتعددة، سياق الآية وسياق الآيات وسياق القرآن العام، ليتخذها قرينة قوية على صحة الرأي الذي يذهب إليه في شرح مفردة قرآنية أو بيان معاني التراكيب القرآنية.
- يعتمد الشنقيطي في تفسيره على السياق العام للقرآن باعتباره دليلاً بالخلف، إذ به يضعف قولاً، لاختيار قول آخر من أقوال علماء التفسير الذين سبقوه.
- يعتمد الشنقيطي لبيان المعنى في الآية الواحدة وتعددده، على القراءات القرآنية، إذ يكون لها الدور البارز باعتبار القراءتين في الآية الواحدة كالأيتين، ومن السياق النصي الذي وردت فيه القراءة السبعية يستنبط الشنقيطي العديد من الأحكام الشرعية، ويستفيد من معاني متعددة للآية الواحدة.
- يعتمد أحياناً على السياق القرآني العام لتحديد المعنى الدقيق من كل قراءة من القراءات، سواء أجمع بين معاني القراءات القرآنية أم فرق بين معانيها.
- يحرص الشنقيطي على اعتماد سبب النزول آية من آيات السياق الخارجي، وبهذه القرينة الحالية يوجه الدلالة القرآنية، وتنتقل من خصوصية سبب النزول إلى عمومية الحكم الشرعي.
- تحشد الأدلة السياقية اللغوية وغير اللغوية (أسباب النزول) أحياناً من قبل الشنقيطي للانتصار لقول من أقوال العلماء والوصول إلى دقة المعنى للآية الكريمة، ومنها يصل إلى الترجيح الدلالي أو الفقهي في مسألة من المسائل، وربط السياق اللغوي الداخلي بالسياق الخارجي أو سبب النزول.
- تتضافر السياقات اللغوية (الناسخ والمنسوخ السياق القرآني العام) والسياقات غير اللغوية (المكي والمدني) لتوجيه دلالة النص القرآني لدى الشنقيطي، وبها يتضح تشكيل المعنى عنده.
- يستند الشنقيطي في إيضاحه لمعنى الآية القرآنية وإزالة التعارض الظاهر بينها وبين آيات أخرى في النص القرآني على السياق المقامي (الأحاديث النبوية)، لإزالة هذا التعارض الظاهر، وبذلك يتفاعل النص والمقام لإيضاح المعنى ويبين العلاقة الرابطة بين الآيات من جهة وبينها وبين أحاديث النبي ﷺ من جهة أخرى، لأنه ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (الآية: 04-النجم)، بالإضافة إلى أن

الأحاديث النبوية باعتبارها عنصر من عناصر السياق الخارجي يستند إليها الشنقيطي لزيادة تأكيد الآية أو لترجيح قول من أقوال المفسرين وتضعيف أقوال أخرى.

الفصل الثاني:

الخطاب

و تمثيلاته الدلالية

أولاً- المتلقي (المفسر) والخطاب:

تحتاج النصوص والخطابات إلى متلقٍ يمنحها دلالاتها ويبين تماسكها ومقاصدها، لذلك فإن له الدور البارز في نحو النص، إذ يعتمد على طرق وآليات لبيان معاني الخطابات، إذ تكون له القدرة على ملء الفراغات النصية ويبين توجيه الخطاب، لأنه يستطيع الربط بين ما يملكه من آليات ومقاصد النص للوصول إلى فهمه وبيان تماسكه، لذلك فهو محور أساسي في التحليل النصي، "فهو يعتبر القراءة الثانية للنص ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنص حوار قائم بين قائل النص والنص والمتلقي"⁽¹⁾، وهذا الأخير هو الذي يحافظ على تلاحم الخطاب، إذ أن التلاحم هو السمة المحددة لفهمه، وهو ذو جانبين:

الجانب الأول: مرتبط بالخطاب.

والجانب الثاني: مرتبط بالتفاعل القائم بين كل من المعطيات التي يتناولها الخطاب والبنى المعرفية التي يملكها المتلقي"⁽²⁾.

ولا شك أن إنتاج النص مرتبط بزمان محدد، أما تلقيه أو التأثير الذي يحدثه فلا يرتبط بزمان بعينه، بل تحدث تلك العملية في أزمنة عدة، وتظل تنتج تفسيرات تتعدد القراءات، وينغلق النص حين يعجز القارئ عن النفاذ إلى داخله ويظل عند السطح"⁽³⁾، فدور المتلقي لا يتوقف عند حدود البنية اللغوية السطحية، بل لابد أن تكون له الكفاءة لاستعمال آليات الوصول إلى عمق المعنى وحقيقته والربط بين مختلف الأبنية اللغوية، وهذا الدور لا يخص المتلقي العادي، بل يتعلق بالمتلقي الواعي الذي له علم بالنص ومنتج النص، وبهذا تتضافر ثلاثة عوامل لمعرفة عالم النص وهي: المنتج والنص والمتلقي، "إن استمرار التجدد المعرفي وإعادة الفهم لا يعني بأية حال من الأحوال إشارة إلى فهم سابق خاطئ، ولكنها تدل دلالة واضحة على تجدد تجارب المرء واختلاف نظراته"⁽⁴⁾، لذلك

¹ - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص 110.

² - ربيعة العربي: في تصور الخطاب-آليات الإنتاج والتأويل، المؤتمر الدول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، بحوث محكمة منشورة ضمن كتاب:

"لسانيات النص وتحليل الخطاب"، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 1434-2013، مج1، ص 109.

³ - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص 186.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 187.

فعلماء لسانيات النص قد جعلوا للقارئ الدور الأساسي في إيضاح المعنى وبيانه وتحقيق تماسك النص.

وحدثنا عن العلاقة بين المنتج والنص والمتلقي هو حديث عن "التواصل ودوره في التماسك النصي وأن هذا التواصل ليس بين أجزاء النص الداخلية فقط، بل يتعداه إلى التواصل بين المنتج والنص والمتلقي، إضافة إلى البيئة المحيطة"⁽¹⁾، وبما أن التواصل بين هذه العوامل لازم، و"مستمر بين النص والقارئ، فإن كل طرف (النص، القارئ) قادرٌ على دلالة العطاء، فإذا انقطع هذا التفاعل أو زال بشكل ما، فإن الطرفين يخفقان في تقديم بعد أو إضافة خطوة جديدة دالة على انفتاح الأول وفهم الثاني"⁽²⁾، وتعتبر دراسة المتلقي والمخاطب وعناصر الخطاب في النص القرآني من صميم الدراسات النصية لما لهذه العناصر من دور في كشف المعنى وبيان الترابط من ناحيتين:

الأولى: الترابط بين عناصر الخطاب.

والثانية: الترابط بين أجزاء الخطاب.

ولقد أدرك علماء التفسير والأصول أهمية الخطاب القرآني، وشغل اهتمامهم المخاطب في النص القرآني، وعملوا على تحديده وبيان أثره في المعنى وفي تماسك النص القرآني، والملاحظ أن "المفسرين قد تمثلوا مفهوم الخطاب... ورأوا فيه الرسالة اللغوية التي يحملها النص القرآني خطاباً متكامل الأجزاء"⁽³⁾، أما وظيفة الخطاب القرآني وأهمية عناصر الخطاب لدى المفسرين ودور هذه العناصر في إيضاح المعنى وبيانه، فقد اهتموا بها و"نظروا في الوظيفة التواصلية للنص باعتباره خطاباً من المرسل سبحانه وتعالى إلى العباد (المرسل إليهم) عبر قناة للاتصال وهي اللغة، وهذه الرسالة تحمل مضمونا هو مضمون الخطاب، وتهدف إلى إحداث تغيير في حياة المخاطبين... ونظروا كذلك في ترتيب الخطاب وتنظيمه"⁽⁴⁾، وهذا ما نعمل على بيانه من خلال تفسير "أضواء البيان" للشنقيطي:

¹ - صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ج1، ص 110.

² - سعيد حسن مجري، علم لغة النص، ص 187.

³ - خلود الغموش: الخطاب القرآني-دراسة في العلاقة بين النص والسياق، جدار للكتاب العالمي، عمان، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1429-2008، ص 249.

⁴ - المرجع نفسه، ص 249.

1 : توجيه الخطاب القرآني ودوره في الحبك النصي وبيان الأحكام الشرعية:

سنسعى في هذا العنصر إلى إيضاح الطريقة التي تعامل بها الشنقيطي -رحمه الله- مع الخطابات القرآنية وبيان الفئات التي وجه لها الخطاب القرآني، وكيف كان لتحديد المخاطب من دور في بيان دقة المعنى وإيضاحه وبيان تماسك النص القرآني، وما لهذا كله من دور في استنباط الأحكام الشرعية:

أ- الخطاب الموجه للنبي ﷺ:

يعد النبي ﷺ هو المتلقي الأول للرسالة السماوية، وهذه الرسالة ذات وظيفة اتصالية بين الله عز وجل ومُحمَّد ﷺ، وبعدها يقوم النبي ﷺ بنقل هذه الرسالة للبشرية جمعاء، بالإضافة إلى أنه يقوم بتفسير هذا الخطاب القرآني من خلال سنته ﷺ، "ويجمع بين المفسرين جميعاً استحضار المخاطب دائماً في شرح الخطاب بكل أبعاده واختلاف دلالة النص باختلاف المخاطب"⁽¹⁾، لذلك عمل الشنقيطي على بيان الخطاب الموجه للنبي ﷺ، ومدى مساهمته في إيضاح دلالة النص وبيان انسجامه، وما إذا كان يراد به التشريع لأُمَّته أم لا، وهذه النماذج توضح ذلك:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿المص كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ (الآية: 1-2، الأعراف)

يشير الشنقيطي في تفسيره هذه الآية إلى قضية أساسية وهي قضية الإيمان بأن القرآن الكريم من لدن حكيم عليم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويبدأ في تفسيره للآية بشرح أهم مفرداتها ومنها: لفظة "حرج"، والتي جاءت بمعنى: لا يكن في صدرك شك في كون أن هذا القرآن حق، وهو قول مجاهد وقتادة والسدي، ودليلهم آيات من الذكر الحكيم منها:⁽²⁾

- قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (الآية: 147-البقرة).
- وقوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (الآية: 60-آل عمران).
- وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (الآية: 94-يونس).

¹ - خلود الغموش: الخطاب القرآني، ص 251.

² - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج2، ص 337.

وبعد استشهاده بالآيات القرآنية هذه، ومقارنته بينها وبين الآية الأولى، يشبه المعنى في الآية الأولى بالمعاني الواردة في هذه الآيات، وكلها دالة على: الشك أو الشاك في القرآن الكريم وهي أمثلة دالة عند الشنقيطي على انسجام الخطاب القرآني وترابطه، وعلى هذا القول فالخطاب للنبي ﷺ والمراد نهي غيره عن الشك في القرآن، ومعلوم أنه ﷺ لا يفعل شيئاً من ذلك، ولكن الله يخاطبه ليوجه الخطاب إلى غيره في ضمن خطابه ﷺ.

ويذكر الشنقيطي رأياً آخر لمعنى "حرج"، إذ المراد به عند جمهور العلماء في الآية: الضيق، أي لا يكن في صدرك ضيق عن تبليغ ما أمرت به (1).

ودليلهم من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ (الآية: 12-هود).

فالخطاب على رأي الشنقيطي يدور حول قضية أساسية وموجه إلى النبي ﷺ سواء على القول الأول أم على القول الثاني في شرح المفردة القرآنية (حَرْجٌ)، إلا أنه اهتم في القول الأول ببيان أن الخطاب موجه إلى غير النبي ﷺ، لأنه ﷺ لا يمكن أن يشك في القرآن الكريم، فالمراد هو أنه ينهى غيره من مجموع المخاطبين عن الشك في القرآن الكريم، فتحديد المخاطب الفعلي من قبل الشنقيطي أسهم في إيضاح معنى الآية وربطها بآيات أخرى من القرآن الكريم وبيان أن موضوع الخطاب واحد في كل هذه الآيات التي استشهد بها في القولين، وهنا تظهر نظرة الشنقيطي لوحدة الخطاب في الآيات المتباعدة، معتبرا النص القرآني كلاً مَوْحِداً تترابط سوره وآياته وينسجم بعضها مع بعض ويبين بعضها بعضاً.

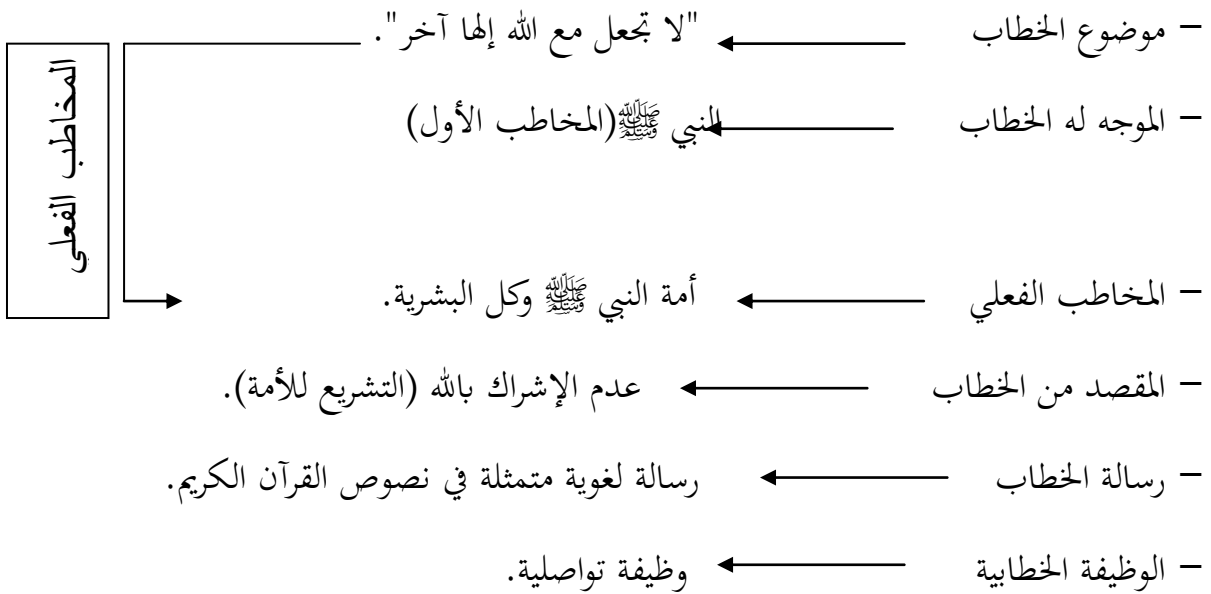
النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُومًا﴾ (الآية:

22-الإسراء).

كثيراً ما يذكر الشنقيطي في تفسيره أساليب القرآن الكريم، وما جاء نحوها من أساليب العرب المطردة، وفي هذه الآية دلالات ضمنية بثت في مفردات معدودة، مما أدى بالشنقيطي إلى استحضار معاني مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، مما ييسر الكشف عن المعنى المراد من الخطاب.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج2، ص 338.

والظاهر أن الخطاب في هذه الآية الكريمة متوجه إلى النبي ﷺ، ليشرع لأمته على لسانه إخلاص التوحيد في العبادة له جل وعلا، لأنه ﷺ معلوم أنه لا يجعل مع الله إلهاً آخر، وأنه لا يقعد مذموماً مدحوراً⁽¹⁾، وهذا ما دلّ عليه القرآن والسنة النبوية، فهو خطاب للنبي ﷺ والمراد منه التشريع:

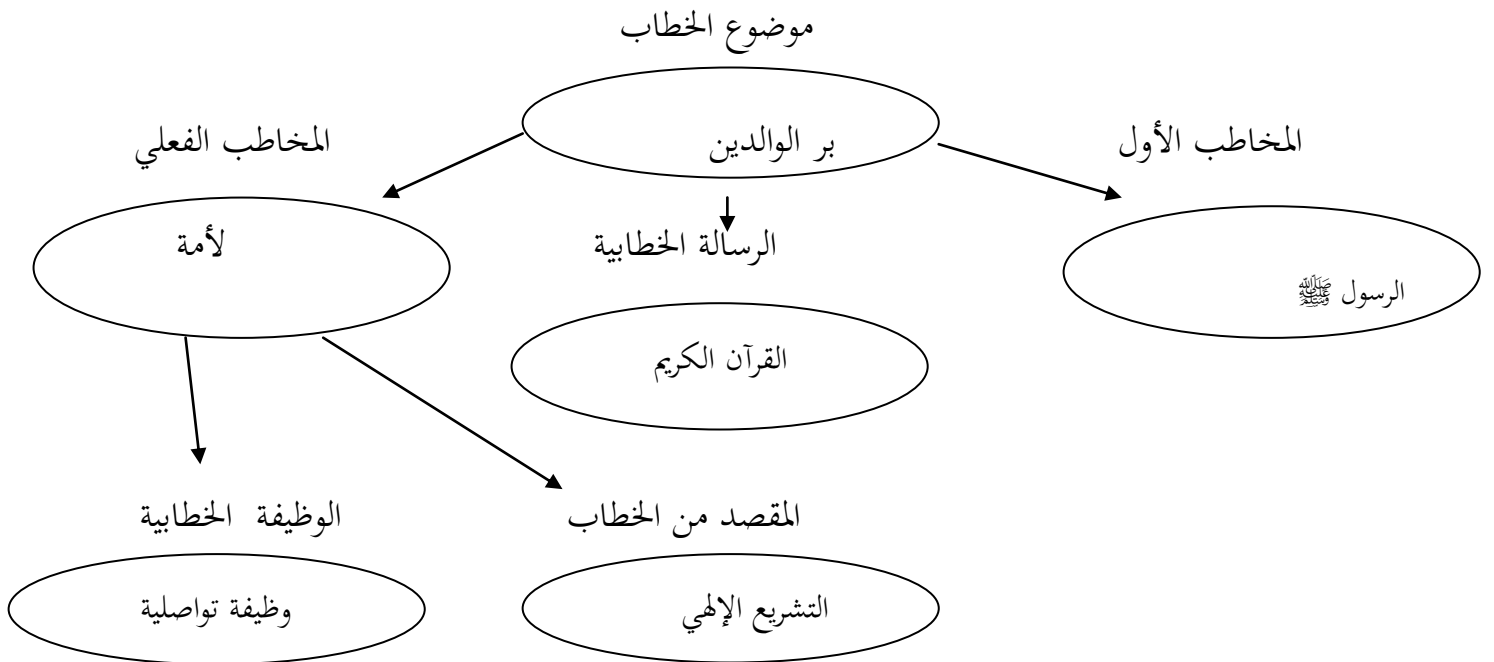


نجد الشنقيطي في إيضاحه لمعنى هذه الآية قد تمثل لهذا الخطاب بكل عناصره وهي تكشف وعيه التام بالخطاب القرآني وطبيعة النص القرآني، فقد استحضرت المخاطب الأول والمخاطب الفعلي والقصد من الخطاب مع علمه بالرسالة القرآنية اللغوية، فالتركيب داخل آيات القرآن يمكن تفسيرها في إطار تحديد عناصر الخطاب، وهذا يشير إلى علاقة الخطاب بمقاصده كلها حتى تكتمل عملية الاتصال.

ويظهر هذا التمثيل لخطاب النبي ﷺ والمراد منه التشريع في العديد من آيات القرآن الكريم، يذكر منها الشنقيطي، قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الآية: 23-الإسراء).

¹ - الشنقيطي: أخوة البيان، ج3، ص 585.

لأن معنى "إمّا يبلُغَنَّ" أي إن يبلغ عندك والذاك أو أحدهما الكبر فلا تقل لهما أف، ومعلوم أن والديه ﷺ قد ماتا قبل ذلك بزمن طويل... إلا أن المراد التشريع لغيره ﷺ⁽¹⁾، لذلك كان الخطاب موجه إلى المتلقي الأول هو النبي ﷺ والمتلقي الفعلي هو أمته، والمقصد من الخطاب هو التشريع، فكان كالاتي:



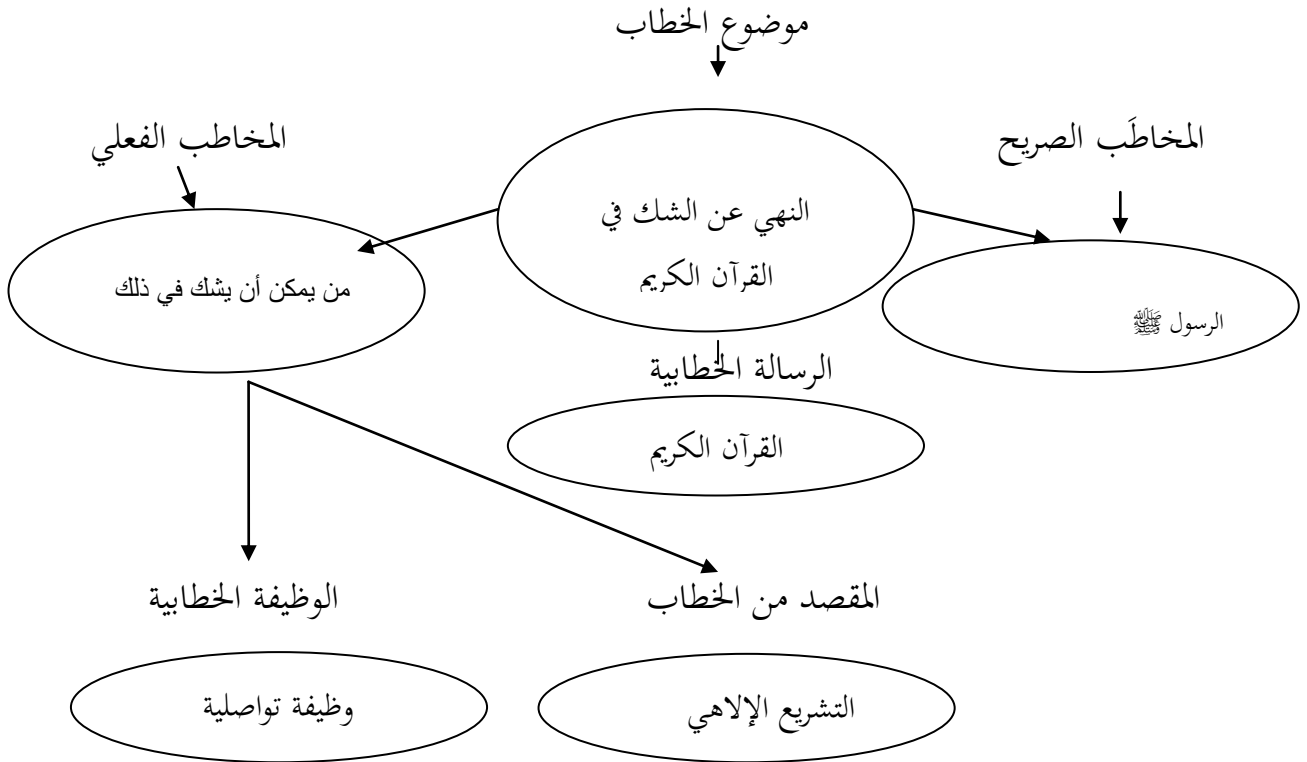
وبذلك يكون الشنقيطي قد تنبه إلى دور عناصر الخطاب في بيان المعنى وإيضاحه، مع استشهاده بسياقات لغوية قرآنية تثبت أن أسلوب الخطاب الذي يعتمد على خطاب النبي ﷺ والمراد منه التشريع، أسلوباً مطرداً في النص القرآني، وفي كلام العرب.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ (الآية: 94-يونس).

يعالج الشنقيطي أثناء تفسيره هذه الآية مسألة توجيه الخطاب القرآني من أجل فهمه، ويعمل على استحضار المخاطب مستعينا بالبنى اللغوية المكونة لموضوع الخطاب، والخطاب القرآني العام من خلال الأساليب القرآنية المماثلة له، وكذا الأساليب العربية الفصيحة التي جاءت على

¹ - الشنقيطي: أخواء البيان، ج3، ص 585.

منواله، و"التحقيق-عند الشنقيطي - أن الخطاب في قوله: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ) خطاب للنبي ﷺ، والمراد به من يمكن أن يَشْكُ في ذلك من أمته"⁽¹⁾:



ومن الأمثلة التي ذكرها الشنقيطي: قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (الآية 22-الإسراء).
 الدلالة الصريحة: أن الخطاب موجه للنبي ﷺ.
 المعنى المراد: التشريع لأمته ﷺ⁽²⁾.

التحقيق: الخطاب موجه للنبي ﷺ، لكن ليس المراد من الآية الكريمة نفسه الطاهرة، وإنما المراد تطهير أمته من الشرك بالله بتشريع حكم لها.

ومن الأدلة الواضحة في القرآن الكريم والتي تبرز أن من الخطابات الموجهة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم المراد منها التشريع لأمته، واستعان بها في تفسيره هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ (الآية: 23-الإسراء). أي إن يبلغ عندك الكبر يا نبي الله والداك أو أحدهما فلا

¹ - الشنقيطي: أخوة البيان، ج7، ص 329.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص 329.

تقل لهما أف⁽¹⁾، فصريح الخطاب موجه للنبي ﷺ، والمعلوم أن وفاة والديه قبل نزول الوحي عليه بعشرات السنين "وبذلك يتحقق أن المراد بالخطاب غيره من أمته الذي يمكن إدراك والديه أو أحدهما عنده"⁽²⁾، وأورد-رحمه الله- بيتين من الشعر لبيان أن هذا الأسلوب من أساليب العرب في كلامهم يقول فيهما سهل بن مالك الفزاري⁽³⁾:

يَا أُخْتَ خَيْرِ الْبَدُوِّ وَالْحَضَارَةِ كَيْفَ تَرَيْنِ فِي فَتَى فَزَارَةِ
أَصْبَحَ يَهْوَى حَرَّةَ مَعْطَارَةِ إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةِ

الملاحظ عن الشنقيطي أنه يحرص على تحديد المخاطب في العملية الخطابية، كما يفرق بين الخطاب الموجه للنبي ﷺ والمراد شخصه ﷺ والخطاب الموجه للنبي ﷺ والمراد به فئة تتصف بصفات محددة أو أخلاق معينة أو سلوك ما، وبين الخطاب الموجه للنبي ﷺ والمراد منه التشريع لهذه الأمة، فقد استعان بالأساليب القرآنية التي جاءت على هذا المنوال، مما يوحي لنا بوجود نوع من الانسجام بين الأساليب اللغوية القرآنية، إذ يكون للسياق القرآني العام دور وأثر عند الشنقيطي في بيان ترابط هذه الأساليب وتوافقها.

والآيات المبينة لهذا النوع من الخطاب الموجه للنبي ﷺ والتي قام الشنقيطي بتفسيرها وبيان عناصر الخطاب فيها، ومدى تفاعل هذه العناصر لإنتاج الدلالة وبيان انسجام النص القرآني، كثيرة ومبثوثة في ثنايا كتاب أضواء البيان⁽⁴⁾.

ب/ الخطاب الموجه للمؤمنين:

ويتفرع هذا النوع من الخطاب إلى أقسام بحسب حقيقة المخاطب، فقد يكون من الصحابة ﷺ، أو المؤمنين عامة أو خطابا للواحد موجه للأمة، أو قد يوجه الخطاب لشخص ويراد به غيره، أو يخاطب المكلفين دون غيرهم، وقد يكون الخطاب للمجموع والمراد بعضهم، وكل هذه أنواع من

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج7، ص 329.

² - المرجع نفسه، ج7، ص 330.

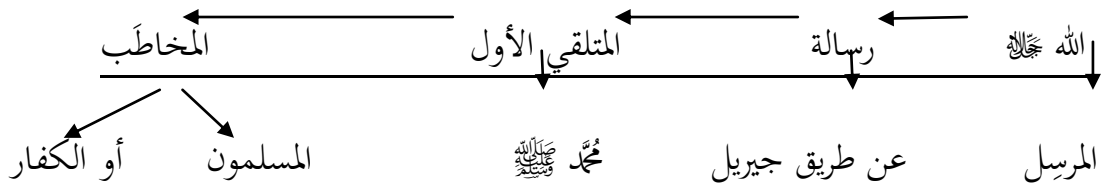
³ - الحسن بن مسعود اليوسي: زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي-محمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1401-1981، ج1، ص 140.

⁴ - ينظر: الشنقيطي، المرجع السابق، ج1، ص (105-257)، ج2، ص (78-80)، ج4، ص (807)، ج6، ص (424-542-565)، ج7، ص (28-29).

الخطابات كانت محل تفسير في كتاب أضواء البيان وتحليل وتحديد لعناصر وبيان لتفاعل هذه العناصر الخطابية لإيضاح الدلالة بالإضافة إلى رؤية الشنقيطي للنص القرآني على أنه نص واحد وكل موحد في أساليبه ودلالاته، كان لها أثر في بيان مدى انسجام هذه النص وتلاحمه، وهذا ما يظهر من خلال نماذج التحليل الآتية:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (الآية: 44-المائدة).

يذكر الشنقيطي اختلاف العلماء في تحديد المخاطب في الآية الكريمة، بين من يقول أن المخاطب هم المسلمون ومن قائل بأنهم "الكفار":



فالاختلاف بين العلماء في عنصر من عناصر الخطاب، وهو المخاطب كما يذكر ذلك الشنقيطي، إذ تقوم الآية على تخويف المخاطب على أن يحكم بغير ما أنزل الله، واستنكار بناء الحكم على غير شريعة الله، مقررا نهاية أمر المخاطب الذي يتبغى غير حكم الله منهجا في الحياة إلى الكفر، فاعتبر وقع هذه الآية شديدا على من يتلقاها، لذلك حرص الشنقيطي على تحديد المخاطب في هذه العملية الخطابية، وعمل على بيان الأقوال متحققا من المعنى المراد من الآية مستعينا بالتواصل النصي بين آيات الذكر الحكيم.

يحرص الشنقيطي على ذكر الأقوال المختلفة في بيان المخاطب في الآية، وهي كالاتي:

القول الأول: وهي أن المخاطب في الآية: "المسلمون" وذهب إلى هذا الشعبي وطاووس وأن المراد فيها كفر دون كفر وأنه ليس الكفر المخرج من الملة⁽¹⁾.

القول الثاني: يذهب أصحاب هذا الرأي أن المخاطب في الآية هم "اليهود"، ودليلهم السياق النصي القبلي والبعدي:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص 121.

1/ السياق النصي القبلي: هو أن الله تعالى ذكر فيما قبلها أنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه وأنهم يقولون: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ (الآية: 41-المائدة).

2/ السياق النصي البعدي: أما السياق النصي البعدي الذي يستعين به أصحاب هذا الرأي لبيان أن المخاطب في الآية الكريمة هم "اليهود"، هو قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ (الآية: 45-المائدة)، فدل على أن الكلام فيهم على حسب أصحاب هذا القول⁽¹⁾. لكن الملاحظ أن السياق النصي الذي استدل به أصحاب هذا القول لم يكن من الآية نفسها، بل من سياق قبلي بعيد ومن سياق بعدي تجاوز الآية.

القول الثالث: من الأقوال التي سردها الشنقيطي في تفسيره المخاطب في الآية محل التحليل والدراسة، القول بأن المخاطب عام يشمل المسلمين واليهود والكفار جميعاً، أي: معتقداً ذلك ومستحلاً له من المسلمين، وأما من فعل ذلك، وهو معتقد أنه مرتكب محرم فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له⁽²⁾.

بعد سرد الأقوال حول تحديد المخاطب في الآية الكريمة، يبرز الشنقيطي الرأي الذي ذهب إليه، إذ يرى أن الظاهر المتبادر من سياقات الآيات أن آية: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (الآية: 44-المائدة) نازلة في المسلمين⁽³⁾، فهي تبث في نفوس المسلمين هولاً عظيماً، لأن مصطلح الكفر جلل، فيأتي هنا دعوة للاستجابة لما يدعو إليه الله تعالى.

أما الأدلة: التي استعان بها الشنقيطي في تحديده المخاطب في الآية الكريمة بأنه خطاب للمسلمين، فهو سياق النص القرآني متمثلاً في الآية:

1/ السياق النصي القبلي: وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ (الآية: 44-المائدة).

2/ السياق النصي الأصلي: متمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (الآية: 44-المائدة) فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية⁽⁴⁾.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص 122.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 122.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 124.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 124.

والملاحظ من خلال المقارنة بين الرأي الذي ذهب إليه الشنقيطي والرأي الثاني والثالث، أن الأخيرين اعتمدا السياق النصي الموسع (خارج الآية) في تحديد المخاطب، أما الشنقيطي فقد اعتمد السياق القريب (داخل الآية) لإيضاح المخاطب فيها وتحديده. وعلى الرغم من أن الشنقيطي توصل إلى تحديد المخاطب في الآية الكريمة، إلا أنه لم يقف عند هذا التحديد حتى لا تختلط الأحكام الشرعية على المسلمين من خلال النص القرآني الذي يسعى المفسر لبيان مراد الله تعالى من كلامه، إذ إنه وبعد تحديد المخاطب على أنه "المسلمون"، إلا أنه بين أنه "الكفر" في الآية الكريمة إما أن يكون: * "كفر دون كفر، وإما أن يكون فعل ذلك مستحلا له، أو قاصدا به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها، أما من حكم بغير حكم الله، وهو عالم أنه مرتكب ذنبا، فاعل قبيحا، وإنما حمله على ذلك الهوى، فهو من سائر عصاة المسلمين"⁽¹⁾.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الآية: 33-الأحزاب).

الظاهر من الخطاب القرآني التنوع في الأساليب، بحيث يختلف الخطاب بسبب اختلاف المخاطبين، وقد تعددت أنواع المخاطبين في القرآن الكريم، ولكل نوع خطابٌ موجه، لكن قد يختلف المفسرون في تحديد المخاطب، وقد قدم الشنقيطي في أضواء البيان كلاما يبين فيه أن "من أنواع البيان التي تضمنها-القرآن الكريم- أن يقول العلماء في الآية قولاً، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على عدم صحة ذلك القول"⁽²⁾، فالقرينة المقالية من أهم الوسائل المساعدة في تحديد المخاطب في النص القرآني.

يحرص الشنقيطي عند تفسيره لهذه الآية على تحديد المخاطب فيها، ومن هم أهل بيت رسول الله ﷺ المخاطبون فيها بقوله: "أهل البيت" وهل أزواج النبي ﷺ يدخلن في أهل بيته في هذه الآية، أم أن أهل البيت هنا حصروا في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ جميعاً. يورد الشنقيطي قولين للمفسرين في هذا، وهما كالآتي:

* - أوردت هذا الكلام حتى لا يتم تأويل مصطلح "الكفر" على غير ما جاء في "أضواء البيان" لخطورته.

¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج2، ص 124.

² - المرجع نفسه، ج6، ص 635.

1/ القول الأول: أن أزواجه ﷺ وﷺ لا يدخلن في أهل بيته.

2/ القول الثاني: أن أزواج النبي ﷺ يشملهن الخطاب القرآني في هذه الآية⁽¹⁾.

التحقيق عند الشنقيطي: يذهب في تحقيقه لهذه المسألة إلى الرأي الثاني الذي يدخل أزواج النبي ﷺ في هذا الخطاب.

الدليل: ودليله على أن الخطاب القرآني في هذه الآية يشمل أزواج النبي ﷺ أيضا، هو أن "قرينة السياق صريحة في دخولهن، لأن الله تعالى قال: ﴿قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ﴾ (الآية: 28-الأحزاب). ثم قال في نفس خطابه هن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (الآية: 33-الأحزاب) ثم قال بعده: ﴿وَادْكُرْ مَا يَنْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (الآية: 34-الأحزاب). الآية⁽²⁾، والملاحظ من القرينة التي استدلت بها الشنقيطي هي قرينة لغوية.

1/ القرينة الأولى: قرينة لغوية سابقة: متمثلة في نون النسوة العائدة على أزواج النبي ﷺ.

2/ القرينة الثانية: قرينة لغوية لاحقة: متمثلة في نون النسوة أيضا، العائدة على أزواج النبي

ﷺ، فنون النسوة سبقت الخطاب وكانت لاحقة به، مما أدى إلى إحداث وظيفتين:

الوظيفة الأولى: أن نون النسوة كانت قرينة وعاملا على تحديد المخاطب في الآية الكريمة.

الوظيفة الثانية: أن نون النسوة كانت آلية من آليات الانسجام النصي بين الآيات القرآنية: من الآية الثامنة والعشرين (28) من سورة الأحزاب إلى غاية الآية الرابعة والثلاثين (34) من السورة نفسها.

وقد حرص الشنقيطي في العديد من المواضع في تفسيره "أضواء البيان" على تحديد المخاطب الموجه له الخطاب القرآني، المتمثل في نوع المتلقين وهم "المؤمنون"، ومن أنواع المتلقين الذين حددهم الشنقيطي في كتابه: أزواج النبي ﷺ⁽³⁾، أو عموم أمة الإسلام⁽⁴⁾، أو المطلقات من أمة

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان ج6، ص 635.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص 635.

³ - المرجع نفسه، ج1، ص 19.

⁴ - المرجع نفسه، ج1، (ص 257)، ج2، (ص 78-80-410)، ج4، (ص 807)، ج6، (ص 565-648).

النبي ﷺ⁽¹⁾، أو خطاب موجه لفئة من الأمة اتصفت بصفات مميزة⁽²⁾. وبيّض كل نوع من أنواع المتلقين، يصل الشنقيطي إلى:

- 1- إيضاح المعنى المراد من الآية بدقة.
- 2- إبراز العلاقات النصية بين الآيات القرآنية.
- 3- بيان مدى الحَبْكُ النِّصِّي الحاصل بين أجزاء النص القرآني.

ج- الخطاب الموجه للكافرين:

لقد وجه الخطاب القرآني في كثير من آياته إلى مخاطب صَدَّ عن السبيل أو عمل على محاربة الدين، إذ وجه الخطاب من خلال العلاقة التي تربط هؤلاء المتلقين برسالة الإسلام وبالمؤمنين بهذه الرسالة، وهي علاقة تجسدت في ما يضاد الإيمان من أعمال وعقائد، لذلك وجهت الخطابات لهم، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ (الآية: 07-التحريم) كما وجهت لبيان حالهم وصفاتهم وعقائدهم الباطلة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الآية: 05-المجادلة)، وغيرها من الآيات التي وجه فيها الخطاب لغير المؤمنين.

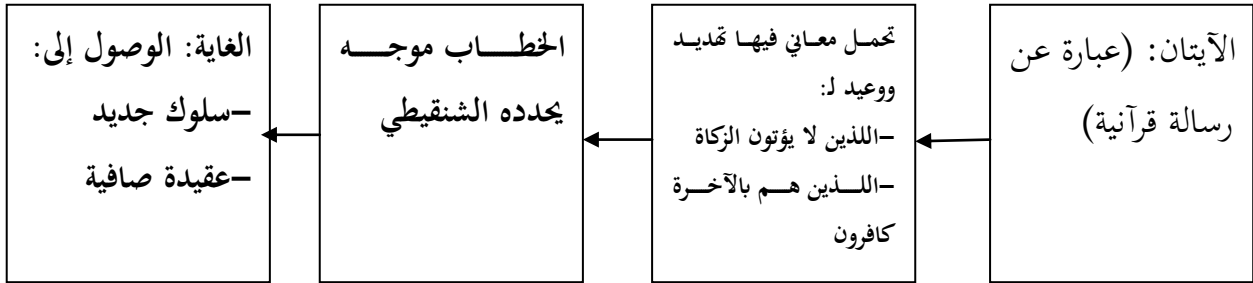
وقد حرص الشنقيطي على بيان من وجه له الخطاب في تفسير أضواء البيان، لأجل إيضاح الدلالة والمعنى من مراد الله تعالى وبين علاقة أجزاء النص القرآني بعضها ببعض، وهذا ما يظهر من خلال النماذج الآتية:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (الآية: 06-07-فصلت).

يعمد الخطاب القرآني إلى تطهير النفوس وتزكيتها وتطهير الأموال ونمائها بالحلال، ويقوم الشنقيطي في تفسيره باستنباط الأحكام الشرعية عندما يصل إلى المعنى المراد من نصوص الآيات، وفي هذه الآيات عمل الشنقيطي على ربط العوامل اللغوية بغير اللغوية للوصول إلى دقة المعنى وإيضاح المخاطب وتحديد واستنباط الأحكام من خلال هذا التواصل الحاصل بين هذه العوامل فكانت كالآتي:

¹ - الشنقيطي، أضواء البيان ج2، ص 88.

² - المرجع نفسه، ج2، (ص 337)، ج7، (ص 329-330).



لقد استدل بعض العلماء- كما يذكر الشنقيطي بهذه الآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، لأن الله تعالى صرح في هذه الآية الكريمة بأنهم مشركون، وأنهم كافرون بالآخرة وقد توعدهم بالويل على شركهم وكفرهم بالآخرة⁽¹⁾، إذ من خلال الألفاظ المستعملة في سياق الآيتين، وما تحملها هذه الألفاظ من معاني إسلامية خاصة، إذ انتقلت دلالة الألفاظ من معاني كلية عامة قبل ظهور الإسلام إلى دلالات خاصة بعد ظهوره، مما جعلها تشير إلى مخاطبين لا ينتمون للشريعة الإسلامية على الرغم من أنهم مخاطبون بفروع الشريعة الإسلامية.

والأساليب القرآنية الرفيعة، تبين استعمال هذا النوع من الخطاب، بحيث يخاطب الكافر بشريعة الإسلام بفرع من فروع الشريعة، وقد ذكر منها الشنقيطي قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (الآية: 42-47-المدثر).

فصرح تعالى عنهم في هذه الآية، مقرراً له، أن من الأسباب التي سلكتهم في سقر، أي أدخلتهم النار، عدم الصلاة، وعدم إطعام المسكين، وعد ذلك من الكفر بسبب التكذيب بيوم الدين⁽²⁾، ونظير ذلك موجود في القرآن الكريم في العديد من المواضع.

والملاحظ على تفسير الشنقيطي لهذه الآية هو أنه يوضح الترابط بين العناصر الخطابية، من رسالة خطابية موجّهة للكافرين تحمل هذه الرسالة الخطابية فرعا من فروع الشريعة، وكل هذا يبين العلاقة الرابطة بين الأحكام الشرعية العامة وفروع الشريعة، مما يوضح التماسك الدلالي والحبك

¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج7، ص 122.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص 123.

الحاصل بين معاني الآيات، بالإضافة إلى الاعتماد على السياق النصي العام للقرآن الكريم لبيان هذا النوع من الأساليب الخطابية.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ (الآية: 19- الأنفال).

اختلف العلماء في تحديد المخاطب في هذه الآية الكريمة، وفيه قولان:

القول الأول: هو خطاب للكفار، لأنهم قالوا: اللهم أقطعنا للرحم وأظلمنا لصاحبه فانصره عليه.

القول الثاني: أنه خطاب للمؤمنين، أي: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر⁽¹⁾.

يذهب الشنقيطي إلى أن الخطاب في هذه الآية موجه لكفار مكة⁽²⁾.

الدليل: استعان-رحمه الله- بأدلة لغوية وغير لغوية في تحديد المخاطب منها:

1- سبب النزول.

2- لغات العرب.

3- سياق الآية.

4- السياق القرآني العام.

إذ تفاعلت هذه الآليات جميعاً عند الشنقيطي لإيضاح المعنى وبيان ترابط آي القرآن بعضها

ببعض.

1- سبب النزول: يذكر الشنقيطي أن سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش، سألوا الله أن يحكم

بينهم وبين النبي ﷺ بأن يهلك الظالم منهم، وينصر الحق⁽³⁾، فنصر الله نبيه وأهلك الظالمين في

غزوة بدر.

2- لغات العرب: المراد بالفتح في هذه الآية الكريمة: الحكم، وهي لغة حمير، لأنهم يسمون

القاضي فتاحاً، والحكومة فتاحة⁽⁴⁾، وذكر ابن منظور أن من معاني كلمة الفتح: أن تحكم بين قوم

يختصمون إليك، ويقال للقاضي: الفتاح، لأن يفتح مواضع الحق، والفتاح: الحاكم وفتاحه مفتاحه

¹ - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 479-480.

² - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج2، ص 410.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 409-410.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 410.

وفتاحة: حاكمه⁽¹⁾، فمعاني لفظة "الفتح" تشير إلى مختصمين، يطلب أحدهما الحكم بينهما، وقد استعان الشنقيطي بهذه اللغة لإيضاح المعنى الدقيق للآية وتحديد المخاطب فيها.

3- سياق الآية: السياق اللغوي للآية من الآليات التي استعان بها الشنقيطي في تحديده للمخاطب في الآية الكريمة وإيضاح دلالتها، وما يدل على أن المراد بالفتح هنا الحكم أنه تعالى أتبعه بما يدل على أن الخطاب لكفار مكة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَنَتَّهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾ (الآية: 19- الأنفال)⁽²⁾.

4- السياق القرآني العام: يعتبر السياق النصي للقرآن الكريم باعتباره كلا موحدًا يفسر بعضه بعضًا، من الآليات التي يعتمد عليها الشنقيطي لبيان المخاطب وإيضاح المعنى المراد، ففي هذه الآية الكريمة، يبين رحمه الله أن اللفظة القرآنية "الفتح" تستعمل للدلالة على الحكم، وما "يتبين إطلاق الفتح بمعنى الحكم في القرآن الكريم في قوله عن شعيب وقومه: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الآية: 89- الأعراف)، أي الحكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين"⁽³⁾، فالأساليب ومعاني الألفاظ القرآنية من آليات الحُبك المعتمدة لبيان المعنى وإبراز العلاقات النصية بين الآيات القرآنية للوصول إلى تحديد المخاطب في الآية وبتضافر هذه الأخيرة مع الآليات الأخرى المذكورة سابقًا.

هـ - خطاب عام لبني آدم:

تعتبر بعض الخطابات القرآنية عامة إذا وجهت لبني آدم وفي هذا العنصر سنعمل على بيان هذا النوع من الخطاب، وطريقة الشنقيطي - رحمه الله - في تحديد المتلقين للخطاب، وعناصر الخطاب ومدى تفاعل هذه العناصر لإيضاح المعنى المراد في النص القرآني والنماذج الآتية توضح ذلك:

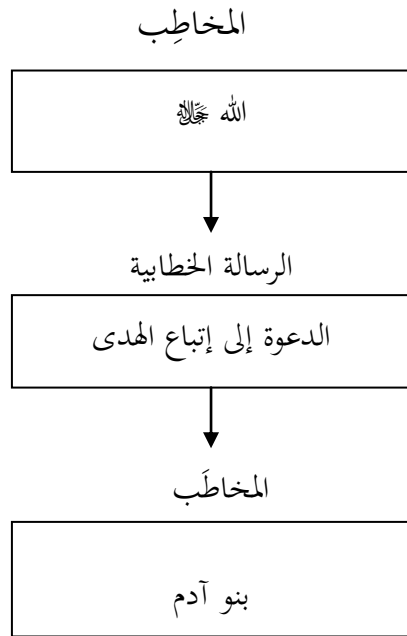
¹ - ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص 2968-2969.

² - الشنقيطي: أخوة البيان، ج2، ص 410.

³ - المرجع نفسه، ج2، ص 410.

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾
(الآية: 123-طه).

الظاهر- عند الشنقيطي أن الخطاب لبني آدم، أي: فإن يأتكم مني هدى، أي رسول أرسله إليكم، وكتاب يأتي به رسول، فمن اتبع منكم هداي، أي: من آمن برسلي وصدق بكتبي، وامثل ما أمرت به، واجتنب ما نهيت عنه على السنة رسلي، فإنه لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة⁽¹⁾، فالمخاطب في الآية بهذه الرسالة القرآنية هم بنو آدم:



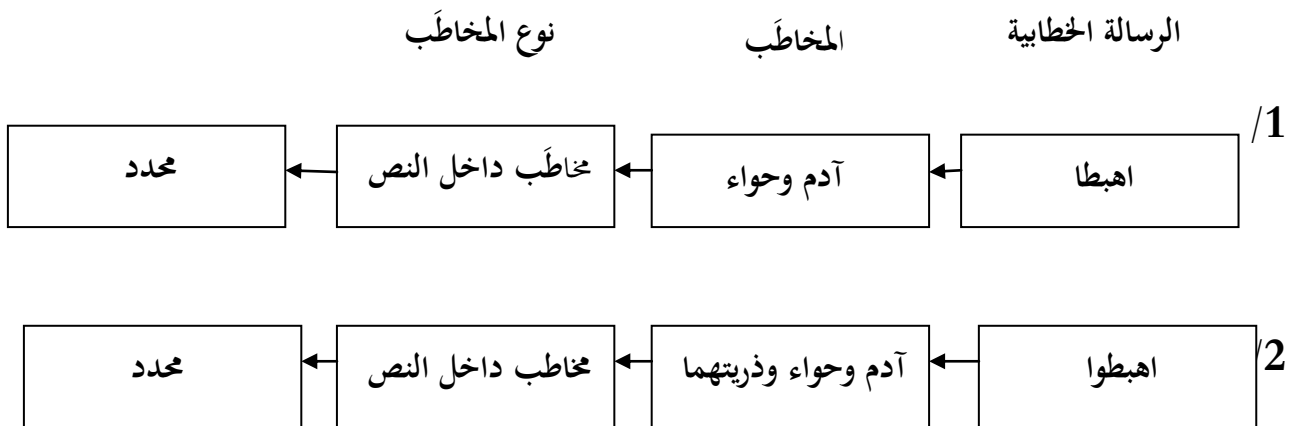
الدليل: والدليل الذي استند إليه الشنقيطي على أن المخاطب في هذه الآية هم بنو آدم، هو اعتماده على السياق النصي القرآني، إذ هناك ما يرادف هذا المعنى في آيات أخرى، ومنها قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الآية: 38-البقرة)². فتضافر السياق القرآني العام مع سياق الداخلي للآية للوصول إلى تحديد المخاطب في هذه الآية وإيضاح دقة معناها، إذ تفاعل جزء من النص يستدعي نصاً آخر في سورة أخرى للوصول إلى المعنى المراد من الآية.

¹ - الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 680.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 680.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (الآية: 123- طه)، وقوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ (الآية: 38- البقرة).
الظاهر لدى الشنقيطي أن المخاطب في الآية الأولى في قوله تعالى: "اهبطا" راجعة إلى آدم وحواء، والدليل على ذلك أمران:

أولها: ألف الاثنين: في قوله: "اهبطا" دلالة على أن المخاطب مثنى وهما آدم وحواء.
ثانياً: السياق القبلي للآية: "أن ألف الاثنين في قوله: "اهبطا" راجعة إلى آدم وحواء المذكورين في قوله: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا﴾ (الآية: 121- طه) خلافاً لمن زعم أنها راجعة إلى إبليس وادم⁽¹⁾، فألف الاثنين في قوله: "فأكلا" وقوله "بدت لهما" وقوله: "سوءاتهما" وقوله: "وظفقا يخصفان" وتستمر ألف الاثنين إلى قوله تعالى: "اهبطا"، فالاستمرارية في ذكر الصيغة الصرفية كانت دليلاً واضحاً لدى الشنقيطي لاعتبار أن لفظة: "اهبطا" يعود على المخاطبين، آدم وحواء، وقد جاء هذا مبيناً من خلال الآية الكريمة من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الآية: 36- البقرة) فالتثنية في الآية من سورة طه باعتبار المخاطب آدم وحواء فقط، والجمع في آية البقرة: "اهبطوا" باعتبارهما مع ذريتهما⁽²⁾، فيكون المخاطب هم بنو آدم جميعاً، وهي كالاتي:



¹ - الشنقيطي: أضواء البين، ج4، ص 671.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 672.

فإن كان الله قد خاطب آدم وحواء، فقد كان ضمير الجمع في الآية الثانية دلالة على أن هذا الإنسان يعتبر عنصرا من أهم العناصر الفاعلة في هذا النوع من الخطاب، ليبين له فضله تعالى على سائر المخلوقات، بأن جعل والداه في الجنة، فأكلا من الشجرة التي نهي الله عن الأكل منها، وهنا تتضح أهمية السمع والطاعة لأوامر الله تعالى واجتناب النواهي، فتحديد المخاطب في الآيتين دلالة واضحة على الانسجام الذي أحدثته الصيغ الصرفية في الآية، بالإضافة إلى الحُبْكِ الحاصل بين آيات الذكر الحكيم التي استعان بها الشنقيطي لإيضاح المعنى بدقة وبيان التماسك النصي بين الآيات

2: ترتيب الخطاب:

نقصد بترتيب الخطاب هو أن تأتي الوقائع والأحداث في النص مرتبة وفق ترتيبها في الواقع أو المنطق "ولاشك أن لترتيب الوقائع والأحداث في الخطاب حسب ما تقع في الخارج أهمية في انسجام الخطاب"⁽¹⁾، ويعتبر ترتيب الخطاب من القوانين التي لاقت اهتماما واسعا من قبل علماء الخطابة بداية من "أرسطو" الذي قسم أجزاء الخطاب إلى أقسام ثلاثة (مقدمة ووسط وخاتمة) مروراً بـ"كوتلين" الذي قسمها إلى (طرح الحقائق والخلفيات، البرهنة على الافتراضات، نقض الحجج المعاندة، الخاتمة) وانتهاءً بالتقسيمات الحديثة والتي طرحت أشكالاً مختلفة من الترتيب للخطاب، وذلك تبعا لنوع الخطاب⁽²⁾، فقد يكون خطابا تعريفيا أو وصفيا أو حجاجيا وغيرها من أنواع الخطاب، وترتيب الخطاب يعني أنه متماسك الأجزاء منتظم العناصر يشد بعضه برباط بعض، وهذا الانسجام يكسبه قوة في التأثير على المخاطبين، كون الخطاب محبوبا بطريقة معينة.

وقد اهتم المفسرون بترتيب الخطاب، حسب وقوعه أو حسب وجوده في الواقع، وربطوا بين تحليله وبين حدوثه في العالم الخارجي أو منطقيا، لأنهم يرون أن النص القرآني في أعلى درجات الانسجام، وكل واحد من المفسرين اهتم بزوايا معينة من زواياه، "فمنهم من اهتم بفائدة قلب الترتيب، ومنهم من اهتم بسبب ترتيب الخطاب ترتيبا معيناً"⁽³⁾، والشنقيطي اهتم بترتيب الخطاب

¹ - مُجَدَّ خطابي: لسانيات النص، ص 183.

² - محمود يوسف السماسيري، نظرية الخطاب (الفكر) الإسلامي-قراءة علمية تأسيسية، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 2016، ص 177-178.

³ - مُجَدَّ خطابي: المرجع السابق، ص 183.

وبيان مدى انسجام الخطاب القرآني واستنباط الأحكام الشرعية من خلال هذا الترتيب، والنماذج الآتية توضح ذلك:

النموذج الأول: من قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (الآية: 41-45-مريم).

النموذج الثاني: وهو استمرار للنموذج الأول: من قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (الآية: 46-47-مريم).
وقد فصل بينهما الشنقيطي أثناء التفسير، قد يكون باعتبار أن النموذج الأول خاص بدعوة إبراهيم لأبيه والثاني يتعلق برفض أبيه لهذه الدعوة.

القضية التي تحملها هذه الآيات هي قضية أساسية في دعوة الأنبياء جميعاً من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ، وهي دعوة التوحيد لعبادة الله دون ما سواه، ولما كان لهذه القضية أهميتها، وكان إبراهيم عليه السلام حاملاً لهذه الدعوة رأى أن أباه هو الأولى بدعوته لما رأى من عبادته الأصنام، فعمد إبراهيم عليه السلام في دعوة لاستعمال أساليب حجاجية خطابية في خطابه لوالده اعتمدت على سلم حجاجي منطقي يخاطب العقل مراعيًا العلاقة الرابطة بينه وبين من يخاطبه، فكان هنا ترتيب في هذا الخطاب، مما جعل الشنقيطي يفصل بين أجزاء القضية الواحدة في تفسيره:

الجزء الأول: دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه: تحدث الشنقيطي في بداية تفسيره لهذه الآية عن فعل الأمر "اذكر" بحيث عده خطاباً موجهاً للنبي ﷺ بأن يذكر في الكتاب الذي هو القرآن الكريم إبراهيم عليه السلام ويتلو على الناس في القرآن نبأه مع قومه ودعوته لهم إلى عبادة الله وحده، وهذا المعنى المذكور هنا من الأمر وُجِدَ في آيات أخرى من القرآن الكريم⁽¹⁾، منها: قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الآية: 69-الشعراء)، ثم يذكر الشنقيطي أن إبراهيم عليه السلام لم يوجه الدعوة إلى أبيه فقط بل وجهها إلى قومه أيضاً كعادة كل الأنبياء في دعوتهم، ودليله على ذلك السياق النصي العام للقرآن الكريم، والذي وردت فيه آيات تبين هذا، منها:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 355.

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الآية: 26-الزخرف).
- وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (الآية: 52-الأنبياء) وغيرها من الآيات التي تثبت أن دعوة إبراهيم شملت أباه وقومه.

ينتقل بعدها الشنقيطي إلى قوله تعالى: "إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا" إذ يعتبرها معترضة، والصدِّيق صيغة مبالغة من الصدق، لشدة صدق إبراهيم عليه السلام في معاملته مع ربه وصدق لهجته، منها صبره ورضاه بأن يذبح ولده طاعة لربه، وصبره على الإلقاء في النار، وصبره على مفارقة الأهل والوطن⁽¹⁾، والدليل على هذا: السياق النصي للقرآن الكريم، فقوله: "إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا" هي بمثابة مسافة الخطاب الحجاجي وتعليل للنبي ﷺ فالخطاب الحجاجي يمكن حصره بين قوله تعالى: "وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ" وقوله تعالى: "إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا"، فعناية الشنقيطي بمسألة الأمر "واذكر" ومسألة الصدق والنبوة، هي عناية بحجة وبيان سبب وبيان رسالة خطابية قرآنية، إذ الخطاب هنا يرتبط بعضه برباط بعض، مرتب ترتيبا منطقيا، معتمدا على الألفاظ في بيان تماسك البنى الدلالية، ومستعينا بالسياق النصي العام لبيان معاني الألفاظ الواردة في الآية، مما يبرز ذلك التفاعل العجيب بين البنى المعجمية الداخلية وبنية النص الكلية.

بعدها ينتقل الشنقيطي لإيضاح الآيات المتتالية في ترتيب هذه القضية الخطابية، وهي بداية من قوله تعالى: "يَا أَبَتِ" وهي محاجته أباه، وهي "محاجة في شيء واحد وهو توحيد الله جل وعلا، وإقامة الحججة القاطعة على أنه لا معبود إلا هو وحده جل وعلا"⁽²⁾، فخطاب إبراهيم عليه السلام بقوله: "يَا أَبَتِ" قد نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرفق واللين، إلا أن أباه خاطبه خطابا عنيفا⁽³⁾، كما سنوضحه في النموذج الثاني من الخطاب.

وحجج إبراهيم عليه السلام الخطابية في دعوته أبيه هذه، اعتمدت على خطاب رتبه وفق حجج منطقية واضحة تتمحور حول نقطتين أساسيتين هما:

- عبادة الله جل وعلا.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان ج4، ص 356-357.

² - المرجع نفسه، ج4، ص 360.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 360.

- النهي عن عبادة الشيطان (الأوثان) فكانت كالاتي:

نهي أباه أن يعبد الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر⁽¹⁾ وهنا دعوة إلى النظر والاستدلال لحقيقة الأوثان.

ثم يأتي بيانه عليه السلام لأبيه أن الشيء الذي يدعو إليه والعلم الذي عنده هو من عند الله، فقوله " إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ"، يعني ما علمه الله من الوحي وما ألهمه، إذ أن حجة الله آتاه نبيه إبراهيم⁽²⁾.

فالخطاب الأول: اعتمد فيه إبراهيم عليه السلام على عنصر الخطاب متمثلاً في المخاطب

ودوره في النظر والاستدلال لحقيقة الأشياء التي يعبدها.

أما الخطاب الثاني: فيعتمد فيه إبراهيم عليه السلام على ما علمه الله من الوحي وحجة الله

التي أتاه إياها، فهي اعتماد على المخاطب، وهو إبراهيم عليه السلام.

ثم ينتقل إلى الحديث في النهي عن اتخاذ الشيطان ولياً.

ثم انتقل في حججه الخطابية في الحديث عن عبادة الشيطان وولايته، و"معنى عبادته

للشيطان في قوله (لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) طاعته للشيطان في الكفر والمعاصي"⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿إِيَّيْ

أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتُكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (الآية: 45-مريم)، فالآية تدل على

أن الكفار المعذبين يوم القيامة أولياء الشيطان، والآيات التي تدل على الكفار أولياء الشيطان

كثيرة في القرآن الكريم أوردتها الشنقيطي لبيان هذا النوع من الولاية⁽⁴⁾، وهنا يعتمد الخطاب في

حجته على المخاطب، بتذكيره بعداوة الشيطان للإنسان، وبالعذاب المسلط على الإنسان إذا اتخذ

هذا الشيطان ولياً.

وهذا الجزء من الخطاب في هذا النموذج من "الآيات المذكورة واردة في أصل المحاجة في

شيء واحد وهو توحيد الله جل وعلا وإقامة الحجة القاطعة على أنه لا معبود إلا هو وحده جل

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 355.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 360.

³ - المرجع نفسه، ج4، ص 358.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج4، ص 359.

وعلا⁽¹⁾ وقد اعتمد فيه الترتيب المنطقي في إيراد الحجج الخطابية الحسية والحجج الخطابية التي مبناها المعرفة المشتركة بين إبراهيم عليه السلام وأبيه، منها ألفاظ العذاب، الشيطان، وتكرار الشيطان ساهم في انسجام الخطاب، باعتباره محورا للخطاب، كما ذكرنا في الأول يتمحور حول فكرتين أساسيتين:

- عبادة الله جل وعلا.

- النهي عن عبادة الشيطان (الأوثان).

الجزء الثاني: عدم قبول دعوة إبراهيم من قبل أبيه: تبدأ من قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ إِلَهِتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (الآيتين: 46-47-مريم). وفي هذا الجزء يستمر ترتيب الخطاب القرآني بين الآيات القرآنية الواردة في هذه القضية (قضية دعوة إبراهيم لأبيه) إذ يذكر الشنقيطي أن "الله جل وعلا في هاتين الآيتين بين أن إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من:

❖ الرفق واللين.

❖ إيضاح الحق.

❖ التحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر.

❖ التحذير من عذاب الله تعالى.

❖ التحذير من ولاية الشيطان"⁽²⁾.

ينتقل الشنقيطي إلى الجزء الثاني: وهو الرد على دعوة إبراهيم عليه السلام من قبل أبيه

بواسطة خطاب يحوي الآتي:

❖ خطاب عنيف.

❖ سماه باسمه ولم يقل له: يا بني في مقابلة قوله له: يا أبت.

❖ أنكر عليه عدم عبادته آلهته.

❖ وهدده بالرجم إن لم ينته عما يقوله.

¹ - الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص 359-360.

² - الشنقيطي: المرجع نفسه، ج4، ص 360.

❖ ثم أمره بهجره مليا أي: زمانا طويلا⁽¹⁾، والملاحظ من هذا الخطاب أيضا أنه يتميز كذلك بترتيب؛ يبدأ بالنداء وينتهي بالهجران.

ثم ينتقل الشنقيطي للحديث عن الخطاب التالي في ترتيب الخطابات بين إبراهيم عليه السلام وأبيه والذي ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الرد على خطاب أبيه العنيف.

القسم الثاني: الوعد بالاستغفار لأبيه.

ذكر الشنقيطي أن رد إبراهيم على أبيه جاء بعد خطاب أبيه الذي اتسم بالعنف والشدّة، إلا أن إبراهيم عليه السلام قابل جوابه العنيف بغاية الرفق واللين في قوله: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ (الآية: 47-مریم) فقوله: "سلام عليك" يعني لا يَنَالُكَ مني أذى ولا مكروه فلا أؤذيكَ، وقوله "سأستغفر لك ربي" وعد من إبراهيم لأبيه، لكن الله بين له أنه عدو الله فتبرأ منه إبراهيم عليه السلام⁽²⁾.

فالملاحظ للخطاب وترتيبه في قضية دعوة إبراهيم عليه السلام، أنها مرت بثلاث مراحل أساسية كما بين ذلك الشنقيطي أثناء إيضاح لهذه الخطابات:

الخطاب الأول: هو خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه وهي دعوة له بأن:

1- يعبد الله وحده

2- يجتنب عبادة الشيطان (الأوثان).

وفي هذا الخطاب اعتمد الشنقيطي على حجج ملموسة ومنطقية تدرجا في حججه وفق ترتيب منطقي، اعتمدت كل حجة على نتيجة، وهذا الترتيب بهذه الطريقة أسهم في تماسك الخطاب وانسجامه دلاليا ومنطقيا لأنه استند إلى سلم حجاجي، وخطابه عليه السلام كان منسجما لا يوجد فيه أي تعارض.

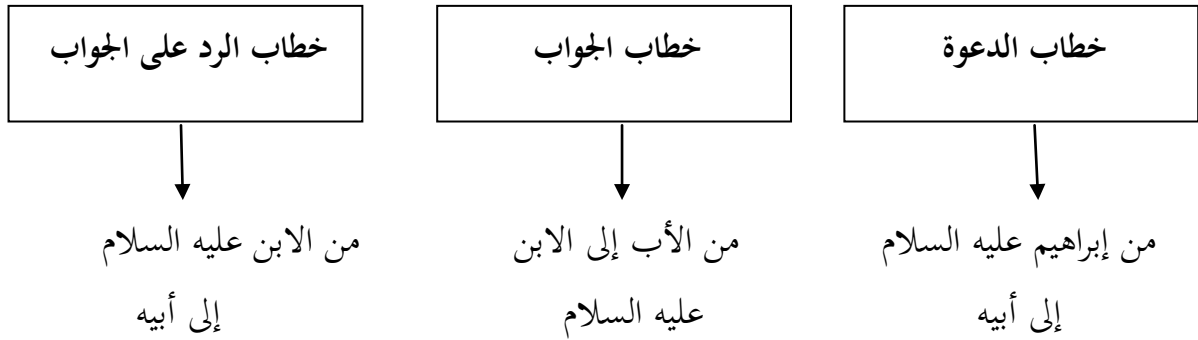
الخطاب الثاني: خطاب تمثل في الجواب عن الدعوة السابقة من قبل والده.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج4، ص 360-361.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج 4 ، ص: 360-361.

ذكر الشنقيطي أن هذا الخطاب اتسم بالعنف والشدة في حق إبراهيم عليه السلام، وهي عبارة عن جواب عن الدعوة.

الخطاب الثالث: الرد على الجواب: وهي خطاب كما يذكر الشنقيطي جاء في الترتيب بعد الجواب، واتسم بالرفق واللين. فكانت الخطابات الثلاثة كالاتي:



فترتيب الخطاب بهذا الشكل، أسهم في بيان:

- التعارض بين إبراهيم عليه السلام وفكر أبيه.
- تنوع الخطاب.
- بيان انسجام الخطاب وتماسكه على الرغم من وجود تعارض وتباين في الآراء وتنوع في الخطاب وعناصر الخطاب في كل نوع.

3: دليل الخطاب:

سنتناول في هذا العنصر نقطتين أساسيتين لهما علاقة بمحتوى الخطاب وما يدل عليه؛ النقطة الأولى: تتعلق بدليل الخطاب على مفهوم المخالفة، والنقطة الثانية: تركز على فحوى الخطاب ودليله على مفهوم الموافقة، إذ تبين من خلال النماذج دور الشنقيطي -رحمه الله- في إبرازهما، وبيان دورها في فهم مراد الله تعالى من الخطاب القرآني، وكذلك مدى تعالق النص القرآني بعضه ببعض من خلالها.

أ/ دليل الخطاب على مفهوم المخالفة:

اهتم الشنقيطي في تفسيره بقضية خطابية أساسية وهي دليل الخطاب على مفهوم المخالفة، ومفهوم المخالفة هو "ما يكون مدلول اللفظ فيه محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق"⁽¹⁾، أو "أن تكون الكلمة على خلاف القانون المستنبط من تتبع لغة العرب"⁽²⁾، بحيث يستنبط من الخطاب معاني وأدلة بالخلف، ومن خلالها يبيّن الأحكام الشرعية، وما يهمننا هنا هو دورها في إيضاح المعنى عنده وكيفية تشكل البنية الدلالية من خلال مجموعة المتواليات النصية المكونة للخطاب، ويمكن أن نبيّن ذلك من خلال النماذج الآتية:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى﴾ (الآيتين: 1-2-البقرة).
من بين الأمور التي تعرض لها الشنقيطي في كتابه دليل الخطاب الدال على مفهوم المخالفة حيث ذكر أن الله تعالى صرّح في هذه الآية بأن هذا القرآن هدى للمتقين، ويفهم من مفهوم الآية، يعني مفهوم المخالفة المعروف بدليل الخطاب، أن غير المتقين ليس هذا القرآن هدى لهم⁽³⁾، إن اللافت للانتباه أن تعامل الشنقيطي مع الخطاب القرآني لا ينحصر في الدلالات الظاهرة والمباشرة التي يستخرجها من خلال تفاعل عناصر الخطاب المختلفة، بل تجاوز الأمر هنا إلى الاعتياء بالدلالات المستنبطة من المخالفة والتي تعرف بالدليل بالخلف، بالإضافة التي تتبع المعنى المستخرج من دليل الخطاب أعني مفهوم المخالفة في السياق النصي العام للقرآن الكريم. ويبيّن أن الله تعالى صرّح بهذا المفهوم في آيات أخرى منها:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾. (الآية: 44-فصلت).

- وقوله تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۗ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، (الآية: 82-الإسراء)، وغيرها من الآيات التي ذكرها الشنقيطي⁽⁴⁾، وبهذه الآيات التي استدلت بها على بيان مفهوم المخالفة - دليل الخطاب من الآية الكريمة، يمكن أن نشبه النص القرآني عنده

¹ - ينظر: الأمدي (سيف الدين)، الإحكام في أصول الأحكام، تج، سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404، ج3، ص 87.

² - الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، ص 219.

³ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص: 55.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 55.

بجملقات في سلسلة يشد بعضها بعضا، مما يؤسس لتلاحمه وحبكه في شكل عجيب، وتزداد هذه العلاقات ترابطا كلما تقدم الشنقيطي في عمق القراءة للنص القرآني عموما واستخراج الآيات الدالة على هذا المفهوم.

النموذج الثاني: قوله تعالى: "قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ" (الآيتين: 269-27-الطور).

يتحدث أهل الجنة ويسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ما عند الله "مُشْفِقِينَ" وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ " النار ووهجها ولفحها⁽¹⁾، ويذكر الشنقيطي في قوله تعالى "فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ" أي خائفين من عذاب الله في دار الدنيا، "فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا" أي أكرمنا وتفضل علينا بسبب الخوف منه في دار الدنيا⁽²⁾، ويعد الشنقيطي أن هذا الخطاب له مضمون المخالفة ودليله بالخلف واهتم باستنباط الدلالات من الآية، بحيث أن ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الإشفاق الذي هو الخوف الشديد من عذاب الله في دار الدنيا، سبب للسلامة منه في الآخرة، يفهم من دليل الخطاب - يقصد مفهوم مخالفته- أن من لم يخف من عذاب الله في الدنيا لم ينج منه في الآخرة" وهذا دليل الخطاب بخلاف مضمونه، إذ الله عز وجل لم يذكر هنا هذا المعنى لكن قراءة النص من الشنقيطي جعله يستخرج من هذا الخطاب هذا المعنى، إذ عمل على استحضاره في شرحه للخطاب بكل أبعاده السطحية الظاهرة والعميقة الخفية، إذ الخطاب اختصر في داخله علامات أمكن للمفسر قراءة معانيها، وحين ينتهي الشنقيطي من إيضاح دليل الخطاب على مفهوم المخالفة من خلال الآية محل الدراسة، يذهب لبيان انسجام الخطاب القرآني وترابطه، إذ يسارع إلى استقراء سياق النص القرآني عموما، ورصد الآيات القرآنية التي تحمل مفهوم المخالفة من الخطاب السابق.

إنَّ ما تضمنته الآية الكريمة بمنطوقها ومفهومها جاء موضحا في غير هذا الموضع، كما ذكر - الشنقيطي منها:

¹ - ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج5، ص: 629.

² - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج7، ص: 733.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (الآية: 10-14- الانشقاق).

-وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾. (الآية: 41-45- الواقعة).

-وقوله تعالى: ﴿أَيُّدًا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ (الآية: 47- الواقعة).

فَتَنَعَّمُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَذْكُورَةَ وَإِنكَارَهُمْ لِلْبَعْثِ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ إِشْفَاقِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ عِلَّةٌ كَوْنُهُمْ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ⁽¹⁾، وَلَا شَكَّ أَنْ اسْتِنْبَاطُ الْأَدْلَةِ بِمَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ، وَالاعْتِمَادُ عَلَى السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ الْعَامِ لِبَيَانِ هَذَا الْمَعْنَى أَهْمِيَّةٌ فِي تَمَاسُكِ الْخُطَابِ، وَقَدْ اعْتَنَى بِهِ الشَّنْقِيطِيُّ كَثِيرًا فِي تَفْسِيرِهِ لِمَا لَهُ أَهْمِيَّةٌ فِي بَيَانِ مَرَادِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ كَلَامِهِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى فَهُوَ يَشِيرُ إِلَى عِلَاقَاتٍ خَاصَّةٍ تَحْكُمُ آيَاتِ الْقُرْآنِ بَعْضَهَا بِرِبَاطٍ بَعْضَ دُونَ رِبَاطٍ شَكْلِيٍّ يُوْتِقُ هَذِهِ الْعِلَاقَةَ.

-ونماذج دليل الخطاب على مفهوم المخالفة كثيرة ومتعددة في كتاب أضواء البيان، إذ يظهر في سبعة عشر موضعا منه⁽²⁾.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج7، ص: 734.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص(231،50)، ج2، ص(170،155)، ج3، ص (166، 238)، ج4، ص(375،97)، 401، (411)، ج5، ص(430،260)، ج6، ص(240)، ج7، ص(733،664،127).

ب- دليل فحوى الخطاب على مفهوم الموافقة:

-اهتم الشنقيطي أيضا بقضية خطابية أساسية وهي فحوى الخطاب باعتباره دليلا على مفهوم الموافقة وسميت بمفهوم الموافقة: "لأن حكم المسكوت عنه يكون موافقا لحكم المنطوق"⁽¹⁾، ويسميه الشنقيطي أيضا، "فحوى الخطاب" أما الزركشي فيطلق عليه "تنبيه الخطاب"⁽²⁾، إذ من خلال هذه القضية الخطابية يبرز لنا أن المتلقي (المفسر) هو ركن أساسي من أركان التحليل الخطابي، لأن النص القرآني يأتي بقضايا جوهرية، فيعتمد المفسر على الكفاءة في معرفة الخطاب القرآني بالإضافة إلى قدرته على استحضار عناصر خارجية مساعدة على فهم النص القرآني، وهذا التفاعل بين العناصر يحقق فهما أعمق للبنية الكلية للنص، "ولكي نحصل على البنية الكلية لأية متوالية يجب علينا أن ننفذ عددا من العمليات، تُنفذ من أجل اختزال النص إلى بنية دلالية كلية"⁽³⁾، ومن هذه العمليات استنباط مفهوم الموافقة من فحوى الخطاب، وهذا الذي عمل الشنقيطي على بيانه:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ۖ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ﴾. (الآية: 11-النساء).

النموذج الثاني: ﴿إِنِ امْرَأَةٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۖ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ۖ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۖ﴾. (الآية: 176-النساء).

يتناول النموذج الأول قضية ميراث الأولاد من أبيهم، بينما يتناول النموذج الثاني قضية ميراث الإخوة والأخوات بعضهم من بعض، وأوردتهم معا لأن دليل فحوى الخطاب الذي أورده الشنقيطي يجعل من الخطابين في تعالق وانسجام لغاية استنباط الأحكام الشرعية منهما.

-والقضيتان الأساسيتان فيهما هما:

1/ ميراث البنات.

2/ ميراث الأخوات (فوق اثنتين)

1- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: مذكرة أصول فقه، دار عالم الفوائد، ط1، 1426هـ- ص: 370.

2- محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404-1984، ج2، ص19.

3- محمد خطابي: لسانيات النص، ص: 283.

هنا يتجلى تركيز الشنقيطي على الخطاب باعتباره دليلاً على الموافقة، وتأثير الخطابات بعضها في بعض للوصول إلى تشكيل الخطاب القرآني العام من خلال التواصل اللغوي بين هذه الخطابات واستعمالها بهذه الطريقة دليل على توظيف الشنقيطي آليات الانسجام من أجل بيان تماسك الخطاب دلاليًا رغم تعدده.

الخطاب الأول: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ﴾ (الآية: 11 - النساء).

يذكر الشنقيطي أن الله تعالى صرح في هذه الآية الكريمة بأن البنات إن كن ثلاثاً فصاعداً فلهن الثلثان، وقوله: "فوق اثنتين" يوهم أن اثنتين ليستا كذلك، وصرح بأن الواحدة لها النصف، ويفهم أن اثنتين ليستا كذلك أيضاً⁽¹⁾، يستعين الشنقيطي لبيان ميراث البنات التي لم تذكر في هذه الآية، بفحوى الخطاب القرآني، عندما ذكر الله تعالى ميراث الأختين، بقوله: في آخر سورة النساء: "فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ" (الآية: 176)، وهنا إشارة إلى أن للبنات الثلثين، لأن البنت أمس رجماً وأقوى سبباً في الميراث من الأخت بلا نزاع فإذا صرح تعالى: بأن للأختين الثلثين علم أن البنات من باب أولى، وأكثر العلماء على أن فحوى الخطاب، أي: مفهوم المسكوت فيه أولى بالحكم من المنطوق من قبيل دلالة اللفظ⁽²⁾، وما يزيد الأمر إيضاحاً هو أن السنة النبوية قضت بأن يكون للبنات دون الذكر الثلثان.

فهذا مثال واضح لدلالة فحوى الخطاب على مفهوم الموافقة على إعطاء البنات الثلثان، فالخطاب هنا كان دليلاً واضحاً عليه، ويتبين كذلك التلاحم والتعلق بين أجزاء النص القرآني على الرغم من تعدد السور واختلال الآيات وتباعدها إلى أن آية سورة النساء الأخيرة كانت دليلاً على مسألة طرحت في بداية السورة.

الخطاب الثاني: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ (الآية: 176 النساء).
- في هذا الخطاب القرآني حديث عن ميراث الأختين، وقد حدد من خلال هذه الآية بالثلثين، لكن هذه الآية لم توضح ميراث الأخوات (فوق اثنتين)، "لكنه أشار في موضع آخر إلى أن

1- الشنقيطي، أخوة البيان، ج1، ص363.

2- المرجع نفسه، ج1، ص: 364.

الأخوات لا يزدن على الثلثين، ولو بلغ عددهن ما بلغ، وهو قوله تعالى في البنات: "فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ" (الآية: 11 - النساء)، ومعلوم أن البنات أمس رحما وأقوى سببا في الميراث من الأخوات⁽¹⁾، وهو مثال يعتبره الشنقيطي دليلا واضحا في بيان ميراث الأخوات فوق اثنتين، فإن كن البنات - لا يزدن على الثلثين ولو كثرن، فكذلك الأخوات من باب أولى، وأكثر علماء الأصول يذهبون إلى أن فحوى الخطاب، أي مفهوم الموافقة المسكوت فيه أولى بالحكم من المنطوق من قبيل دلالة اللفظ، لا من قبيل القياس⁽²⁾.

الملاحظ من خلال تحليل الخطابين السابقين، أن الشنقيطي لا يكتفي بدراسة لغة الخطاب القرآني ولا عناصره الأساسية التي تكونه، وإنما يتعدى ذلك إلى دراسة العلاقات النصية بين الخطابات القرآنية المتعددة والتي من خلالها يتضح الانسجام النصي بينها، وهذه لا تقل أهمية في إلقاء الضوء على العناصر المشكلة للخطاب، لأنه - رحمه الله - اعتمدها آية من الآليات التي استنبط بها الأحكام الشرعية في القضايا الفقهية التي تندرج ضمن علم الفرائض، إذ كما هو ملاحظ من الخطابين السابقين أن فحوى الخطاب الأول، الذي جاء مضمونه حديثا عن ميراث البنات (فوق اثنتين)، كان دليلا على الموافقة على أن ميراث الأخوات (فوق اثنتين) هو الثلثان أيضا، ومضمون الخطاب الثاني، عن ميراث الأختين والمحدد بالثلثين كان فحوى الخطاب فيه دليلا واضحا عند الشنقيطي على أن ميراث البنات هو الثلثان على الرغم من عدم ذكره في الموضوع الأول.

1- الشنقيطي: أخوة البيان، ج1، ص: 512.

2- المرجع نفسه، ج1، ص: 512.

ثانيا: العلاقة بين التمثيلات⁽¹⁾ الخطابية الدلالية ودورها في الحبك النصي.

تنطلق العلاقات بين التمثيلات الخطابية من منطلق اتصال الوحدات الدلالية للنص ببعضها عن طريق استمرار الدلالة في الوحدات الأخرى، مما يحول النص من التقطع والركاكة إلى التقاطع والتعليق بين الأجزاء المكونة له، "وينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته، دون بدو وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة ينظر إليها على أنها علاقات دلالية مثال ذلك علاقات العموم الخصوص السبب/المسبب، الجمل/المفصل...وهي علاقات لا يخلو منها نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه⁽²⁾، فهي بذلك تعمل في إطار البنية العليا للنص، فالعلاقات بين التمثيلات الدلالية لا تبرز الترابط بين الوحدات الصغرى للنص فقط، بل أيضا بين الوحدات الكبرى التي يتشكل منها النص ومنها الوصول إلى قضية النص العامة والأساسية.

إن العلاقة المفترضة بين القضايا يجب أن تتم في إطار تنظيمي عام وفي ظل وجود مجموعة من أعراف القراءة، تكون مرشداً أميناً⁽³⁾ له في فهم الخطاب.

ينطلق علماء القرآن-التفسير وعلوم القرآن- من اعتبار القرآن الكريم خطاباً منسجماً مترابطاً، وهذا يعني أنه متصل تنكشف الدلالة بين أجزائه بتحديد العلاقات المختلفة القائمة بينها، فكل جزء فيه مرتبط بغيره بشكل ما⁽⁴⁾، ويأتي المتلقي العالم للكشف عن هذه العلاقات للوصول إلى مراد الله من كلامه.

وقد أسهم علماء التفسير في إيضاح العلاقات التي يرون أنها قائمة بين آيات متجاورة أو متباعدة وهي علاقات تتجاوز النظر إلى الارتباط الشكلي إلى ما هو أعمق، منها حديثهم عن علاقة البيان والتفسير، وعلاقة الإجمال والتفصيل والمناسبة والتناسب بين الآي⁽⁵⁾، وقد اهتم الشنقيطي شأنه في ذلك شأن المفسرين لكلام الله بهذه العلاقات ويمكن أن نميز أهم العلاقات التي تحدث عنها كالاتي:

¹ - هذا المصطلح استعمله: سعيد حسن بحيري؛ أنظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص 271

² -مُجَّد خطابي: لسانيات النص، ص 268-269

³ -حسام أحمد خرج، نظرية علن النص-رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430-2009، ص 131

⁴ -مُجَّد عبد الباسط عيد، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2016، ص 21

⁵ - ينظر: مُجَّد خطابي، المرجع السابق، ص: 187.

1. علاقة الإجمال بالتفصيل.
2. علاقة البيان والتفسير.
3. علاقة المطلق بالمقيد.

1- الإجمال والتفصيل

لقد أدرك الشنقيطي أهمية بيان العلاقات بين التمثيلات الدلالة في توجيه المعنى وتحديد إبهامه وإبراز أثر الحبكة القرآني في ذلك، فعمل على بيان هذه العلاقات ومنها علاقة الإجمال والتفصيل، وتتمحور أهمية إيضاحها في نقطتين أساسيتين:

- الأولى: تسهم في إيضاح مراد الله من الخطاب القرآني.
- الثانية: تسهم في إيضاح تجانس الخطاب القرآني وانسجامه وتماسكه وحبكه العجيب.

وقد قدم الشنقيطي بمقدمة في تعريف الإجمال والبيان وبدأ بالإجمال في اللغة والاصطلاح.

1-1- تعريف الإجمال:

- لغة: ذكر الشنقيطي أن المجل في اللغة هو المجموع، وجملة الشيء مجموعته⁽¹⁾، وجاء عند ابن فارس: الجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تجمّع وعظم الخلق، والآخر حسن، فمن الأصل الأول قولك أجملت الشيء، وهذه جملة الشيء، وأجملته: حصلته⁽²⁾، وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة⁽³⁾، فالملاحظ أن أقول العلماء في تعريف الإجمال اجتمعت حول معنى واحد وهو جمع الشيء ومجموعه.

- اصطلاحاً: يذهب الشنقيطي إلى أن المقصود بالمجل هو: ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجح لواحد منهما أو منها على غيره⁽⁴⁾، ويعرفه صاحب كتاب التعريفات على أنه: "ما خفي المراد منه، بحيث لا يدرك بنفس اللفظ إلا ببيان من المجل سواء كان ذلك لتزاحم المعاني المتساوية... كالمشترك أو لغرابة اللفظ أو الانتقال من معناه الظاهر إلى ما هو غير معلوم"⁽⁵⁾، واللفظ لا يخلو من أحد أمرين:

الأول: إما أن يدل على معنى واحد لا يحتمل غيره فهو النص.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص: 39.

² - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج1، ص: 481.

³ - ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص: 661.

⁴ - الشنقيطي: المرجع السابق، ج5، ص: 39.

⁵ - مُجَدُّ الشَّرِيفِ الْجَرَجَانِي، التعريفات، ص: 615-616.

الثاني: الذي يحتمل غيره وهذا له حالتان:

الحالة الأولى: أن يكون أحد المحتملين أظهر.

الحالة الثانية: بأن يتساويا بأن لا يكون أحدهما أظهر من الآخر فإن كان أحد المعنيين أظهر، فهو الظاهر وما يقابله محتمل، وإن استويا فهو المجل (1).

1-2- أسباب الإجمال:

لقد أورد الشنقيطي أسباب مختلفة لعلاقة الإجمال، ذكرها في تفسيره، وأشار إلى أهمها في مقدمة التفسير وهي ثلاثة:

- الإجمال بسبب الاشتراك.
- الإجمال بسبب الإبهام.
- الإجمال بسبب الاحتمال (2)

أ- الإجمال بسبب الاشتراك:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الآية 29- الحج).

من العلاقات بين التمثيلات الدلالية في الخطاب القرآني المتعلقة بالإجمال في آية وتفصيل المعنى المراد في آية أخرى أن يكون بسبب هذا الإجمال هو الاشتراك اللفظي في الاستعمال اللغوي للفظة القرآنية، إذ يذكر الشنقيطي أن المراد بالعتيق هنا للعلماء ثلاثة أقوال:

الأول: أن المراد به القديم؛ لأنه أقدم مواضع التعبد.

الثاني: أن الله أعتقه من الجبابرة.

الثالث: أن المراد بالعتق فيه الكرم. (3)

وأضاف ابن منظور إلى هذه المعاني، إلى أنه أُعتق من الغرق أيام الطوفان (4) وقد حرص

الشنقيطي على الاستشهاد بعيون الشعر العربي لبيان بعض هذه المعاني الواردة لمعنى لفظة

¹ - الشنقيطي، أضواء البيان، ج5، ص 39-40

² - ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 10-15

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 748

⁴ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص 2496

"العتيق"⁽¹⁾، وهذه الأقوال الثلاثة التي أوردتها الشنقيطي هي آراء لعلماء حول معنى هذه اللفظة، تعد إجمالاً بسبب الاشتراك في استعمال العرب لكلمة "العتيق" لعدة معاني و سياق الآية يقبل المعاني المذكورة دون تمييز، إلا إذا وجدت قرينة ترجح معنى على آخر. وفي هذه الحال يستند الشنقيطي إلى قرينة لغوية تتمثل في سياق النص القرآني الذي ورد فيه تفصيل لهذا الإجمال الحاصل في هذه الآية، "وقد دلت آية من كتاب الله على أن العتيق في الآية بمعنى القديم الأول، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (الآية: 96- آل عمران)، وخير ما يفسر به القرآن القرآن،⁽²⁾ فالقول الأول هو المراد، فيكون بذلك تفصيلاً للمجمل الواقع آية سورة الحج، واعتماد الشنقيطي على هذا الجواب التفصيلي يتحقق منه أمران:

الأمر الأول: تأكيد المعنى المفصل للمجمل، ومنه فقد استخرج المعنى المراد من كلام الله. **الأمر الثاني:** تجسدت النظرة النصية للشنقيطي من خلال طريقة تفسيره لهذه الآية، إذا المجمل في سورة الحج وتفصيلها في سورة آل عمران مما يعني أنه ينظر للقرآن الكريم على أنه نص موحد.

النموذج الثاني: قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) (الآية: 288- البقرة)

يذكر الشنقيطي أن قوله تعالى: (ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) فيه إجمال لأن القرء يطلق في اللغة على الحيض ويطلق أيضا على الطهر⁽³⁾، إذ يعتبر من المشترك اللفظي للاستعمال العربي في كلامهم، وذكر ابن منظور في معجمه أن " القرء: اسم للوقت فلما كان الحيض يجيء لوقت والطهر يجيء لوقت جاز أن يكون الأقرء حيضا وأطهارا"⁽⁴⁾.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج5، ص 748

² - ينظر: المرجع نفسه، ج5، ص 748

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 176

⁴ - ابن منظور: لسان عرب، ج3، ص 3166

واستشهد الشنقيطي للاستعمالين بفصيح كلام العرب ومن اطلاق القرء والمراد به الحيض
 قول النبي ﷺ: (دعي الصلاة أيام أفرائك)⁽¹⁾، ومن إرادة الطهر قول الأعشي: (2)
 وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا
 مُورَثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَمْدِ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

ومعلوم أن القرء الذي يضيع على الغازي من نسائه هو الطهر دون الحيض⁽³⁾.
 يشير الشنقيطي إلى اختلاف العلماء في المراد بالقرء في هذه الآية الكريمة بين قائل بأنها الأطهار
 وآخر يرى بأنها الحيضات، وسبب الخلاف اشتراك القرء بين الطهر والحيض كما سبق⁽⁴⁾، ثم
 يذهب إلى الرأي القائل بأن القرء في هذه الآية يقصد به " الطهر"، ودليل ذلك واضح عنده من
 النص القرآني وذلك من طريقين:

الدليل الأول: السياق النصي العام.

الدليل الثاني: السياق الصربي لألفاظ الآية

1-السياق النصي العام: استند رحمه الله إلى آية في سورة الطلاق اعتبرها أكبر دليل على
 اعتبار أن المراد " ثلاثة قرء" هي الأطهار وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
 فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ (الآية: 01- الطلاق)، والمعلوم أن الطهر هو العدة التي أمر الله أن يطلق لها
 النساء⁽⁵⁾. فتكون الآية (01) من سورة الطلاق تفصيلاً للإجمال الحاصل في الآية (228) من
 سورة البقرة على الرغم من السور الفاصلة بين سورة البقرة والطلاق

¹ - أبو داود والنسائي، عند البيهقي: (مرفوع لم يثبت اسناده) أنظر: الدرر السننية - الموسوعة الحديثية: www.dorar.net تاريخ

الاطلاع: 30 ديسمبر 2018.

² - ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، تح: محمود الرضواني، مطابع قطر الوطنية، الدوحة، ط1، 2010، ج1، ص 266

³ - ينظر: أضواء البيان، ج1، ص 176

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 176

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 177-178

التفصيل

" فطلقهون لعدتهن "

(الآية: 01 الطلاق)

الإجمال

"ثلاثة قروء"

(الآية: 228 البقرة)

بالإضافة إلى الاستعانة بالسنة النبوية لبيان أن الطلاق يقع أثناء الطهر

وعلى الرغم من هذا التباعد بين الآيتين إلا أن الثانية كانت تفصيلاً للإجمال في الآية الأولى، ومن هنا نلاحظ هذه النظرة النصية الكلية للنص القرآني عنده، وهو ما يوحي عنده بذلك الاتصال بين الآيات القرآنية بمواضيعها المترابطة لذلك فهو يعتبر تفسير القرآن بالقرآن من أعلى درجات التفسير وأوضحها للمعنى ومقدرة على استنباط الأحكام الشرعية.

2- السياق الصربي لألفاظ الآية: يعتبر الشنقيطي زيادة التاء في قوله تعالى: (ثلاثة قروء) قرينة لغوية تؤيد أن المجل من قوله تعالى: (قروء) يعني الطهر لا الحيض، فقوله تعالى: (ثلاثة) دلالة على تذكير المعدود وهو الأطهار لأنها مذكورة والحيضات مؤنثة⁽¹⁾ فكان دليلاً على اختيار الطهر عنده بدل الحيض، على الرغم من أن القراء قد يدل على معنى الحيض في غير هذا الموضع فكل موضع للاستعمال له معنى من المعنيين باعتباره من المشترك اللفظي في اللغة العربية، ويبقى السياق والنظرة النصية العامة للنصوص هي المحدد لمعنى دون الآخر، وفي هذه الآية تفاعلت آليات واجمعت لتحديد المعنى بدقة، وأهمها إبراز العلاقات الدلالية (الإجمال والتفصيل) الحاصل لهذه اللفظة بالإضافة إلى السياق الصربي والسياق الخارجي متمثلاً في السنة النبوية، إذ تضافرت جميعاً للوصول إلى إيضاح أن معنى القراء من الآية، هو الطهر، ومن هنا تبين لنا النظرة النصية الكلية للنص القرآني عند صاحب أضواء البيان.

والمطلع على كتاب الأضواء، يجد أن صاحبه قد حرص على إبراز علاقة الإجمال بسبب الاشتراك اللفظي ثم التفصيل في آيات متجاورة أو متباعدة، وبذلك يمكن الرجوع إلى تفسيره للإطلاع على نماذج أخرى من هذا النوع⁽²⁾.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 179

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، (ص: 10-11، 57، 316، 317)، ج2، (ص: 19-213)

ب- الاجمال بسبب الابهام:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الآية: 25-28 - الدخان).
يتعلق الإجمال في هذه الآيات بدلالات الألفاظ، وبالتحديد اسم الجمع في كلمة " القوم " وقد أجهم في الآية الثامنة والعشرين (28) من سورة الدخان وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ﴾ (الآية: 137: الأعراف) فإنه أجهم في القوم أيضا⁽¹⁾، والملاحظ أن هناك إجمالا دون تفصيل في المقصود ولفظة " القوم " في الآيتين الأولى من سورة الدخان والثانية من سورة الأعراف، وسبب الإجمال هنا هو الابهام الواقع على هذه اللفظة. وأثناء تفسيره لهذه اللفظة يبدأ الشنقيطي بذكر هذا الإجمال ثم ينتقل للحديث في تفصيل هذا الجمل الذي يحدث بسبب الإيهام، إذ يذكر أن قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الآية: 57-59 - الشعراء). إذ بين أن المراد بأولئك القوم بنو اسرائيل في القصة بعينها⁽²⁾، فحاصل العلاقات بين التمثيلات الدلالية كان الآتي:



آية الشعراء: (وأورثناها بني إسرائيل) (59)

آية الدخان: (كذلك أورثناها قوما آخرين)(59)

آية الأعراف: (وأورثنا القوم)(137)

فالعلاقات بين التمثيلات الدلالية أسهم في ربط ثلاث سور من القرآن الكريم، مما أدى بالشنقيطي إلى بيان هذا الحبك والانسجام الدلالي بين آيات السور في جانبها الدلالي، دون الحاجة إلى أدوات ربط بينها فقد كان كافيا الربط عن طريق ايضاح العلاقات الدلالية بينها،

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 14

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 14، (ج2: ص 576)، (ج7: ص 345)

بين علاقة الإجمال في الآيتين من سورة الدخان والأعراف، والبيان التفصيلي لما أجمل في سورة الشعراء.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ (الآية:

01- المائة)

يذكر الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية أن هناك استثناء للأنعام التي أحلت بقوله: (إِلَّا مَا يُتْلَى) ولم يبين هنا ما هذا الذي يتلى عليهم المستثنى من حَلْيَةِ بهيمة الأنعام⁽¹⁾. بذلك اعتبرت كلمة "إلا ما يتلى" هي عبارة عن إجمال يحتاج إلى تفصيل، لكن لم يرد في سياق الآية نفسها بيان تفصيلي لما أجمل لكن بنظرة الشنقيطي الكلية باعتباره النصّ القرآني كلا موحدا يربط بعضه برباط بعض، لأنه يعالج قضايا أساسية تتمثل في: (الله، الإنسان، العبادة) فقد استقرأ القرآن الكريم وتبين له أن هناك تفصيلا لهذا الإجمال الحاصل في اسم الموصول وصلته، وهذا التفصيل يظهر في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ (الآية: 03- المائة)

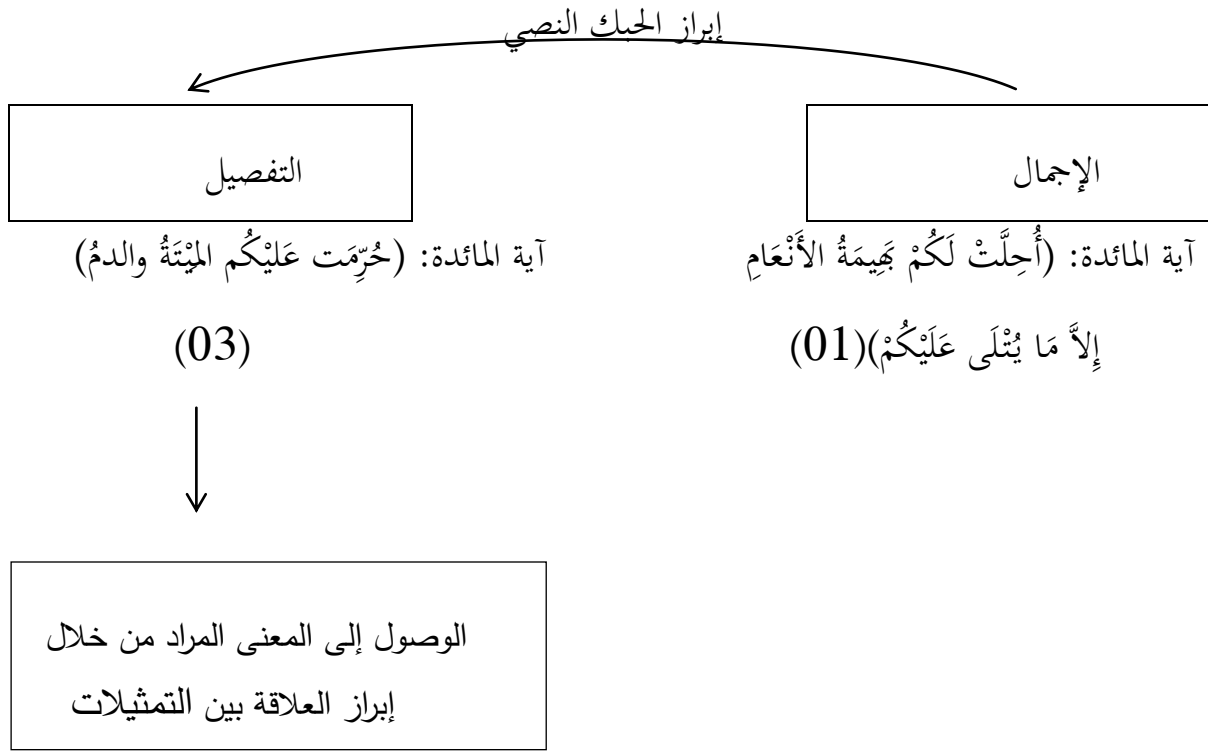
فالإجمال حصل في الآية الأولى (01) من سورة المائة وسبب الإجمال، الإبهام الذي حصل لاسم الموصول وصلته وجاء التفصيل في السورة نفسها لكن في آية أخرى، وهي الآية الثالثة (03) فيكون الشنقيطي قد أبرز نقطتين أساسيتين:

النقطة الأولى: إيضاح مراد الله من الآية.

النقطة الثانية: إبراز الحُبك النصي بين أجزاء السورة.

والشكل الآتي يوضح ذلك:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج2، ص: 05.



ج- الإجمال بسبب الاحتمال:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (الآية: 07- العاديات)

ذكر الشنقيطي هذا المثال أثناء بيانه أنواع الاجمال الحاصل في القرآن الكريم، إذ عد هذا المجل بسبب الاحتمال في العائد، وإن تم الحديث عن العائد في المبحث الأول من الفصل الثاني المخصص للإحالة عن طريق الضمائر إلا أننا أوردناه في هذا العنصر لوجود علاقة من العلاقات الدلالية يبرزها هذا العائد ويوضحها، فالضمير في قوله تعالى: (وإنه) يمتثل احتمالين:

1- الاحتمال الأول: أنه عائد إلى الإنسان.

2- الاحتمال الثاني: أنه عائد إلى رب الإنسان المذكور⁽¹⁾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ

لَكَنُودٌ﴾ (الآية: 06- العاديات).

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج1، ص 16

الملاحظ على الضمير أن به إجمالاً وهذا الإجمال سببه الاحتمال الحاصل في المرجع الذي يعود عليه هذا الضمير، وإن الشنقيطي يفترض الحبك والتماسك بين الآيات القرآنية لإزالة هذا الجمل وتفصيله لبيانه المعنى المراد، ففي النص آلياته التي توضحه ومنها ذكر الجمل ثم المفصل وقد ذكر الشنقيطي أن: "النظم الكريم يدل على عودته إلى الإنسان وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (الآية: 08- العاديات)، فإنه للإنسان بلا نزاع"⁽¹⁾ فتكون بذلك الآية الثامنة (08) تفصيلاً للضمير في الآية السابعة (07) وعلى الرغم أن المفصل لم يكن بعيداً عن الجمل بل مجاوراً له، إلا أن هذا يبين اهتمام الشنقيطي بالعلاقات الخطية بين الآيات.

ومما يبعد احتمال رجوع الضمير على رب الإنسان يذكر الشنقيطي أن "تفريق الضمائر يجعل الأول في الآية (07) للرب، والثاني في (الآية 08) للإنسان لا يليق بالنظم الكريم"⁽²⁾. الملاحظ مما سبق أن الشنقيطي اعتمد على ثلاث آليات أساسية لبيان الحبك النصي بين هذه الآيات القرآنية:

الأولى: الضمير العائد على الإنسان

الثانية: إيضاح العلاقات بين التمثيلات الدلالية في الآيات

الثالثة: بيان النظم القرآني العجيب الذي يقتضي هنا عدم الفصل بين الضمائر الإحالية.

وبهذه الآليات تتحقق وحدة النص القرآني باعتباره بناء مترابط الأجزاء والآليات.

النموذج الثاني: قوله تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) (الآية: 99-100- النحل).

يتحدث الشنقيطي في هذه الآية عن الاحتمال الذي وقع في قوله تعالى: "به" إذ يذكر

احتمالين للضمير العائد:

الاحتمال الأول: أنه عائد إلى الشيطان

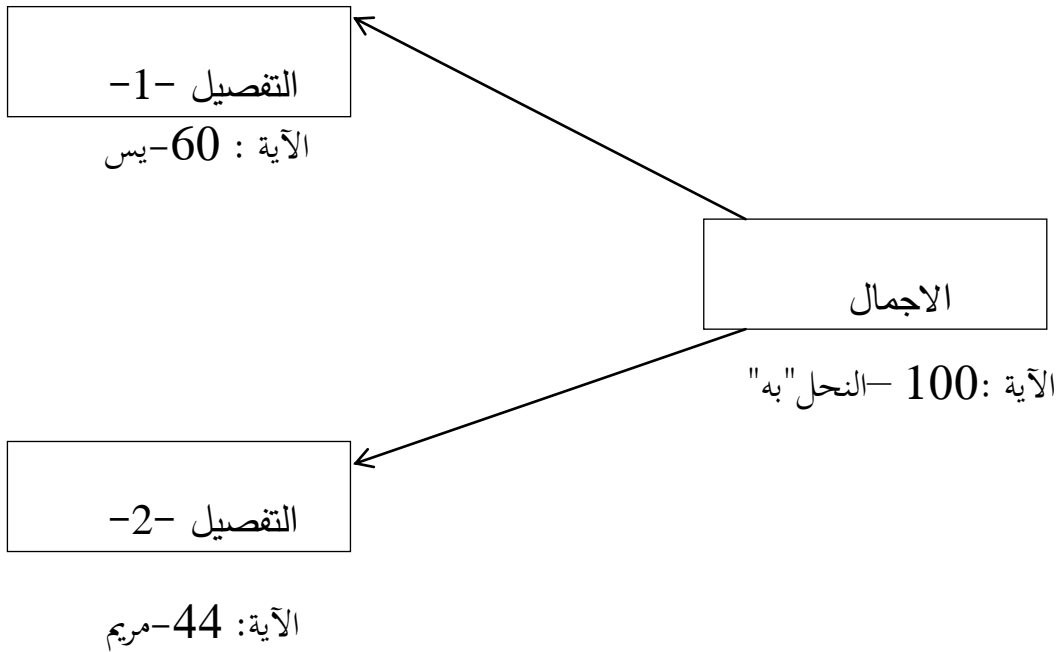
الاحتمال الثاني: أنه عائد إلى الله عز وجل⁽¹⁾.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص 16

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 16

والتحليل النحوي النصي يبين أن في الآية اجمالا سببه الاحتمال الواقع على الضمير العائد فلا بد له من تفصيل ليتضح المعنى المراد " وأظهر الأقوال في قوله : " وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ " (الآية 100) أن الضمير عائد إلى الشيطان لا إلى الله" (2).

ويبين الشنقيطي تفصيل هذا الاجمال الحاصل بسبب الاحتمال، مما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الآية: 60-يس)، وقوله عزو جل عن إبراهيم: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ (الآية: 44-مريم).



عدت (الآية : 60-يس) و(الآية: 44-مريم) تفصيلا للمجمل الحاصل بسبب الاحتمال في العائد، لأن معنى " كونهم مشركين به هو طاعتهم له في الكفر والعصيان" (3). وأن الله لم يجعل له عليهم سلطانا ابتداء البتة، ولكنهم هم الذين سلطوه على أنفسهم بطاعته ودخولهم في حزبه" (4)، فقد أبرز رحمه الله العلاقة بين هذه الآيات الثلاث التي سلكت المجمل والمفصل لما أجمل

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج3، ص 429

² - ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص 429

³ - المرجع نفسه، ج3، ص 490

⁴ - محمد الأمين الشنقيطي: دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1426، ص 190

مما يحقق الغاية من هذه العلاقة وهو إيضاح المعنى بدقة من مراد الله من كلامه مبينا بذلك انسجام النص وتماسكه.

2-البيان والتفسير:

من العلاقات بين التمثيلات الخطابية الدلالية التي تحدث عنها الشنقيطي واستند إليها الايضاح مراد الله من كلامه، علاقة البيان والتفسير، ومن هنا كان لزاما علينا تحديد مفهوم مصطلح البيان قبل تناوله بالتحليل وفق ما جاء به تفسير أضواء البيان:

2-1-تعريف البيان:

أ-لغة: ذكر الشنقيطي في مقدمة خصها للحديث عن الاجمال والبيان، أن البيان في اللغة: اسم مصدر بمعنى التبيين، وهو الإيضاح والاظهار كالسلام بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم⁽¹⁾، وجاء في لسان العرب: البيان: ما بين به الشيء من الدلالة وغيرها وتبيان الشيء بيانا: اتضح فهو بين، وكذلك أبان الشيء فهو مبين⁽²⁾، والتبيين في مختار الصحاح، الايضاح وهو أيضا الوضوح⁽³⁾. وما نستخلصه من هذه الأقوال حول التعريف اللغوي " للبيان " أن له معنى واحد يتمحور حوله، وهو: الايضاح أو الوضوح.

ب-اصطلاحا: لقد عني العلماء بتحديد مفهوم "البيان" في مختلف العلوم والفنون منها علوم القرآن والتفسير وعلوم البلاغة والنقد وغيرها، ومن أهم من تحدث عنه الجاحظ (ت 256) إذ جعل هذا المصطلح عنوانا لأشهر كتبه، وهو " البيان والتبيين" وقد اورد تعريفا " للبيان " بأنه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي⁽⁴⁾ أو يمكن اعتباره: " اسما جامعا لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصولة كائنا من كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، فبأي شيء بلغت الأفهام

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص: 40.

² -ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 407 .

³ - محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1993، ص 29.

⁴ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص: 75.

واوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع⁽¹⁾ من خلال تعريف الجاحظ للبيان يتضح أن له علاقة بإظهار ما خفي من الحقيقة وإبرازها.

ويرى السكاكي أن: "البيان هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"⁽²⁾، فالبيان عنده يتعلق بالوضوح في الدلالة إذ لا يتعد عن التعريف اللغوي في تحديد مفهوم البيان.

والبيان عند الشريف الجرجاني هو: "إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورا قبله"⁽³⁾ والفرق بين التأويل والبيان عنده أن "التأويل ما يذكر في الكلام لا يفهم منه معنى محصل في أول الوهلة، والبيان ما يذكر فيما يفهم ذلك النوع خفاء بالنسبة إلى البعض"⁽⁴⁾.

وإذا رجعنا للشنقيطي نجد يورد تعريفا للبيان في كتابه "شرح مراقبي السعود" إذ يعني عنده "تصيير المشاكل جليا أي إخراجها من حال الخفاء إلى حال الظهور والاتضح... ويكون بكل ما يجلو العمى أن يزيل الجهل ويبين المقصود من نص أو قرينة أو عقل أو حس، والمبين تارة يكون مقترنا بالمبين"⁽⁵⁾، وسنوضح من خلال كتاب أخواء البيان أهم أنواع البيان التي جاء بها الشنقيطي في تفسيره وكيف استعان بهذا النوع من العلاقات بني التمثيلات الخطابية الدلالية في تحديد المعنى المراد من آيات النص القرآني ومدى الوصول إلى الحبك النصي باعتماد هذا النوع من التقسيم.

2-2- أنواع البيان: يمكن أن نميز في تناولنا لعلاقة البيان والتفسير عند الشنقيطي بين نوعين

من أنواع البيان مثله مثل المفسرين الذين جاءوا قبله:

النوع الأول: فردي، يأتي فيه اللاحق بيانا لكلمة سابقة.

النوع الثاني: جملي وهو بيان لجملة سابقة⁶، والنماذج الآتية توضح ذلك:

¹ - الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص: 76.

² - السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 70.

³ - الشريف الجرجاني، التعريفات، ص: 49.

⁴ - المرجع نفسه: ص 49.

⁵ - محمد الأمين الشنقيطي: شرح مراقبي السعود، المسمى نثر الورد، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1،

1426، مج1، ص 284

⁶ - ذكر محمد خطابي نوعا البيان في كتابه: لسانيات النص، ص: 187.

أ- النوع الأول البيان الفردي:

النموذج الأول قوله تعالى: ﴿ تَمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ (الآية: 54- الأعراف).

من أهم أنواع البيان التي ذكرها الشنقيطي - رحمه الله - هي البيان لآيات تتعلق بعقيدة المسلم، ونشأ عنها اختلاف كبير بين الفرق التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، وهذا النوع من البيان لأهميته تجاوز حدود الآية الواحدة، بل انتقل في إيضاحه إلى صور متعددة، وهي دلالة على النظرة الكلية للنص القرآني باعتباره كلا موحدًا.

ومن هذا النوع من البيان، بيان أن جميع ما وصف الله به نفسه في هذا القرآن العظيم من الصفات كالاستواء، واليد والوجه، ونحو ذلك من الصفات، فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً⁽¹⁾، فهذه الآية: ﴿ تَمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾، وقوله: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الآية: 10-الفتح) اشكلت على كثير من الناس فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه⁽²⁾، ويذكر رحمه الله أن الله جل وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح، وبين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين:

- الأمر الأول: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم⁽³⁾، أي عدم تشبيهه بصفات خلقه.

- الأمر الثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسول الله ﷺ⁽⁴⁾.

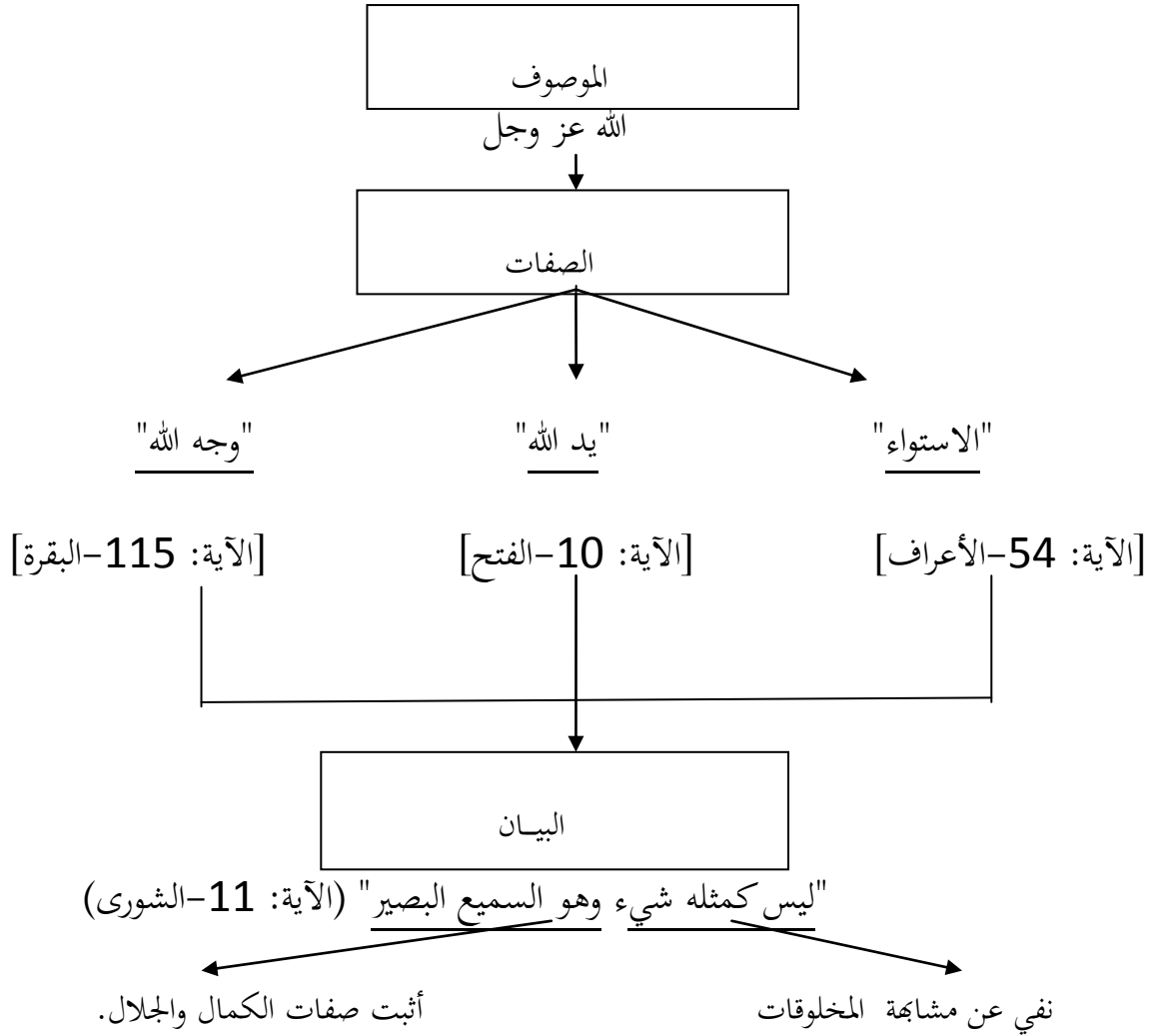
ويتعلق الأمران بجانب من جوانب العقيدة والإيمان لذلك كان أهم شيء اعتمد عليه الشنقيطي لبيان المعنى المراد من كلام الله بدقة هو القرآن الكريم، لأنه لا يأتي أفضل من تفسير القرآن بالقرآن، والآية التي أوضح بها الآيات السابقة التي تتعلق بصفات الله تعالى، هي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الآية: 11-الشورى)، وآيات الصفات جاءت في صور مختلفة منها (سورة الأعراف الآية: 54، سورة الفتح الآية: 10، وغيرها من الآيات)، وقد كان لإبراز علاقة البيان بين السور والآيات المختلفة عظيم الأثر لربط بعضها ببعض رغم عدم تجاوزها:

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص: 25.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص: 358.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص: 358-359.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص: 359.



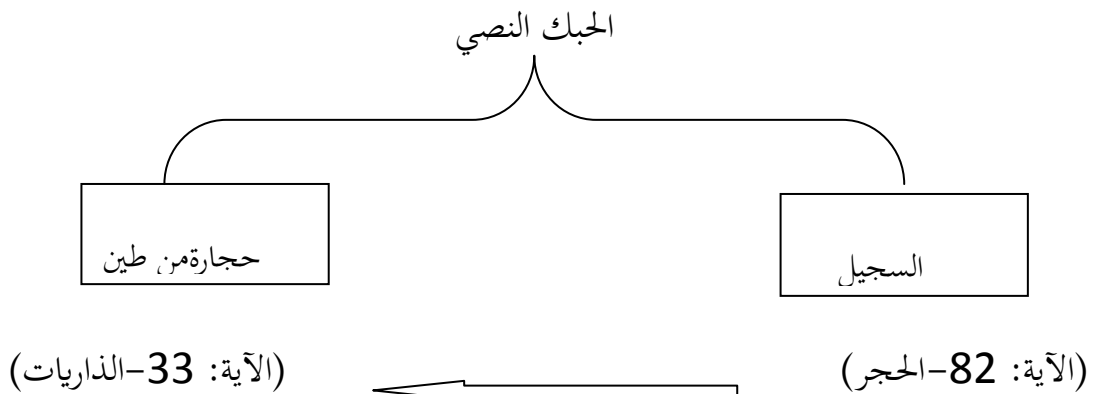
الملاحظ من اعتماد هذا النوع من البيان، أن له نظرة كلية عامة للنص القرآني على اختلاف صوره مستعينا على بيان المعاني بربط هذه الآيات والسور بعضها ببعض ليصل إلى مراد الله من كلامه وبذلك يتحقق:

- 1- الحبك النصي بين السور القرآنية، مما يعني أن العلاقة بين المبيّن (الآية: 11-الشورى) والمبيّن (الآية: 54-الأعراف والآية: 10-الفتح والآية: 115-البقرة) وطيدة.
- 2- الوصول إلى المبتغى من التفسير وهو دقة معاني المفردات والتراكيب.
- 3- إيضاح عقيدة المسلم من خلال الاعتماد على إبراز دور الحبك النصي في استنباط الأحكام الشرعية والعقائد الإسلامية.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (الآية: 82-الحجر) من أنواع البيان التي درج الشنقيطي على بيانها وتعتبر من العلاقات بين التمثيلات الخطائية الدلالية، تفسير اللفظ بلفظ أشهر منه عند السامع، إذ يذكر اللفظ غير المشهور في موضع، ويذكر بيانه وشهرته في موضع آخر.

وفي تفسير هذه الآية ذكر الشنقيطي أن العلماء اختلفوا اختلافا كثيرا في المراد "بحجارة السجيل"؛ قال ابن قتيبة السجيل بالفارسية (سَنَكٌ وَكِلٌ) (سنگ وگل) أي حجارة وطين⁽¹⁾، وهناك من يذهب إلى أن السجيل: الطين، و"مِن سِجِّيلٍ" من طين⁽²⁾، ومن قائل أن من "سجيل" كقولك سَجَلٌ أي ما كتب لهم⁽³⁾، والسجل من المعرب، بمعنى كتاب الحكم، وقد سجل عليه القاضي⁽⁴⁾، وغيرها من الأقوال.

ويرجح الشنقيطي أن معنى السجيل أنها حجارة من طين في غاية الشدة والقوة⁽⁵⁾، إقرارا منه بترايط النص القرآني، ونظر إليه على أن النص يعد كلاً واحدا متماسكا واستنباط هذه النظرة النصية من هذا المثال وغيره، إذ دليله على أن المراد بالسجل الطين قوله تعالى في سورة الذاريات: "لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ" (الآية: 33-34-الذاريات)



¹ - الجوالقي (موهوب بن أحمد): المعرب من الكلام أعجمي على حروف المعجم، تح: ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط1، 1410-

1990، ص: 365.

² - الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج12، ص: 526.

³ - الجوالقي: المرجع السابق، ص: 366.

⁴ - ناصر بن علي المطرزي: كتاب المعرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س)، ص: 218.

⁵ - الشنقيطي، أضواء البيان، ج3، ص: 45.

فالآيات القرآنية والسورة متماسك بعضها ببعض، مما يحقق الحبك النصي بينها، متجاوزا بذلك حدود الجملة الواحدة، بل حدود السورة الواحدة، إلى النص القرآني العام.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۗ﴾ (الآية: 21-المجادلة).

اهتم الشنقيطي بنوع من أنواع البيان الفردي المذكور في القرآن الكريم، "وهو الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن الكريم، فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية"⁽¹⁾، فغلبة معنى الآية في القرآن الكريم هو بمثابة دليل ترجيح معناه في الآية محل التفسير.

-ففي قوله تعالى: "لأغلبن" الغلبة في اللغة نوعان:

- الأولى: غلبة بالحجة والبيان، وهي ثابتة لجميع الرسل.

- والثانية: غلبة بالسيف والسنان، وهي الثابتة لمن أمر بالقتال منهم دون من لم يؤمر به⁽²⁾.

وقد دلت هذه الآية على أن رسل الله غالبون لكل من غالبهم، وقال بعض العلماء: إن المراد بهذه الغلبة، "الغلبة بالحجة والبيان"، ويذكر الشنقيطي أن الغالب في القرآن الكريم هو استعمال الغلبة في الغلبة بالسيف والسنان، وهذا دليل واضح على دخول تلك الغلبة في الآية⁽³⁾، فمعنى "لأغلبن" تحمل المعنيين؛ الغلبة في الحجة والبرهان والغلبة بالسيف والسنان، وقد أدخل الشنقيطي المعنى الثاني ضمن تفسيره للفظ، كون هذا المعنى هو المنتشر في النص القرآني عموماً، منها:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ (الآية: 12-آل عمران).

- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ (الآية: 74-النساء).

- وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الآية: 65-الأنفال).

وغيرها من الآيات الدالة على معنى الغلبة يتعلق بالغلبة بالسيف والسنان مما يعني أن العلاقة بين اللفظ المبين الذي استخرج معناه من سياق الآية التي ورد فيها، بالمبين علاقة وثيقة، وحدث وبين عنصرين ينتميان لسورتين مختلفتين غير متجاورتين، مما يوحي بذلك الانسجام النصي للقرآن الكريم، وهذا الانسجام يستفيد منه الشنقيطي للوصول إلى المعنى المراد وإيضاحه.

¹ - الشنقيطي، أخوة البيان، ج1، ص: 23.

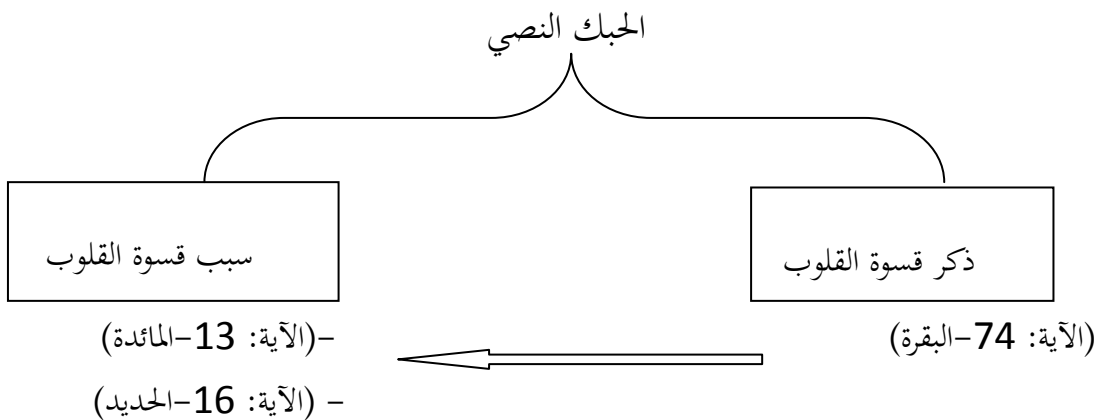
² - ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص: 884.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ج7، ص: 884.

ب/ النوع الثاني: البيان الجملي:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ (الآية: 74- البقرة).

من العلاقات بين التمثيلات الدلالية التي أثارها الشنقيطي -رحمه الله- علاقة بيان السبب بعد ذكر المسبب وهذا يؤدي دورا رئيسا في انسجام النص وحبكه، كما يؤدي دورا مهما في فهم النص القرآني، إذ هذا النوع من البيان من أهم آليات كشف الحبك النصي، وذلك لأنه يربط سببا في موضع من القرآن الكريم بالمسبب في موضع آخر، وقد يكون بينهما تباعد وانتقال من سورة لأخرى وهذا الترابط هو علاقة خطائية دلالية تعتمد على الجمع بين متعلّقين، وهذه الآية دليل عليه، وتبقى مهمة مفسر هي الربط بينهما للوصول إلى المعنى المراد، وبيان تماسك النص، وهذا ما قام به الشنقيطي، حيث يذكر أن الله تعالى "لم يبين هنا سبب قسوة قلوبهم، ولكن أشار إلى ذلك في مواضع أخرى نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (الآية: 13-المائدة) وقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الآية: 16-الحديد)"⁽¹⁾، فمن أسباب قسوة القلب نقضهم الميثاق، وعدم ذكر الله⁽²⁾، (أنظر: الآية: 22-الزمر). وغيرها مما تدل عليه الآيات القرآنية، وهذه الأسباب لم تذكر في آية البقرة ولم تذكر في نفس السورة، بل ذكرت في سورة المائدة والحديد.

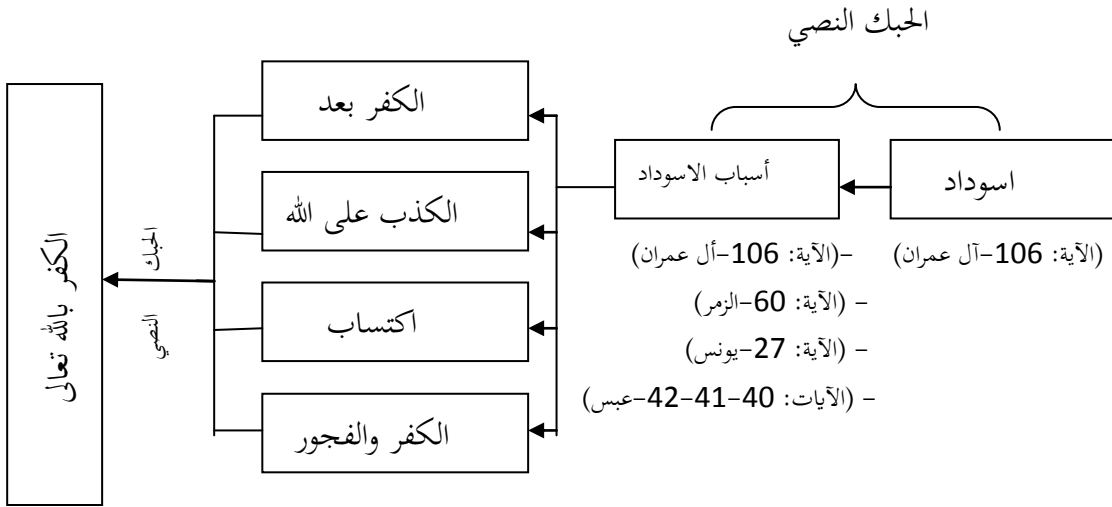


¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج1، ص: 94.

- على الرغم من التباعد بين الآيات واختلاف السور القرآنية التي ذكر فيها "سبب قسوة قلوبهم" إلا أن الشنقيطي استطاع أن يحقق أمرين:
- الأمر الأول: الوصول إلى دقة المعاني بمعرفة أسباب الأشياء التي ذكرها القرآن.
- الأمر الثاني: إيضاح العلاقات النصية بين سور القرآن الكريم.
- ومن أمثلة هذا النوع من البيان القرآني ودوره في بيان الحَبْكِ النَّصِي، يذكر الشنقيطي العديد من النماذج منها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (الآية: 106-آل عمران)، لقد أشار الله إلى سبب اسودادها في الآية نفسها وهو الكفر بعد الإيمان، بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (الآية: 106-آل عمران)، وبين في مواضع أخرى سبب اسودادها أيضا منها: الكذب على الله، واكتساب السيئات، والكفر والفجور،⁽¹⁾ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ (الآية: 60-الزمر).
- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا وَتَرَهُمْ ذُلًّا مَّا هُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَمَّا أُعْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ (الآية: 27-يونس).
- وقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ (الآية: 40-42-عبس).
- وهذا الأسباب في الحقيقة شيء واحد جاءت بعبارات مختلفة، وهو الكفر بالله تعالى⁽²⁾، وتوزع ذكر هذه الأسباب على سور مختلفة إذ بدأ بذكر السبب أولا في الآية نفسها ثم ذكر في سورة الزمر ويونس وعبس أسبابا أخرى، ولم يكتف الشنقيطي بإيضاح سبب اسوداد الوجوه من سياق الآية نفسها، بل تعداها إلى ذكر الأسباب من سور مختلفة، بل يرى أن كل هذه الأسباب يمكن أن تجتمع في عنوان واحد؛ وهو الكفر بالله تعالى، فكان كالآتي:

¹ - ينظر: الشنقيطي: أخواء البيان، ج1، ص: 335.

² - المرجع نفسه: ج1، ص: 336.



الملاحظ أن البيان القرآني الذي وضحه الشنقيطي في تفسيره حقق لنا أمرين:

- الأول: إيضاح المعنى بدقة.

- الثاني: إبراز الحبك النصي من جانبيين:

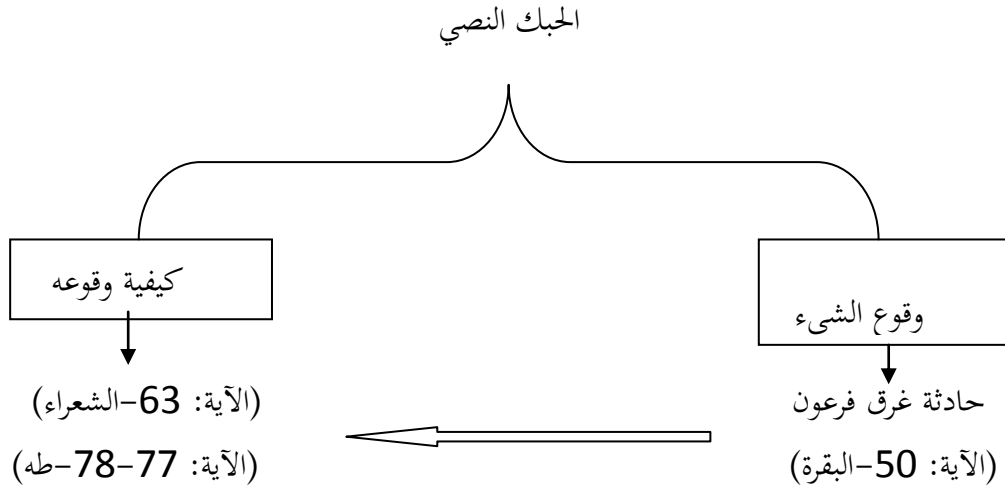
أ- بين الاسوداد وأسباب الاسوداد بربط السور بعضها ببعض.

ب- الربط بين كل هذه الأسباب بموضوع واحد وهو الكفر بالله تعالى.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (الآية: 50-البقرة).

من أنواع البيان التي اعتمدها الشنقيطي في تفسيره، وبين وقوعه في القرآن الكريم، إيضاحه أن القرآن الكريم قد يذكر بعض الوقائع والأحداث في الآية ثم يذكر كيفية وقوعها في محل آخر من السورة نفسها أو في سورة أخرى، ومن هذا النوع من البيان حادثة غرق فرعون⁽¹⁾، إذ ذكرت الحادثة في سورة البقرة من الآية: (50) ولم تذكر في السياق نفسه كيفية وقوع الغرق، بل ذكرت في سورة أخرى هي سورة الشعراء، على الرغم من عدم مجاورة سورة البقرة سورة الشعراء، إذ يقول الله تعالى: ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تُخْشَى فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (الآية: 77-78-طه).

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج1، ص: 20.



والبيان بهذه الطريقة التي ذكرها الشنقيطي يحقق أمرين أساسيين في نحو النص وهما:

- الأمر الأول: إيضاح المعنى المراد من كلام الله تعالى بذكر حيثيات الوقائع والأحداث في قصص الأمم السابقة التي ذكرت في القرآن الكريم حتى تعتبر بها أمة محمد ﷺ.

- الأمر الثاني: إبراز وحدة النص القرآني، والحبك النصي بين أجزائه وأنه، بسوره المتعددة، يمثل كلا مترابطا.

- وهذا النوع من البيان القرآني منتشر ذكره في أضواء البيان منها تفسيره:

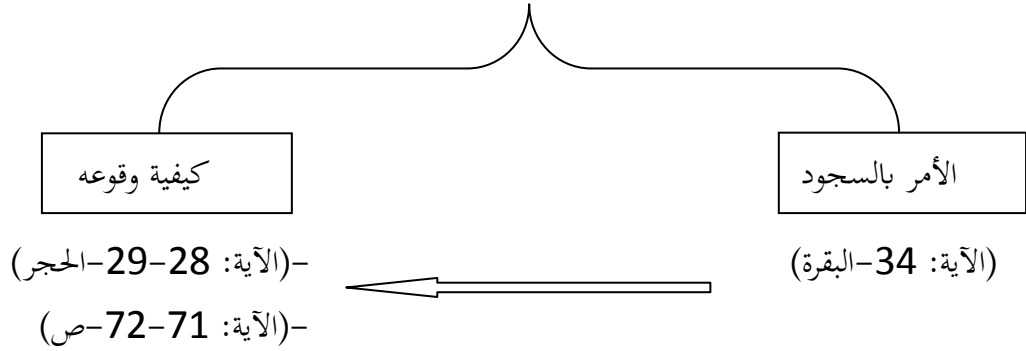
- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الآية: 34-البقرة)، ففي هذه الآية يذكر الشنقيطي أن الأمر بالسجود لم يذكر هل وقع بتعليق أم لا، وقد بين في (سورة الحجر) و(سورة ص)، أنه وقع أولا معلقا⁽¹⁾، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الآية: 28-الحجر).

- وقوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الآية: 71-72-ص).

- الملاحظ أن الأمر بالسجود ذكر في سورة البقرة، والحديث عن كيفية حدوث الأمر ذكر في سورتي الحجر والشعراء، وهو من أنواع البيان القرآني التي ذكرها الشنقيطي في أضواء البيان، فكانت كالآتي:

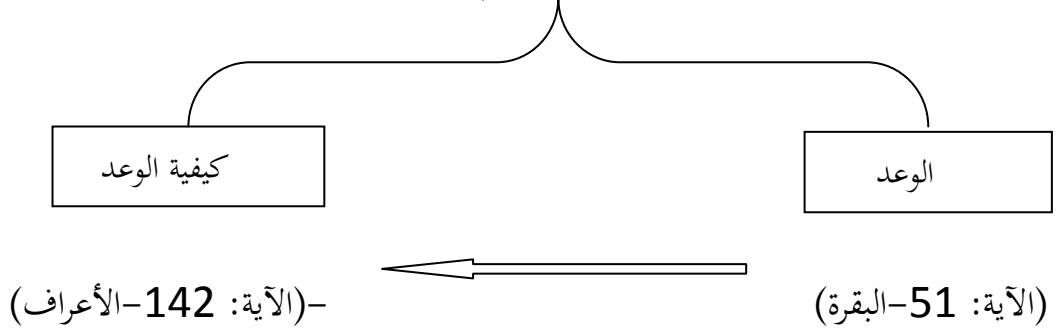
¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج1، ص: 20.

الحبك النصي



ومن الوقائع التي ذكرها الشنقيطي في تفسيره، والتي يذكر في محل آخر كيفية وقوعها، الوعد الذي وقع لموسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الآية: 51-البقرة)، لم يبين هنا هل وعده إياه مجتمعة أو متفرقة⁽¹⁾، لكن يذكر الشنقيطي أن الله بين في سورة الأعراف أنها متفرقة، وأنه وعده أولاً ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمَمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الآية: 142-الأعراف)، فهذا من أنواع البيان بذكر الوقائع والأحداث ثم بيانها في محل آخر غير المحل الذي ذكرت فيه الواقعة، تحقيقاً للمعنى الدقيق وبيانا للحبك النصي، فكانت كالاتي:

الحبك النصي



ومثل هذا النوع يحقق التماسك النصي بين السور من جهة وبين القصة الواحدة من جهة أخرى، لأن أغلبها حوادث في قصص السابقين، فنكون بذلك أمام نوعين من التماسك الدلالي:

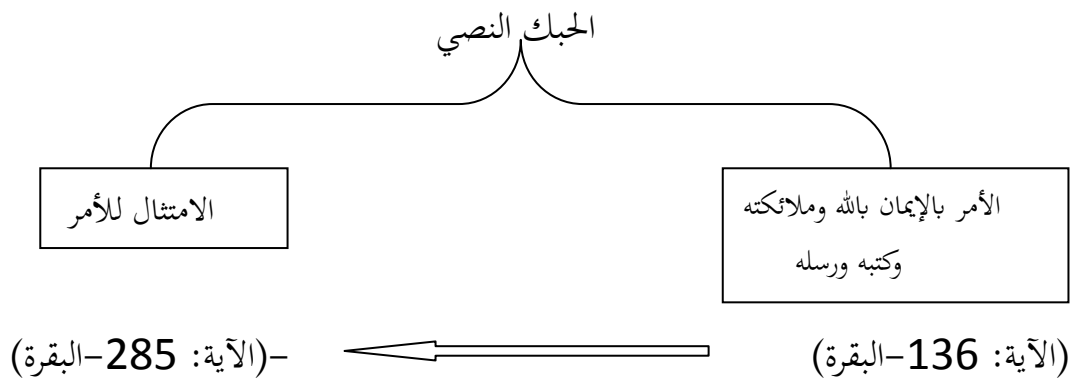
- النوع الأول: التماسك الدلالي العام للنص القرآني.
- النوع الثاني: التماسك الدلالي الخاص بالقصة القرآنية.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج1، ص: 91.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ (الآية: 136- البقرة).

اهتم الشنقيطي بنوع من البيان القرآني بما له من دور في إيضاح المعنى وإبراز انسجام الخطاب القرآني، يتمثل هذا النوع في تحليله لترايط الدلالات في جملة الأمر أو النهي أو الشرط، بحيث يذكر أمراً أو نهياً في موضع ثم يستخرج ويبين هل حصل الامتثال في هذا الأمر أو النهي من عدمه، من خلال موضع آخر في القرآن الكريم، وكذلك أن يذكر شرطاً ثم يذكر في موضع آخر حصول ذلك الشرط من عدمه⁽¹⁾، وهي من مظاهر الحبك النصي التي عمل الشنقيطي على بيانها، وهي ظاهرة ذات إمكانيات دلالية غايتها إيصال الرسالة اللغوية للمتلقي، فهي صلة وتماسك الكلام مع غرضه، والمثال السابق دليل على ذلك.

يذكر الشنقيطي أن في الآية أمر الله النبي ﷺ والمسلمين أن يؤمنوا بما أوتيته جميع النبيين وأن لا يفرق بين أحد منهم⁽²⁾، وبدأ الآية بفعل الأمر "قولوا" لكن لم يبين في الآية نفسها هل حصل الامتثال للأمر أم لا، وقد بين في موضع آخر أن الامتثال لهذا الأمر حصل، بقوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كُتُبَهُ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (الآية: 285- البقرة):



¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج1، ص: 31.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 103.

الملاحظ أن الأمر كان في (الآية: 136-البقرة) وبيان الامتثال للأمر حصل في (الآية: 285 من السورة نفسها) وهو تفاعل جزء من النص يستدعي ذكر جزئه الآخر، فالشنيطي في أضواء البيان يتناول بالتحليل والفحص والتوثيق بالأدلة ليبين منهجه في التعامل مع النص القرآني بنظرة كلية عامة للبناء والتمثيلات الخطائية الدلالية.

ومن الأمثلة في هذا الجانب، بيان النهي في موضع ثم إيضاح هل كان الامتثال لهذا النهي من عدم الامتثال، ويتضح ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ (الآية: 154-النساء)، إذ "لم يبيّن هنا هل امتثلوا للنهي فتركوا العدوان في السبت أم لا ولكنه بين في مواضع آخر أنهم لم يمتثلوا، وأنهم اعتدوا في السبت"⁽¹⁾، ومن الآيات الدالة على عدم الامتثال ما يلي:

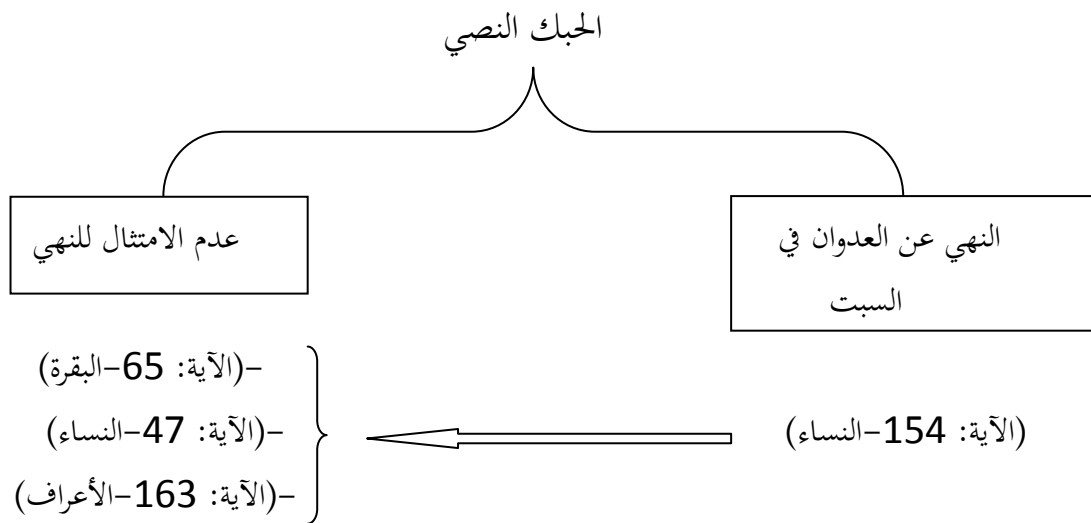
- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ (الآية: 65-البقرة).

- وقوله تعالى: ﴿ أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ (الآية: 47-النساء)، واللعن دليل على عدم الامتثال للنهي.

- وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ (الآية: 163-الأعراف).

فكل هذه الآيات كانت دليلاً واضحاً على عدم الامتثال للنهي المذكور في (الآية: 154-

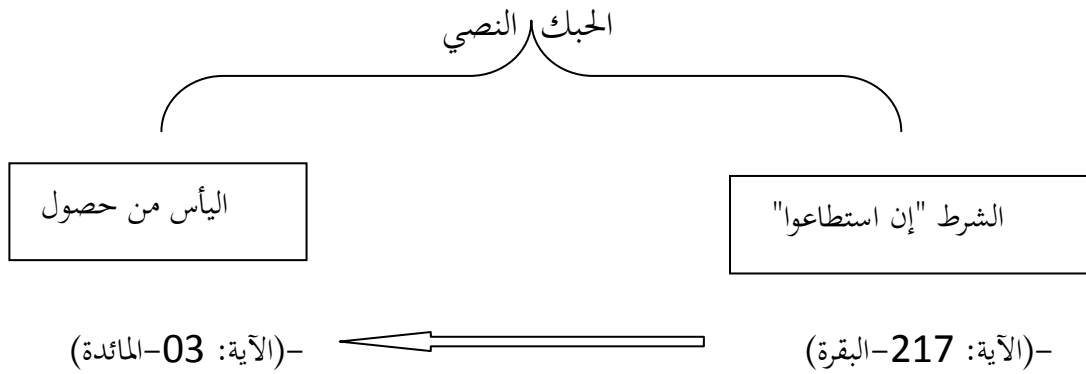
النساء):



¹ - الشنيطي: أضواء البيان، ج1، ص: 508.

ومن الأمثلة في هذا السياق أيضا، ما تعلق بذكر الشرط في موضع ثم يذكر في موضع آخر هل حصل الشرط أم لا، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (الآية: 217-البقرة).

ذكر الشنقيطي أنه "لم يبين هل استطاعوا ذلك أم لا، ولكن بين في موضع آخر أنهم لم يستطيعوا وأنهم حصل لهم اليأس من رد المؤمنون عن دينهم"⁽¹⁾، وهو قوله: ﴿الْيَوْمَ يَمِيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ دِينِكُمْ﴾ (الآية: 03-المائدة):



الملاحظ من الأمثلة السابقة أن الشنقيطي يعتمد هذا النوع من البيان في تفسيره للوصول إلى المعنى المراد من كلام الله، متجاوزا حدود السورة الواحدة، مما يبين النظرة النصية له في تفسيره لجملة الأمر والنهي والشرط وغيرها من الجملة التي تحتاج لبيان معناه. وهناك أمثلة كثيرة لأنواع البيان الجملي منتشرة في أضواء البيان، تبين بعمق تجاوز الشنقيطي حدود الجملة في تفسيره، معتمدا على النظرة النصية آية من آيات التفسير⁽²⁾.

3- علاقة المطلق بالمقيد:

من العلاقات بين التمثيلات الخطائية الدلالية التي أثارها الشنقيطي في تفسيره ولها أهمية بالغة في إيضاح الدلالة القرآنية وبيان مدى انسجام النص القرآني وترابطه للوصول إلى الحبك الكلي لسوره وآياته؛ علاقة المطلق بالمقيد، فكان لزاما علينا بيان مفهوم كل من المصطلحين:

¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج1، ص: 168.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 31-32-35-36-389.

3-1: تعريف المطلق والمقيد:

1-أ- تعريف المطلق والمقيد لغة:

أ-1- تعريف المطلق لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة: الطاء واللام والقاف، أصل صحيح مطرد واحد، وهو يدل على التخلية والإرسال⁽¹⁾، ومن هذا الأصل يذكر صاحب لسان العرب بقوله: "طلّقت الأمة تركتهم، والطاق من الإبل: التي طلّقت في المرعى، وناقاة طلق وطلّق: لا عقال عليها، وأطلقه فهو مطلق وطلق: سرّحه⁽²⁾، وجاء في مختار الصحاح: الطليق الأسير الذي أطلق عنه إساؤه وحلّي سبيله، ورجل طلق الوجه وطلّيق الوجه وقد طلق من باب ظرف، ورجل طلق اليمين أي سمّح⁽³⁾. والملاحظ مما جاء في معاجم اللغة، أن المعنى اللغوي للفظ المطلق يدور حول معنى مركزي، وهو الإرسال والترك في محورية: المادي والمعنوي.

أ-2- تعريف المقيد لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة: القاف والياء والذال كلمة واحدة، وهي القيد، وهو معروف، ثم يستعار في كل شيء يحبس⁽⁴⁾، فمنها قيّدت الدابة، وفرس قيّد الأوبد، أي أنه لسرعته كأنه يُقيّد الأوبد وهي الحمر الوحشية بلحاقها⁽⁵⁾، وفي هذا يقول امرؤ القيس⁽⁶⁾:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا مِنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوْبِدِ هَيْكَلِ

والمقيّد: موضع القيد من الفرس⁽⁷⁾، وهو مثل سابقه له معنى مركزي، وهو حبس الشيء بقسميه المادي الحسي، والمعنوي.

1- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج3، ص: 420.

2- ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص: 2404.

3- الرازي: مختار الصحاح، ص: 166.

4- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 44.

5- ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص: 3363.

6- مفيد قميحة، المعلقات العشر - شرح ودراسة وتحليل، ص70.

7- ابن فارس، المرجع السابق، ج5، ص: 44.

2-أ- تعريف المطلق والمقيد اصطلاحاً:

أ-1- تعريف المطلق اصطلاحاً: يعتبر هذا المصطلح من المصطلحات الأصولية، وقد تعدت تعريفاته واختلفت، فعرفه الشريف الجرجاني بقوله: "ما يدل على واحد غير معين"⁽¹⁾، وعرفه الآمدي بأنه: "اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه"⁽²⁾، وهو عند السيوطي: "الدال على الماهية بلا قيد"⁽³⁾ ومن التعريفات السابقة يتبين لنا أن المطلق هو ما يدل دلالة عامة شائعة دون تخصيص أو تقييد.

أ-2- تعريف المقيد اصطلاحاً: تعددت تعريفات مصطلح "المقيد" عند العلماء أيضاً، فقد عرفه الشريف الجرجاني على أنه: "ما قيد لبعض صفاته"⁽⁴⁾، وعرفه الآمدي بأنه: "ما كان من الألفاظ دالة على وصف مدلوله المطلق بصفة زائدة"⁽⁵⁾، فهذه الصفة الزائدة تخرجه من المطلق إلى المقيد، فهي تقييد لبعض صفاته المطلقة والعامّة، إذ ينتقل من الدلالة الموسعة إلى الضيقة. فالمطلق مع المقيد، كالعام مع الخاص، فمتى وُجد دليل على تقييد المطلق صير إليه، وإلاّ فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده⁽⁶⁾، فإذا وجد نص شرعي ورد فيه الأمر مطلقاً فالعمل يكون على إطلاقه، إلاّ إذا وجد ما يقيده، فيصبح العمل بالمقيد لازماً، إلاّ إذا وجد نص شرعي ينسخ أو يلغي هذا التقييد.

3-2- دور المطلق والمقيد في الانسجام الدلالي والتأثير في الحكم:

قد يوجد نصان في القرآن الكريم، أحدهما مطلق والآخر مقيد، أو نص في القرآن الكريم وآخر في السنة النبوية، ويكون في أحدهما مطلقاً وفي الآخر مقيداً، ففي هذه الحال للعلماء في مثل هذه النصوص ومدى تأثير بعضها ببعض وتماسكها وترابطها وعلاقة المطلق بالمقيد، "لهما أربع حالات:

1- اتحاد المطلق والمقيد في الحكم والسبب.

2- اتحاد المطلق والمقيد في الحكم واختلافهما في السبب.

¹ - الشريف الجرجاني، التعريفات، ص: 233.

² - الآمدي، الأحكام، ج2، ص: 162.

³ - السيوطي: الانتقان في علوم القرآن، ج4، ص: 1486.

⁴ - الشريف الجرجاني، المرجع السابق، ص: 233.

⁵ - الآمدي، المرجع السابق، ج2، ص: 162.

⁶ - ينظر: السيوطي، الانتقان في علوم القرآن، ج4، ص: 1486.

3- اتحاد المطلق والمقيد في السبب واختلافهما في الحكم.

4- اختلاف المطلق والمقيد في الحكم والسبب⁽¹⁾.

وكل هذه الصور من الآليات المعتمدة لبيان انسجام النص القرآني والترابط الحاصل بين أجزائه وآياته، وهو مبين للعلاقات بين التمثيلات الخطائية الدلالية في القرآن الكريم فالآليات المعتمدة لقراءة النص القرآني واستنباط الأحكام الشرعية من آياته عند علماء الأصول والمفسرين أن القرآن عندهم يبين بعضه بعضًا وتفسر آياته أخرى، فيحمل المطلق على المقيد ويبين العلاقة في الحكم والسبب بينهما، إذ القرآن الكريم يقوم على مبدأ الوحدة بين سوره، والنص يحمل دلالة واحدة إلا إذا تبين لنا أنه مطلق من خلال النظر إلى تقييده في موضع آخر، فإذا تبين ذلك تتحول الدلالة ويتغير الحكم اعتبارًا من هذا التقييد، ويقوم هذا على أساس من الحيك النصي والانسجام الدلالي بين أجزائه.

وسنوضح من خلال النماذج الآتية أهمية إبراز هذا النوع من العلاقات عند الشنقيطي وكيف تجاوز محورية الجملة في إيضاحه المعاني القرآنية لاستنباط الأحكام الشرعية لينتقل إلى النظرة النصية الكلية للنص القرآني أثناء إبرازه علاقة المطلق بالمقيد، ويتم على ضوء إدراك الحيك النصي:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ (الآية: 173-البقرة) - (الآية: 115-النحل).

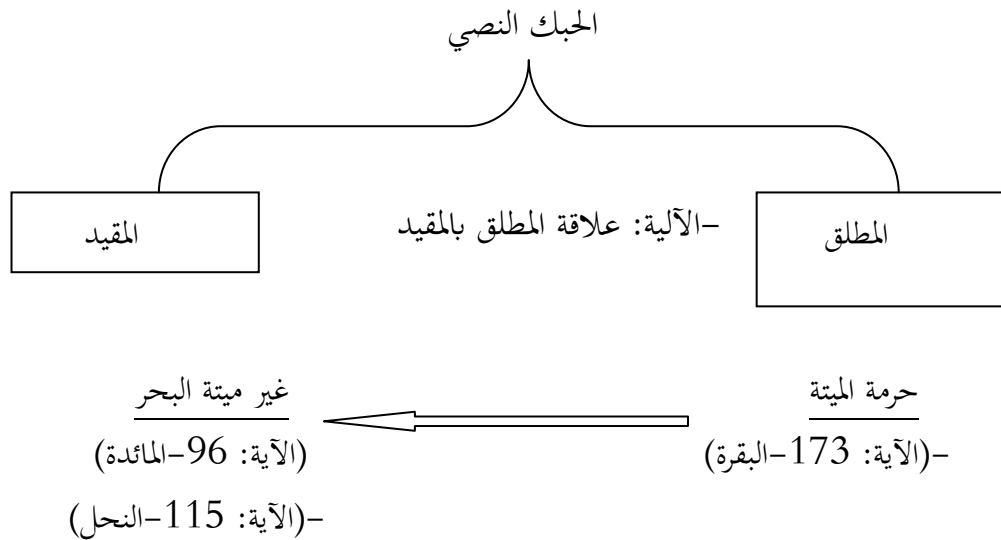
من أبرز مظاهر تماسك النص القرآني، أن يذكر حكماً مطلقاً في موضع ثم يقيد هذا الحكم في موضع آخر، وهذا الحاصل في هذا الجزء من الآية الكريمة المذكورة في سورة البقرة والنحل، حيث يذكر الشنقيطي أثناء تفسيره لهذه الآية قوله: "ظاهر هذه الآية أن جميع أنواع الميتة والدم حرام"⁽²⁾ لكنه -رحمه الله- يعتبر أن حرمة الميتة والدم في هذه الآية مطلق باعتبار التقييد الحاصل لهذا الحكم في مواضع أخرى من النص القرآني:

¹ - الشنقيطي (مُجَدِّدُ الْأَمِينِ): مذكرة أصول الفقه-على روضة الناظر، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1426، ص: 362-363.

² - الشنقيطي: أخوة البيان، ج1، ص: 108.

التقييد الأول: يذكر -رحمه الله- أن قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ (الآية: 96-المائدة) يعتبر تقييدا للتحريم العام للميتة، "إذ ليس للبحر طعام غير الصيد إلا الميتة"⁽¹⁾، كما يستند إلى حديث النبي ﷺ في البحر حيث يقول: "هو الحل ميتته" صححه الترمذي.

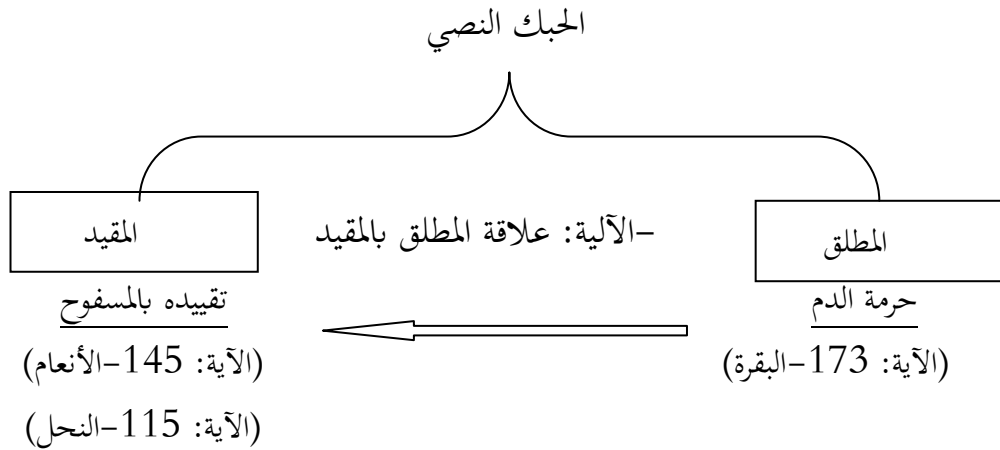
التقييد الثاني: الحكم الثاني في الآية هو تحريم الدم، وهذا الحكم مطلق مقارنة بالتقييد الذي ذكره الشنقيطي حيث "أشار -الله تعالى- في موضع آخر إلى أن غير المسفوح من الدماء ليس بحرام، وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ (الآية: 145-الأنعام)، فيفهم منه أن غير المسفوح ليس بحرام"⁽²⁾، وهذا تقييد للحكم السابق الذي نص عليه القرآن الكريم، وهو تحريم الدم، ويستند الشنقيطي إلى السنة النبوية لبيان هذا المقيد، حيث جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله "أحلت لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان: فالخوت والجراد، وأما الدمان، فالكبد والطحال"⁽³⁾، فاتخذ السبب كونه مسفوحا، والحكم وهو التحريم في هذا المثال:



¹ - المرجع نفسه، ج 1، ص: 108.

² - الشنقيطي: أخوة البيان، ج 1، ص: 108.

³ - صحيح ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني، كتاب العقيقة، باب الكبد والطحال، رقم: 2695، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط 1، 1997/1417، مج 3، ص: 129.



ومما سبق يتبين لنا أن الشنقيطي في تفسيره (الآية: 173- البقرة)، بين في بداية الأمر أن الآية تحمل معنى المطلق، وبقراءة النص القرآني واستقراءه له تبين له أن إيضاح العلاقات بين التمثيلات الخطائية الدلالية يحقق أموراً أهمها:

- الأمر الأول: بيان المعنى القرآني بدقة.

- الأمر الثاني: إبراز العلاقات بين التمثيلات الخطائية الدلالية (بين المطلق والمقيد).

- الأمر الثالث: في ضوء هذه العلاقات، يمكن إبراز الانسجام النصي لآيات الذكر الحكيم، والحبك الحاصل بين سوره.

- الأمر الرابع: استنباط الأحكام الشرعية من قبل الشنقيطي في ضوء هذه العلاقات.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ (الآية: 92- النساء) وهذه الآية

جاءت في سياق كفارة القتل الخطأ.

وقوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ﴾ (الآية: 03- المجادلة)، وفي

سياق هذه الآية هو كفارة الظهار.

والملاحظ أن في الآية الأولى ذكرت الرقبة المؤمنة وفي الثانية لم تذكر "المؤمنة"، لكن رغم ذلك فقد اتحد الحكم الشرعي في الكفارتين وهو: "عتق رقبة"، إلا أن سبب الأولى: القتل الخطأ وسبب الثانية الظهار، فيكون بذلك اتفاق في الحكم واختلاف في السبب.

وفي هذه الحال (الاتفاق في الحكم والاختلاف في السبب) للعلماء فيها آراء في كيفية ضبط العلاقة بين المطلق والمقيد، لأنه إذا حمل المطلق على المقيد، نكون أمام انسجام بين العلاقتين فيحصل الحبك النصي بين التمثيلات الخطائية الدلالية، وإذا نظرنا إلى المطلق على إطلاقه لوحده،

والمقيد على تقييده، فنكون أمام قضيتين دلالتين لا رابط ولا انسجام بينهما ولا تكامل، وإنما اشتركا فقط في الحكم وهو "تحرير رقبة".

ومن آراء العلماء في مسألة المطلق والمقيد في هذه الحال ما يلي:

1- لا يحمل المطلق على المقيد: وهو رأي أبي حنيفة⁽¹⁾، وعلى هذا الرأي، يعمل بالمطلق على إطلاقه في السياق الذي ورد فيه، وهو تحرير رقبة في كفارة الظهار، ويعمل بالمقيد على تقييده في السياق الذي ورد فيه، وهو تحرير رقبة مؤمنة في كفارة القتل الخطأ، وتكون هنا بين تمثيلات خطائية دلالية منفصلة عن بعضها، ولا يتحقق الحبك النصي بينهما ولا تكامل بين المطلق والمقيد.

2- يحمل المطلق على المقيد: وهو قول كثير من العلماء⁽²⁾، لذلك أوجبوا الإيمان في كفارة الظهار، حملا للمطلق على المقيد⁽³⁾، المطلق في آية المجادلة، والمقيد بالإيمان في آية النساء، وعلى هذا الرأي نكون أمام انسجام دلالي بين آيتي السورتين، وفي تكامل في الحكم الشرعي ومتعلقاته بين القضيتين، وهذا الذي عمل الشنقيطي على بيانه، باعتباره رأي الأغلبية، وبما أنه يحقق الحبك النصي الذي يتسم به النص القرآني.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾ (الآية: 3-المجادلة) وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ۖ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۗ ﴾ (الآية: 4-المجادلة).

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن كفارة الظهار، فكانت هناك ثلاثة أنواع من الكفارة رتبت حسب الاستطاعة:

- 1- تحرير رقبة مؤمنة من قبل أن يتماسا.
- 2- صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا.
- 3- إطعام ستين مسكينا.

¹ - ينظر: الشنقيطي، أخوة البيان، ج2، ص: 151.

² - ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص: 151.

³ - الشنقيطي: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص: 93-94.

الملاحظ من هذه الأنواع الثلاثة، أن الأولى والثانية قيدت قبل المساس، والثالثة لم تقيد وبقية مطلقة، فسبب الكفارة واحد وهو الظهار، والأحكام مختلفة مرتبة بحسب الاستطاعة، وللعلماء في حمل المطلق على المقيد في هذه العلاقة قولان:

- **القول الأول:** يحمل فيها المطلق على المقيد⁽¹⁾، بحيث يشترط في كفارة إطعام ستين مسكينا أيضا أن تكون قبل أن يتماسا، فيكون حذف عبارة "من قبل أن يتماسا" بعد الإطعام، من قبيل الظواهر النحوية أو الأساليب العربية في الكلام؛ كأن يكون من باب الاختصار وعدم التكرار.

- **القول الثاني:** لا يحمل فيه المطلق على المقيد، وهو قول أكثر العلماء⁽²⁾، وفي هذه الحال لا يشترط في كفارة الإطعام. والتي تحل في المرتبة الثالثة في التكفير عن الظهار- أن تكون قبل المساس، بل المطلق يبقى على إطلاقه والمقيد يبقى على تقييده.

ويتحقق الحبك النصي على القولين، وهو أدعى للظهور والبروز مع القول الأول الذي جاء به الشنقيطي من القول الثاني؛ لأن أعمال قاعدة: "حمل المطلق على المقيد" في هذا المثال، يجعل من الانسجام النصي حاصل بسبب الحذف، وكما هو معلوم يعتبر الحذف آلية من آليات السبك النصي التي تؤدي إلى الحبك أو التماسك الدلالي، ومن هنا ترتبط علاقة المطلق بالمقيد ارتباطا وثيقا يجعل من تتابع هذه الآيات وحدة نصية واحدة يفسر بعضها بعضا.

النموذج الرابع: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (الآية: 184-البقرة).

-وردت كلمة "الأيام" في سياق الحديث عن قضاء رمضان، "ولم يقيده الله تعالى بتتابع ولا تفريق"⁽³⁾، فقد ورد الحكم مطلقا دون تقييد، وذكر الشنقيطي أن الصوم قيد في موضعين من القرآن الكريم:

-الموضع الأول: قيد الله ﷻ صوم الظهار بالتتابع.

-الموضع الثاني: قيد الله ﷻ صوم التمتع بالتفريق⁽¹⁾، وذلك في قول تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ (الآية: 4-المجادلة)، وذلك في سياق الحديث عن كفارة الظهار، فقد

¹ - الشنقيطي: أضواء البيان، ج6، ص: 603.

² - المرجع نفسه، ج6، ص: 603.

³ - المرجع نفسه، ج6، ص: 604.

قيد الصوم بالتتابع، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ (الآية: 196-البقرة)، وذلك في سياق الحديث عن صيام التمتع أيام الحج، فقد قيد الصوم بالتفريق.

وللعلماء ومنهم الشنقيطي رأي واحد حول حمل المطلق على المقيد من عدمه، وهو الامتناع عن حمل المطلق؛ وهو صوم قضاء رمضان، على المقيد؛ وهو صوم التتابع في الظهر أو صوم التفريق في التمتع، وحصل الامتناع لكون سبب الصوم يختلف والحكم يختلف، "فليس صوم الظهر أو التمتع أقرب إلى صوم قضاء رمضان من الآخر فلا يقيد بقيد أحدهما، بل يبقى على الاختيار إن شاء تبعه وإن شاء فرقه"⁽²⁾، فلا رابط بين المطلق في سورة البقرة والمقيد في سورتي المجادلة و(الآية: 196-البقرة)، لأن الاختلاف بينهما في السبب والحكم، فيبقى المطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده، دون أن يؤثر الأول في الثاني ولا الثاني في الأول.

الملاحظ من الأمثلة الأربع التي تتعلق بالمطلق والمقيد أن الانسجام أو الحبك النصي يحصل في الحالات الآتية:

- عند اتحاد المطلق والمقيد في الحكم والسبب، كما في المثال الأول.
 - عند اتحاد المطلق والمقيد في الحكم واختلافهما في السبب، وعلى رأي من قال من العلماء أنه يحمل المطلق على المقيد في هذه الحال، كما في المثال الثاني.
 - عند اتحاد المطلق والمقيد في السبب واختلافهما في الحكم، وعلى رأي من قال من العلماء أنه يحمل المطلق على المقيد في هذه الحال، كما في المثال الثالث.
- والأمثلة حول علاقة المطلق بالمقيد وأثرها في إيضاح المعنى وإبراز التماسك الدلالي للنص القرآني، كثيرة في كتاب "أضواء البيان" جاء بها الشنقيطي من أجل هذا الغرض⁽³⁾.

¹ - ينظر: الشنقيطي: أضواء البيان، ج 6، ص: 604.

² - المرجع نفسه ج 6، ص: 604.

³ - ينظر: المرجع نفسه: ج 1 (ص: 44، 90، 109، 137، 146، 181، 230، 275، 311، 343)، ج 2 (ص: 10، 38، 105، 151)، ج 3 (ص: 585، 636)، ج 4 (ص: 414)، ج 5 (ص: 390، 473، 723)، ج 6 (ص: 20، 261، 601، 625)، ج 7 (ص: 462).

نتائج فصل: الخطاب وتمثيلاته الدلالية

- يعمل الشنقيطي - رحمه الله - على تحديد المخاطب في الآيات القرآنية ويسهم هذا التحديد في بيان المعنى بدقة وله أثر واضح في تماسك النص القرآني وانسجامه، خصوصا عندما يربط قضية تحديد المخاطب بآيات أخرى من القرآن الكريم.

- تنبه الشنقيطي إلى دور عناصر الخطاب في تحديد المخاطب الأول (النبي ﷺ) والمخاطب الفعلي (الأمّة)، وبيان القصدية من الخطاب وهي التشريع، وهذه جميعا تتضافر مع استشهاد الشنقيطي بالسياقات التركيبية المشاهدة لها في تعليل مجيء الخطاب على هذا الأسلوب دون سواه، وهذا نوع من الحبك النصي.

- يحرص الشنقيطي على بيان عناصر الخطاب ومدى تفاعلها لإنتاج الدلالة وبيان التماسك الدلالي بين عناصرها التركيبية ومدى الاعتماد على السياق القرآني العام لتحديد هذه الدلالة، بالإضافة إلى بيان الخطابات الموجهة للنبي ﷺ، لكن المقصود منها التشريع لأتمته وهذا الأسلوب مطرد في القرآن الكريم وعمل رحمه الله على تحديد المتلقي الصريح من المتلقي الحقيقي.

- يعمل الشنقيطي على بيان نوع المخاطبين في الآيات القرآنية سواء كانوا من المؤمنين أو الكافرين أو كليهما.

- كما يوضح في مواضع الأساليب الخطابية القرآنية التي تعتمد على مخاطبة الكافرين بشريعة الإسلام بأحد فروع الإسلام، مستدلا على ذلك بوجوده في النصوص القرآنية، ومدى تحقيق هذا التفاعل لانسجام النص القرآني.

- يستعين الشنقيطي بلغات القبائل العربية لبيان معنى الألفاظ القرآنية، وتتفاعل العناصر اللغوية مع العناصر غير اللغوية لتحديد المخاطب بدقة.

- تتفاعل بعض أجزاء الآية، متمثلة في ألفاظها مما يستدعي آيات أخرى تكون سندا في تحديد المخاطب في الآية محل الدراسة، وهذا ما عمل عليه الشنقيطي في هذا الجزء.

- اهتم الشنقيطي بقضايا خطابية تجاوزت الحديث عن العناصر المشكلة للخطاب، منها :
(ترتيب الخطاب، دلالة الخطاب على مفهوم المخالفة، فحوى الخطاب ودلالته على مفهوم الموافقة).

* فكان اهتمامه بترتيب الخطاب وإن تعدد الموجه له الخطاب، معتمدا في إيضاحه ترتيب الخطاب وفق ما جاءت به الوقائع والأحداث مرتبة في النص موضحا ومعللاً سبب هذا الترتيب وعلّة وروده وفق هذه الطريقة.

* كان لدليل الخطاب على مفهوم المخالفة النصيب الأكبر، مستنبطاً الأدلة بمفهوم المخالفة، مدعماً ذلك بالسياق النصي العام.

* فحوى الخطاب ودليله على مفهوم الموافقة كان أقل حظاً في الاهتمام على الرغم من أهميته، إذ تتجلى هذه الأهمية في نقطتين:

الأولى: أنه قراءة عميقة وواعية للخطاب القرآني.

الثانية: أنه يتجلى من خلاله بوضوح النظرة النصية عند الشنقيطي.

- تفسير العلاقات بين التمثيلات الخطابية الدلالية من بين الآليات المعتمدة عند الشنقيطي لإيضاح المعنى المراد من كلام الله، والتي تُبرز بوضوح الترابط بين الوحدات الكبرى للنص القرآني.

- اعتمد الشنقيطي على إبراز العلاقات القائمة بين الآيات المتجاورة والمتباعدة منها: علاقة الإجمال والتفصيل وعلاقة البيان والتفسير وعلاقة العموم والخصوص، وكل هذه تبرز انسجام الخطاب القرآني عنده.

- أدرك الشنقيطي علاقة الإجمال والتفصيل في إيضاح معنى الآيات القرآنية وبيان مدى تماسكها. من بين أسباب الإجمال في القرآن الكريم يذكر الشنقيطي الاشتراك اللفظي، فيكون تفصيل الجمل من خلال آيات أخرى ويستند عليها لإزالة الغموض الحاصل بسبب هذا الاشتراك، ومنها يستنبط الأحكام الشرعية.

- يحرص الشنقيطي على إبراز علاقة الإجمال والتفصيل ودورها في إيضاح وحدة النص القرآني وتفصيل الجمل الواقع بسبب الإجمال.

- تتفاعل آليات التماسك النصي مع علاقة الإجمال بسبب الاحتمال ويستند إليها الشنقيطي لإيضاح المعنى الدقيق وبيان الحبك النصي بين أجزاء النص.

- من أهم أنواع البيان القرآني والتي لها دور في بيان الحبك النصي، أن يكون اللاحق بيانا لمفردة سابقة، أو أن يكون بيانا لجملة.

- من أنواع البيان الفردي، بيان أن جميع ما وصف الله به نفسه في القرآن العظيم فهو موصوف به حقيقة لا مجازاً؛ ويكون البيان لجميع صفاته ﷻ.
- يذكر الشنقيطي أن من البيان القرآني ذكر واقعة أو حدث ثم يذكر في موضع آخر من سورة أخرى كيفية حدوثه ووقوعه، وهذا يكثر في القصص القرآني، مما يُسَهِّمُ في ترابط أحداثها.
- من البيان القرآني الذي ذكره الشنقيطي وله دور في إيضاح الحَبْكِ النِّصِّي؛ أن يذكر الشيء في موضع ويذكر سببه في موضع آخر؛ أو أن يذكر النهي أو الأمر أو الشرط في موضع ويذكر هل تم الامتثال لهذا الأمر أو النهي أم لا وهل حصل الشرط أم لا.
- من البيان القرآني الفردي الذي يحقق الحَبْكِ النِّصِّي، وقد استعان به الشنقيطي لإيضاح مراد الله من كلامه، الاستدلال على أحد معاني الألفاظ الداخلة في الآية محل التفسير كونه هو الغالب في القرآن الكريم.
- من العلاقات بين التمثيلات الدلالية التي لها دور في بيان الحَبْكِ النِّصِّي وقد استعان بها الشنقيطي لبيان مراد الله من كلامه علاقة المطلق بالمقيد، إذ يبرز الأحكام المطلقة مع ما وجد في النص القرآني في مواضع أخرى من تقييد، وهذا يبين التماسك الدلالي بين أجزائه، ويتحقق الحَبْكِ النِّصِّي في هذا النوع من العلاقات إذا حُمِلَ المطلق على المقيد واتَّحدَ السبب مع الحكم أو اتَّحدَ السبب دون الحكم أو اتَّحدَ الحكم دون السبب، باستثناء إذا اختلف السبب والحكم، فإن الحَبْكِ النِّصِّي لا يحصل في هذه الحال، فيحافظ المطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده، دون تأثير أحدهما على الآخر، من الناحية الشرعية أو من الناحية الدلالية المتعلقة بالتماسك النِّصِّي.

خاتمة

- من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي "نحو النص في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي - مقارنة لسانية " ما يلي:
- يمكن اعتبار "نحو النص" أهم تطور نوعي في الدراسات اللسانية الحديثة، خصوصا أنه لا يلغي الجملة، بل يجعل منها نقطة الانطلاق لدراسة ما هو أهم لتحقيق الغرض الأساسي من اللغة، وهو التواصل.
 - احتوى الموروث اللغوي العربي، والنقدي والديني على دراسات نصية ذات أهمية كبيرة تجاوزت محورية الجملة في الدراسة، تحتاج من الباحثين المتخصصين إعادة قراءته، وسبر أغواره، للخروج بنظرية لسانية نصية عربية، تكون سندا لكل من يلج دراسة النصوص وتحليلها.
 - تعد الإحالة عند الشنقيطي، الأداة الأكثر إظهارا للسبك النصي والأكثر تحديدا للدلالة وإبرازا للأحكام الشرعية من عناصر السبك الأخرى.
 - انشغل الشنقيطي بعودة الضمير واسم الإشارة واسم الموصول ونتج عن هذا الاهتمام اختلافه عن اللغويين والنحويين في نظرهم لهذه القضية والذي يظهر من اهتمام الشنقيطي، ميله الواضح إلى التحليل والتفسير وفي بعض الأحيان يلجأ إلى الكشف عن الأغراض الأسلوبية لاستخداماته (الإيجاز، التعيين، التحديد، القصر، التقرير، التعليل والتوضيح، التعظيم).
 - يبرز دور الإحالة من خلال: وظيفة تفخيم ما يعود إليه أو بيان عظيم شأنه، كأن يعود على لفظ الجلالة، هذا بالإضافة إلى دوره في الربط بين الآيات الكريمة وتحقيق السبك بينها.
 - للإحالة بالضمير وباسم الإشارة واسم الموصول أهمية، فإضافة إلى دورها في السبك النصي، فعن طريقها استطاع الشنقيطي أيضا بيان الكثير مما جاء به القرآن الكريم من أحكام العبادات والعقائد.
 - عدم إشارة الشنقيطي للإحالة باسم الإشارة في حالة عدم التطابق بين المشار إليه واسم الإشارة مثل قوله تعالى: ﴿فَدَانِكَ بُرْهَانًا مِنْ رَبِّكَ﴾ (الآية: 32-سورة القصص).
 - أشار الشنقيطي إلى ذلك النوع من الإحالة الذي يكون فيها المشار إليه حاضرا في النص بالقوة، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الآية: 2-سورة البقرة) ، في إشارة للقرآن الكريم.

- كثيرا ما يستعين الشنقيطي في حديثه عن الاسم الموصول بالسياق القرآني وبيان علاقة النص بالمقام، وأكثر أنواع اسم الموصول استعمالا، هو: "الذين" لأن القرآن الكريم يخاطب الذين ءامنوا والذين أشركوا والذين كفروا.
- يستعين الشنقيطي كثيرا في تحديد المرجع بالقواعد الأصولية وسياق الآية والسياق القرآني أحيانا ، ومن خلالها يتحدد السبك النصي.
- أسهم العطف في إبراز سبك النص بترابط الجمل والآيات ويعمل الشنقيطي - رحمه الله - على بيان هذا، وإن وجد فاصل من الجمل بينها، وحتى وإن تباينت هذه الجمل بين الخير والإنشاء، أو لم يوجد حرف العطف، إذ يذهب مذهب من يميز حذف حرف العطف في بعض المواضع، واستنباط الأحكام الشرعية عنده، هو نتيجة من نتائج فهم دور العطف في النص.
- من العطف الذي استعان به الشنقيطي لبيان مدى ترابط الآيات والجمل بعضها ببعض، عطف العام على الخاص، فهو لا يمنع ذلك السبك العجيب للقطعة من السورة بوسيلتين متشابهتين الأولى: شكلية سطحية متمثلة في حروف العطف، والثانية: دلالية عميقة متمثلة في العموم والخصوص، إلا أنه لم يهتم ببيان "عطف القصة القرآنية على قصة أخرى" و "عطف السورة على السورة"، على الرغم من أهميتها في بيان السبك النصي للخطاب القرآني، ويعتمد على العطف لبيان السبك الحاصل عن طريق التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه دون شرط الترتيب حسب الذكر في التركيب، وذهب إلى ذلك مذهب ابن هشام ومجموع البصريين.
- يعتمد الشنقيطي، على الدليل المقالي، وفي مواضع على إعراب اللفظ وحركات أواخر الكلمات أو قواعد الترجيح عند المفسرين، لبيان المحذوف ومدى مساهمته في السبك النصي للآيات.
- للحذف التقابلي أو الاحتباك دور في السبك النصي وبيان ترابطه عند الشنقيطي لأنه حذف في الأولى لدلالة ما سبقه من تراكيب عليه وحذف في الثاني لدلالة التركيب الأول عليه.
- تتعدد مرجعيات المحذوف، وهذا نتيجة الاستقراء العميق للنص القرآني من قبل الشنقيطي، ويؤدي هذا إلى ربط دلالة العناصر المحذوفة بالعناصر المذكورة، معززا التماسك الحاصل بينها.

- للحدف دور بارز في كتاب أضواء البيان في بيان التكامل الصوتي وإيضاح الانسجام الصوتي الذي تحدته فواصل الآيات القرآنية المتتابعة.
- للسياق بنوعيه (اللغوي وغير اللغوي) أهمية كبيرة في تفسير "أضواء البيان"، إذ باعتماده آلية من آليات بيان المعنى يتضح ذلك الحُبْكُ النصي بين أجزاء النص القرآني، فهو نص واحد مترابط في دلالاته.
- تعددت أنواع السياق اللغوي المعتمدة في أضواء البيان، منها : سياق الآية والمقطع والسورة والسياق القرآني العام، بالإضافة إلى سياق القراءات القرآنية، إذ يعد الشنقيطي القراءتين في الآية الواحدة كآليتين، تُفسر القراءةُ القراءةَ أخرى، ويتضح الحُبْكُ النصي، باعتقاد المفسر على هذه العناصر.
- اعتماده على سياق السورة، يكون بإيضاح آية بآية فقط، دون أن يستعين بالوحدة الموضوعية للسورة، كعادة بعض علماء البيان والإعجاز.
- يحرص الشنقيطي على اعتماد سبب النزول، والمكي والمدني، والسنة النبوية، بِعَدِّهَا آليات السياق الخارجي التي تسهم في إيضاح المعنى، وربط العناصر التداولية لبيان المعنى، وإزالة التعارض الظاهر في النص القرآني، مما يحدث تماسك دلالات النص القرآني.
- تتضافر آليات السياق اللغوي (الداخلية) وغير اللغوي (الخارجية) في أضواء البيان، لتوجيه دلالة النص القرآني، وبيان تماسكه، واستنباط الأحكام الشرعية من آياته بالإضافة إلى ترجيح قول أو تضعيفه، انطلاقاً من هذه الآليات.
- يعمل الشنقيطي على تحديد عناصر الخطاب وبيان مدى تفاعلها لإنتاج الدلالة وإيضاح التماسك الدلالي بين عناصر التركيب، وأحياناً تتفاعل الآيات القرآنية المتباعدة من أجل تحديد المخاطَب.
- انتقل الشنقيطي من الحديث عن عناصر الخطاب، وتحديدتها إلى الحديث عن قضايا خطابية هامة لها دور رئيس في إيضاح المعنى، وتعمل على بيان تماسك الخطاب القرآني، من هذه القضايا: ترتيب الخطاب، وفحوى الخطاب ودلالته على مفهوم الموافقة، ودلالة الخطاب على مفهوم المخالفة.

- اهتم الشنقيطي -رحمه الله- كثيرا بالعلاقات بين التمثيلات الخطابية الدلالية، منها علاقة الإجمال بالتفصيل، وعلاقة البيان والتفسير، وعلاقة المطلق بالمقيد، وكل هذه العلاقات لها أدوار مختلفة عنده، فبالإضافة إلى دورها في بيان الحبكة النصي بين الوحدات النصية الكبرى، فهي تقوم بأدوار تفسيرية أخرى منها : بيان الأحكام الشرعية، وإزالة الغموض بسبب الاشتراك أو الإبهام أو الاحتمال.
- من خلال دراستنا لأدوات السبك و آليات الحبكة في كتاب "أضواء البيان"، يتبين لنا أن صاحبه ينظر للنص القرآني، بجميع آياته وسوره، على أساس وحدة كلية واحدة، تترايط فيها الوحدات الصغرى لتبين وحدته الكبرى إذ تترايط أول وآخر سورة فيه ، ومن هذه النظرة الكلية أمكنه من اعتماد أدوات شكلية وآليات دلالية، لتفسر الآيات بعضها بعضا، إذ أشرف أنواع التفسير تفسير القرآن بالقرآن، دون اهمال للعناصر الخارجية ودورها في إيضاح الدلالة وبيان المعنى، إذ تعد عنده ركيزة أساسية أيضا في تفسيره.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

الكتب:

- 1- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966.
- 2- إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1997م.
- 3- إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1426هـ - 2007م.
- 4- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1426-2005.
- 5- ابن أبي حاتم (عبد الرحمن بن مُجَدِّد): تفسير القرآن العظيم - مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة التابعين، تح: أسعد مُجَدِّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، ط1، 1417 - 1997.
- 6- ابن قيم الجوزية (مُجَدِّد بن أبي بكر): الضوء المنير على التفسير، جمعه: علي محمد الصالح، مؤسسة النور، مكتبة دار السلام، الرياض، السعودية، (د.ط.).
- 7- ابن قيم الجوزية (مُجَدِّد بن أبي بكر): إعلام الموقعين، تح: مُجَدِّد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م.
- 8- ابن قيم الجوزية (مُجَدِّد بن أبي بكر): التفسير القيم لابن القيم، تح: مُجَدِّد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط.).
- 9- ابن تيمية (أحمد عبد الحلِيم)، الفتاوى الكبرى، تح: حسنين مُجَدِّد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1386هـ.
- 10- ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ - 2002م.
- 11- ابن جني (أبو الفتح عثمان): اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمود شرف، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1979م.
- 12- ابن الحاجب (أبو عمرو عثمان): أمالي ابن الحاجب، تح: فخر صالح سليمان قدره: دار عمار، عمان - دار الجيل، بيروت ط1989م.
- 13- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة السلام، الرياض، مكتبة الفيحاء، دمشق، ط3، 1421-2000.
- 14- ابن رفاعة (زيد بن عبد الله الهاشمي): الأمثال للهاشمي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1423.
- 15- ابن فارس (أبو الحسن أحمد): مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.

- 16- ابن فارس (أبي الحسن أحمد): معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام مُجَّد هارون، دار الفكر، بيروت، ط1399هـ-1979م.
- 17- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) : أدب الكاتب، تح: مُجَّد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1982.
- 18- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة النبوية، ط3، 1971م.
- 19- ابن كثير (إسماعيل بن عمر الدمشقي): تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن مُجَّد سلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط2، 1420هـ-1999م.
- 20- ابن مالك (مُجَّد بن عبد الله الأندلسي) : الخلاصة في النحو- ألفية ابن مالك، تح: عبد المحسن القاسم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط1، 1439هـ-2018م.
- 21- ابن مالك (مُجَّد بن عبد الله الأندلسي): شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، منشورات جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1402 هـ - 1982م
- 22- ابن مضاء القرطبي (أحمد بن عبد الرحمن بن مُجَّد): الرد على النحاة ، تح: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1947م.
- 23- ابن منظور (جمال الدين مُجَّد بن مكرم): لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1426هـ-2005م.
- 24- ابن هشام (عبد الله جمال الدين بن يوسف): شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: مُجَّد مُجَّد تامر، شركة القدس للتجارة، القاهرة، مصر، (د.ط).
- 25- ابن هشام(عبد الله جمال الدين بن يوسف): مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: مُجَّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1411هـ-1991م.
- 26- ابن يعيش (أبو البقاء يعيش بن علي): شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ط) (د.ت).
- 27- أبو حيان الأندلسي (مُجَّد بن يوسف): تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م.
- 28- أبو طالب: ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ، جمعه وشرحه: مُجَّد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1414هـ-1994م.
- 29- أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله): الصناعتين- الكتابة والشعر، تح: مُجَّد البجاوي و مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1419م.
- 30- أحمد عبد الستار الجوّاري: نحو المعاني، الجمع العلمي العراقي، بغداد، ط1987م.
- 31- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.

- 32- أحمد عفيفي، نحو النَّصِّ والتحليل اللُّغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999م.
- 33- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.
- 34- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م .
- 35- الاسترنازي (رضي الدين): شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1992م.
- 36- أسعد خلف العوادي : سياق الحال في كتاب سيبويه - دراسة في النحو والدلالة ، دار الحامد، عمان ، الأردن، ط 1، 1432هـ - 2011م.
- 37- الإسنوي (عبد الرحيم بن الحسن الشافعي): التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تح: مُجَّد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ.
- 38- أشرف عبد البديع عبد السميع : الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 2008 م.
- 39- إلهام أبو غزالة و علي خليل أحمد : مدخل إلى علم اللغة النصي (تطبيقات لنظرية دي بوجراندي وولفجانج دريسلر) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1999م.
- 40- الألوسي (محمود شكري بن عبد الله): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط).
- 41- الأمدي (سيف الدين أبو الحسن) : الإحكام في أصول الأحكام، تح، سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404هـ.
- 42- امرؤ القيس: الديوان، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، 1430-2009.
- 43- الألباني(مُجَّد ناصر الدين): صحيح ابن ماجه ، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط1، 1417هـ-1997م.
- 44- أمين الخولي، فن القول، دار الكتب المصرية، القاهرة ط1996م.
- 45- البخاري (مُجَّد بن اسماعيل): صحيح البخاري، دار صادر، بيروت، ط 1، 1425هـ- 2004م.
- 46- براون ويول: تحليل الخطاب، تر: مُجَّد لطفي الزليطي ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1417هـ-1997م.
- 47- البغدادي (عبد القادر بن عمر): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام مُجَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1404هـ- 1984م.

- 48- البقاعي (برهان الدين إبراهيم بن عمر): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م.
- 49- بهجت عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ-1993م.
- 50- تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1994.
- 51- تمام حسان: قرينة السياق، مطبعة عبير للكتاب، القاهرة، ط 1413-1993.
- 52- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1993.
- 53- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1990.
- 54- الجاحظ (عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط 1، 1968م.
- 55- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر): الجمل، تح: علي حيدر، دمشق، ط 1972م.
- 56- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر): أسرار البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 1420-1999م.
- 57- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر): دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، 1424-2003م.
- 58- جرير ابن عطية (أبو حذرة): ديوان جرير، شرح: يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413-1992.
- 59- جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النص دراسة لسانية نصية، النادي الأدبي بالرياض، السعودية، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2009.
- 60- جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م.
- 61- جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة ، نسخة إلكترونية، ط1، 2015م.
- 62- الجوالقي (موهوب بن أحمد): المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ-1990م.
- 63- جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1997م.
- 64- الجوهري (اسماعيل بن حماد): الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1404هـ-1984م.
- 65- حسام أحمد فرج : نظرية علم النص - رؤية منهجية في بناء النص النثري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 2 ، 1430-2009 م .

- 66- حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ط)، 1994.
- 67- حسين بن علي الحربي: قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، دار قاسم، الرياض، السعودية، ط1، 1417-1996.
- 68- حسين بن علي الحربي: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة 1، 1429هـ.
- 69- حكمت بن بشير بن ياسين: التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، دار المآثر، المدينة النبوية، ط1، 1420، 1999.
- 70- خلود الغموش: الخطاب القرآني-دراسة في العلاقة بين النص والسياق، جدار للكتاب العالمي، عمان، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1429هـ-2008م.
- 71- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبه للنشر، حيدرة، الجزائر، (د.ط)، 2000م.
- 72- الرازي (فخر الدين مُجَدِّد بن عمر): التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ط3، 1405هـ - 1984م.
- 73- الرازي (مُجَدِّد بن أبي بكر): مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط) 1993م.
- 74- ربيعة العربي: في تصور الخطاب-آليات الإنتاج والتأويل، المؤتمر الدول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، بحوث محكمة منشورة ضمن كتاب: "لسانيات النص وتحليل الخطاب"، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 1434هـ-2013م.
- 75- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418-1998.
- 76- الزركشي (مُجَدِّد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تح: مُجَدِّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ-1984م.
- 77- الزمخشري (محمود بن عمر): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، تح: عادل عبد الموجود، علي معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418-1998.
- 78- زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1406، 1986.
- 79- سعيد حسن بحيري: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1999.
- 80- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 1431-2010.

- 81- السكاكي (يوسف بن أبي بكر): مفتاح العلوم ، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987-1405.
- 82- السَّمِين الحلبي (أحمد بن يوسف)، الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد مُجَّد الشُّرَّاط، دار القلم، دمشق، (د. ط)، (د.س).
- 83- سيبويه (عمرو بن عثمان بن قيس): الكتاب، تح: عبد السلام مُجَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
- 84- سيد مُجَّد بن مُجَّد المختار الشنقيطي وآخرون: المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، السعودية، ط3، 1436هـ.
- 85- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) : أسباب النزول (لُباب الثُّقُول في أسباب النزول)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م.
- 86- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط، 1426م - المكتبة الوقفية، بيروت، ط 1973م.
- 87- الشاطبي: (أبي إسحاق بن موسى الغرناطي): الموافقات ، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ.
- 88- الشافعي (مُجَّد بن إدريس): الرسالة، تح أحمد مُجَّد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ط)، (د.س) .
- 89- شاهر الحسن : علم الدلالة السيمانتية والبرجماتية في اللغة العربية، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن، 2001 م.
- 90- الشريف الجرجاني (علي بن مُجَّد): كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1985م.
- 91- الشنقيطي (مُجَّد الأمين بن مُجَّد المختار): مذكرة أصول الفقه، دار عالم الفوائد، ط1، 1426هـ.
- 92- الشنقيطي (مُجَّد الأمين بن مُجَّد المختار) : العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، دار ابن عفاف القاهرة، ط1، 1424هـ-2003م.
- 93- الشنقيطي (مُجَّد الأمين بن مُجَّد المختار) : أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1426هـ.
- 94- الشنقيطي (مُجَّد الأمين بن مُجَّد المختار) : رحلة الحج الى بيت الله الحرام ، دار عالم الفوائد مكة المكرمة ، ط1426 هـ.
- 95- الشنقيطي، (مُجَّد الأمين بن مُجَّد المختار): شرح مراقبي السعود- المسمى نثر الورود، تح: علي بن مُجَّد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط 1، 1426هـ.

قائمة المصادر والمراجع

- 96- الشنقيطي (مُجَّد الأمين بن مُجَّد المختار): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003هـ- 1424م.
- 97- صبحي إبراهيم الفقي: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق-دراسة تطبيقية على السورة المكية، دار قباء، القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م.
- 98- صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م.
- 99- طالب مُجَّد إسماعيل الزوبعي: البلاغة العربية (علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين)، جامعة قان يونس، بنغازي، ط1، 1997م.
- 100- طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999هـ، ط1.
- 101- الطبري (مُجَّد بن جرير): تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م.
- 102- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2000م.
- 103- عادل مناع: نحو النص، اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011م.
- 104- عباس حسن: النحو الوائبي، دار المعارف، القاهرة، ط6، (د.ت).
- 105- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط1981م.
- 106- عبد العزيز الطويان، جهود الشيخ مُجَّد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1419هـ-1998م.
- 107- عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط1418هـ-1998م.
- 108- عبد الملك مرتاض: النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1983م.
- 109- عبدالمملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، دار هومه، الجزائر، ط2، 2010
- 110- عثمان أبو زيد: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1431هـ-2010م.
- 111- عزة شبل مُجَّد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، 1430هـ-2009م.

- 112- عطية محمد سالم : ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، مدونة في أضواء البيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان / ط1، 2003هـ-1424م.
- 113- علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط1، 1996م.
- 114- عمر أبو خرمة: نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 1425هـ-2004م.
- 115- فتحي رزق الله الخوالدة: تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، أزمدة للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2006م.
- 116- الفراهيدي (الخليل بن أحمد): كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.
- 117- الفرزدق (همام بن غالب بن صعصعة): ديوان الفرزدق، شرح وضبط: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ-1987م.
- 118- فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر : مدخل إلى اللغة النصي ، تر: فالج بن شبيب العجمي ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، السعودية ، ط 1419هـ-1999.
- 119- الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1398هـ-1978.
- 120- القراطاجني (أبو الحسن محمد بن حازم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1986.
- 121- القرطبي (محمد بن أحمد بن أب بكر): الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م.
- 122- قيس بن الخطيم: ديوان قيس بن الخطيم، تح: إبراهيم السامرائي، أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1381هـ-1962م.
- 123- كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط39، 2002م.
- 124- كعب بن زهير: ديوان كعب بن زهير، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1417هـ-1997م.
- 125- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي النصي، تر: سعيد حسن بختري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1425هـ-2005م.
- 126- كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي (مدخل)، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1994م.

- 127- لبيد بن ربيعة: ديوان لبيد بن ربيعة، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1414هـ-1992م.
- 128- المبرد: (أبو العباس محمد بن يزيد): المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، س).
- 129- المننى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ-2008م.
- 130- محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص" المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 1421هـ-2001م.
- 131- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1984م.
- 132- محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1999م.
- 133- محمد العيد: اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1989م.
- 134- محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 1966م.
- 135- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992م.
- 136- محمد سليمان ياقوت: إعراب القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط).
- 137- محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب-قراءة في علوم القرآن، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط، 2016م.
- 138- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، ط9، 1413هـ-1993م.
- 139- محمد عمر بازمول: شرح مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، الدار الأثرية، عنابة، الجزائر، ط1، 1424هـ-2003م.
- 140- محمد نسيب الرفاعي: تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، (ط.س).
- 141- محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1408هـ-1988م.
- 142- محمود يوسف السماسيري: نظرية الخطاب (الفكر) الإسلامي-قراءة علمية تأسيسية، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2016م.

- 143- مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1426هـ-2005م.
- 144- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1431هـ-2010م.
- 145- المطرزي (ناصر بن علي): كتاب المعرّب في ترتيب المعرّب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س).
- 146- مفيد قميحة: المعلقات العشر، شرح ودراسة وتحليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط5، 2002م.
- 147- منال مَبْطِي: حامد المسعود: التناسب في تفسير الإمام الرازي دراسة في أسرار الاقتزان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1431هـ-2010م.
- 148- المهدي إبراهيم الغويل: السياق وأثره في المعنى، أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، ليبيا ، ط 2011م.
- 149- مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، (د.ت).
- 150- النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق: حنا نصر الحّيّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1411هـ-1991م.
- 151- نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980م.
- 152- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1417هـ-1997م.
- 153- اليوسي (الحسن بن مسعود): زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: مُجّد حجي-مُجّد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1401هـ-1981م.
- الكتب الأجنبية:

- 1- DavidCrystal, the Cambridge encyclopedia of language, Cambridge University, Press, Second Edition.
- 2- Gerard Troupeau: *Lexique-index du kitab de Sibawayhi*, klincksieck, Paris, 1976.
- 3- M,A,K, Halliday. *Ruqaiya hasan, Cohesion In English*, Longman, London, New York, 1976.
- 4- Robert Micro, Alain Roy et autres, *dictionnaire le Robert*, Paris-Montréal Canada, 2^{ème} édition, 1998.

الرسائل الجامعية:

- 1- نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجا، رسالة دكتوراه في الأدب العربي قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2006/2007.

- 2- ردة الله الطلحي، دلالة السياق (رسالة دكتوراه في اللغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423هـ).
- 3- عبد الرحمان بن عبد العزيز السديس : منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية ، إشراف : عبد المجيد محمود عبد المجيد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 1410هـ.
- 4- فهد بن عبد الرحمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعود، إشراف: محمد مسلم محمد، 1404هـ.
- 5- محمد الربيع : أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، رسالة دكتوراه ، إشراف: محمد الشايخ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 1427هـ - 2006 م.
- 6- محمد بازمول، القراءات القرآنية وأثرها في التفسير، أطروحة دكتوراه في الشريعة الإسلامية، إشراف: عبد الستار فتح الله سعيد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412-1413هـ.

المجلات العلمية:

- 1- ربما سعد سعادة الجرف: مهارات التعرف على الترابط في النص، مجلة رسالة الخليج العربي، ع 07، د.ت، الرياض، السعودية.
- 2- سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ج1، مج10، عدد 1، 2، يوليو 1991، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 3- سعيد بوسقط، شعرية النص بين جدلية المبدع والمتلقي، مجلة التواصل، مجلة علمية محكمة، جامعة باجي مختار - عنابة.
- 4- مجلة تفاهم ، وزارة الأوقاف ، مسقط ، سلطنة عُمان ، العدد49، 2015- 1436.
- 5- عبد الرحمن بودرع: أثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الإحياء، العدد: 25، (جمادى الثانية 1428هـ- يوليو 2007م).

- المواقع الإلكترونية:

- 1- الدرر السنوية - الموسوعة الحديثية: www.dorar.net تاريخ الاطلاع: 30 ديسمبر 2018.
- 2- الألباني (محمد ناصر الدين): صحيح وضعيف سنن الترمذي، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الاسكندرية، رقم 884، تاريخ الإضافة: 14 نوفمبر 2010.
- 3- موقع: مسارات للرصد والدراسات الإستشرافية ، 11-أفريل-2012 ، تاريخ الاطلاع: 23- جوان 2018:
- <http://www.massarate.ma>
- 4- موقع : الرابطة المحمدية للعلماء، ص: 54، ومن موقع المجلة الإلكترونية: تاريخ الاطلاع: 9 شوال 1439 / 23 يونيو 2018 www.alihyaa.org/Article.aspx?C=5741 .

فهرس البحث

| الصفحة | العنوان |
|---|---|
| أ-د | مقدمة |
| الفصل التمهيدي : | |
| 02 | أولاً: مقاربات نظرية في نحو النص |
| 02 | - 1- البحث اللغوي من "نحو الجملة" إلى "نحو النص" |
| 14 | - 2- مصطلحات "نحو النص" |
| 14 | - أ- مفهوم النص |
| 19 | - ب نحو النص |
| 22 | - 3- الجذور التاريخية للدراسات النصية عند القدامى |
| 23 | - 1- المصنفات اللغوية |
| 27 | - 2- المصنفات النقدية |
| 29 | - 3- المصنفات الدينية |
| 33 | ثانياً: المؤلف والكتاب |
| 33 | - 1- التعريف بالمؤلف - الشنقيطي: |
| 33 | - أ - الحياة الشخصية للشنقيطي |
| 35 | - ب- الحياة العلمية للشنقيطي |
| 39 | - 2- التعريف بالمؤلف - أضواء البيان: |
| 39 | - أ- التعريف بالكتاب ودوافع تأليفه |
| 42 | - ب- المنهج المعتمد في الكتاب ومصادره |
| الباب الأول : السبك النصي في كتاب "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" | |
| 49 | تعريف السبك النصي |
| 49 | 1- تعريف السبك لغة |
| 49 | 2- تعريف السبك اصطلاحاً |
| 50 | عناصر السبك النصي من خلال كتاب "أضواء البيان" |
| الفصل الأول : الإحالة | |
| 52 | 1- تعريف الإحالة |
| 53 | 2 - أنواع الإحالة |
| 54 | 1-2 الإحالة المقامية. (خارج النص) |
| 56 | 2-2 الإحالة المقالية (النصية) |
| 60 | 3 - أدوات السبك الإحالية في تفسير " أضواء البيان" . |
| 60 | أولاً: الضمائر |
| 61 | - أ- الضمائر ذات المرجعية الواحدة. |
| 62 | - 1 التشكيل الإحالي بضمائر المتكلم |
| 62 | - أ/ التشكيل الإحالي بضمائر المتكلم المفرد. |

| | |
|-----|---|
| 65 | - ب/ التشكيل الإحالي بضمائر المتكلمين |
| 69 | - 2 التشكيل الإحالي بضمائر المخاطب |
| 70 | - أ/ التشكيل الإحالي بضمائر المخاطب المفرد |
| 72 | - ب/ التشكيل الإحالي بضمائر المخاطب المثنى |
| 73 | - ج/ التشكيل الإحالي بضمائر المخاطب الجمع |
| 75 | - 3 التشكيل الإحالي بضمائر الغائب |
| 75 | - أ/ التشكيل الإحالي بضمائر الغائب المفرد |
| 77 | - ب/ التشكيل الإحالي بضمير الغائب المثنى |
| 79 | - ج / التشكيل الإحالي بضمير الغائب الجمع |
| 83 | - ب- الضمائر ذات المرجعية المتعددة |
| 92 | - ثانيا : أسماء الإشارة |
| 104 | - ثالثا: الأسماء الموصولة |
| 105 | - أقسام اسم الموصول |
| 105 | - أ- الاسم الموصول الخاص |
| 112 | - ب- الاسم الموصول العام |
| 119 | - نتائج فصل الإحالة ودورها في إيضاح السبك النصي من خلال كتاب أضواء البيان |
| | - الفصل الثاني: العطف والحذف |
| 122 | - أولا : العطف |
| 122 | - 1تعريف العطف |
| 128 | - 2- العطف وأثره في السبك النصي من خلال كتاب " أضواء البيان". |
| 128 | - أ: العطف باعتبار حقيقة التراكيب |
| 128 | - 1- عطف الجمل والآيات |
| 134 | - 2- الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه |
| 136 | - 3- العطف بحرف محذوف |
| 139 | - ب: العطف باعتبار علاقة المعطوف بالمعطوف عليه |
| 139 | - 1- عطف الخاص على العام وعطف العام على الخاص |
| 143 | - 2- العطف المقتضي المغايرة |
| 145 | - 3- العطف المقتضي مطلق التشريك دون الترتيب |
| 146 | - 4- عطف الشيء على نفسه |
| 147 | - ثانيا : الحذف |
| 147 | - 1- تعريف الحذف |
| 149 | - 2- أقسام الحذف |
| 151 | - 3- علاقة الحذف بالتماسك النصي |
| 151 | - أ/ علاقة الحذف بالإحالة |
| 152 | - ب/ علاقة الحذف بالسياق |

| | |
|---|--|
| 153 | - ج / الحذف والتماسك النصي |
| 156 | - 4- الحذف ودوره في السبك النصي من خلال كتاب أضواء "البيان الشنقيطي" |
| 157 | 1- دلالة الخطاب القرآني على الحذف ودوره في السبك النصي |
| 169 | 2- دلالة المقام على الحذف ودوره في بيان المعنى وإيضاح السبك النصي |
| 170 | 3- دلالة القراءات القرآنية والأحاديث الشريفة على الحذف ودوره في بيان المعنى وإظهار السبك النصي |
| 174 | 4- قواعد الترجيح ودورها في تحديد الحذف وبيان السبك النصي |
| 176 | 5- دور الحذف في تفصيل الأحكام الشرعية وتحقيق السبك النصي |
| 177 | 6- حذف الأجوبة ودورها في السبك النصي |
| 181 | 7- الحذف مراعاة للانسجام الصوتي |
| 182 | 8- الاحتباك ودوره في السبك النصي |
| 188 | - نتائج الفصل: العطف والحذف ودورهما في السبك النصي |
| الباب الثاني: الحيك النصي في كتاب "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" | |
| 192 | - تعريف الحيك النصي |
| 192 | - 1 الحيك لغة |
| 192 | - 2 الحيك اصطلاحاً |
| 193 | - عناصر الحيك النصي من خلال كتاب "أضواء البيان" |
| | الفصل الأول: السياق |
| 195 | السياق |
| 195 | 1-1- تعريف السياق |
| 197 | 1-2- أنواع السياق |
| 197 | أولاً- السياق اللغوي القرآني ودوره في بيان الحيك النصي |
| 198 | 1- سياق الآية |
| 198 | أ- إيضاح الدقة في تحديد معنى اللفظة دون المعاني المعجمية الأخرى من خلال سياق الآية |
| 205 | ب- إيضاح الدقة في اختيار الصيغة الصرفية من خلال سياق الآية |
| 211 | ج- إيضاح الدقة في اختيار الإعراب المناسب بحسب سياق الآية |
| 216 | 2- سياق المقطع (الآيات) |
| 220 | 3- سياق السورة |
| 225 | 4- السياق القرآني العام |
| 233 | 5- السياق النصي للقراءات السبع وأثرها في التماسك النصي |
| 234 | أ- مفهوم القراءة القرآنية |
| 234 | ب- علاقة القراءات القرآنية بالتفسير |
| 235 | اعتماد الشنقيطي على القراءات القرآنية ودورها في بيان الحيك النصي |
| 249 | ثانياً - السياق الخارجي (المقامي أو غير اللغوي) ودوره في بيان الحيك النصي |
| 249 | 1- السياق الخارجي عند العلماء القدامى |
| 249 | أ- السياق الخارجي عند علماء البلاغة |
| 250 | ب- السياق الخارجي عند علماء النحو العربي |

| | |
|-----|--|
| 252 | ج- السياق الخارجي عند المفسرين |
| 252 | 2- عناصر السياق الخارجي ودورها في الحيك النصي . |
| 252 | 2-1- أسباب النزول |
| 260 | 2-2- المكى والمدني |
| 266 | 2-3- السنة النبوية |
| 271 | - نتائج الفصل: السياق اللغوي وغير اللغوي ودوره في بيان الحيك النصي |
| | - الفصل الثاني : الخطاب وتمثيلاته الدلالية |
| 275 | أولاً: المتلقي (المفسر) والخطاب |
| 277 | 1- توجيه الخطاب القرآني ودوره في الحيك النص وبيان الاحكام الشرعية |
| 277 | أ- الخطاب الموجه للنبي ﷺ |
| 282 | ب- الخطاب الموجه للمؤمنين |
| 287 | ج- الخطاب الموجه للكافرين |
| 290 | د- خطاب عام لبني آدم |
| 293 | 2- ترتيب الخطاب |
| 299 | 3- دليل الخطاب |
| 300 | أ- دليل الخطاب على مفهوم المخالفة |
| 303 | ب- دليل فحوى الخطاب على مفهوم الموافقة |
| 306 | ثانياً : العلاقات بين التمثيلات الخطابية الدلالية ودورها في بيان الحيك النصي |
| 308 | 1- علاقة الإجمال بالتفصيل |
| 308 | 1-1 تعريف الإجمال |
| 309 | 1-2 أسباب الإجمال |
| 309 | أ- الإجمال بسبب الاشتراك |
| 313 | ب- الإجمال بسبب الإهام |
| 315 | ج- الإجمال بسبب الاحتمال |
| 318 | 2- علاقة البيان والتفسير |
| 318 | 2-1 تعريف البيان |
| 319 | 2-2 أنواع البيان |
| 320 | النوع الأول: البيان الفردي |
| 324 | النوع الثاني: البيان الجملي |
| 331 | 3- علاقة المطلق بالمقيد |
| 332 | 3-1 تعريف المطلق والمقيد |
| 333 | 3-2 دور المطلق والمقيد في الانسجام الدلالي والتأثير على الحكم |
| 340 | نتائج فصل : المتلقي والخطاب و العلاقة بين التمثيلات الدلالية |
| 343 | - خاتمة |
| 348 | - قائمة المصادر والمراجع |
| 360 | - فهرس البحث |
| - | - ملخص الدراسة باللغة العربية وباللغة الأجنبية |

ملخص الرسالة :

نحو النص في كتاب "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للشنقيطي

مقاربة لسانية

يعد "نحو النص" من أحدث فروع الدراسات اللسانية ، فهو يبحث في المعايير النصية ببيان السبك والحبك الحاصل في النصوص المؤدي إلى ترابطها وتآلفها شكلاً ودلالة، وقد استعان المفسرون للنص القرآني، ومنهم الشنقيطي، بأدوات وآليات تعتبر من صميم البحث اللساني النصي في الدراسات الحديثة ، ومن أهم الركائز التي يُعتمد عليها لبيان التماسك النصي ،؛ أدوات السبك وآليات الحبك ، والتي يريد هذا العمل أن يبين أهميتها عند الشنقيطي، ومدى اعتماده عليها في كتابه : "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" ، لبيان السبك النصي للخطاب القرآني.

وقد كان **اختياري** لهذه الدراسة في هذا المجال، رغبة مني في الدراسات اللسانية الحديثة التي لها صلة بالنظرية اللغوية العربية، ومحاولة المزوجة بين الدراسات اللغوية والدراسات القرآنية، وبالضبط عند الشنقيطي، الذي يمزج بين الدراستين في تفسيره "أضواء البيان". وتأتي أهمية هذا الموضوع من أنه يقدم نموذجاً تطبيقياً متميزاً لتطبيق الجانب النصي في الدراسات التفسيرية، وفق أسس نصية اعتمدها العلماء منذ قرون، في مقاربة لسانية بما ينادي إليه نحو النص في الوقت الحالي.

وقد تضمن هذا البحث، بعد مقدمة للموضوع، على : فصل تمهيدي، وبابين، و في كل باب فصلان وخاتمة:

الفصل التمهيدي: في عنصرين: **العنصر الأول:** "مقاربات نظرية في نحو النص" كان الحديث فيه عن الانتقال من محورية الجملة في الدراسة اللسانية إلى النص ، وبعدها تناولت أهم المصطلحات المرتبطة بنحو النص، والجذور التاريخية للدراسات اللسانية النصية، و**العنصر الثاني** تحدث فيه عن المؤلف والكتاب جاء فيه الحديث عن الشنقيطي وحياته الشخصية والعلمية ، بالإضافة إلى التعريف بالكتاب وبيان دوافع تأليفه والمنهج المعتمد في التفسير، وأهم مصادر الكتاب.

الباب الأول: جاء بعنوان: " السبك النصي في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، "السبك النصي في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" وهو جانب تطبيقي تناولت فيه أهم عناصر السبك النصي التي اعتمدها عليها الشنقيطي في كتابه، وقد جاء في

فصلين: **الفصل الأول**: بعنوان: الإحالة، و**الفصل الثاني**: بعنوان: العطف، والحذف، ودور هذه العناصر في بيان التماسك الشكلي للنص وإيضاح المعنى عنده.

الباب الثاني: بعنوان: "الحبك النصي في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، تناولت فيه أهم آيات الحبك النصي التي اعتمد عليها الشنقيطي في كتابه، وجاء في فصلين: **الفصل الأول**: السياق اللغوي والسياق غير الغوي، و**الفصل الثاني**: المتلقي والخطاب، مع بيان العلاقات بين التمثيلات الخطابية الدلالية ودورها في إيضاح انسجام النص القرآني، ودور هذه الآليات في تحديد المعنى عنده.

وخاتمة بها أهم النتائج التي توصلت إليها حول هذه الدراسة.

Towards the Text in the Book “Adwa Al Bayan in the Exegesis of the Holy Quran” by Ahc-Chanqiti A Linguistic Approach

The text grammar is one of the recent linguistic branches; it studies the textual tools by demonstrating cohesion and coherence in the text and leading to its interdependence and combination in the form and the meaning.

The interpreters of the **Holy Quran**, among them **Ahc-Chanqiti**, have conveyed means and mechanisms of textual linguistic research in contemporary studies. Among the fundamentals used to demonstrate the textual union are the means of coherence and the mechanisms of cohesion that I try through this research to demonstrate their importance in **Ahc-Chanqiti** and how much he used them in his book "**Adwa Al Bayan in the Exegesis of the Holy Quran**" to demonstrate textual cohesion in Quranic discourse.

I made the choice of this study in this field for contemporary linguistic studies which has a link with the Arabic linguistic theory because I wanted to combine between linguistic studies and Quranic studies and more precisely at **Ahc-Chanqiti** which combines between both studies in his interpretation "Adwa Al Bayan".

This study presents an important application model for applying the textual dimension in the interpretation studies according to textual bases that scholars have adopted for centuries in a linguistic approach in accordance with what the textual grammar calls for in our time.

This research comprises an introduction, an introductory chapter, and two parts including two chapters each and a conclusion.

The Introductory Chapter includes two headings . The first is entitled “ **Theoretical Approaches in the Text Grammar** ” where I explained the shift from the sentence centeredness in the linguistic study to the text level .Then, I treated the most important terms related to the text grammar and the historical background of textual linguistic studies .In the second heading I discussed issues related to both the author and the book. I spoke a bout **Ahc-Chanqiti** personal and scientific life as well as the presentation of the book and the reasons for its edition, the approach adopted in the interpretation and the most important references of the book.

The first part:

Entitled " 'The Textual cohesion in the Book Adwa Al Bayan in the Exegesis of the Holy Qur'an". It is a practical part in which I treated the most important elements of textual cohesion that **Ahc-Chanqiti** conveyed in his book. The first chapter of this part is entitled "Referencing" and the second chapter " Conjunction and Ellipsis " and their role in the explanation of meaning and the demonstration of textual cohesion.

The second part:

Entitled "The Textual Coherence in the Book Adwa Al Bayan in the Exegesis of the Holy Qur'an" It is a practical study too, I treated the most important elements of the textual coherence that **Ahc-Chanqiti** relied on in his book. The first chapter deals with " The Linguistic and Non-Linguistic Contexts" and the second chapter handles the issue of "The Receiver and the discourse" as well as the role of **Ahc-Chanqiti** in demonstrating the relationships between semantic representations and their role in establishing the coherence of the Quranic text and the role of these mechanisms in limiting meaning.

Finally the **Conclusion** contains the most important results of this study.